الجزء الاوّل من كتاب

العُمْدَة
في صِناعة الشّعْر ونَقْدِه

تأليف

﴿ أبي على الحسن بن رشيق القيرواني ﴾

المتوفى سنة ٤٦٣

عني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي

﴿ الطبعة الاولى ﴾

سنة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م

على نفقة

(السيد محمد كامل النعساني ومحمد عبد العزيز)

يطلب من محل محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه بمصر

(تنبيه) قوبلت هذه النسخة على ثلاث نسخ

« طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر - لصاحبها محمد اسماعيل »

الجزء الاول من كتاب

العمدة
في صناعة الشعر ونقده

تأليف

﴿ أبي على الحسن بن رشيق القيروانى ﴾

المتوفى سنة ٤٦٣

عنى بتصحيحه محمد بدر الدين النعسانى الحلبى

﴿ الطبعة الاولى ﴾

سنة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م

على نفقة

(السيد محمد كامل النعسانى ومحمد عبد العزيز)

يطلب من محل محمد أمين الخانجى الكتبى وشركاه بمصر

(تنبيه) قوبلت هذه النسخة على ثلاث نسخ

« طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر — لصاحبها محمد اسماعيل »

فهرس الجزء الاول من كتاب العمده

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

ترجمة المؤلف

قال صاحب الحلل السندسية فى كلامه على القيروان .. ومن بلغاء القيروان وأبنائها الحسن بن رشيق أحد البلغاء الأفاضل الشعراء ولد بالمسيلة وتأدب بها قليلا ثم ارتحل الى القيروان سنة ست وأربعمائة كذا قال ابن بسام وقال غيره ولد بالمهدية سنة تسعين وثلاثمائة وأبوه مملوك رومى من موالى الازد وتوفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة وكانت صنعة أبيه فى بلده المحمدية الصياغة فعلمه أبوه صنعته وقرأ الأدب بالمحمدية وقال الشعر وتاقت نفسه الى التزيد منه وملاقاة أهل الادب فرحل الى القيروان واشتهر بها ومدح صاحبها ولم يزل بها الى أن هجم العرب عليها وقتلوا أهلها وخربوها فانتقل الى صقلية وأقام بمازر الى أن مات وهى قرية بجزيرة صقلية منها المازرى رحمه الله واختلف فى تاريخ وفاته .. قال ابن خلكان رأيت بخط بعض الفضلاء أنه توفى سنة ست وخمسين وأربعمائة قال والاول أصح قال وقيل انه توفى ليلة السبت غرة ذى القعدة سنة ست وخمسين .. ومن شعره

يارب لا أقوى على دفع الأذى ... وبك استعنت على الضعيف الموذى

مالى بعثت اليَّ ألف بعوضة ... وبعثت واحدة الى نمروذ

وكان بينه و بين عبدالله بن أبى سعيد بن احمد المعروف بابن شرف القيروانى مناقضات ومهاجاة وصنف عدة رسائل فى الرد عليه منها رسالة سماها ساجور الكلب ورسالة نجح الطلب ورسالة قطع الانفاس ورسالة نقض الرسالة الشعوذية والقصيدة الدعية والرسالة المنقوضة و رسالة رفع الاشكال ودفع المحال وله كتاب أنموذج الشعراء شعراء القيروان ورسالة قراضة الذهب والعمدة فى معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه وهو كتاب جيد وغير ذلك .. قال صاحب الوافي فى الجزء الثالث والعشرين منه ما نصه وقد وقفت على هذه المصنفات والرسائل المذكورة جميعها فوجدتها تدل على تبحره في الادب واطلاعه علي كلام الناس ونقله لمواد هذا الفن وتبحره فى النقد وله كتاب فى شذوذ اللغة يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها .. ومن شعره

أحب أخي وان أعرضت عنه   وقل على مسامعه كلامي
ولي في وجهه تقطيب راض   كما قطبت في وجه المدام
ورب تقطب من غير بغض   وبغض كامن تحت ابتسام

.. ومنه اذا ما خففت لعهد الصبا   أبت ذلك الخمس والاربعونا
وما ثقلت كبراً وطأتي   ولكن اجر ورائي السنينا

.. ومنه وقائلة ماذا الشحوب وذا الضنا   فقلت لها قول المشوق المتيم
هواك أتاني وهو ضيف أعزه   فأطعمته لحمي وأسقيته دمي

.. ومنه ذمت لعينك أعين الغزلان   قمر أقر لحسنه القمران
ومشت فلا والله ماحقف النقا   مما أرتك ولا قضيب البان
ونن الملاحة غير أن ديانتي   تأبى على عبادة الأوثان

ومنها في المديح

يا بن الاعزة من أكابر حمير   وسلالة الأملاك من قحطان
من كل أبلج آمر بلسانه   يضع السيوف مواضع التيجان

.. ومنه في الناس من لا يرتجى نفعه   الاَّ اذا مس باضرار
كالعود لا يطمع في طيبه   الاَّ اذا أحرق بالنار

.. ومنه أقول كالمأسور في ليلة   ألقت على الآفاق كلكالها
يا ليلة الهجر التي ليلها   قطَّع سيف الهجر أوصالها
ما أحسنت جملا ولا أجملت   هذا وليس الحسن الالها

.. ومنه

ومن حسنات الدهر عندي ليلة   من العمر لم تترك لايامها ذنبا
خلونا بها ننفي القذي عن عيوننا   بلؤلؤة مملوءة ذهبا سكبا
وملنا لتقبيل الثغور ولثمها   كمثل جنوح الطير يلتقط الحبا

قال الابيوردي وما هذا بأحسن من قول ابن المعتز

كم من عناق لنا ومن قبل   مختلسات حذار مرتقب

نقر العصافير وهي خائفة   من النواطير يانع الرطب

قال في الوافي قلت مقام ابن المعتز غير مقام ابن رشيق لان ابن رشيق ذكر أنه في ليلة أمن وهي عنده من حسنات الدهر فلهذا حسن تشبيه التقبيل مع الامن بالتقاط الطير الحب لانه يتوالى دفعة بعد دفعة وأما ابن المعتز فانه كان خائفاً يختلس التقبيل و يسرقه كما يفعل العصفور في نقر الرطب اليانع لانه يقدم جازعاً خائفاً من الناطور فلا يطمئن فيما يلتمسه ألا تري الآخر كيف قال فأحسن

أقبله على جزعي   كشرب الطائر الفزع

رأى ماء فواقعه   وخاف عواقب الطمع

ومن شعر ابن رشيق

قد أحكمت مني التجا   رب كل شئ غير جودي

أبداً أقول لئن كسب   ت لاقبضن يدي شديد

حتى اذا أثريت عد   ت الى السماحة من جديد

ان المقام بمثل حا   لي لا يتم مع القعود

لا بد لي من رحلة   تدني من الامل البعيد

.. ومنه   معتقة يعلو الحباب متونها   فتحسبه فيها نثير جمان

رأت من لجين راحة لمديرها   فطافت له من عسجد ببنان

وأخذ ابن رشيق الادب عن أبي عبدالله محمد بن جعفر القزاز القيرواني النحوي وغيره من أهل القيروان .. رحمه الله تعالى

الجزء الاوّل من كتاب

العمدة
في صناعة الشعر ونقده

تأليف

﴿ أبي على الحسن بن رشيق القيرواني ﴾

المتوفي سنة ٤٦٣

عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني الحلبي

﴿ الطبعة الاولى ﴾

سنة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م

على نفقة

(السيد محمد كامل النعساني ومحمد عبد العزيز)

يطلب من محل محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه بمصر

(تنبيه) قوبلت هذه النسخة على ثلاث نسخ

« طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر — لصاحبها محمد اسماعيل »

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وصلى الله علي سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴾

الحمد لله أهلِ الحمد ومستحقه • وصلاته علي صفوته من خلقه • محمدٍ خيرته • وعلى أبرار عترته • وسلم تسليما • ﴿ أما بعد ﴾ فان أحق مَن جنى ثمر الألباب • واقتطف زهر الآداب • متنزهاً فى عقول الحكماء • متفكهاً فى أقاويل العلماء • بالغاً بهمته أعلي المراتب • خاطباً لنفسه أسني المطالب • مستقراً فى أرفع ذروة • متمسكا بأوثق عروة • مَن عرف للعلم حقه وفضله • وسلك به طرقه وسبله • وأكرم فى الله مثواه ونزله • وخص بالقرب ذويه وأهله • فاستوجب من جميل الذكر • وجزيل الذخر • ما هو أزين فى الدنيا وأبقى في الاخرى • كالسيد الامجد • والفذ الاوحد • حسنةِ الدنيا • وعلم العليا • وباني المكارم • وآبى المظالم(١) • رجل الخُطَب • وفارس الكتب • أبى الحسن على بن أبي الرجال الكاتب • زعيم الكرم • وواحد الفهم • الذى نال الرياسة • وحاز السياسة • وانفرد بالبسط والقبض • واتحد فى الابرام والنقض • عن سعي مشكور • وفضل مشهور • وعلم بالموارد والمصادر • ونظر فى الاوائل والاواخر • وتتبع لآثار مَن سلف • من أهل القدر(٢) والشرف • وتقلب فى مجالس الحكم • بين ذوي الأقدار والهمم • الي أن صار نسيج وحده • وقريع دهره • غيرَ مدافع عن ذلك ولا منازع فيه • فالحمد لله الذى اختصه بالجلالة • واستخلصه لشرف الحالة • وقدّمه على المتقدمين في الرتب • وأقام به سوق العلم والأدب • وجعل ذكره باقياً • وجده سامياً • وأيده من النصر والتوفيق • بما فيه رضى الخالق والمخلوق • فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم • وانا أطال الله بقاء السيد محروس النعمة • مرهوب النقمة • موقي فى دنياه ودينه • متنعماً بظنه ويقينه • قليل الانداد • كثير الحساد • وان لم أعلق من العلم الا بحاشية • ولا

(١) ن وداريء المظالم (٢) ن الاخطار

أخذت منه الا في ناحية • لسوء المكان• وقلة الامكان • وَزَمانة الزمان • وحدوث الحدثان • قبل أن أعلق بحبل عنايته • وأحفظ وأصير في حرم حمايته • فقد وجدت الشعر أكبر علوم العرب • وأوفر حظوظ الادب • وأحري أن تقبل شهادته • وتمتثل ارادته • لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم • ان من الشعر لحكما وروى لحكمة • وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه • نعم ما تعلمته العرب الابيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته فيستنزل بها الكريم • ويستعطف بها اللئيم • مع ماللشعر من عظم المزية • وشرف الابية • وعز الانفة • وسلطان القدرة• ووجدت الناس مختلفين فيه• متخلفين عن كثير منه • يقدمون ويؤخرون • ويقلون ويكثرون • قد بوبوه أبواباً مبهمة • ولقبوه ألقاباً متهمة • وكل واحد منهم قد ضرب في جهة وانتحل مذهباً هو فيه إمام نفسه وشاهد دعواه• فجمعت أحسن ماقاله كل واحد منهم في كتابه • ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه • ان شاء الله تعالى• وعولت في أكثره على قريحة نفسي• ونتيجة خاطري خوف التكرار • ورجاء الاختصار • الا ما تعلق بالخبر وضبطته الرواية فانه لا سبيل الى تغيير شيء من لفظه ولا معناه ليؤتى بالامر على وجهه فكل مالم أسنده الى رجل معروف باسمه • ولا أحلت فيه على كتاب بعينه• فهو من ذلك الا أن يكون متداولا بين العلماء لايختص به واحد منهم دون الآخر وربما نحلته أحد العرب • وبعض أهل الادب • تسترا بينهم • ووقوعاً دونهم• بعد أن قرنت كل شكل بشكله • ورددت كل فرع الي أصله• وبينت للناشيء المبتديء وجه الصواب فيه• وكشفت عنه لبس الارتياب به حتي أعرف باطله من حقه • وأميز كذبه من صدقه • ولم أسِمْ كتابي هذا باسم السيد زاده الله تعالى سمواً لا كون كجالب التمر الى هجر ومهدى الوشي الى عدن• لكن تزينا باسمه الشريف وذكره الطيب واستسلاماً بين يدى علمه الطائل وادبه الكامل

إن قصَّرت عن غرض رميةٌ ... أو زلَّ فكرٌ أو نبا خاطرُ
لانني فيه على نيَّةٍ ... يخبرُ عن باطنها الظاهرُ

ولما عدلت بى الحال عن حضور مجلسه الباهر • ومنعنى الاجلال من مناسمة خلقه الزاهر • وطال اشتياقي الى تلك الطلعة الكريمة • واشتد حرصي على تلك المشاهد

العظيمة • وعلمت أن لا بد لى منه • ولا غنى لى عنه • الا ما حجز دونه آنفاً من خدمة مولانا خلد الله ملكه لما غمرنى من فضله وقيدني من احسانه

ومَن وجد الاحسان قيداً تقيدا

نفضت جراب صدرى • وانتقدت كنز معرفتى • وأيقنت أن صورة الانسان • فضلة عن القلب واللسان • وان استحقاقه للفضل • انما هو من جهة النطق والعقل • فتأملت له نفسي وأهديتها اليه • ومثلت بها حقيقة بين يديه • اذ كانت الانفاس منوطة بالانفس • والمرء لولاهما مَوَات ملق لا خير فيه ولا نفع عنده وأيضاً فان النفس تفوت الحس وانما تدرك بالبصائر لا بالابصار • والسيد أدام الله عزه أعلم بمعذرتى • وأقوم بحجتى • من أن أعرض خزفي على جوهره • أو أقيسَ وشلي بأبحره • بل استقيله واسترشده • واستعفيه واستنجده • ثم إنى لا أظهر حرفاً من كتابى هذا الا عن أمره وبعد اذنه لا كون به أقوى ثقة • وله أشد مقة • فان وقع منه بموقع • وحل من قبوله فى موضع • بلغت الارادات • ورجوت الزيادات

وازرقُ الفجر يبدو قبل أبيضه وأولُ الغيثِ قطرٌ ثم ينسكبُ

والا سترته ستر العورة • وطرحته طرح القُلامة • لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً • أسأله حسن التوفيق والهدايه • وأرغب اليه فى العصمة والكفاية بمنه وقدرته ولطفه ورحمته

باب في فضل الشعر

العرب أفضل الامم • وحكمتها أشرف الحكم • كفضل اللسان على اليد • والبعد عن امتهان الجسد • اذ خروج الحكمة عن الذات • بمشاركة الآلات • إذ لا بد للانسان من ان يكون تولى ذلك بنفسه • أو احتاج فيه الى آلة أو معين من جنسه • وكلام العرب نوعان منظوم ومنثور • لكل منهما ثلاث طبقات جيدة ومتوسطة وردية فاذا اتفق الطبقتان فى القدر وتساوتا فى القيمة ولم يكن لاحداهما فضل علي الاخرى كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية لان كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة الاترى ان الدر وهو أخو اللفظ ونسيبه واليه يقاس وبه يشبه اذا كان منثورا لم

يؤمن عليه ولم ينتفع به في الباب الذى له كسب . ومن أجله انتخب . وان كان أعلى قدراً وأغلى ثمنا فاذا نظم كان أصون له من الابتذال . وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال . وكذلك اللفظ اذا كان منثوراً تبدد في الاسماع . وتدحرج عن الطباع . ولم تستقر منه الا المفرطة في اللفظ وان كانت أجله . ولواحدة من الالف وعسى أن لاتكون أفضله . فان كانت هي اليتيمة المعروفة . والفريدة الموصوفة . فكم في سقط الشعر من أمثالها ونظرائها لا يعبأ به ولا ينظر اليه . فاذا أخذه سلك الوزن وعقد القافية تألفت أشتاته . وازدوجت فرائده وبناته . واتخذه اللابس جمالا . والمدخر مالا . فصار قرطة الاذان وقلائد الاعناق . وأماني النفوس . وأكاليل الرؤس . يقلب بالالسن . ويخبأ في القلوب . مصوناً باللب . ممنوعاً من السرقة والغصب . وقد اجتمع الناس على أن المنثور في كلامهم أكثر وأقل جيداً محفوظاً وان الشعر أقل وأكثر جيداً محفوظاً لان في أدناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب به جيد المنثور .. وكان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم أخلاقها . وطيب اعراقها . وذكر أيامها الصالحة . وأوطانها النازحة . وفرسانها الانجاد . وسمحائها الاجواد . لتهز أنفسها الى الكرم . وتدل أبناءها على حسن الشيم . فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعراً لانهم شعروا به أي فطنوا .. وقيل ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره .. ولعل بعض الكتاب المتصرين للنثر الطاعنين على الشعر يحتج بأن القرآن كلام الله تعالى منثور وان النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر لقول الله تعالى ﴿ وماعلمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ ويرى أنه قد أبلغ في الحجة . وبلغ في الحاجة . والذى عليه في ذلك أكثر مما له لان الله تعالى انما بعث رسوله أمياً غير شاعر الى قوم يعلمون منه حقيقة ذلك حين استوت الفصاحة واشتهرت البلاغة آية للنبوة وحجة على الخلق واعجازاً للمتعاطين وجعله منثوراً ليكون أظهر برهاناً لفضله على الشعر الذى من عادة صاحبه أن يكون قادراً على ما يحبه من الكلام وتحدى جميع الناس من شاعر وغيره بعمل مثله فأعجزهم ذلك كما قال الله تعالى ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ فكما أن القرآن أعجز الشعراء وليس بشعر كذلك

أعجز الخطباء وليس بخطبة والمرسلين وليس بترسيل واعجازه الشعراء أشد برهاناً ألا تري كيف نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الشعر لما غُلبوا وتبين عجزهم فقالوا هو شاعر لما في قلوبهم من هيبة الشعر وفخامته وأنه يقع منه مالا يُلحق والمنثور ليس كذلك فمن ههنا قال الله تبارك وتعالي ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ أي لتقوم عليكم الحجة ويصح قِبَلكم الدليل ويشهد لذلك رواية يونس عن الزهري أنه قال معناه ما الذى علمناه شعراً وما ينبغي له أن يبلغ عنا شعراً .. وقال غيره أراد وما ينبغى له أن يبلغ عنا ما لم نعلمه أى ليس هو ممن يفعل ذلك لامانته ومشهور صدقه .. ولو أن كون النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر غضٌّ من الشعر لكانت أميته غضاً من الكتابة وهذا أظهر من أن يخفي على أحد .. واحتج بعضهم بأن الشعراء أبداً يخدمون الكتاب ولا نجد(١) كاتباً يخدم شاعراً وقد عميت عليهم الانباء وانما ذلك لان الشاعر واثق بنفسه مدل بما عنده على الكاتب والملك فهو يطلب مافي أيديهما ويأخذه والكاتب بأي آلة يفضل(٢) الشاعر فيرجو ما فى يده وانما صناعته فضلة عن صناعته على ان يكون كاتب بلاغة .. فأما كاتب الخدمة فى القانون وما شاكله فصانع مستأجر مع انه قد كان لابى تمام والبحترى قهارمة وكتاب . وكان من عميان الشعراء كتاب أزمّة كبشار وأبى على البصير وكان ابن الرومى من أكبر كتاب الدواوين فغلب عليه الشعر لانه غلاّب .. وكما نجد من يمدح السوقة فى الشعراء فكذلك نجد للسوقة كتابا وللتجار الباعة فى زمننا هذا وقبله . ولم أهجم بهذا الرد وأورد هذه الحجة لولا ان السيد أبقاه الله قد جمع النوعين وحاز الفضيلتين فهما نقطتان من بحره ونوارتان من زهره وسيرد فى أضعاف هذا الكتاب من أشعاره ما يكون دليلا على صدق ماقلته ان شاء الله تعالى .. ومن فضل الشعر ان الشاعر يخاطب الملك باسمه وينسبه الى أمه ويخاطبه بالكاف كما يخاطب أقلَّ السوقة فلا ينكر ذلك عليه بل يراه أوكد فى المدح وأعظم اشتهاراً للممدوح كل ذلك حرص علي الشعر ورغبة فيه ولبقائه علي مر الدهور واختلاف العصور والكاتب لا يفعل ذلك الا ان يفعله منظوما غير منثور وهذه مزية ظاهرة وفضل بين .. ومن فضائله ان الكذب الذى اجتمع الناس على قبحه حسن فيه وحسبك ما حسّن الكذب واغتفر له قبحه

(١) ن يجدون (٢) ن يقصد

فقد أوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير لما أرسل الى أخيه بجير ينهاه عن الاسلام وذكر النبي صلى الله عليه وسلم بما أحفظه فأرسل اليه أخوه ويحك ان النبي صلى الله عليه وسلم أوعدك لما بلغه عنك وقد كان أوعد رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه فقتلهم يعني ابن خطل وابن ضبابة وان من بقي من شعراء قريش كابن الزِّبَعْرَى وهبيرة ابن أبي وهب قد هربوا في كل وجه فان كانت لك في نفسك حاجة فطر(١) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل من جاء تائبا والا فانج الى نجائك فانه والله قاتلك فضاقت به الارض فأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم متنكراً فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر وضع كعب يده في يده صلى الله عليه وسلم ثم قال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد اتى مستأمنا تائبا أفتؤمنه فآتيك به قال هو آمن فحسر كعب عن وجهه وقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله مكان العائذ بك انا كعب بن زهير فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشد كعب قصيدته التي أولها

بانت سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ ... متيَّم إثرها لم يُفدَ مكبولُ

يقول فيها بعد تغزله وذكر شدة خوفه ووجله

أنبئتُ أن رسولَ الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمولُ

مهلاً هداكَ الذي أعطاك نافلةَ الـقرآنِ فيه مواعيظٌ وتفصيلُ

لا تأخذني بأقوالِ الوشاةِ فلم ... أذنبْ ولو كثرت فيَّ الاقاويلُ

فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم قوله وما كان ليوعده على باطل بل تجاوز عنه ووهب له بردته فاشتراها منه معاوية بثلاثين ألف درهم .. وقال العتبي(٢) بعشرين ألفاً وهي التي يتوارثها الخلفاء يلبسونها في الجمع والاعياد تبركا بها .. وذكر جماعة منهم عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي الشاعر أنه أعطاه مع البردة مائة من الابل قال وقال الاحوص يذكر عمرَ بن عبد العزيز عطية رسول الله صلى الله عليه وسلم كعباً وقد توقف في عطاء الشعراء

وقبلك ما أعطى هُنَيْدةَ جلة ... على الشعر كعباً من سَدِيس وبازِلِ

رسولُ الالهِ المستضاء بنوره ... عليه السلام بالضحي والاصائل

---

(١) ن فصر (٢) ن القتبي

واعتذر حسان بن ثابت من قوله فى الافك بقوله لعائشة رضى الله عنها فى أبيات مدحها بها

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بريبة ونصبحُ غرثى من لحوم الغوافل

يقول فيها

فان كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتم فلا رفعتْ سوطى الىَّ أناملى

ثم يقول

فان الذى قد قيل ليس بلائطٍ [(١)] ولكنه قولُ امرئٍ بىَ ماحلِ

فاعتذر كما تراه مغالطا فى شئ نفذ فيه حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحد وزعم ان ذلك قول امرئ ماحل أي مكايد فلم يعاقب لما يرون من استخفاف كذب الشاعر وانه يحتج به ولا يحتج عليه ٠٠ وسئل أحد المتقدمين عن الشعراء فقال ماظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم والكذب مذموم الا فيهم ٠٠ حكى أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين النيسابوري أن كعب الاحبار قال له عمر بن الخطاب وقد ذكر الشعر يا كعب هل تجد للشعراء ذكراً فى التوراة فقال كعب أجد في التوراة قوماً من ولد اسماعيل أناجيلهم في صدورهم ينطقون بالحكمة و يضربون الامثال لا نعلمهم الا العرب ٠٠ وقيل ليس لاحد من الناس أن يطرى نفسه ويمدحها في غير منافرة الا أن يكون شاعراً فان ذلك جائز له فى الشعر غير معيب عليه ٠٠ وقال بعضهم وأظنه أبا العباس الناشئ العلم عند الفلاسفة ثلاث طبقات أعلى وهو علم ماغاب عن الحواس فأدرك بالعقل أو القياس ٠ وأوسط وهو علم الآداب النفيسة التى أظهرها العقل من الاشياء الطبيعية كالاعداد والمساحات وصناعة التنجيم وصناعة اللحون ٠ وأسفل وهو العلم بالاشياء الجزئية والاشخاص الجسمية فوجب اذا كانت العلوم أفضلها مالم يشارك فيه الجسوم ان يكون أفضل الصناعات مالم تشارك فيه الآلات ٠ واذا كانت اللحون عند الفلاسفة أعظم أركان العمل الذى هو أحد قسمي الفلسفة وجدنا الشعر أقدم من لحنه لا محالة فكان أعظم من الذى هو اعظم أركان الفلسفة والفلسفة عندهم علم وعمل ٠ هذا معنى الكلام المنقول عنه مختصراً وليس نصاً ٠٠ فان قيل فى الشعر انه سبب التكفف وأخذ الاعراض وماأشبه ذلك لم يلحقه من

(١) ن بقولى

ذلك الا ما يلحق المنثور ٠٠ ومن فضائله أن اليونانيين انما كانت أشعارهم تقييد العلوم والاشياء النفيسة والطبيعية التي يخشي ذهابها فكيف ظنك بالعرب الذى هو فخرها العظيم وقسطاسها المستقيم ٠٠ وزعم صاحب الموسيقى أن ألذ الملاذ كلها اللحن ونحن نعلم أن الاوزان قواعد الالحان والاشعار معايير الاوتار لامحالة مع أن صنعة صاحب الالحان واضعة من قدره مستخدمة له نازلة به مسقطة لمروءته ٠٠ ورتبة الشاعر لا مهانة فيها عليه بل تكسبه مهابة العلم وتكسوه جلالة الحكمة ٠ فأما قيامه وجلوس صاحب اللحون فلان هذا منشوّف اليه يحب اسماع من بحضرته أجمعين بغير آلة ولا معين ولا يمكنه ذلك الا قائماً أو مشرفاً وليدل على نفسه و يُعلم أنه المتكلم دون غيره وكذلك الخطيب ٠ وصاحب اللحون لا يمكنه القيام لما فى حجره كرامة منه على القوم على أن منهم مَن كان يقوم بالدف والمزهر ٠ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحراً وان من الشعر لحكما وقيل لحكمة ٠ فقرن البيان بالسحر فصاحة منه صلى الله عليه وسلم وجعل من الشعر حكما لان السحر يخيل للانسان مالم يكن للطافته وحيلة صاحبه وكذلك البيان يتصور فيه الحق بصورة الباطل والباطل بصورة الحق لرقة معناه ولطف موقعه وأبلغ البيانين عند العلماء الشعر بلا مدافعة ٠ وقال رؤبة

لقد خشيتُ أن تكونَ ساحراً ۝ راويةً مَراً ومَراً شاعرا

فقرن الشعر أيضاً بالسحر لتلك العلة و يروي أيضاً لقدحسنت بسين مضمومة غير معجمة ونون والثاء مفتوحة

باب فى الرد على من يكره الشعر

روى عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال انما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه ٠ وقد قال عليه الصلاة والسلام انما الشعر كلام فمن الكلام خبيث وطيب ٠ وقالت عائشة رضى الله عنها الشعر فيه كلام حسن وقبيح فخذ الحسن واترك القبيح ٠ و يروى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى لحسان بن ثابت فى المسجد منبراً ينشد عليه الشعر ٠ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه الشعر ميزان القول ورواه بعضهم الشعر ميزان القوم • وروى ابن عائشة يرفعه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم به فى بواديها وتسل به الضغائن من بينها وأنشد ابن عائشة قول أعشي بنى قيس بن ثعلبة

قلدتكَ الشعرَ يا سلامة ذافا　　بِش والشئ حيث ما جُعلا

والشعر يستنزلُ الكريمَ كما　　ينزلُ رعدُ السحابة السَّبلا

ويروي عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت مر الزبير بن العوام رضى الله عنه بمجلس لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وحسان ينشدهم وهم غير آذنين لما يسمعون من شعره فقال مالى أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة لقد كان ينشد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن استماعه ويجزل عليه ثوابه ولا يشتغل عنه اذا أنشده • ويروي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بحسان وهو ينشد الشعر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أرغاء كرغاء البكر • فقال حسان دعنى عنك ياعمر فوالله انك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك فما يغير عليَّ ذلك فقال عمر صدقت • وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ابى موسى الاشعرى مر مَن قِبلك بتعلم الشعرفانه يدل علي معالى الاخلاق وصواب الرأى ومعرفة الانساب • وقال معاوية رحمه الله يجب على الرجل تأديب ولده والشعر أعلى مراتب الادب • وقال اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم فلقد رأيتني ليلة الهرير بصفين وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الارض وأنا أريد الهرب لشدة البلوى فما حملنى على الاقامة الا أبيات عمرو بن الإطنابة

أبت لى همتى وأبيَ بلائى　　وأخذي الحمدَ بالثمن الربيحِ

وإقحامى على المكروه نفسى　　وضربى هامة البطلِ المشيح

وقولى كلما جشأت وجاشت　　مكانكِ تحمدى أو تستريحى

لأدفع عن مآثرَ صالحاتٍ　　وأحمى بعدُ عن عرضٍ صحيح

ويروى أن اعرابياً وقف على عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه فقال ان لى اليك

حاجة رفعتها الى الله قبل أن أرفعها اليك فان أنت قضيتها حمدت الله تعالى وشكرتك وان لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك فقال له عليّ خط حاجتك في الارض فانى أرى الضر عليك فكتب الاعرابى على الأرض انى فقير فقال عليّ ياقنبر ادفع اليه حلتى الفلانية فلما أخذها مثل بين يديه فقال

كسوتني حلةً تبلَى محاسنُها . فسوف أكسوكَ من حسنِ الثنا حُللاَ
ان الثناءَ ليُحيي ذكرَ صاحبهِ كالغيث يُحيي نداه السهلَ والجبلا
لا تزهدِ الدهرَ في عُرفٍ بدأتَ به فكلُّ عبدٍ سيُجزَى بالذى فعلا

فقال عليّ ياقنبر اعطه خمسين ديناراً أما الحلة فلمسألتك وأما الدنانير فلادبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنزلوا الناس منازلهم • وقيل لسعيد بن المسيب ان قوماً بالعراق يكرهون الشعر فقال نسكوا نسكا أعجمياً • وقال ابن سيرين الشعر كلام عقد بالقوافي فما حسن في الكلام حسن فى الشعر وكذلك ماقبح منه • وسئل في المسجد عن رواية الشعر فى شهر رمضان وقد قال قوم انها تنقض الوضوءَ فقال

نبئتُ أن فتاةً كنتُ أخطبُها عُرقوبُها مثلُ شهرِ الصوم في الطول

ثم قام فأمَّ الناسَ وقيل بل أنشد

لقد أصبحتْ عِرسُ الفرزدق ناشزاً ولو رضيتْ رمحَ اُسته لاستقرت

وقال الزبير بن بكار سمعت العمرى يقول روُّوا أولادكم الشعر فانه يحل عقدة اللسان ويشجع قلب الجبان ويطلق يد البخيل ويحض على الخلق الجميل • وسئل ابن عباس هل الشعر من رفث القول فأنشد

وهنَّ يمشين بنا هميسا ان تصدقِ الطيرُ ننكْ لميسا

وقال انما الرفث عند النساء ثم أحرم للصلاة • وكان ابن عباس يقول اذ قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب فان الشعر ديوان العرب • وكان اذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً • وكانت عائشة رضى الله عنها كثيرة الرواية للشعر يقال انها كانت تروى جميع شعر لبيد • وروى عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال لاتدع العربُ الشعر حتي تدعَ الابلُ الحنينَ • وكان أبوالسائب المخزومي

على شرفه وجلالته وفضله فى الدين والعلم يقول أما والله لو كان الشعر محرماً لوردنا الرحبة كل يوم مراراً . والرحبة الموضع الذى تقام فيه الحدود يريد انه لا يستطيع الصبر عنه فيُحَد فى كل يوم مراراً ولا يتركه . فأما احتجاج مَن لايفهم وجه الكلام بقوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون) فهو غلط وسوء تأول لأن المقصودين بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ومسوه بالأذى فأما مَن سواهم من المؤمنين فغير داخل فى شيء من ذلك ألا تسمع كيف استثناهم الله عز جل ونبه عليهم فقال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ماظلموا) يريد شعراءَ النبي صلي الله عليه وسلم الذين ينتصرون له ويجيبون المشركين عنه كحسان ابن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رَوَاحة . وقد قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء النفر أشد علي قريش من نضح النبل . وقال لحسان بن ثابت اهجهم يعنى قريشا فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام اهجهم ومعك جبريل روح القدس والْقَ أبا بكر يعلمك تلك الهنات . فلو أن الشعر حرام أو مكروه ما اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم شعراء يثيبهم علي الشعر ويأمرهم بعمله ويسمعه منهم . وأما قوله عليه الصلاة والسلام لان يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعراً فانما هو في من غلب الشعر علي قلبه وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن . والشعر وغيره مماجرى هذه المجرى من شطرنج وغيره سواء . وأما غير ذلك ممن يتخذ الشعر أدبا وفكاهة وإقامةَ مروءة فلا جناح عليه وقد قال الشعر كثير من الخلفاء الراشدين والجلة من الصحابة والتابعين والفقهاء المشهورين وسأذكر من ذلك طرفا يقتدي به فى هذا الباب ان شاء الله تعالى

باب فى أشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء

من ذلك قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه قالوا واسمه عبدالله بن عثمان ويقال عتيق لقب له . قال في غزوة عبيدة بن الحارث رواه ابن اسحاق وغيره

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث أرقت أو أمر في العشيرة حادث
ترى من لؤي فرقة لا يصدها عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
رسول أتاهم صادق فتكذبوا عليه وقالوا لست فينا بما كث
اذا ما دعوناهم الي الحق أدبروا وهروا هرير المحجرات اللواهث
فكم قد مثلنا فيهم بقرابة وترك التقي شيء لهم غير كارث
فان يرجعوا عن كفرهم وعقوقهم فما طيبات الحل مثل الخبائث
وان يركبوا طغيانهم وضلالهم فليس عذاب الله عنهم بلابث
ونحن أناس من ذؤابة غالب لنا العز منها في الفروع الأثائث
فأولى برب الراقصات عشية حراجيج تخدى في السريح الرثائث
كأدم ظباء حول مكة عكف يردن حياض البئر ذات النبائث
لئن لم يفيقوا عاجلاً من ضلالهم ولست اذا آليت قولا بحانث
لتبتدرنهم غارة ذات مصدق تحرم أطهار النساء الطوامث
تغادر قتلى تعصب الطير حولهم ولا يرأف الكفار رأف بن حارث
فأبلغ بني سهم لديك رسالة وكل كفور يبتغي الشر ماجث
فان شعثوا عرضي على سوء رأيهم فاني من أعراضهم غير شاعث

ومن شعر عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة ويروى للأعور الشني

هون عليك فان الامو ر بكف الاله مقاديرها
فليس بآتيك منهيها ولا قاصر عنك مأمورها

ومن شعره أيضاً وقد لبس برداً جديداً فنظر الناس اليه وقد روى لورقة بن نوفل في أبيات

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الاله ويفنى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمانُ اذ تجرى الرياحُ له ... والجنُّ والإنسُ فيما بينها ترد
حوضٌ هنالكَ موردٌ بلا كذبٍ ... لا بد من وردِه يوماً كما وردوا

ومن شعره أيضاً رضى الله عنه

تو عّدني كعبٌ ثلاثاً يعدُّها ... ولا شك أن القولَ ماقال لي كعبُ
وما بيَ خوفُ الموتِ انى لميتٌ ... ولكنَّ خوفَ الذنبِ يتبعهُ الذنبُ

ومن شعر عثمان بن عفان رضى الله عنه

غنى النفس يغني النفسَ حتى يكفَّها ... وان عضَّها حتى يضرَّ بها الفقرُ
وما عسرةٌ فاصبر لها ان لقيتَها ... بكائنةٍ الاّ سيتبعها يسرُ

ومن شعر على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان مجوّداً ما قاله يوم صفّين يذكر همدان ونصرهم اياه

ولما رأيتُ الخيلَ ترجمُ بالقنى ... نواصيها حمرَ النحور دوامي
وأعرضَ نقعٌ فى السماء كأنه ... عجاجةُ دجنٍ ملبس بقتامِ
ونادى ابنُ هندٍ فى الكلاع وحمير ... وكندةَ فى لخمٍ وحيِّ جذامِ
تيممت همدانَ الذين همُ همُ ... اذا ناب دهرٌ جُنَّتى وسهامي
فجاوبنى من خيل همدان عصبة ... فوارسُ من همدان غيرُ لئام
فخاضوا لظاها واستطاروا شرارَها ... وكانوا لدى الهيجا كشربِ مدامِ
فلو كنت بوابا على باب جنةٍ ... لقلتُ لهمدانَ ادخلوا بسلام

وهو القائل بصفين أيضاً

لمن راية حمراء (١) يخفق ظلُّها ... اذا قلتُ قدمْها حصين تقدما
فيوردها في الصف حتى يَردْ بها ... حياضَ المنايا تقطرُ الموتَ والدما

فهؤلاء الخلفاء الاربعة رضوان الله عليهم مامنهم الا من قال الشعر. وخامسهم الحسن بن على رحمه الله وهو القائل وقد خرج على أصحابه مختضبا رواه المبرد

نسوّدُ أعلاها وتأبى أصولها ... فليت الذى يسودُ منها هو الأصلُ

ومن شعر معاوية بن أبى سفيان رحمة الله عليه ما رواه ابن الكلبي عن عبد الرحمن

---

(١) ن سوداء

المدني قال لما حضرت معاوية الوفاة جعل يقول

ان تناقش يكن نقاشك يا ر ب عذاباً لا طوق لي بالعذاب
أو تجاوز فأنت رب رؤف عن مسيء ذنوبه كالتراب

وروى في غير موضع واحد

فقدت سفاهتي وأزحت غيي وفيَّ على تحلمي اعتراض
على أني أجيب اذا دعتني الي حاجاتها الحدق المراض

ومن قوله أيضاً وهو لائق به دال على صحة ناقله

اذا لم أجد بالحلم مني عليكم فمن ذا الذى بعدي يؤمل للحلم
خذيها هنيئاً واذكري فعل ماجد حباك على حرب العداوة بالسلم

وأما يزيد بن معاوية فمن بعده فكثير شعرهم مشهور . ومن شعر الحسين بن على رضى الله عنهما وقد عاتبه أخوه الحسن رحمه الله في امرأته

لعمرك إنني لأحب داراً تحل بها سكينة والرباب
أحبها وأبذل جل مالي وليس للائمي عندي عتاب

وليس من بني عبد المطلب رجالا ونساء من لم يقل الشعر حاشى النبي صلى الله عليه وسلم . فمن ذلك قول حمزة بن عبد المطلب رحمه الله يذكر لقاءه أبا جهل وأصحابه في قصيدة تركت أكثرها اختصاراً

عشيةَ ساروا حاشدين وكلنا مراجله من غيظ أصحابه تغلي
فلما تراءينا أناخوا فعقلوا مطايا وعقلنا مدى غرض النبل
وقلنا لهم حبل الاله نصيرنا وما لكم الا الضلالة من حبل
فثار أبو جهل هنالك باغياً فخاب ورد الله كيد أبي جهل
وما نحن الا في ثلاثين راكباً وهم مائتان بعد واحدة فضل

وأما العباس فكان شاعراً مفلقاً حسن التهدى من ذلك قوله رحمه الله يوم حنين يفتخر بثبوته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ألا هل أتى عرسي مكرّي وموقفي بوادى حُنينٍ والأسنةُ تُشرع
وقولي اذا ماالنفس جاشت لها قدي وهامٌ تدهدى والسواعدُ تقطع
وكيف رددتُ الخيلَ وهي مُغيرةٌ بزوراءَ تعطي باليدين وتمنع
نصرنا رسولَ اللهِ فى الحرب سبعةٌ وقد فر مَن قد فر عنه فأقشعوا

ومن شعر عبد الله بن عباس رضي الله عنه

اذا طارقاتُ الهم ضاجعتِ الفتى واعمل فكرَ الليل والليلُ عاكرُ
وباكرنى فى حاجة لم يجد بها سواىَ ولا من نكبة الدهرِ ناصرُ
فرجتُ بمالى همه من مقامه وزايله همٌّ طروقٌ مُسامرُ
وكان له فضلٌ عليَّ بظنه بىَ الخير إني للذي ظنّ شاكرُ

ومن شعر جعفر بن أبى طالب ذى الجناحين رضي الله عنه قوله يوم مُؤتة وفيه قتل رحمة الله عليه

ياحبذا الجنةُ واقترابُها طيبةٌ وباردٌ شرابها
والرومروم قددنا عذابُها عليَّ اذلاقيتها ضرابها

وشعر أبى سفيان بن الحارث مشهور فى الجاهلية والاسلام . فأما أبو طالب ومَن شاكله فلم أذكر لهم شيئاً خلا بيتين لعبد الله بن عبد المطلب أنشدهما القاضى أبو الفضل وهما

وأحورَ مخضوبِ البنان محجبٍ دعاني فلم أعرف الى ما دعا وجها
بخلتُ بنفسى عن مقامٍ يشينها فلستُ مريداً ذاك طوعاً ولا كرها

وكانت فاطمة رضى الله عنها تقول الشعر رُويت لها أشياءُ كثيرة . ثم نرجع الى الخلفاء المرضيين . قال عمر بن عبد العزيز رواه الاوزاعى عن محمد بن كعب

أيقظانُ أنت اليومَ أم أنت حالمُ وكيف يطيق النومَ حيرانُ هائمُ
فلو كنت يقظانَ الغداةَ لحرّقتْ جفوناً لعينيك الدموعُ السواجمُ
نهارُك يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ وليلُك نومٌ والردى لكَ لازمُ

ونشغل فيما سوف تكره غبة … كذلك في الدنيا تعيش البهائم

ومما أثبته حماد الرواية من شعره

إنه الفؤاد عن الصبا … وعن انقياده للهوى
فلعمر ربك إن في … شيب المفارق والجلى
لك واعظاً لو كنت تتعظ اتعاظ ذوي النهى
حتى متى لا ترعوى … والى متى والي متى
بلي الشباب وأنت ان … عمرت رهن للبلي
وكفي بذلك زاجراً … للمرء عن غي كفى

ومن شعره أيضاً أنشده ابن داود القياسى في كتابه

ولولا النهي ثم التقي خشية الردا … لعاصيت فى حب الصبا كل زاجر
صبا ما صبا فيما مضى ثم لا ترى … له صبوة أخرى الليالى الغوابر

ومن قول عبدالله بن الزبير قوله وقد ولي الحرمين مدة ودعى بأمير المؤمنين ماشاء الله حتى قتل رحمة الله عليه وقد روى لعبد الله بن الزبير بفتح الزاي وكسر الباء

لا أحسب الشر جاراً لا يفارقنى … ولا أحز على ما فاتنى الودجا
وما لقيت من المكروه منزلة … إلا وثقت بأن ألقى لها فرجا

ومن قوله المشهور عنه

وكم من عدو قد أراد مساءتى … بغيب ولو لاقيته لتندما
كثير الخنا حتى اذا ما لقيته … أصر على اثم وان كان أقسما

وحسبك من القضاة شريح بن الحارث كان شاعراً مجوداً وقد استقضاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الي مؤدب ولده وقد وجده وقت الصلاة يلعب بجرو كلب وأودع الأبيات رقعة وأنفذها مع ولده مختومة الى المؤدب

ترك الصلاة لأكلب يسعى بها … طلب الهراش مع الغواة الرجس

فليأتينكَ غُدوَةً بصحيفةٍ   كتبتْ له كصحيفةِ المتلمسِ
فاذا هممتَ بضربهِ فبدِرَّةٍ   واذا بلغتَ به ثلاثاً فاحبسِ
واعلم بأنك ما أتيتَ فغفه   مع ما يجرعنى أعزَّ الأنفسِ

فهذا شريح وهلم جرا الى حيث شئت ٠٠ ومن الفقهاء عبيد الله بن عبيد الله بن عتبة ابن مسعود قال فى امرأة من هذيل قدمت المدينة ففتن بها الناس ورغبوا فيها خاطبين

أحبكِ حباً لو علمتِ ببعضهِ   لجدتِ ولم يصعب عليكِ شديدُ
وحبكَ يا أمَّ الوليد مولهي   شهيدى أبو بكر فنعم شهيدُ
ويعلم وجدِى قاسمُ بنُ محمدٍ   وعروةُ ما أخفى بكم وسعيدُ
ويعلم ما ألقى سليمانُ علمه   وخارجةٌ يُبدي بنا و يعيدُ
متى تسألي عما أقول تخبَّرى   فلله عندي طارفٌ وتليدُ

هؤلاء الستة الذين ذكرهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام • وقاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق • وعروة بن الزبير بن العوام • وسعيد بن المسيب • وسليمان بن يسار • وخارجة بن زيد بن ثابت • وعبيد الله صاحب هذا الشعر هو سابعهم وهم فقهاء المدينة وأصحاب الرأي الذين هم عليهم المدار ٠٠ وقد كان جماعة من أصحاب مالك ابن أنس يرون الغناء بغير آلة جائزاً وهو مذهب جماعة من أهل مكة والمدينة ٠٠ والغناء حلة الشعر إن لم يلبسها طويت ومحال أن يحرّم الشعرَ من يحل الغناء به ٠٠ وأما محمد بن ادريس الشافعى فكان من أحسن الناس افتناناً فى الشعر وهو القائل

ومتعبِ العيس مرتاحاً الى بلدٍ   والموتُ يطلبهُ فى ذلك البلدِ
وضاحكٍ والمنايا فوقَ مفرقهِ   لو كان يعلم غيباً مات من كمد
من كان لم يؤتَ علماً فى بقاء غدٍ   ماذا تفكره فى رزقِ بعد غدِ

ومن قوله أيضاً فى غير هذا المعنى

الجدُّ يدني كلَّ شيءٍ شاسع   والجدُّ يفتح كل بابٍ مغلقِ

فاذا سمعتَ بأن مجدوداً حوى عوداً فأورقَ في يديه فصدقِ
واذا سمعتَ بأن محروماً أتى ماءً ليشربه فجفَّ فحققِ
وأحقُّ خلقِ الله بالهمّ امرؤٌ ذو همةٍ يبلى برزقٍ ضيقِ
ولربما عرضتْ لنفسي فكرةٌ فأودُّ منها أنني لم أخلقِ

وهذا باب لو تقصيته لاحتمل كتاباً مفرداً ولكنى طبَّقت المفصل وذكرت بعض المشاهير من الناس

باب من رفعه الشعر ومن وضعه

انما قيل في الشعر إنه يرفع من قدر الوضيع الجاهل مثل مايضع من قدر الشريف الكامل وأنه أسنى مروءة الدني وأدنى مروءة السري لامر ظاهر غاب عن بعض الناس فتأوله أشد التأويل وظنه مثلبة وهو منقبة وذلك أن الشعر لجلالته يرفع من قدر الخامل اذا مدح به مثل مايضع من قدر الشريف اذا اتخذه مكسباً كالذي يؤثر من سقوط النابغة الذبياني بامتداحه النعمان بن المنذر وتكسبه عنده بالشعر وقد كان أشرف بني ذبيان هذا وانما امتدح قاهر العرب وصاحب البؤس والنعيم .. وكاشتهار عرابة الاوسى بشعر الشماخ بن ضرار وقد بذل له في سنة شديدة وسق بعير تمراً فقال

رأيتُ عرابةَ الاوسيَّ يسمو الى الخيرات منقطعَ القرين
اذا ما رايةٌ رُفعتْ لمجد تلقاها عرابةُ باليمين

حتى صار ذلك مثلا سائراً وأثراً باقياً لا تبلى جدَّته ولا تتغير بهجته وقدح ذلك في مروءة الشماخ وحط في قدره لسقوط همته عن درجة مثله من أهل البيوتات وذوى الاقدار .. فأما مَن صنع الشعر فصاحة ولَسناً وافتخاراً بنفسه وحسبه وتخليداً لمآثر قومه ولم يصنعه رغبة ولا رهبة ولا مدحاً ولا هجاءً كما قال واحد دهرنا وسيد كتاب عصرنا أبو الحسن أحسن الله اليه والينا فيه

وجدتُ طريقَ اليأسِ أسهلَ مسلكا وأحري بنجح من طريقِ المطامع
فلست بمطرٍ ما حييت أخا ندى ولا أنا في عرضِ البخيل بواقع

فلا نقص عليه في ذلك بل هو زائد في أدبه وشهادة بفضله كما انه نباهة في ذكر الخامل ورفع لقدر الساقط وانما فضل امرؤ القيس وهو من هو لما صنع بطبعه وعلا بسجيته عن غير طمع ولا جزع .. حكي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد ونصبت لهم راية فجروا معاً علمنا مَن السابق منهم واذ لم يكن فالذي لم يقل لرغبة ولا لرهبة فقيل ومن هو فقال الكندي قيل ولم قال لاني رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة .. وقال علي بن الجهم في مدح المتوكل

وما الشعرُ مما أستظلُّ بظله ولا زادني قدراً ولا حطَّ من قدري

ثم قال

ولكنَّ احسانَ الخليفة جعفرٍ دعاني الى ماقلتُ فيه من الشعر

فذكر أنه لا يستظل بظل الشعر أي لا يتكسب به وانه لم يزده قدراً لأنه كان نابهَ الذكر قبل عمل الشعر ثم قال — ولا حط من قدري — فأحسن الاعتذار لنفسه وللشعر يقول ليس الشعر ضعة في نفسه ولا صنعته فيمن دون الخليفة وما كفاه ذلك حتى جعل نفسه بازاء الخليفة بل مكافئاً له بشعره علي احسان بدأه الخليفة به ولم يرض أن يجعل نفسه راغباً ولا مجتديا .. وقال الطائي في هذا المعنى لمحمد بن عبد الملك الزيات على ما كان فيه من الكبر والاعجاب وهو حينئذ الوزير الاكبر

لقد زدتَ أوضاحي امتداداً ولم أكن بهيماً ولا أرضى من الارض مجهلا
ولكن أيادٍ صادفتني جسامها أغرَّ فوفت في أغرَّ محجلا

فطمح بنفسه الى حيث تري وجعل الغرة من كسبه وهي في الوجه مشهورة والتحجيل من زيادات الممدوح وهو في القوائم .. وقد سبق الي هذا المعنى ابو نخيلة السعدي فقال يمدح مسلمة بن عبد الملك

وأحييتَ من ذكري وما كان خاملا ولكنَّ بعضَ الذكر أنبه من بعض

وقد حكي أن امرأ القيس نفاه أبوه لما قال الشعر وغفل أكثر الناس عن السبب وذلك انه كان خليعاً متهتكا شبب بنساء أبيه وبدأ بهذا الشر العظيم واشتغل بالخمر والزنا

عن الملك والرياسة فكان اليه من أبيه ما كان ليس من جهة الشعر لكن من جهة الغي والبطالة .. فهذه العلة وقد جازت كثيراً من الناس ومرت عليهم صلحاً .. وأما تفسير القول الآخر في السري والدني فانه اذا بلغت بالدني نفسه وطمحت به همته الى أن يصنع الشعر الذي هو أخو الأدب وتجارة العرب يكافأ به الأيادي ويحل به صدر النادي ويرفع صوته على من فوقه ويزيده في القدر على ما استحقه فقد صار سرياً على أنه القائل فان كان المقول له فذلك أعظم مزية وأشرف خطة ومنزلة واذا انحطت بالسري همته وقصرت مروءته الى أن يصنع الشعر ليتكسب به المال ويكافأ به الأيادي دون غيره وهو يعلم أنه أبقى من المال وأنفس ذخائر الرجال وانه ان خاطب به من فوقه فقد رضي بالضراعة وان خاطب به كفأه ونظيره فقد نزل عن المساواة وان خاطب به من دونه سقط جملةً ذلك على أن يكون شعره مزحا أو عتابا واما أن يكون هجاء فأبغي لخزيه وأضل لسعيه وسأذكر ممن رفعه أو ممن وضعه ماقال أو قيل فيه من الشعر بعض من ذكر الناس لئلا أخلي الكتاب من ذلك وان كنت حريصا على الايجاز والاختصار..

فممن رفعه ما قال من القدماء الحارث بن حِلِّزة اليشكري وكان أبرص فأنشد الملك عمرو بن هند قصيدته * آذنتنا ببينها أسماء *

وبينه وبينه سبعة حجب فما زال يرفعها حجابا فحجابا لحسن ما يسمع من شعره حتى لم يبق بينهما حجاب ثم أدناه وقربه وأمثاله كثيره . ومن المخضرمين حسان بن ثابت رحمه الله لم تكن له مأثرة ولا سابقة في الجاهلية والاسلام الا شعره وقد بلغ من رضى الله عز وجل ورضى نبيه عليه الصلاة والسلام ما أورثه الجنة .. ومن الفحول المتأخرين الاخطل واسمه غياث بن غوث وكان نصرانيا من تغلب بلغت به الحال في الشعر الى أن نادم عبد الملك بن مروان وأركبه ظهر جرير بن عطية بن الخطفي وهو تقي مسلم وقيل أمره بذلك بسبب شعر خايره فيه بين يديه وطول لسانه حتى قال مجاهرا لعنة الله عليه لا يستتر في الطعن على الدين والاستخفاف بالمسلمين

ولستُ بصائمٍ رمضانَ طوعا ولستُ بآكلٍ لحم الاضاحي
ولست بزاجرٍ عنسا بكوراً الى بطحاء مكةَ للنجاح

واستُ منادياً أبداً بليلٍ كمثل العَيرجي على الفلاح
ولكنى سأشربها شمولا وأسجد قبل منبلج الصباح

وهذه غاية عظيمة ومنزلة غريبة حمات من المسامحة في الدين على مثل ماتسمع والملوك ملوك بزعمهم .. وهجا الانصار ليزيد بن معاوية لماشبب عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بعمته فاطمة بنت أبي سفيان وقيل بل بأخته هند بنت معاوية ولولا شعره لقتل دون أقل من ذلك ..وقد رد على جرير أقبح رد وتناول من أعراض المسلمين وأشرافهم مالا ينجو مع مثله علوى فضلا عن نصرانى .. ومن المحدَثين أبونواس كان نديماللامين محمد بن زبيدة طول خلافته .. ومسلم بن الوليد صريع الغوانى اتصل بذى الرياستين ومات على جرجان وكان تولاها على يديه .. والبحتري كان نديماً للمتوكل لا يكاد يفارقه وبحضره قتل المتوكل . وكثير ممن اكتفى بهؤلاء عن ذكره .. وقد خطب أبو الطيب هذه الرتبة الى كافور الاخشيدى فوعده بها وأجابه اليها ثم خافه لما رأي من تحامله وكبره واقتضاه أبو الطيب مراراً وعاتبه فما وجد عنده راحة .. فمن ذلك قوله يقتضيه

وهبتَ علي مقدار كفى زماننا ونفسى علي مقدارِ كفيك تَطلبُ
اذا لم تُنط بى ضيعةً أو ولاية فجودك يكسونى وشغلك يسلب

.. وقوله يقتضيه أيضا ويعاتبه من قصيدة مشهورة

لنا عند هذا الدهر حق يلطه وقد قل إعتاب وطال عتابُ

ثم قال بعد أبيات

أري لى بقربى منكَ عينا قريرةً وان كان قربا بالبعاد يُشاب
وهل نافعى أن ترفعَ الحجبُ بيننا ودون الذى أملت منك حجاب
أُقل سلامي حبَّ ما خف عنكم واسكت كيما لايكون جواب
وفى النفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ سكوتى بيانٌ عندها وخطابُ
وما أنا بالباغى على الحبِّ رشوة ضعيفٌ هوىً يبغي عليه ثوابُ
وما شئتُ الا أن أدلَّ عواذلى علي أن رأيى فى هواك صواب

وأعلم قوما خالفوني فشرّقوا ... وغربت أني قد ظفرت وخابوا

فهؤلاء رفعهم ما قالوه من الشعر فنالوا الرتب واتصلوا بالملوك وليس ذلك يبدع للشاعر ولا عجيب منه .. وقد كنت صنعت بين يدي سيدنا عن أمره العالى زاده الله علواً

الشعر شيء حسن ... ليس به من حرج
أقلُّ ما فيه ذها ... ب الهم عن نفس الشجي
يحكم في لطافةٍ ... حلّ عقود الحجج
كم نظرةٍ حسنها ... في وجه عذر سمج
وحرقةٍ برّدها ... عن قلب صب منضج
ورحمة أوقعها ... في قلب قاس حرج
وحاجة يسرها ... عند غزال غنج
وشاعر مطرح ... مغلق باب الفرج
قرّبه لسانه ... من ملك متوّج
فعلموا أولادكم ... عقار طب المهج

وطائفةٌ أخرى نطقوا في الشعر بألفاظ صارت لهم شهرة يلبسونها وألقابا يدعون بها فلا ينكرونها ..منهم عائد الكلب واسمه عبد الله بن مصعب كان والياً علي المدينة للرشيد لقب بذلك لقوله

مالى مرضتُ فلم يعدني عائدٌ ... منكم ويمرض كلبكم فأعود

.. والممزق واسمه شاس بن نهار لقب بقوله لعمرو بن هند

فان كنتُ مأكولا فكن أنت آكلى ... والا فأدركنى ولما أمزّق

وقد تمثل بهذا البيت عثمان بن عفان رضي الله عنه في رسالة كتب بها الى على بن أبى طالب رضى الله عنه .. ولقب مسكين الدارمى واسمه ربيعة من ولد عمر بن عمر ابن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بقوله

أنا مسكينٌ لمن أبصرني ... ولمن حاورني جد نطق

فلما سمي مسكيناً قال

وسميت مسكيناً وكانت لجاجة　　وانى لمسكين الى الله راغب
وانى امرؤ لا أسأل الناس مالهم　　بشعرى ولا تعمي على المكاسب

وانما هذا لمكان الشعر من قلوب العرب وسرعة ولوجه في آذانهم وتعلقه بأنفسهم .. ومنهم من سمى بلفظة من شعره لشناعتها مثل النابغة الذبياني واسمه زياد بن عمرو وسمى نابغة لقوله

* فقد نبغت لنا منهم شئون *

وأما الجعدى واسمه قيس بن عبد الله فانما نبغ بالشعر بعد أربعين سنة فسمي نابغة لذلك .. وجِرانُ العَوْد سمى بذلك لقوله

عمدت لعود فانتحيت جرانه　　والكَيس خيرٌ في الأمور وأنجح
خذا حذراً يا خلتيّ (١) فانني　　رأيت جران العود قد كاد يَصلح

يخاطب امرأتيه وقد فركتاه ونشزتا عليه فلزمه ذا الاسم وذهب اسمه كرهاً .. وكذلك أبو العيال لا يعرف له اسم غير هذا لقوله

ومن يكُ مثلي ذا عيالٍ ومقتراً　　من المال يطرح نفسه كلَّ مطرح
ليبلغ عذراً أو يصيب رغيبة　　ومبلغ نفس عذرَها مثلُ منجح

وأمثالهم ممن ذكره المؤلفون لا يحصون كثرة وليسوا من هذا الباب في شيء لأن غلبة هذه الاسماء عليهم ليست شرفا لهم ولا ضعة وانما هى من جهة الشناعة فقط ولكن الكلام شجون .. ومن ههنا عظم الشعر وتهيب أهله خوفا من بيت سائر تحدى به الابل أو لفظة شاردة يضرب بها المثل ورجاء في مثل ذلك فقد رفع كثيراً من الناس ما قيل فيهم من الشعر بعد الخمول والاطراح حتى افتخروا بما كانوا يعيرون به ووضع جماعة من أهل السوابق والاقدار الشريفة حتي عيروا بما كانوا يفتخرون به .. فممن رفعه ماقيل فيه من الشعر بعد الخمول المحلَّق وذلك أن الأعشى قدم مكة وتسامع الناس به وكانت للمحلق امرأة عاقلة وقيل بل أم فقالت له أن الأعشى قدم وهو رجل مفوّه

(١) ن ياجارتي

مجدود فى الشعر مامدح أحداً الاّ رفعه ولاهجا أحداً الاّ وضعه وأنت رجل كما علمت فقير خامل الذكر ذو بنات وعندنا لقحةٌ نعيشُ بها فلو سبقت الناس اليه فدعوته الى الضيافة ونحرت له واحتلت لك فيما نشترى به شراباً يتعاطاه لرجوت لك حسن العاقبة فسبق اليه المحلق فأنزله ونحر له ووجد المرأة قد خبزت خبزاً وأخرجت نحياً فيه سمن وجاءت بوطب لبن فلما أكل الأعشى وأصحابه وكان فى عصابة قيسية قدم اليه الشراب واشتوى له من كبد الناقة وأطعمه من أطايبها فلما جري فيه الشراب وأخذت منه الكأس سأله عن حاله وعياله فعرف البؤس فى كلامه وذكر البنات فقال الاعشى كفيت أمرهن وأصبح بعكاظ ينشد قصيدتهُ

أرقتُ وما هذا السهاد المؤرِّقُ ... وما بى من سُقم وما بى مَعشَقُ

ورأى المحلق اجتماع الناس فوقف يستمع وهو لا يدري أين يريد الأعشى بقوله الى أن سمع

نفى الذم عن آل المحلق جفنةٌ ... كجابية الشيخ العراقي تفهقُ

ترى القوم فيها شارعين وبينهم ... مع القوم ولدان من النسل دَرْدَقُ

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة ... الى ضوء نارٍ باليفاعِ تحرّقُ

تشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندَى والمحلق

رضيعي لبان ثدى أم تحالفا ... بأسحمَ داجٍ عوضُ لا نتفرّق

ترى الجودَ يجرى ظاهراً فوق وجهه ... كما زانَ متنَ الهندوانيِّ رونق

فما أتم القصيدة الاّ والناس ينسلون الى المحلق يهنئونه والاشراف من كل قبيلة يتسابقون اليه جرياً يخطبون بناته لمكان شعر الاعشى فلم تمس منهن واحدة الا فى عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف .. وكذلك بنو أنف الناقة كانوا يفرقون من هذا الاسم حتى أن الرجل منهم يسأل ممن هو فيقول من بنى قريع فيتجاوز جعفراً أنف الناقة ابن قريع بن عوف بن مالك ويلغى ذكره فراراً من هذا اللقب الى أن قال الحطيئةَ واسمه جرول بن أوس أحدهم وهو بغيض بن عامر بن لؤي بن شماس بن جعفر أنف الناقة من ضيافة الزبرقان بن بدر الى ضيافته وأحسن اليه فقال

سيرى امام فان الاكثرين حصاً والاكرمين اذا ما ينسبون أبا
قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومَن يساوى بأنف الناقة الذنبا

فصاروا يتطاولون بهذا النسب ويمدون به أصواتهم في جهارة ٠٠ وانما سمي جعفر أنف الناقة لان أباه قسم ناقة جزوراً ونسيه فبعثه أمه ولم يبق الا رأس الناقة فقال له أبوه شأنك بهذا فأدخل أصابعه في أنف الناقة وأقبل يجره فسمي بذلك ٠٠ ومثل هاتين القصتين قصة عِرابةَ الاوسى مع الشماخ وقد تقدم ذكرها ٠٠ وممن وضعه ما قيل فيه من الشعر حتى انكسر نسبه وسقط عن رتبته وعيب بفضيلته بنو نمير وكانوا جمرة من جمرات العرب اذا سئل أحدهم ممن الرجل فخم لفظه ومد صوته وقال من بنى نمير الى أن صنع جرير قصيدته التى هجا بها عبيد بن حصين الراعى فسهر لها وطالت ليلته الى أن قال

فغضَّ الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

فأطفأ سراجه ونام وقال قد والله أخذيتهم آخر الدهر فلم يرفعوا رأساً بعدها الا نكس بهذا البيت حتى أن مولىً لباهلة كان يرد سوق البصرة ممتاراً فيصيح به بنو نمير ياجوذاب باهلة فقص الخبر على مواليه وقد ضجر من ذلك فقالوا له اذا نبزوك فقل لهم فغض الطرف إنك من نمير * فلا كعباً بلغت ولا كلابا ٠٠ ومر بهم بعد ذلك فنبزوه وأراد البيت فنسيه فقال غمض والا جاءك ما تكره فكفوا عنه ولم يعرضوا له بعدها ٠٠ ومرت امرأة ببعض مجالس بنى نمير فأداموا النظر اليها فقالت قبحكم الله يا بنى نمير ماقبلتم قول الله عز وجل (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) ولا قول الشاعر

* فغض الطرف انك من نمير * فلا كعباً بلغت ولا كلابا — وهذه القصيدة تسميها العرب الفاضحة وقيل سماها جرير الدمّاغة تركت بنى نمير ينتسبون بالبصرة الى عامر ابن صعصعة ويتجاوزون أباهم نميرًا الى أبيه هربا من ذكر نمير وفرارًا مما وسم به من الفضيحة والوصمة ٠٠ والربيع بن زياد كان من ندماء النعمان بن المنذر وكان فحاشاً عياباً بذياً سباباً لا يسلم منه أحدٌ ممن يفد على النعمان فرمي بلبيد وهو غلام مراهق فنافسه وقد وضع الطعام بين يدي النعمان وتقدم الربيع وحده ليأكل معه على عادته

فقام لبيد فقال مرتجلا

يارب هيجا هي خير من دِعه نحن بنى أم البنين الأربعه
ونحن خير عامر بن صعصعه المطعمون الجفنة المدعدعه
والضاربون الهام تحت الخيضعه مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه

فقال النعمان • ولمه • فقال – إن استه من برص ملمعه
فقال للنعمان وما علينا من ذلك • فقال – وانه يولج فيها أصبعه

يولجها حتى يوارى أشجعه كأنما يطلب شيئاً أودعه

ويروى أطمعه فرفع النعمان يده عن الطعام وقال ماتقول يا ربيع فقال أبيت اللعن كذب الغلام فقال لبيد مره فليجب فقال النعمان أجبه يا ربيع فقال والله لما تسومنى أنت من الخسف أشد علي مما عضهنى به الغلام فحجبه بعد ذلك وسقطت منزلته وأراد الاعتذار فقال النعمان

قد قيل ما قيل إنْ حقا وان كذبا فما اعتذارك من قول اذا قيلا

وبنو العجلان كانوا يفخرون بهذا الاسم لقصة كانت لصاحبه فى تعجيل قرى الاضياف الى أن هجاهم به النجاشى فضجروا منه وسبوا به واستعدوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا فقال وما قال فأنشدوه

اذا الله عادى أهل لؤم ورقة فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر بن الخطاب انما دعا عليكم ولعله لا يجاب فقالوا انه قال

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر رضى الله عنه ليتنى من هؤلاء أوقال ليت آل الخطاب كذلك أوكلاماً يشبه هذا قالوا فانه قال

ولا يردون الماء الا عشية اذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال عمر ذلك أقل للسكاك يعني الزحام قالوا فانه قال

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر كفي ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه قالوا فانه قال

وما سمي العجلان الا لقولهم خذالقعب واحلب أيها العبدواعجل

فقال عمر كلنا عبد وخير القوم خادمهم فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا فقال ما أسمع ذلك فقالوا فاسأل حسان بن ثابت فسأله فقال ما هجاهم ولكن سلح عليهم وكان عمر رضي الله عنه أبصرالناس بما قال النجاشي ولكن أراد أن يدرأ الحد بالشبهات فلما قال حسان ما قال سجن النجاشي وقيل انه حده .. وهذه جملة كافية ونبذة مقنعة فيما قصدت اليه من هذا الباب

باب من قضى له الشعر ومن قضي عليه

أنشد النابغة الجعدى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة يقول فيها

علونا السماء عفةً وتكرماً وانا لنبغي فوق ذلك مظهرا

فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال أين المظهر يا أبا ليلى فقال الجنةُ بك يا رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أجل إن شاء الله فقضت له دعوةُ النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وسبب ذلك شعره .. وأنشده حسان بن ثابت حين جاوب عنه أبا سفيان بن الحارث قوله

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله فى ذاك الجزاء

فقال له جزاؤك عند الله الجنة يا حسان فلما قال

فان أبى ووالدَه وعرضي لعرض محمد منكم وقاءُ

فقال له وقاك الله حر النار فقضى له بالجنة مرتين فى ساعة واحدة وسبب ذلك شعره .. ولما تنافر عامر بنُ الطفيل وعلقمةُ بن عُلاثةَ أقاما عند هرم بن قطبةَ بن سيار سنة لايقضى لاحدهما على الآخر الي أن قدم الأعشى وكانت لعامر عنده يده فقال شعره

علقم ما أنتَ الي عامرِ الناقضِ الأوتارِ والواترِ

إن تسد الحوصَ فلم تعدهم وعامرٌ سادَ بنى عامر

حكمتموه فقضى بينكم أزهرُ مثلُ القمر الباهر

لايقبل الرشوةَ في حكمه ولا يبالي غبنَ الخاسر

فرواه الناس وافترقوا وقد نفر عامر على علقمة بحكم الأعشى في شعره وكان في رأى هرم على قول أكثر الناس خلاف ذلك .. والى هذا وأشباهه أشار أبوتمام الطائى بقوله في صفة الشعر

يُرى حكمةً ما فيه وهو فكاهةٌ ويُقضي بما يقضى به وهو ظالمُ

وكانت لرجل شهادة عند أبي دُلامةَ فدعاه الى تبليغها عند القاضى ابن أبي ليلى فقال له ان شهادتى لا تنفعك عنده فقال الرجل لابد من شهادتك فشهد عند القاضى وانصرف وهو يقول

اذا الناسُ غطونى تغطيت دونَهم وان بحثوا عنى ففيهم مباحثُ

فقطع القاضى على الخصم بشهادة أبي دُلامة وقبض المشهودُ له المال وغرمه القاضى للمشهود عليه تحرجاً من ظلمه .. ويقال انما شهد لطبيب عالج ولده من علة به وأمره أن يدعي على من شاء بألف درهم ففعل الطبيب وشهد أبو دلامة وهذا أشبه بمجونه من الاول .. وذكر العتبي ان رجلا من أهل المدينة ادعي حقا على رجل فدعاه الى ابن حنطب قاضى المدينة فقال من يشهد بما تقول فقال زنقطة فلما ولى قال القاضى ماشهادته له إلاَّ كشهادته عليه فلما جاء زُنقطةُ القاضى قال له فداك أبي وأمي أحسنَ والله الشاعر حيث يقول

من الخنطبيينَ الذين وجوههم دنانيرُ مماسيبَ في أرض قيصرا

فأقبل القاضي على الكاتب فقال كبير ورب السماء ماأحسبه شهد الا بالحق فأجز شهادته .. وخاصم جرير بن الخطفي الحمانى الشاعر الى قاضى اليمامة فقال في أبيات رجز بها

أعوذُ بالله العليِّ القهار من ظلم حمان وتحويل الدار

فقال الحمانى مجيباًله

ما لكليبٍ من حمىً ولا دار غيرُ مقام أتُنٍ وأعيار

* قُبّ البطونِ داميات الأظفار *

ويروى قعس الظهور داميات الأظفار فقال جرير مقامُ أتُني وأعباري لا أريد غيره وقد اعترف به فقال القاضي هي لجرير وقضى على الحماني بشعره الذي قال .. وكان الفرزدق يجلس الى الحسن البصري فجاءه رجل فقال يا أبا سعيد انا نكون في هذه البعوث والسرايا فنصيب المرأة من العدو وهي ذات زوج افتحل لنا من قبل أن يطلقها زوجها فقال الفرزدق قد قلت أنا مثل هذا في شعرى فقال الحسن وما قلت قال قلت

وذات حليلٍ أنكحتنا رماحُنا ... حلالاً لمن يبنى بها لم تطلق

فقال الحسن صدق نحكم بظاهر قوله وما أظن الفرزدق والله أعلم أراد الجهاد في العدو المخالفِ للشريعة لكن أراد مذهب الجاهلية في السبايا كأنه يشير الى العزة وشدة البأس .. وقيل ان عمر بن الخطاب كان يتعجب من قول زهير

فان الحقَّ مقطعُه ثلاثٌ ... أداء أو نفار أو جلاء

وسمى زهير قاضي الشعراء بهذا البيت يقول لا يقطع الحق الا الاداء أو النفار وهو الحكومة أو الجلاء وهو العذر الواضح ويروى يمين أو نفار وهذه الثلاث على الحقيقة هي مقاطع الحق كما قال على أنه جاهلي وقد وكدها الاسلام

باب شفاعات الشعراء وتحريضهم

قال عبد الكريم عرضت قُتيلةُ بنتُ النضر بن الحارث للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف فاستوقفته وجذبتْ رداءه حتى انكشف منكبه وقد كان قتل أباها فأنشدته

يارا كباً أن الأثيل مظنةٌ ... من صبح خامسة وأنت موفقُ
أبلغْ به ميتاً بأن قصيدةً ... ما ان تزالُ بها الركائبُ تخفقُ
منى اليه وعبرةً مسفوحةً ... جادت لمائحها وأخرى تخنقُ
فليسمعنَّ النضرُ إن ناديتُه ... أم كيف يسمعُ ميتٌ لا ينطقُ
ظلتْ سيوفُ بنى أبيه تنوشُه ... لله أرحامٌ هناك تشقق
قسراً يُقاد الى المنية متعباً ... رَسفَ المقيد وهو عانٍ موثقُ

أمحمدٌ ها أنت نجل نجيبةٍ ... من قومها والفحلُ فحلٌ معرقُ
ما كان ضرك لو مننتَ وربما ... منّ الفتى وهو المغيظُ المحنقُ
والنضر أقرب مَن قتلتَ وسيلةً ... وأحقهم إن كان عتقٌ يعتقُ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته .. ولما قتل الحارث بن أبي شمر الغسانى المنذر بن ماء السماء وهو المنذر الأكبر وماء السماء أمه أسر جماعة من أصحابه وكان فيمن أسر شاس بن عبدة فى تسعين رجلا من بني تميم وبلغ ذلك أخاه علقمة بن عبدة الشاعر صاحب امرئ القيس وهو معروف بعلقمة الفحل فقصد الحارث ممتدحاً بقصيدته المشهورة التى أولها

طحا بك قلبٌ بالحسان طَروبُ ... بُعيدَ الشباب عصرَ حان مشيب

فأنشده إياها حتى اذا بلغ الى قوله

الى الحارث الوهاب أعملتُ ناقتي ... لكلكلها والقُصْرَيين وجيبُ
اليك أبيتَ اللعنٍ كان وجيبُها ... بمشتبهات هولُهن مُهيبُ
هدانى اليك الفرقدان ولاحبٌ ... له فوق أعلام المتانِ علوبُ
فلا تحرمني نائلاً عن جنايةٍ ... فانى امرؤ وسطَ القباب غريبُ
وفى كل حى قد خبطتَ بنعمةٍ ... فحُقّ لشاسٍ من نداك ذَنوبُ

فقال الحارث نعم وأذنبة وأطلق له شاساً أخاه وجماعة أسرى بنى تميم ومَن سأل فيه أو عرفه من غيرهم .. وكان لامية بن حرثان ولد اسمه كلاب هاجر الى البصرة فى خلافة عمر رضي الله عنه فقال أمية

سأستعدى على الفاروق ربّاً ... له عمدَ الحجيجُ الى سباق
إن الفاروق لم يردُدْ كلاباً ... على شيخين هامهما زَواقي

فكتب عمر الى أبى موسى الاشعرى باشخاص كلاب فما شعر أمية الا به يقرع الباب .. وما زالت الشعراء قديماً تشفع عند الملوك والامراء لابنائها وذوى قرابتها فيشفعون بشفاعاتهم وينالون الرتب بهم .. ودخل العماني الشاعر وهو أبو العباس محمد

ابن ذؤيب الفقيمي على الرشيد فأنشده أرجوزة يقول فيها

قل للامام المقتدى بأمه ماقاسمٌ دون مدى ابن أمه
* فقد رضيناه فقم فسمه *

فقال الرشيد ما رضيت أن أسميه وأنا قاعد حتى أقوم على رجلى فقال له يا أمير المؤمنين ما أردت قيام جسم لكن قيام عزم فأمر الرشيد باحضار القاسم ولده ومر العماني في انشاده يهدر فلما فرغ قال الرشيد للقاسم أما جائزة هذا الشيخ فعليك وقد سألنا أن نوليك العهد فأجبناه ٠٠ وشفع الطائى للواثق عند أبيه المعتصم فى أن يوليه العهد فقال

فاشدُدْ بهارونَ الخلافةَ انه سَكنٌ لوحشتها ودارُ قرارِ
بفتى بنى العباسِ والقمرِ الذى حفتـه أنجمُ يعربٍ ونزارِ
كرم العمومة والخئولة مجـّـه سلفا قريش فيه والانصار
هو نوءُ يمنٍ منكمُ وسعادةٍ وسراجُ ليلٍ فيكمُ ونهارِ
فاقمع شياطينَ النفاق بمهتدٍ ترضي البريةُ هديهُ والبارى
ليسير في الآفاق سيرةَ رأفةٍ ويسوسها بسكينة ووقار
فالصين منظومٌ بأندلس الى حيطان روميةٍ فملك ذمار
ولقد علمت بأن ذلك معصمٌ ما كنتَ تتركهُ بغيرِ سوار

واستعطف مالكَ بن طوق لقومه بنى تغلب وكانوا أفسدوا في عمله الطرقَ فخافوه واستشفعوا بأبى تمام فقال فى قصيدة مشهورة يخاطب بها مالـكا

ورأيتُ قومكَ والاساءةُ منهمُ جَرحي بظفرٍ للزمان ونابِ
هم صيروا تلكَ البروقَ صواعقاً فيهم وذاكَ العفوَ سوطَ عذاب
فاقِلْ اسامةَ جرمها واصفح لها عنه وهب ما كان للوهاب
رفدوك فى يوم الكُلاب وشققوا فيـه المزادَ بجحفلٍ كلاَّب
وهمُ بعين أباغَ راشوا للوغي سهميك عند الحارث الحرَّاب
وليـالى الثرثار والحشّاك قد جلبوا الجيادَ لواحقَ الأقراب

فمضت كهولُهُمُ ودبرَ أمرهم ... أحداثُهم تدبيرَ غير صواب
لارقةَ الحضَر اللطيف غذتهم ... وتباعدوا عن فطنةِ الأعراب
فاذا كشفتهمُ وجدتَ لديهمُ ... كرمَ النفوس وقلَّةَ الآداب
لك في رسول الله أعظمُ إسوة ... وأجلّها في سنَّةٍ وكتاب
أعطى المؤلفةَ القلوبِ رضاهمُ ... كرماً وردَّ أخائذَ الأحزاب

فذكر أصحاب الأخبار أن هذه القصيدة وقعت من مالك أجل موقع فأجزل ثوابه عليها وقبل شفاعته ورد القوم الى رتبتهم ومنزلتهم من بعد اليأس المستحكم والعداوة الشديدة .. وكان أبوقابوس الشاعر رجلا نصرانياً من أهل الحيرة منقطعاً الى البرامكة فلما أوقع الرشيد بجعفر صنع أبوقابوس أبياتاً وأنشدها الرشيد يشفع عنده للفضل بن يحيى

أمينَ الله هبْ فضل بن يحيى ... لنفسك أيها الملك الهمام
وما طلبي اليكَ العفوَ عنه ... وقد قعد الوشاةُ به وقاموا
أرى سبب الرضى عنه قوياً ... على الله الزيادةُ والتمام
نذرتُ عليَّ فيه صيام شهرٍ ... فان تم الرضي وجب الصيام
وهذا جعفر بالجسر تمحو ... محاسنَ وجهه ريحٌ قتام
أما والله لولا خوف واشٍ ... وعينٌ للخليفة لا تنام
لطفنا حول جزعك واستلمنا ... كما للناس بالحجر استلام
وما أبصرتُ قبلك يا بن يحيى ... حُساماً قدّه السيفُ الحسام
عقابُ خليفةِ الرحمن فخرٌ ... لمن بالسيف عاقبه الحمام

وقد اختلط هذا الشعر بشعرين فى وزنه ورويه ومعناه أحدهما لاشجع السلمى والآخر لسليمان أخي صريع فالناس فيه مختلفون وهذه صحته .. فانظر الى تجاسره على مثل هذا الأمر العظيم من الشفاعة والرثاء .. واستعطف أبو الطيب سيف الدولة لبنى كلاب وقد أغار عليهم فغنم الاموال وسبى الحريم فأتى بعضهم أبا الطيب يسأله أن يذكرهم له في شعره ويشفع فيهم فقال في قصيدة له مشهورة يخاطبه

ترفَّق أيها المولى عليهم ... فان الرفق بالجانى عتاب

فانهم عبيدك حيث كانوا اذا تدعو لنائبةٍ أجابوا
وعين المخطئين هم وليسوا بأول معشر خطئوا فتابوا
وأنت حياتهم غضبت عليهم وهجر حياتهم لهمُ عقاب
وماجهلت أياديك البوادى ولكن ربما خفي الصواب
وكم ذنبٌ مولده دلالٌ وكم بعدٌ مولده اقتراب
وجرمٌ جرّه سفهاء قوم وحلّ بغير جارمهِ العذاب

وهذا من أفعال الشعراء قديم مشهور .. وقد افتخر به البحتري فقال في قصيدة له طويلة

ان أبق[1] أو أهلك فقد نلت التي ملأت صدور أقاربي وعداتي
وغنيت ندمان الخلائف نابهاً ذكري وناعمةً بهم نشواتي
وشفعتُ في الامر الجليل اليهم بعد الجليل فأنجحوا طلباتي
وصنعتُ في العرب الصنائع عندهم من رفد طُلّاب وفكّ عُناةِ

وكان أبو عزة كثيراً ما يستنفر المشركين ويحرض قريشاً على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فأسر يوم بدر وجيء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فشكي اليه الفقر والعيال فرق له وخلى سبيله بعد أن عاهده الا يعين عليه بشعر فأمسك عنه مدة ثم عاد الى حاله الأولى فأسر يوم أحد فخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بمثل خطابه الأول فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين ثم قتله صبراً وقال لا يُلسع المؤمن من جُحر مرتين .. وقال أوس بن حجر يغرى النعمان بن المنذر ببني حنيفة لان شمر بن عمرو السحيمى قتل المنذر وهو حينئذ مع الحارث بن أبي شمر الغسانى وقال ابن جنى انما قتل ابن النعمان

نبئتُ أنّ بنى حنيفة أدخلوا أبياتهم تامور قلب المنذر

ويروى - أنّ بنى سحيم - فغزاهم النعمان وقتل فيهم وسبى وأحرق نخلهم ويقال انما أغرى بهم عمرو بن هند .. ودخل سَديف بن ميمون على أبي العباس السفاح وعنده سليمان ابن هشام بن عبد الملك وابناه وفي رواية أخرى سليمان بن مروان وولدان له وفي رواية ثالثة ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك فأنشده سديف

(١) ن ان اتو

لا يغرنك ما ترى من أناس إنَّ بين الضلوع داءً دويّاً
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوقَ ظهرها أمويّا

فقال سليمان قتلتني ياشيخ قاتلك الله ونهض أبو العباس فوضع المنديل فى عنق سليمان وقتل من ساعته .. ودخل شبل بن عبد الله على عبد الله بن علي وأنشده قصيدة له يقول فيها محرضاً على بنى أمية وعنده منهم ثمانون رجلا

اقصهمْ أيها الخليفةُ واقطعْ عنك بالسيف شأفةَ الأرجاسِ
ذلُّها أظهرَ التوددَ منها ولها منكم كحزِّ المواسى
ولقد غاظنى وغاظَ سوائى قربُها من نمارقٍ وكراسى
أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيدٍ وقتيلا بجانب المهراس
والقتيلَ الذي بحرّانَ أمسى ثاوياً بين غربةٍ وتناسى

فلما سمع بذلك تنكر وأمر بهم فقتلوا والقى عليهم البساط وجلس للغداء وان بعضهم يسمع أنينه لم يمت بعد: حكي ذلك جماعة من المؤلفين واختلفوا فى رواية الشعر وحده فأكثر الروايات موضع البيت الاول

لا تُقيلن عبد شمسٍ عثارا واقطعنْ كل رَقلةٍ وأَوَاس

ويروى-وغراس- وبعضها على مافى النسخة ولا أدرى كيف صحة ذلك وعبد الله لم يكن يدعى بالخلافة اللهم الا أن يكون ذلك حين أراد خلع المنصور وأكثر الناس يروى هذه الابيات لسديف بن ميمون يخاطب أبا العباس السفاح غير أن فى الرواية الاولي

نعم شبل الهراس مولاك شبل لو نجا من حبائل الافلاس

وهو يشد ما روى .. وحكي غيرهم قال دخل العبدي الشاعر على عبد الله بن علي بفلسطين وقد دعى به وعنده من بنى أمية اثنان وثمانون رجلا والغمر بن يزيد بن عبد الملك جالس معه على مصلاه قال العبدى فاستنشدنى عبد الله بن على فأنشدته قولى

وقف المتيم فى رسوم ديار

وهو مصغ مطرق حتى انتهيت الى قولي

أما الدعاةُ الى الجنان فهاشمٌ ... وبنو أميــة من دعاة النار
وبنو أمية دوحة (١) ملعونة ... ولهاشمٍ في الناس عُودُ نضار
أأميّ مالكِ من قرارٍ فالحقي ... بالجنّ صاغرة بأرض وبار
ولئن رحلتِ لترحلنّ ذميمة ... وكذا المقام بذلة وصَغار

قال فرفع الغمر رأسه اليّ وقال يا بن الزانية ما دعاك الى هـذا وضرب عبدُ الله بقلنسوة كانت على رأسه الارض وكانت العلامة بينه وبين أهـل خراسان فوضعوا عليهم العمد حتى ماتوا وأمر بالغمر فضربت عنقه صبراً .. وكان ابن حزم أميراً على المدينة فتحامل علي الاحوص الشاعر تحاملا شديداً فشخص الى الوليد بن عبد الملك فأنشده قصيدة يمتدحه فيها فلما بلغ الى قوله كالذى يشتكي ابن حزم وظلمه

لا ترثينّ لحزميّ ظفرتَ به ... يوماً ولو أُلقيَ الحزميُّ في النار
الناخسين لمروان بذي خُشُبٍ ... والداخلين علي عثمان في الدار

فقال له الوليد صدقت والله لقد غفلنا (٢) عن حزم وآل حزم ثم كتب عهداً لعثمان بن حيان المرّى علي المدينة وعزل ابن حزم وأمر باستئصال أموالهم واسقاطهم جميعاً من الديوان .. ولما وثب ابراهيم بن المهدى على المأمون اقترض من التجار مالا كثيراً فكان فيه لعبد الملك الزيات عشرة آلاف دينـار فلما لم يتم أمره لوى التجار أموالهم فصنع محمد بن عبد الملك قصيدة يخاطب فيها المأمون منها قوله

تذكّرْ أميرَ المؤمنين قيامه ... بأيمانه في الهزل منه وفي الجد
اذا هزّ أعوادَ المنابرِ باسته ... تغنّى بليلي أو بميّـة أو هند
ووالله ما من توبة نزَعت به ... اليك ولا ميل اليك ولا وُد
وكيف بمن قد بايع الناسَ والتقت ... ببيعته الركبانُ غوراً الى نجد
ومَن صكّ تسليم الخلافة سمعه ... ينادى بها بين السماطين عن بعد
وأيّ امرئٍ سمى بها قط نفسه ... ففارقها حتى يغيَّبَ في اللحد

(١) ن دولة (٢) ن شغلنا

وعرضها علي ابراهيم وهو حينئذ خامل الذكر لم يتعلق بعد بالخدمة تعلقا ينفع فسأله كتمانها واستحلفه علي ذلك وأدي مال أبيه دون سائر التجار ومثل ذلك كثير لو تقصى لطال به الكتاب

باب احتماء القبائل بشعرائها

كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون فى الاعراس ويتباشر الرجال والولدان لانه حماية لاعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم واشادة بذكرهم .. وكانوا لايهنئون الا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج .. فمن حمي قبيلته زياد الاعجم وذلك ان الفرزدق هم بهجاء عبد القيس فبلغ ذلك زياداً وهو منهم فبعث اليه لا تعجل وأنا مهد اليك هدية فانتظر الفرزدق الهدية فجاءه من عنده

فما ترك الهاجون لي إن هجوته ... مُصحاً أراه فى أديم الفرزدق

ولا تركوا عظما يرى تحت لحمه ... لكاسره أبقوه للمتعرق

سأكسر ما أبقوا له من عظامه ... وأنكت مخ الساق منه وأنتق

فانا وما تهدى لنا إن هجوتنا ... لكالبحر مهما يُلق فى البحر يَغرق

فلما بلغته الابيات كف عما أراد وقال لا سبيل الي هجاء هؤلاء ما عاش هذا العبد فيهم .. وهجا عبد الله بن الزبعرى السهمى بنى قصى فرفعوه برمته الى عتبة بن ربيعة خوفا من هجاء الزبير بن عبد المطلب وكان شاعراً مفلقاً شديد العارضة قذع الهجاء فلما وصل عبد الله اليهم أطلقه حمزة بن عبد المطلب وكساه فقال

لعمرك ماجاءت بنكر عشيرتى ... وان صالحت اخوانها لاألومها

فردّ جناة الشرّ أن سيوفنا ... بأيمانا مسلولةٌ لا نشيمها

فان قصيا أهلُ مجد وعزّة ... وأهلُ فَعَالٍ لا يُرام قديمها

هُمُ منعوا يومىْ عكاظ نساءنا ... كما منع الشولَ الهجانَ قرومُها

وكان الزبير غائباً بالطائف فلما وصل الى مكة وبلغه الخبر .. قال

فلولا نحن لمْ يلبس رجالٌ ثيابَ أعزة حتي يموتوا
ثيابُهم رِممالٌ أو طمارٌ بها وَدكٌ كما دسم الحَميتُ
ولكنا خلقنا إذ خلقنا لنا الحبرات والمسك الفَتيت

.. وهجا رجل من بنى حرام الفرزدق فجاء به قومه يقودونه اليه فقال الفرزدق

ومن يك خائفاً لاذاة شعرى فقد أمن الهجاءَ بنو حَرام
هم قادوا سفيهم وخافوا قلائد مثل أطواق الحمام

وهجا الاحوص بن محمد الانصاري رجلا من الانصار يقال له ابن بشير وكان مكثراً فاشترى هدية ووفد بها على الفرزدق مستجيراً به فأجاره ثم قال أين أنت من الاحوص ابن محمد فقال هو الذي أشكو فأطرق الفرزدق ساعة ثم قال أليس الذى يقول

ألا قفْ برسم الدار فاستنطق الرسما فقد هاج أحزانى وذكرنى نعمي

قال بلى قال والله لا أهجو شاعراً هذا شعره فاشترى ابن بشير أنفس من الهدية الاولى وقدم بها على جرير فاستجاره فأجاره ثم قال له ما فعل ابن عمك الاحوص بن محمد قال هو صاحبي الذى هجانى قال أليس القائل

تمشي بشتمي فى أكاريس مالك يَشيد به كالكلب إذ ينبح النجما

قال بلى قال والله لا أهجو شاعراً هذا شعره فاشترى أكثر من الهديتين وأهداها الى الاحوص وصالحه .. ولهذا وأمثاله قال جرير لقومه يعاتبهم فى قصيدة خاطب فيها أباه وجده الخطفي مُمتنا عليهم بنفسه

بأيّ نجاد تحمل السيف بعد ما قطعت القوى من محمل كان باقيا
بأي سِنان تطعن القرن بعد ما نزعتَ سِناناً من قناتك ماضيا
ألا لا تخافا نبوتي فى ملمّة وخافا المنايا أن تفوتكما بيا
فقد كنتُ ناراً يصطليها عدوكم وحرزاً لما ألجأتم من ورائيا
وباسط خير فيكم بيمينه وقابضَ شرٍ عنكما بشماليا

وإني لعفٌ الفقر مشتركُ الغنى سريعٌ اذا لم أرض جاري انتقاليا
جريءُ الجنان لا أهاب من الردي اذا ماجعلت السيف من عن شماليا
وليست لسيفي في العظام بقيةٌ ولا السيف أشوى وقعةً من لسانيا

وهذا الباب أكثر من أن يستقصى ورغبتي في الاختصار وانما جئت منه ومن سواه بلمحة تدل على المراد وتبلغ في ذلك حد الاجتهاد

باب من فأل الشعر وطيرته

تفاءل حسان بن ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم بفتح مكة فقال في كلمته المشهورة يخاطب بذلك مشركي أهل مكة ويتوعدهم

عَدِمنا خيلنا ان لم تروها تُثيرُ النقع موعدُها كداءُ
يبارين الاعنة مصغيات على أكتافها الأسلُ الظماءُ
تظلُّ جيادنا متمطرات يلطمهنَّ بالخمرِ النساءُ

ورأيت من يستحسن يطلمهن من طلمت الخبزة اذا نفضت عنها الرماد ٠٠ فلما كان يوم الفتح أقبل النساء يمسحن وجوه الخيل وينفضن الغبار عنها بخمرهن فقال قائل لله در حسان اذ يقول وأنشد الأبيات وروي قوم أن الناس أمروا بالمسير الى كداء تفاؤلاً بهذا البيت ليصح فكان الأمر كما قال ٠٠ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير ويحب الاسم الحسن وقال ثلاثة لا يسلم منهن أحد الطيرةُ والظن والحسد قيل له فما المخرج منهن يا رسول الله قال اذا تطيرت فلا ترجع واذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ ٠٠ ومن مليح ما وقع في التفاؤل ما حكي محمد بن الجراح وذلك أن أبا الشمقمق شخص مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل فلما مر ببعض الدروب اندق اللواء فاغتم خالد لذلك وتطير منه فقال أبو الشمقمق

ما كان مندقُّ اللواء لطيرةٍ تخشى ولا سوء يكون معجلا
لكن هذا العودَ أضعف متنهُ صغر الولاية فاستقلَّ الموصلا

فسرى عن خالد وكتب صاحب البريد بخبر ذلك الى المأمون فزاده ديار ربيعة وأعطى خالد أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم ٠٠ وبغي جماعة من الكتاب على موسى بن عبد الملك فأمر المتوكل بحبسه قال فرأيت في النوم قائلا يقول

ابشر فقد جاءت السعودُ أباد أعداءك المبيدُ

لم يظفروا بالذى أرادوا بل يفعل الله ما يريد

ووقف المتوكل منهم على أمر أوجب ايقاعه بهم وأمر باطلاقى واعادنى الى أشرف رتبة ولا بد من ذكر ما يتطير منه في باب غير هذا ٠٠ وقال قيس المجنون

قضاها لغيرى وابتلانى بحبها فهلا بشيء غيرِ ليلى ابتلانيا

فما مات حتى برص ورأى فى منامه قائلا يقول له هذا ما تمنيت ٠٠ ويقال ان المؤمل ابن أميل لما قال

شفَّ المؤملَ يوم الحيرة النظرُ ليتَ المؤملَ لم يخلق له بصرُ

نام ذات ليلة صحيحاً فأصبح مكفوف البصر ٠٠ وتطير أبو الهول على جعفر بن يحيي البرمكي ٠٠ فقال

أصبحت محتاجاً الى ضرب فى طلب العرف من الكاتب

اذا شكي صبٌّ اليه الهوى قال له مالى وللصب

اعنى فتى يطمنُ في ديننا يشبُّ معه خشَبُ الصلب

فكان من أمر جعفر ما كان ٠٠ وكان ابن الرومي كثير الطيرة ربما أقام المدة الطويلة لا يتصرف تطيراً بسوء ما يراه ويسمعه حتى أن بعض اخوانه من الأمراء افتقده فاعلم بحاله فى الطيرة فبعث اليه خادماً اسمه اقبال ليتفاءل به فلما أخذ أهبته للركوب قال للخادم انصرف الى مولاك فأنت ناقص ومنكوس اسمك لا بقا ٠٠ وابن الرومي القائل الفأل لسان الزمان والطيرة عنوان الحدثان وله فيه احتجاجات وشعر كثير

باب فى منافع الشعر ومضاره

قد أكثر الناس فى هذا الفن ولا بد مع ذلك أن آتى منه بنبذة يقتضيها ترتيب الكتاب وحق التأليف وليست علىَّ مطالبة ولا قبلى حجة فى ذكر مضاره بعد منافعه أو معها اذ كانت الرغبة في تحسين الحسن ليزيد منه وتقبيح القبيح لينتهي عنه .. وقد فرط فى أول الكتاب من قول عائشة رضى الله عنها وقول سواها من الصحابة ومن التابعين رحمة الله عليهم ورضوانه فى الشعر ما فيه كفاية من أنه كلام يحسن فيه ما يحسن فى الكلام ويقبح فيه ما يقبح من الكلام و بقدر حسنه وقبحه يكون نفعه وضرره والله المتعال .. حكى أبو العباس المبرد أن المأمون سمع منشداً ينشد قول عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير

أأترك ان قلَّتْ دراهمُ خالدٍ زيارتَهُ اني اذاً للئيم

فقال أو قد قلت دراهم خالد احملوا اليه مائتي ألف درهم فدعي خالد بعمارة فقال هذا مطر من سحابك ودفع اليه عشرين ألفاً .. ووجد أبو جعفر المنصور على أحد الكتاب وأمر به ليضرب فقال

ونحن الكاتبونَ وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتبينا

فخلى سبيله اعجاباً ببديهته .. وحمل بعض العمال الى يزيد بن معاوية مالا جليلا فقطع عليه قسيم الغنوى فأخذه وأمر يزيد بطلبه فلما حصل بين يديه قال ما حملك على الخروج علينا وأخذ مال يحمل الينا قال اذنك يا أمير المؤمنين أعزك الله قال ومتى أذنت لك قال حين قلت وأنا أسمعك

إعصِ العواذلَ وارمِ الليلَ عن عرضٍ بذى سبيب يقاسي ليله خببا
كالسيدِ لم ينقبِ البيطار سرَّته ولم يَدِجه ولم يقطع له لببا
حتى تصادِف مالا أو يقالَ فتى لاقي التي تُشعبُ الفتيانَ فانشعبا

فعصيت عواذلي وأسهرت ليلى وأعملت جوادى فأصبت مالا قال قدسوغناكه فلا تعد .. وكان جميل بن محفوظ وأبو دهمان من عمال يحيي بن خالد فوفد عليها مرةً أبو

الشمقمق واسمه مروان بن محمد فأكرمه أبو دهمان وأساء اليه جميل .. فقال

رأيتُ جميلَ الازدقد عقَّ أمه فذاك أبو دهمان أمَّ جميل

وتناظرا بعد ذلك فى مال بين يدي يحيي بن خالد فاستعلي جميل على أبى دهمان في الخطاب فقال له أبو دهمان احفظ الصهر الذي جعله بيننا أبو الشمقمق فضحك يحيي بن خالد حتى فحص الارض برجليه وترك المال الذى تشاجرا فيه .. وأتى مصعب بن الزبير بأسارى من أصحاب المختار فأمر بقتلهم بين يديه فقام اليه أسير منهم فقال أيها الأمير ما أقبحَ بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك المليح الذى يستضاء به فأتعلق بك وأقول يا رب سل مصعباً فيم قتلنى فاستحيي مصعب وأمر باطلاقه فقال أيها الامير اجعل ما وهبت من حياتى في خفض ودعةٍ من العيش قال قد أمرت لك بثلاثين ألف درهم قال قد أشهدك أيها الأميران شطر هذا المال لعبد الله بن قيس الرقيات قال ولم ذلك قال لقوله

انما مصعبٌ شهابٌ من الله تجلت عن وجهه الظلماءُ

فضحك مصعب وقال اقبض ما أمرنا لك به ولابن قيس عندنا مثله فما شعر عبد الله ابن قيس الا وقد وافاه المال .. وحكى عن ابن شهاب الزهرى قال دعانى يزيد بن عبد الملك وقد مضى شطر الليل فأتيته فزعاً وهو على سطح فقال لا بأس عليك اجلس فجلست واندفعت جاريته حبابة تغنى

اذا رمتُ عنها سلوةً قال شافعٌ من الحبِّ ميعادُ السلوِّ المقابرُ

سيبقَى لها فى مضمر القلب والحشا سريرةُ حب يوم تبلى السرائرُ

قال لمن هذا الشعر فقلت للأحوص قال ما فعل الله به قلت محبوس بدهلك فكتب من ساعته باطلاقه وأمر له بأربعمائة دينار وقدم اليه فأحسن جائزته .. وممن ضره الشعر وكل من عند الله عز وجل وبمشيئته ومقدوره علي بن العباس بن جريج الرومي كان ملازماً لابى الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب مخصوصاً به فاتصل ذلك بعبيد الله وسمع هجاءه فقال لولده أبى الحسين أحب أن أرى ابن روميك هذا فجمع بينهما فرأى رجلا لسانهُ أطول من عقله فأشار عليه بابعاده فقال أخافه قال لم أرد اقصاءه

ولكن بيت أبي حية النميري

فقلنا لها في السر نفديك(١) لا برح صحيحاً وإلا تقتليه فالمعى

فحدث أبو القاسم ابن فراس بما كان من أبيه وكان ابن فراس من أشد الناس عداوة لابن الرومي فقال له أنا أكفيكه فسم له لوزينجة فمات وسبب ذلك كثرة هجائه وبذائته .. ودعبل بن على الخزاعي كان هجاء للملوك جسوراً على أمير المؤمنين متحاملا لا يبالي ما صنع حتى عرف بذلك وطار اسمه فيه فصنع على لسانه بكر بن حماد التاهرتي وقيل غيره ممن كان دعبل يؤذيه ويهاجيه

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة كرام اذا عدوا وثامنهم كلب

وقال قوم بل صنعها دعبل نفسه وكان المعتصم يعرف بالثامن وبالمثمن أيضاً فبلغه ذلك فأمر بطلبه ففر منه الى بلد بالسودان بناحية المغرب وهي التي تعرف الآن بزويلة بني الخطاب فمات بها وهنالك قبره والى جانبه قبر عبد الله ابن شيخنا أبي عبد الله محمد بن جعفر النحوي رحمه الله هكذا يروى أصحابنا .. وأما شعر البحتري فيشهد بخلاف هذا وذلك أنه رثى دعبلا وأبا تمام حبيباً الطائي فقال في أبيات هجا فيها الخثعمي الشاعر

جدث على الأهواز يبعد دونه مسرى النعي ورمة بالموصل

فالذي بالموصل أبو تمام حبيب لاشك لانه مات بها وهو يتولى البريد للحسن بن وهب وكان يعني به كثيراً والآخر دعبل ورأيت من يرويه

شلو باعلى عقرقوف تلفه هوج الرياح ورمة بالموصل

والأول أعرف وأشبه بالصواب .. ووالبة بن الحباب ذكر أن الرشيد أوغيره سأل من القائل

ولها ولا ذنب لها حب كاطراف الرماح

في القلب يجرح دائباً فالقلب مكلوم النواح

فقال له بعض من حضر من العلماء ذلك والبة بن الحباب يا أمير المؤمنين وأين تذهب

(١) ن سراً فديناك

عن معرفته والله ما رأيت أرق منه شعراً ولا أطيب نادرة ولا أكثر رواية ولا أجزل معرفة بأيام العرب منه فقال لم يمنعني منه الا بيتا شعر قالهما وهما

قلت لساقينا على خلوة ... ادن كذا رأسك من راسيا
ونم على وجهك لى ساعة ... اني امرؤ أنكح جلاسيا

أتحب أن ينكحنا لا أم لك قال فسلت أثوابي عرقا من شدة الحياء .. ويزيد بن أم الحكم الثقفي عهد له الحجاج علي فارس فأتاه يودعه فقال له أنشدني وقدَّر أنه يمدحه فأنشده

وأبى الذى سلب ابن كسرى راية ... بيضاء تخفق كالعقاب الطائر

فاسترد العهد منه وقال لحاجبه اذا رده عليك فقل له أورثك أبوك مثل هذا فقال له الحاجب ذلك فقال يزيد قل للحجاج

وورثتُ جدى مجده وفعاله ... وورثتَ جدك أعنزاً بالطائف

وبمثل هذا السبب غضب سليمان بن عبد الملك على الفرزدق وذلك أنه استنشده لينشده فيه أو فى أبيه فأنشده مفتخراً عليه

وركب كأنَّ الريح تطلبُ عندهم ... لها تِرَةً من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الريح (١) وهي تلفهم ... الى شعب الاكوار ذات (٢) الحقائب
اذا استوضحوا ناراً يقولون ليتها ... وقد خصرتْ أيديهم نار غالب

فتبين غضب سليمان وكان نصيب حاضراً فأنشده

أقول لركبٍ قافلين رأيتهم ... قفا ذات أوشال ومولاك قاربُ
قفوا خبرونى عن سليمانَ اننى ... لمعروفه من أهل وَدَّانَ طالبُ
فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فقال يا غلام اعط نصيباً خمسمائة دينار والحق الفرزدق بنار أبيه فخرج الفرزدق مغضباً يقول

وخيرُ الشعرِ أكرمه (٣) رجالا ... وشرُّ الشعرِ ما قال العبيدُ

(١) ن الابل (٢) ن من كل جانب (٣) ن أشرفه

.. وممن ضره الشعر وأهلكه سديف فانه طعن فى دولة بني العباس بقوله لما خرج محمد بن الحسن بالمدينة علي أبى جعفر المنصور فى أبيات له

انا لنأملُ أن تَرتدّ إلفتُنا بعد التباعدِ والشحناء والاحنِ
وتنقضي دولة أحكامُ قادتها فينا كأحكام قوم عابدي وثنِ
فانهض ببيعتكم ننهض بطاعتنا ان الخلافة فيكم يا بنى الحسنِ

فكتب المنصور الى عبد الصمد بن علي بأن يدفنه حياً ففعل ويقال ان الابيات لعبد الله ابن مصعب نسبت الى سديف وحمات عليه فقتل بسببها وذلك أشد .. وأحمق الشعراء عندي من أدخل نفسه في هذا الباب أو تعرض له وما للشاعر والتعرض للحتوف وانما هو طالب فضل فلم يضيع رأس ماله لا سيما وانما هو رأسه وكل شيء يحتمل الا الطعن فى الدول فان دعت الى ذلك ضرورة مجحفة فتعصب المرء لمن هو في ملكه وتحت سلطانه أصوب وأعذر له من كل جهة وعلى كل حال لا كما فعل سديف .. وأبو الطيب لما فر ورأى الغلبة قال له غلامه لا يتحدث الناس عنك بالفرار أبداً وأنت القائل

الخيل والليل والبيداء تعرفني والطعنُ والضربُ والقرطاس والقلم

فكر راجعاً فقتل وكان سبب ذلك هذا البيت .. وكان كافور الاخشيدي قد وعد أبا الطيب بولاية بعض أعماله فلما رأى تعاظمه فى شعره وسموه بنفسه خافه وعوتب فيه فقال ياقوم من ادعي النبوة مع محمد صلى الله عليه وسلم لا يدعى المملكة مع كافور حسبكم .. وزعم أبو محمد عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي أن أبا الطيب انما سمي متنبئاً لفطنته وقال غيره بل قال أنا أول من تنبأ بالشعر وادعي النبوة في بنى القصيص والاخبار فى هذا النوع كثيرة جداً وانما جئت بأقربها عهداً وأشهرها فى كتب المؤلفين مما يليق بالموضع ذكره

باب تعرض الشعراء

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عالماً بالشعر قليل التعرض لاهله استعداه رهط تميم

ابن أبي مقبل على النجاشي لما هجاهم فأسلم النظر فى أمرهم الى حسان بن ثابت فراراً من التعرض لاحدهما فلما حكم حسان أنفذ عمر حكمه على النجاشي كالمقلد من جهة الصناعة ولم يكن حسان على علمه بالشعر بابصر من عمر رضى الله عنه بوجه الحكم وان اعتل فيه بما اعتل وقدمضت الحكاية .. وكذلك صنع في هجاء الحطيئة الزبرقان ابن بدر سأل حسان ثم قضي على الحطيئة بالسجن وقيل بل سجنه لمواقفته إياه وقوله ان لكل مقام مقالا فقال له أتهددني امضوا به الى السجن فسجنه فى حفرة من الارض .. وسئل أبوعبيدة أي الرجلين أشعر أبو نواس أم ابن أبى عيينة فقال أنا لا أحكم بين الشعراء الاحياء فقيل له سبحان الله كأنّ هذا ما تبين لك فقال انا ممن لم يتبين له هذا .. وقيل ان أول مَن لقب قريشاً على شرفها و بعدذكرها في العرب سخينةَ لحساء كانت تتخذه فى الجاهلية عند اشتداد الزمان خداش بن زهير حيث يقول

يا شدةً ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرَم

فذهب ذلك على أفواه الناس حتى كان من التمازح به ما كان بين معاوية بن أبي سفيان و بين الاحنف بن قيس التميمى حين قال له ما الشيء الملفف في البجاد فقال له السخينة يا أمير المؤمنين أراد معاوية قول الشاعر

اذا ما مات ميتٌ من تميم فسرك أن يعيش فجئ بزادِ

بخبز أو بلحم (١) أو بتمرٍ أوالشيء الملفف في البجاد

يريدوطب اللبن وأراد الأحنف قول خداش بن زهير ياشدة ماشددنا البيت .. وحتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك الانصارى أترى الله نسى قولك يعنى

زعمت سخينةُ أن ستغلب ربها وليُغلبنَّ مغالِبُ الغلابِ

ولسير الشعر على الأفواه هذا المسير تجنب الأشراف ممازحة الشاعر خوف لفظة تسمع منه مزحاً فتعود جداً كما قال دعبل الخزاعي

لاتعرضن بمزحٍ لامرئ فطنٍ ما راضه قلبهُ أجراه فى الشفة

فرب قافيةٍ بالمزح جاريةٍ في محفل (٢) لم يُرد إنماؤها نمتِ

(١) أو بتمر أوبسمن (٢) ن مشؤمة

اني اذا قلت بيتاً ماتَ قائلهُ ومَن يقال له والبيتُ لم يمت

وقال رجل لابن الرومى يمازحه ما أنت والشعر لقدنلت منه حظاً جسيما وأنت من العجم أراك عربياً في الأصل أو مدعياً في الشعر قال بل أنت دعيٌّ اذا كنت تنتسب عربياً ولم تحسن من ذلك شيئاً . وله يقول من أبيات

اياكَ يا بنَ بُويب أن يستشارَ بويبُ

قد تحسنُ الرومُ شعراً ما أحسنتهُ العريبُ

وهذا مثل قول الصينى الشاعر لبعض الاعراب وقد أنشد عبد الله بن طاهر بحضرته شعراً فقال له الاعرابى ممن الرجل فقال من العجم قال ماللعجم والشعر أظن عربياً نزى على أمك قال فمن لم يقل منكم الشعر معشر العرب فانما نزى على أمه أعجمي فسكت الاعرابى .. وأنشد أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ فقال

وللشعراء ألسنةٌ حدادٌ على العورات موفيةٌ دليله

ومن عقل الكريم اذا اتقاهم وداراهم مداراةً جميله

اذا وضعوا مكاويهم عليه وان كذبوا فليس لهن حيله

والأبيات لأبى الدهمان .. ولأمر ما قال طرفة

رأيت القوافى تدَّلجنَ موالجاً تضايقُ عنها أن تولجها الأبر

وقال امرؤ القيس — وجرح اللسان كجرح اليد — ومع ذلك كله فلا ينبغى للشاعر أن يكون شرساً شديداً ولا حرجاً عريضاً لما يدل به من طول لسانه وتوقف الناس عن مخاشنته فهذا الفرزدق كان شاعر زمانه ورئيس قومه لم يكن فى جبله أطرف منه نادرة ولا أغرب مدحاً ولا أسرع جواباً اجتاز بنسوة وهو على بغلة فهمزها فحبقت فتضاحكن وكان عريضاً فقال ما يضحككن وما حملتنى أنثى قط الا وفعلت مثل هذا قالت احداهن فما صنعت التي حملتك تسعة أشهر فانصرف خجلا .. ومرَّ به رجل فيه لين فقال له من أين أقبلت عمتنا فقال نفاها الأغر ابن عبد العزيز فكأن الفرزدق صب عليه الماء لانه عرض له بقول جرير فيه حين نفاه عمر بن عبد العزيز من المدينة

نفاكَ الأغرُّ بنُ عبد العزيز وحقكَ تنفي من المسجد

وكان الفرزدق مرة ينشد والكميت صبي فأجاد الاستماع اليه فقال له يابني أيسرك أني أبوك قال أما أبي فلا أرى به بدلا ولكن يسرني انك أمي فأفحمه حتى غص بريقه ٠٠ وزعم قوم أن هذه الحكاية انما وقعت مع كثير ٠٠ ومر يوماً بمضرس الفقعسي وهو غلام حديث السن ينشد الناس شعره فحسده على ما سمعه منه فقال له بعد كلام طويل فيه تعريض وتصريح أدخلت أمك البصرة وفهم عنه مضرس ما أراد فقال كلا ولكن أبي ورجع الى انشاده فاستحيي الفرزدق حكي ذلك شيخنا أبو عبد الله وانما أراد الفرزدق انها ان دخلت البصرة فقد وقعت عليها فأنت ابني قال مضرس بل أبي وقع على أمك ٠٠ ومثل هذا بعينه عرض للفرزدق مع الحطيئة فان الحطيئة قال له وقد سمعه ينشد شعراً أعجبه أنجدت أمك قال بل أنجد أبي ونظم ذلك جرير ونعاه عليه وادعي أنه صحيح فقال

كأن الحطيئة جارَ أمك مرةً ... واللهُ يعلم شأنَ ذاكَ الجارِ
من ثم أنت الى الزناء بعـلة ... بأشر شيخ في جميع نزارِ
لا تفخرنَّ بغالب ومحمد ... وأفخر بعبس كل يوم فخار

وكان يزعم أن الحطيئة جاورَ لينة بنت قرطة فأعجبته فراودها فوقع عليها وزوجها أخوها العلاء غائباً أبا الفرزدق وقد تبين حملها فولدت الفرزدق على فراشه ٠٠ واحتذى هذا الحذو سواءً أبو السمط مروان الاصغر بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة فقال يهجو علي بن الجهم بن بدر

لعمرك ما الجهم بنُ بدر بشاعرٍ ... وهذا عليٌّ بعده يصنعُ الشعرا
ولكنَّ أبي قد كان جارا لامه ... فلما تعاطى الشعر أوهمني أمرا

والشاعر أولى من كف منطقه وأقال عثرات اللسان لما رزق من القدرة على الكلام والعفو من القادر أحسن و به أليق ولمن انتصرَ بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس و يبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبرَ وغفر ان ذلك لمن عزم الامور

باب التكسب بالشعر والانفة منه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها كم(١) عن قيل وقال وعن كثرة السؤال واضاعة المال وعقوق الامهات ووأد البنات ومنع وهات .. وكانت العرب لا تتكسب بالشعر وانما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أومكافأة عن يد لا يستطيع على أداء حقها الا بالشكر اعظاماً لها كما قال امرؤ القيس بن حجر يمدح بنى تيم رهط المعلى

أقر حشا امريء القيس بن حُجْر بنو تيم مصابيحُ الظلام

لأن المعلى أحسن اليه وأجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء لقتله بنى أبيه الذين قتل بدير مرينا فقيل لبنى تيم مصابيح الظلام من ذلك اليوم لبيت امريء القيس .. وقال أيضاً لسعد بن الضباب

سأجزيك الذي دافعتَ عنى وما يجزيك عني غيرُ شكري

فأخبره أن شكره هو الغاية فى مجازاته كما قدمت حتى نشأ النابغة الذبيانى فمدح الملوك وقبل الصلة على الشعر وخضع للنعمان بن المنذر وكان قادراً على الامتناع منه بمن حوله من عشيرته أو من سار اليه من ملوك غسان فسقطت منزلته وتكسب مالا جسيما حتى كان أكله وشربه فى صحاف الذهب والفضة وأوانيه(٢) من عطاء الملوك وتكسب زهير ابن أبى سُلمى بالشعر يسيراً مع هرم بن سنام فلما جاء الأعشى جعل الشعر متجراً يتجر به نحو البلدان وقصد حتى ملك العجم فأثابه وأجزل عطيته علماً بقدر مايقول عند العرب واقتداءً بهم فيه على أن شعره لم يحسن عنده حين فسرله بل استهجنه واستخف به لكن احتذى فعل الملوك ملوك العرب .. وأكثر العلماء يقولون انه أول مَن سأل بشعره وقد علمنا أن النابغة أسنُّ منه وأقدم شعراً وقد ذكر عنه من التكسب بالشعر مع النعمان بن المنذر مع ما فيه قبح من مجاعلة الحاجب ودس الندماء على ذكره بين يديه وما أشبه ذلك وذكر أن أبا عمرو بن العلاء سئل لم خضع النابغة للنعمان فقال رغب فى عطائه وعصافيره وأما زهير فما بلغه الطائى قط معرفة باجتداء من يمدحه ويدلك على ذلك ماقاله عمر بن

(١) ن ان الله ينها كم (٢) ن واوانيها

الخطاب رضى الله عنه لابنة زهير حين سألها ما فعلت حلل هرم بن سنان التي كساها أباك قالت ابلاها الدهر قال لكن ما كساه أبوك هرماً لم يبله الدهر وقال عمر رضى الله تعالى عنه لبعض ولد هرم بن سنان أنشدنى ماقال فيكم زهير فأنشده فقال لقد كان يقول فيكم فيحسن قال ياأمير المؤمنين انا كنا نعطيه فنجزل قال عمر ذهب ماأعطيتموه وبقى ما أعطاكم ‥ ثم إن الحطيئة أكثر من السؤال بالشعر وانحطاط الهمة فيه والالحاف حتى مقت وذل اهله وهلم جرا الى أن حرم السائل وعدم المسؤل

الاَّ بقايا من أناسٍ بهم الى سبيلِ المكرُمات يُهتدى

كالسيد أبي الحسن أحسن الله الى الدنيا بقائه ‥ وأما أكثر من تقدم فالغالب على طباعهم الأنفة من السؤال بالشعر وقلة التعرض به لما فى أيدى الناس الا فيما لايزري بقدر ولا مروءة كالفلتة والنادرة والمهمة العظيمة ولهذا قال عمر رضى الله عنه نعم ماتعلمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته ‥ ألا ترى أن لبيد بن ربيعة لما بعث اليه الوليد بن عقبة مائة من الابل ينحرها لعادته عندهبوب الصبا وقد أسن وأقل وكان يطعم الناس ماهبت الصبا قال لابنته اشكرى هذا الرجل فانى لأجد نفسي تجيبنى ولقد أرانى لا أعيي بجواب شاعر فقالت هذه الابيات

اذا هبتْ رياحُ أبى عقيل دعونا عند هبتها الوليدا
أغرَّ الوجهِ أبيض عبشَمياً أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب كأنَّ ركباً عليها من بني حامٍ قعودا
أباوهبٍ جزاكَ اللهُ خيراً نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعدْ إنَّ الكريم له معادُ وظنى بابنِ أروى أنْ يعودا

وعرضتها عليه فقال لقد أجدتِ لولا انك استعدتِ كَراهيةً فى قولها
* فعدْ ان الكريم له معاد * ويروى لولا انك استزدت ‥ وقالوا كان الشاعر فى مبتدأ الأمر أرفع منزلةً من الخطيب لحاجتهم الى الشعر فى تخليد المآثر وشدة العارضة وحماية العشيرة وتهيبهم عند شاعر غيرهم من القبائل فلا يقدم عليهم خوفاً من شاعرهم على نفسه وقبيلته فلما تكسبوا به وجعلوه طعمة وتولوا به الاعراض وتناولوها صارت الخطابة

فوقه وعلى هذا المنهاج كانوا حتى فشت فيهم الضراعة وتطعموا أموال الناس وجشعوا فخشعوا واطمأنت بهم دارُ الذلة الا مَن وقر نفسه وقارها وعرف لها مقدارها حتى قبض نقيَّ العرض مصونَ الوجه مالم يكن به اضطرار تحلُّ به الميتةُ فأما مَن وجد البُلغةَ والكفاف فلا وجه لسؤاله بالشعر .. فقد حكي عن ابن ميادة أنه مدح أبا جعفر المنصور بكلمته التي يقول فيها

فوجدتَ حين لقيت أيمن طائر ووليتَ حين وليتَ بالاصلاح

وعفوتَ عن كسر الجناح ولم يكن لتطير ناهضةٌ بغير جناح

قومٌ اذا جُلبَ الثناء اليهم بيع الثناء هناك بالارباح

وأتاه راعي ابله بلبن فشرب ثم مسح على بطنه وقد عزم على الرحلة فقال سبحان الله أأفد علي أمير المؤمنين وهذه الشربةُ تكفيني وصرف وجهه عن قصده فلم يفدْ عليه هذا على أنه ساقةُ الشعراء فأنت ترى كبر نفسه و بعد همته على أن عبد الله بنَ عمر على جلالته والحسن البصرى وعكرمةَ ومالكَ بنَ أنس المدني وجلة من أهل العلم غير هؤلاء كانوا يقبلون صِلات الملوك .. وقدسئل عثمان بن عفان رضي الله عنه عن مال السلطان فقال لحمُ طيرٍ زكيٍ .. والشعراء فى قبولها مالَ الملوك أعذرُ من المتورعين وأصحاب الفتيا لما جرتْ به العادة قبل الاسلام وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم و بعده الى أيام المنصور الذى أنف ابنُ ميادةَ أن يفد عليه وهكذا يروى عن جميلَ ابن عبد الله بن معمر أنه ما مدح أحداً قط الا ذويه وقراباته وأنه صحب الوليدَ بنَ عبد الملك فى سفر فكلفه أن يرجز به وظن أنه يمدحه فأنشأ يقول

انا جميل فى السنام من معد فى الذروة العلياء والركن الاشد

فقال له الوليد اركب لاحملت ..وزعم محمد بن سلام الجمحي أنه مدح عبد العزيز بن مروان بقوله في شعره

أبا مروانَ أنتَ فتى قريشٍ وكهلهم اذا عد الكهولُ

توليه العشيرةُ ما عناها فلا ضيق الذراع ولا بخيل

كلا يوميه بالمعروف طلق وكل بلائه حسن جميل

وعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وكان يشبه به من المولدين العباس بن الاحنف فانه ممن أنف عن المدح تظرفاً وقال فيه مصعب الزبيري العباس عمر العراق يريد أنه لاهل العراق كعمر بن أبي ربيعة لاهل الحجاز استرسالا فى الكلام وأنفة عن المدح والهجاء واشتهر بذلك فلم يكن يكافه اياه أحد من الملوك ولا الوزراء وقد أخذ صلة الرشيد وغيره علي حسن التغزل ولطف المقاصد فى التشبيب بالنساء .. وهذا باب قد احتذاه الكتاب فى زماننا هذا الا القليل وقوم من شعراء وقتنا أنا ذاكرهم فى كتاب غير هذا ان شاء الله .. وعلى كل حال فان الاخذ من الملوك كما فعل النابغة ومن الرؤساء الجلة كما فعل زهير سهل وخفيف .. فأما الحطيئة فقبح الله همته الساقطة على جلالة شعره وشرف بيته وقد كانت الشعراء ترى الأخذ ممن دون الملوك عارا فضلا عن العامة وأطراف الناس .. قال ذو الرمة يهجو مروان بن أبي حفصة بذلك ويفتخر عليه بأنه لا يقبل الاصلة الملك الاعظم وحده هكذا رواه عبد الكريم وأنشده ابن عبد ربه أيضاً

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن مقسمةً من هؤلا وأولائكا

ومانلتَ حتى شبتَ الاعطيةً تقوم بها مصرورة في ردائكا

وأنشد له أو لغيره

وما كان مالي من تراث ورثته ولا ديةٍ كانت ولا كسب مأثمِ

ولكن عطاء الله من كل رحلة الى كل محجوب السرادق خضرمِ

قال صاحب الكتاب (١) والذى أعرف أن سلم بن عمرو الخاسر كتب الى مروان بن أبى حفصة

من مبلغ مروان عنى رسالة مغلغلة لا تنثنى عن لقائكا

حباني أمير المؤمنين بنفحة ثمانين ألفاً طأطأت من حبائكا

ثمانينَ ألفاً نلتُ من صلب ماله ولم تك قسما من أولى وأولائكا

(١) ن أبو على

فأجابه مروان عن ذلك فقال

أسلمَ بن عمرو قد تعاطيتَ خطةً تقصّر عنها بعد طول عنائكا
وانى لسباق اذا الخيل كلفت مدى مائة أو غايةً فوق ذلكا
فدع سابقاً ان عاودتك عجاجة سنابكه أو هين منك سنابكا
رأيتَ امرأ نال السها فحسدته فلم يبق الا أن تموت بدائكا
طلبتَ من المهدى شطر حبائه فقال لك المهدىُّ لست هنالكا
فما أعولتْ أم على ابن ولا بكي على يوسف يعقوبُ مثل بكائكا
عضضت على كفيكَ حتى كأنما رزئت الذى أعطيت من صلب مالكا
حييتُ بأوقار البغال وانما سرابُ الضحى ماتدعى من حبائكا
وما نلتَ حتى شبتَ الاعطية تقوم بها مصرورة فى ردائكا
وما عبتَ من قسم الملوك لشاعر به خص عفواً من أولى وأولائكا
وأقسم لولا ابن الربيع ورفدُهُ لما ابتلّتِ الدلو التي فى رِشائكا

ومن قول مروان أيضاً

ولقد حبيتُ بألف ألف لم تكن الاَّ بكف خليفة ووزير
مازلت آنف أن أؤلف مدحة الاَّ لصاحب منبر وسرير
ما ضرنى حسدُ اللئام ولم يزل ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

وقال آخر فيما يناسب هذا ويشاكله ويشد على يد من تمذهب به أو اعتقده

واذا لم يكن من الذل بدٌّ فالق بالذل ان لقيت الكبارا

وافتخر بشار بن برد .. فقال

وانى لنهَّاض اليدين الى العلا قروعٌ لأبواب الهمام المتوج

ويروى - وانى لسوار اليدين - أى مرتفع

باب تنقل الشعر فى القبائل

ذكر أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحى فى كتاب الطبقات وغيره من المؤلفين أن الشعر كان فى الجاهلية في ربيعة فكان منهم مهلهل بن ربيعة واسمه عدي وقيل امرؤ القيس وانما سمى مهلهلا لهلهلة شعره أى رقته وخفته وقيل لاختلافه وقيل بل سمي بذلك لقوله

لما توقل فى الكراع شريدهم هلهلت ثارا جابراً أو صنبلا

ويروى ـ لما توعر فى الكلاب هجينهم ـ قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري يعنى بقوله هجينهم امرأ القيس بن حمام الذى ذكره امرؤ القيس فى شعره حيث يقول

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكى الديار كما بكي ابنُ حمام

وكان مهلهل تبعه يوم كلاب ففاته ابن حمام بعد أن تناوله مهلهل بالرمح وقد كان ابن حمام أغار على بنى تغلب مع زهير بن جناب فقتل جابراً وصنبلا ويروى لاننا بمعنى لعلنا وهى لغة فيما زعم بعض المؤلفين والذى كنت أعرف لعننا بالعين ونونين وكذلك أعرف ابن حذام بذال معجمة كذا روى الجاحظ وغيره ويروى خذام بالخاء والذال المعجمتين وكان مهلهل أول من قصد القصائد .. قال الفرزدق بن غالب

* ومهلهل الشعراء ذاك الأول *

وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندى الشاعر وجد عمرو بن كلثوم الشاعر أبو أمه .. ومنهم المرقشان والاكبر منهما عم الاصغر والاصغر عم طرفة بن العبد واسم الاكبر عوف بن سعد وعمرو بن قميئة ابن أخيه ويقال انه أخوه واسم الاصغر عمرو بن حرملة وقيل ربيعة بن سفيان وهذا أعرف .. ومنهم سعد بن مالك الذى يقول

يا بؤسَ للحربِ التى وضعت أراهط فاستراحوا

ولا أدرى هل هو أبو عمرو بن قميئة الشاعر والمرقش الاكبر أم لا .. وطرفة بن العبد وعمرو بن قميئة والحارث بن حلزةَ والمتلمس وهو خال طرفة واسمه جرير بن عبد المسيح والاعشى واسمه ميمون بن قيس بن جندل وخاله المسيب بن علس واسم المسيب زهير

.. ثم تحول الشعر فى قيس فمنهم النابغتان وزهير بن أبي سلمى وابنه كعب لانهم ينسبون فى عبد الله بن غطفان واسم أبي سلمى ربيعة .. ولبيد والحطيئة والشماخ واسمه معقل بن ضرار وأخوه مزرد واسمه جزء بن ضرار وقيل بل اسمه يزيد وجزء أخوهما وكان المزرد شريراً يهجو ضيوفه وهجي قومه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

تعلم رسولَ الله أنا كأنما أفانا بأنمار ثعالب ذى صحل
تعلم رسولَ الله لم أر مثلهم أجرَّ على الادنى وأحرم للفضل

ومنهم خداش بن زهير .. ثم استقر الشعر فى تميم ومنهم كان أوس بن حجر شاعر مضر فى الجاهلية لم يتقدمه أحد منهم حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه وبقي شاعر تميم فى الجاهلية غير مدافع .. وكان الاصمعى يقول أوس أشعر من زهير ولكن النابغة طأطأ منه وكان زهير راوية أوس وكان أوس زوج أم زهير وسئل حسان بن ثابت رضى الله عنه من اشعر الناس فقال أرجلا أم حياً قيل بل حياً قال أشعر الناس حياً هذيل قال ابن سلام الجمحي وأشعر هذيل أبو ذؤيب غير مدافع .. وحكي الجمحي قال أخبرني عمر بن معاذ المعمرى قال فى التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زورا وكان اسمَ الشاعر بالسريانية فأخبرت بذلك بعض أصحاب العربية وهو كثير بن اسحق فأعجب منه وقال قد بلغنى ذلك .. وقال الاصمعى قال أبو عمرو بن العلاء أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم أهل السروات وهن ثلاث وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن فأولها هذيل وهي تلي السهل من تهامة ثم بجيلة السراة الوسطي وقد شركتهم ثقيف فى ناحية منها ثم سراة الازد أزد شنوءة وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الازد .. وقال أبو عمرو أيضاً أفصح الناس عليا تميم وسفلى قيس وقال أبو زيد أفصح الناس سافلة العالية وعالية السافلة يعنى عجز هوازن قال ولست أقول قالت العرب الا ما سمعت منهم والا لم أقل قالت العرب .. وأهل العالية أهل المدينة ومَن حولها ومَن يليها ودنى منها ولغتهم ليست بتلك عنده .. وقوم يرون تقدمة الشعر لليمن فى الجاهلية بامرىء القيس وفي الاسلام بحسان بن ثابت وفي المولدين بالحسن بن هانيء وأصحابه مسلم بن الوليد وأبي الشيص ودعبل وكلهم من اليمن وفى الطبقة التي تليهم بالطائيين حبيب والبحترى ويختمون

الشعر بأبي الطيب وهو خاتمة الشعراء لا محالة وكان ينسب فى كندة وهي رواية ضعيفة انما ولد فى كندة بالكوفة فيما حكي ابن جنى والا فكان غامض النسب فيقولون بدئ الشعر بكندة يعنون امرأ القيس وختم بكندة يعنون أبا الطيب ٠٠ وزعم بعض المتأخرين أنه جعفي وقوم منهم الصاحب بن عباد يقولون بدىء الشعر بملك وختم بملك يعنون امرأ القيس وأبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وقال آخرون بل رجع الشعر الى ربيعة فختم بها كما بدئ بها يريدون مهلهلا وأبا فراس ٠٠ وأشعر أهل المدر باجماع من الناس واتفاق حسان بن ثابت ٠٠ وقال أبو عمرو بن العلاء ختم الشعر بذى الرمة والرجز برؤبة بن العجاج وزعم يونس أن العجاج أشعر أهل الرجز والقصيد وقال انما هو كلام فأجودهم كلاماً أشعرهم والعجاج ليس في شعره شئ يستطيع أحد أن يقول لو كان فى مكانه غيره لكان أجود وذكر أنه صنع أرجوزته ـ قد جبر الدين الإله فجبر ـ فيها نحو مائتي بيت وهي موقوفة مقيدة قال ولو أطلقت قوافيها وساعد فيها الوزن لكانت منصوبة كلها ٠٠ وقال أبو عبيدة انما كان الشاعر يقول من الرجز البيتين والثلاثة ونحو ذلك اذا حارب أو شاتم أو فاخر حتى كان العجاج أول مَن أطاله وقصَّده ونسب فيه وذكر الديار واستوقف الركاب عليها ووصف ما فيها وبكي على الشباب ووصف الراحلة كما فعلت الشعراء بالقصيد فكان في الرجاز كامرىء القيس فى الشعراء ٠٠ وقال غيره أول مَن طول الرجز الأغلب العجلى وهو قديم وزعم الجمحي وغيره أنه أول من رجز ولا أظن ذلك صحيحاً لانه انما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نجد الرجز أقدم من ذلك ٠٠ وكان أبو عبيدة يقول افتتح الشعر بامرىء القيس وختم بابن هرمة ولم أر أنقد من الذي قال أشعر الناس من أنت فى شعره ٠٠ وأنشد مروان بن أبى حفصة يوماً جماعة من الشعراء وهو يقول في واحد بعد واحد هذا أشعر الناس فلما كثر ذلك عليه قال الناس أشعر الناس

باب في القدماء والمحدثين

كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالاضافة الى من كان قبله وكان أبو عمرو

ابن العلاء يقول لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته يعنى بذلك شعر جرير والفرزدق فجعله مولداً بالاضافة الى شعر الجاهلية والمخضرمين وكان لا يعد الشعر الا ما كان للمتقدمين .. قال الاصمعي جلست اليه ثماني[1] حجج فما سمعته يحتج ببيت اسلامي .. وسئل عن المولدين فقال ما كان من حسن فقد سبقوا اليه وما كان من قبيح فهو من عندهم ليس النمط واحدا ترى قطعة ديباج وقطعة مسح وقطعة نطع .. هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه كالأصمعي وابن الاعرابي أعنى أن كل واحد منهم يذهب فى أهل عصره هذا المذهب ويقدم من قبلهم وليس ذلك الشئ الا لحاجتهم في الشعر الى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتى به المولدون ثم صارت لجاجة .. فأما ابن قتيبة فقال لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص قوماً دون قوم بل جعل الله ذلك مشتركا مقسوماً بين عباده في كل دهر وجعل كل قديم حديثاً فى عصره .. ومما يؤيد كلام ابن قتيبة كلام على رضى الله عنه لولا أن الكلام يعاد لنفد فليس أحدنا أحق بالكلام من أحد وانما السبق والشرف معاً في المعنى على شرائط نأتى بها فيما بعد من الكتاب ان شاء الله .. وقول عنترة ـ هل غادر الشعراء من متردّم ـ يدل على انه يعد نفسه محدثاً قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئاً وقد أتى فى هذه القصيدة بما لم يسبقه اليه متقدم ولا نازعه اياه متأخر .. وعلى هذا القياس يحمل قول أبى تمام وكان اماماً فى هذه الصناعة غير مدافع

يقولُ مَن تقرع اسماعَه　　كم تركَ الأولُ للآخر

فنقض قولهم ما تركَ الأول للآخر شيئاً وقال فى مكان آخر فزاده بياناً وكشفاً للمراد

فلو كان يفنى الشعرُ أفناه ماقرتْ　　حياضُكَ منه في العصورِ الذواهبِ

ولكنه صوبُ العقول اذا انجلت　　سحائبُ منه أعقبتْ بسحائب

وانما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين ابتدأ هذا بناءً فأحكمه وأتقنه ثم اتى الآخر فنقشه وزينه فالكلفة ظاهرة على هذا وان حسن والقدرة ظاهرة على ذلك وان خشن .. وسمعت القاضى أبا الفضل جعفر بن احمد النحوى وقد سئل عن ذى الرمة وأبى تمام

(١) ن عشر حجج

فأجاب بجواب يقرب معناه من هذا لم أحفظه .. وقال أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع وقد ذكر أشعار المولدين انما تروى لعذوبة ألفاظها ورقتها وحلاوة معانيها وقرب مأخذها ولو سلك المتأخرون مسلك المتقدمين في غلبة الغريب على أشعارهم ووصف المهامه والقفار وذكر الوحوش والحشرات ما رويت لأن المتقدمين أولى بهذه المعاني ولا سيما مع زهد الناس في الأدب في هذا العصر وما قاربه وانما تكتب أشعارهم لقربها من الافهام وان الخواص في معرفتها كالعوام فقد صار صاحبها بمنزلة صاحب الصوت المطرب يستميل أمة من الناس الى استماعه وان جهل الالحان وكسر الأوزان .. وقائل الشعر الحوشي بمنزلة المغني الحاذق بالنغم غير المطرب الصوت يعرض عنه الا من عرف فضل صنعته على أنه اذا وقف على فضل صنعته لم يصلح لمجالس اللذات وانما يجعل معلماً للمطربات من القينات يقومهن بحذقه ويستمتع بحلوقهن دون حلقه ليسلمن من الخطأ في صناعتهن ويطربن بحسن أصواتهن .. وهذا التمثيل الذي مثله ابن وكيع من أحسن ما وقع الا أن أوله من قول أبي نواس

صفةُ الطلولِ بلاغة القدْمِ ... فاجعلْ صفاتك لابنةِ الكرمِ
لا تخدعنَّ عن التي جُعلت ... سقمَ الصحيحِ وصحة السقمِ
تصفُ الطلول على السماعِ بها ... أفذو العيان كانت في الحكمِ
واذا وصفتَ الشيءَ متبعاً ... لم تخل من غلطٍ ومن وَهمِ

ولم أر في هذا النوع أحسن من فصل أتى به عبد الكريم بن ابراهيم فانه قال قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن في وقت مالا يحسن في آخر ويستحسن عند أهل بلد مالا يستحسن عند أهل غيره ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله بعد أن لا تخرج من حسن الاستواء وحد الاعتدال وجودة الصنعة وربما استعملت في بلد ألفاظ لا تستعمل كثيراً في غيره كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في أشعارهم ونوادر حكاياتهم قال والذي اختاره انا التجريد والتحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر ويبقى غابره على الدهر ويبعد عن الوحشي المستكره ويرتفع عن المولد (١) المتحل ويتضمن المثل السائر والتشبيه المصيب والاستعارة

(١) ن المؤلف

الحسنة .. قال صاحب الكتاب وأنا أرجو ان أكون باختيار هذا الفصل واثباته ههنا داخلا فى جملة المميزين ان شاء الله فليس من أتي بلفظ محصور يعرفه طائفة من الناس دون طائفة لا يخرج من بلده ولا يتصرف من مكانه كالذي لفظه سائر في كل أرض معروف بكل مكان وليس التوليد والرقة أن يكون الكلام رقيقاً سفساقاً ولا بارداً غثاً كما ليست الجزالة والفصاحة أن يكون حوشياً خشناً ولا اعرابياً جافياً ولكن حالٌ بين حالين .. ولم يتقدم امرؤ القيس والنابغة والأعشى الا بحلاوة الكلام وطلاوته مع البعد من السخف والركاكة على أنهم لو أغربوا لكان ذلك محمولا عنهم اذ هو طبع من طباعهم فالمولد المحدث على هذا اذا صح كان لصاحبه الفضل البين بحسن الاتباع ومعرفة الصواب مع ما أنه أرق حوكاً وأحسن ديباجة

باب المشاهير من الشعراء

والشعراء أكثر من أن يحاط بهم عدداً ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم وسار شعرهم وكثر ذكرهم حتى غلبوا على سائر مَن كان فى أزمانهم ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتتعصب له وقل ما يجتمع على واحد الا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى امرئ القيس أنه أشعر الشعراء وقائدهم الى النار يعنى شعراء الجاهلية والمشركين .. قال دعبل ابن علي الخزاعي ولا يقود قوماً الا أميرهم .. وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للعباس ابن المطلب رحمه الله وقد سأله عن الشعراء امرؤ القيس سابقهم خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصر .. قال عبد الكريم - خسف لهم - من الخسيف وهى البئر التي حفرت في حجارة فخرج منها ماء كثير وجمعها خسف وقوله - افتقر - أي فتح وهو من الفقير وهو فم القناة وقوله - عن معان عور - يعنى أن امرأ القيس من اليمن وان اليمن ليست لهم فصاحة نزار فجعل لهم معان عوراً فتح منها امرؤ القيس أصح بصر .. قال وامرؤ القيس يمانى النسب نزارى الدار والمنشأ وفضله علي رضى الله عنه بأن قال رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة وانه لم يقل لرغبة ولا لرهبة .. وقد قال العلماء بالشعر ان امرأ القيس لم

تقدم الشعراء لأنه قال مالم يقولوا ولكنه سبق الى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها لأنه قيل أول من لطف المعاني واستوقف على الطلول ووصف النساء بالظباء والمها والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصى وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد وقرب مأخذ الكلام فقيد الأوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه .. وروى الجمحي أن سائلا سأل الفرزدق مَن أشعر الناس قال ذو القروح قال حين يقول ماذا قال حين يقول

وقاهم جدُّهم ببني أبيهم　　وبالاشقين ما كان العقابُ

وأما دعبل فقدمه بقوله فى وصف عقاب

ويلمّها من هواء الجو طالبةً　　ولا كهذا الذى فى الأرض مطلوبُ

وهذا عنده أشعر بيت قالته العرب .. وسئل لبيد من أشعر الناس قال الملك الضليل قيل ثم من قال الشاب القتيل قيل ثم من قال الشيخ أبو عقيل يعنى نفسه .. وكان الحذاق يقولون الفحول في الجاهلية ثلاثة وفى الاسلام ثلاثة متشابهون زهير والفرزدق والنابغة والأخطل والأعشى وجرير .. وكان خلف الأحمر يقول الاعشى أجمعهم .. وقال أبو عمرو بن العلاء مثله مثل البازى يضرب كبير الطير وصغيره .. وكان أبو الخطاب الاخفش يقدمه جداً لا يقدم أعليه حداً .. وحكي الاصمعي عن ابن أبى طرفة كفاك من الشعراء أربعة زهير اذا رغب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا طرب وعنترة اذا كلب وزاد قوم وجرير اذا غضب .. وقيل لكثير أو لنصيب مَن أشعر العرب فقال امرؤ القيس اذا ركب وزهير اذا رغب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا شرب .. وكان أبو بكر رضى الله عنه يقدم النابغة و يقول هو أحسنهم شعراً وأعذبهم بحراً وأبعدهم قعراً .. وسئل الفرزدق مرة مَن أشعر العرب فقال بشر بن أبى خازم قيل له بماذا قال بقوله

ثوى في ملحدٍ لا بد منه　　كفى بالموتِ نأياً واغترابا

ثم سئل جرير فقال بشر بن أبى خازم قال بماذا قال بقوله

رهينُ بلى وكلُّ فتى سيبلى　　فشقي الجيبَ وانتحبي انتحابا

فاتفقا على بشر بن أبي خازم كما نرى ..وقال محمد بن أبى الخطاب في كتابه الموسوم

بجمهرة أشعار العرب أن أبا عبيدة قال أصحاب السبع التى تسمى السمط امرؤ القيس وزهير والنابغة والاعشى ولبيد وعمرو بن كلثوم وطرفة ٠٠ قال وقال المفضل مَن زعم أن فى السبع التي تسمي السمط لاحد غير هؤلاء فقد أبطل ٠٠ فأسقط من أصحاب المعلقات عنترة والحارث بن حِلّزة وأثبت الاعشي والنابغة ٠٠ وكانت المعلقات تسمى المذهبات وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت فى القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة فلذلك يقال مذهبة فلان اذا كانت أجود شعره ذكر ذلك غير واحد من العلماء وقيل بل كان الملك اذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول علقوا لنا هذه لتكون فى خزانته ٠٠ وقال الجمحى فى كتابه سأل عكرمة بن جرير أباه جريراً مَن أشعر الناس قال أعن الجاهلية تسألني أم الاسلام قال ما أردت الا الاسلام فاذا ذكرت الجاهلية فأخبرنى عن أهلها قال زهير شاعرهم قال قلت فالاسلام قال الفرزدق نبعة الشعر فى يده قلت فالأخطل قال يجيد مدح الملوك ويصيب صفة الخمر قلت فما تركت لنفسك قال دعنى فانى نحرت الشعر نحراً ٠٠ وكتب الحجاج بن يوسف الى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء فى الجاهلية وأشعر شعراء وقته فقال أشعر شعراء الجاهلية امرؤ القيس وأضربهم مثلا طرفة وأما شعراء الوقت فالفرزدق أفخرهم وجرير أهجاهم والاخطل أوصفهم ٠٠ وأما الحطيئة فسئل عن أشعر الناس فقال أبو دؤاد حيث يقول

لاأعدُّ الإقتارَ عُدْماً ولكن فقدَ مَن قد رزئته الاعدام

وهو وان كان فحلا قديماً وكان امرؤ القيس يتوكأ عليه ويروى شعره فلم يقل فيه أحد من النقاد مقالة الحطيئة ٠٠ وسأله ابن عباس مرة أخرى فقال الذى يقول

ومن يجعلِ المعروفَ من دونِ عرضه يفِرْه ومن لايتق الشتمَ يُشتَمِ

وليس الذي يقول

واستَ بمستبق أخاً لا تلمه على شَعَثٍ أيُّ الرجال المهذب

بدونه ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرولا والله لولا الجشع لكنت أشعر الماضين وأما الباقون فلا شك أنى أشعرهم قال ابن عباس كذلك أنت يا أبا مليكة ٠٠ وزعم ابن أبى الخطاب أن أبا عمرو كان يقول أشعر الناس أربعة امرؤ القيس والنابغة وطرفة

ومهلهل .. قال وقال المفضل سئل الفرزدق فقال امرؤ القيس أشعر الناس وقال جرير النابغة أشعر الناس وقال الاخطل الاعشى أشعر الناس وقال ابن أحمد زهير أشعر الناس وقال ذو الرمة لبيد أشعر الناس وقال الكميت عمرو بن كلثوم أشعر الناس وهذا يدلك على اختلاف الأهواء وقلة الاتفاق .. وكان ابن أبي اسحق وهو عالم ناقد ومتقدم مشهور يقول أشعر الجاهلية مرقش وأشعر الاسلاميين كثير وهذا غلو مفرط غير أنهم مجمعون على أنه أول من أطال المدح .. وسأل عبد الملك بن مروان الاخطل من أشعر الناس فقال العبد العجلانى يعني تميم بن مقبل قال بم ذاك قال وجدته في بطحاء الشعر والشعراء على الحرفين قال أعرف ذلك له كرهاً ..وقيل لنصيب مرة من أشعر العرب فقال أخو تميم يعنى علقمة بن أبي عبدة وقيل أوس بن حجر وليس لاحد من الشعراء بعد امرىء القيس ما لزهير والنابغة والاعشى فى النفوس .. والذى أتت به الرواية عن يونس ابن حبيب النحوي أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس وان أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى وان أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والنابغة وكان أهل العالية لا يعدلون بالنابغة أحداً كما أن أهل الحجاز لا يعدلون بزهير أحداً ..وروي ابن سلام يرفعه عن عبدالله بن عباس أنه قال قال لي عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنشدني لاشعر شعرائكم قلت من هو يا أمير المؤمنين قال زهير قلت ولم كان كذلك قال كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتتبع حوشيَّه ولا يمدح الرجل الا بما فيه ثم قال ابن سلام على عقب هذا الكلام قال أهل النظر كان زهير أحصفهم شعراً وأبعدهم من سخف وأجمعهم لكثير من المعانى فى قليل من المنطق وأشدهم مبالغة في المدح .. قال صاحب الكتاب واذا قوبل آخر كلام عمر بآخر هذا الكلام تناقض قول المؤلف أعنى ابن سلام لأن عمر انما وصفه بالحذق فى صناعته والصدق فى منطقه لانه لا يحسن فى صناعة الشعر أن يعطى الرجل فوق حقه من المدح لئلا يخرج الامر الى التنقص والازراء كما أخذ ذلك على أبى الطيب وغيره آنفاً وقد فسد الوقت ومات أرباب الصناعة فما ظنك والناس ناس والزمان زمان وسيرد عليك فى مكانه من هذا الكتاب ان شاء الله وقد استحسن عمر الصدق لذاته ولما فيه من مكارم الاخلاق والمبالغة بخلاف ما وصف ويشهد قول عمر رضى الله عنه فى زهير أنه لا يمدح الرجل الا بما فيه استحساناً لصدقه

ما جاء به الاثر أن رجلا قال لزهير انى سمعتك تقول لهرم

ولأنت أشجعُ من أسامةَ اذ دعيتْ نزال ولج فى الذُعر

وأنت لا تكذب في شعرك فكيف جعلته أشجع من الاسد فقال إنى رأيتـه فتح مدينة وحده وما رأيت أسداً فتحها قط .. فقد خرج لنفسه طريقاً الى الصدق وعدى عن المبالغة .. والذي أعرف انا أن البيت المتقدم ذكره لأوس بن حجر والحكاية عنه ومثلها عن عمران بن حطان الخارجي لما سألته امرأتهُ كيف قلت

فهناك مجزأة بن نو ركان أشجعَ من أسامه

وصدر بيت زهير بن أبى سلمى

ولنعم حشوُ الدرع أنتَ اذا دعيتْ نزالِ ولج فى الذُعر

الا أن تكون الاخرى رواية فلا أبعـدها لأن زهيراً كان يتوكأ على أوس فى كثيرمن شعره وهي رواية الجمحي لاأظن غير ذلك فأما بيت زهير فى هذا المعنى فهو

ولانتَ أشجعُ حين تتجه الـ ابطالُ من ليث أبى أجرِ

.. وأما النابغة فقال من يحتج له كان أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام وأذهبهم في فنون الشعر وأكثرهم طويلة جيدة ومدحاً وهجاءً وفخراً وصفة .. وقال بعض متقدمي العلماء الاعشي أشعر الاربعة قيل له فأين الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرأ القيس بيده لواء الشعراء فقال بهذا الخبر صح للأعشى ما قلت وذلك انه مامن حامل لواء الاعلى رأس أمير فامرؤُ القيس حامل اللواء والأعشى الأمير .. وقالت طائفة من المتعقبين الشعراء ثلاثة جاهلي واسلامي ومولد فالجاهلي امرؤُ القيس والاسلامى ذو الرمة والمولد ابن المعتز .. وهذا قول من يفضل البديع بخاصة التشبيه على جميع فنون الشعر .. وطائفة أخرى تقول بل الثلاثة الأعشى والأخطل وأبو نواس وهذا مذهب أصحاب الخمر وما ناسبها ومن يقول بالتصرف وقلة التكلف .. وقال قوم بل الثلاثة مهلهل وابن أبى ربيعة وعباس بن الأحنف وهذا قول من يؤثر الأنفة وسهولة الكلام والقدرة على الصنعة والتجويد فى فن واحـد ولولا ذلك لـكان شيخ الطبع أبو العتاهية مكان عباس لـكن أبا العتاهية تصرف .. وليس فى المولدين أشهر اسماً من

الحسن أبي نواس ثم حبيب والبحتري ويقال انهما أخملا في زمانهما خمسمائة شاعر كلهم مجيد ثم يتبعهما في الاشتهار ابن الرومي وابن المعتز فطار اسم ابن المعتز حتى صار كالحسن في المولدين وامرئ القيس في القدماء فان هؤلاء الثلاثة لا يكاد أن يجهلهم أحد من الناس ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس .. والاشتهار بالشعر أقسام وجدود ولولا ذلك لم يكن نصر بن احمد الخبزرزي أشهر من منصور النمري وكلثوم العتابي وأبي يعقوب الخزيمي وأبي سعيد المخزومي وفوق هؤلاء كلهم طبقة في السن أشهرهم وأشعرهم بشار ابن برد وليس يفضل على الحسن مولد سواه كذا روى الجاحظ وغيره من العلماء.. ومن طبقة بشار مروان بن أبي حفصة وأبو دلامة زيد بن الجون الاعرابي وقيل زبد بالباء معجمة بواحدة ساكنة ومتحركة حكاه المرزباني والسيد الحميري وسلم الخاسر وأبو العتاهية وجماعة يطول بهم الشرح ليس فيهم مثله .. ومن طبقة أبي نواس العباس بن الاحنف ومسلم بن الوليد صريع الغواني والفضل الرقاشي وأبان اللاحقي وأبو الشيص والحسين بن الضحاك الخليع ودعبل ونظراء هؤلاء ساقتهم دِعبل ليس فيهم نظير أبي نواس وأما طبقة حبيب والبحتري وابن المعتز وابن الرومي فطبقة متداركة قد تلاحقوا وغطوا على من سواهم حتى نسي معهم بقية مَن أدرك أبا نواس كابن المعذل وهو من فحول المحدثين وصدورهم المعدودين غمره حبيب ذكراً واشتهاراً وكأبي هفان أيضاً أدرك أبا نواس ولحق البحتري فستره وكذلك الجماز وللجماز يقول أبو نواس

أسقني يا بن أذين ... من سلاف الزرجون

وديك الجن وهو شاعر الشام لم يذكر مع أبي تمام الا مجازاً وهو أقدم منه وقد كان أبو تمام أخذ عنه أمثلة من شعره يحتذي عليها فسرقها ودعبل ما أصاب مع أبي تمام طريقاً على تقدمه في السن والشهرة ولم يذكر من أصحاب ابن الرومي وابن المعتز الا من ذكر بسببهما في مكاتبة أو مناقضة وأما أبو الطيب فلم يذكر معه شاعر الا أبو فراس وحده ولولا مكانه من السلطان لأخفاه وكان الصنوبري والخبزرزي مقدمين عليه للسن ثم سقطا عنه على أن الصنوبري يسمى حبيباً الأصغر لجودة شعره ولقبه مرة بالمصيصة أوغيرها فقال له يهزأ به أنت صاحب بغادين يريد قصيدته

شربنا في بغادين ... على تلك الميادين

لما فيها من المجون والخلاعة فقال له الصنوبري أنت صاحب الطرطبة يريد قصيدته

ما أنصف القومُ ضبه وأمّــه الطرطبـــه

لما فيها من اللين والركاكة ولكل كلام وجه وتأويل ومن التمس عيباً وجده وقيل بل قال له أنت صاحب جاخا قال نعم قال أنت شاعر بلدك يريد قوله في صفة الوعل

ذاكَ أم أعصمٌ كأن مذريَاهُ حينَ عاجا على القذالين ِجاخا

باب المقلين من الشعراء والمغلّبين

ولما كان المشاهير من الشعراء كما قدمت أكثر من أن يحصوا ذكرت من المقلين وأصحاب الواحدة من وسع ذكره في هذا الموضع ونبهت على بعض المغلبين منهم لما تدعو اليه حاجة التأليف وتقتضيه عادة التصنيف غير مفرّط ولا مفرِط ان شاء الله .. فمن المقلين في الشعر طرفة بن العبد وعَبيد بن الأبرص وعلقمة بن عبدة الفحل وعدي ابن زيد .. وطرفة افضل الناس واحدة عند العلماء وهي المعلقة * لخولة اطلال ببرقة ثهمد * وله سواها يسير لانه قتل صغيراً حول العشرين فيما روي وأصح ما في ذلك قول اخته ترثيه

عددنا له ستاً وعشرينَ حجة فلما توفاها استوى سيداً ضخما

فجعنا به لمـا رجونا ايابه على خيرِ حال لاوليداً ولاقحما

انشده المبرد — والقحم — المتناهي في السن .. وعبيد بن الأبرص قليل الشعر في ايدي الناس على قدم ذكره وعظم شهرته وطول عمره ويقال انه عاش ثلاثمائة سنة وكذلك أبو دؤاد وعبيد الذي أجاب امرأ القيس عن قوله حين قتلت بنو أسد أباه حجراً

وافلتهن علباءُ جريضا ولوأدركنه صفر الوطابُ

فقال له عبيد وقرعه بقسم من شعره

فلوأدركت علباء بن قيس قنعت من الغنيمةِ بالايابِ

لأن امرأ القيس قد كان قال

وقد طوّفتُ في الآفاقِ حتى رضيتُ من الغنيمة بالاياب

وقتل عبيداً النعمان بن المنذر يوم بؤسه وقيل عمرو بن هند ٠٠ وعلقمة بن عبدة حاكم امرأ القيس فى شعره الى امرأته فحكمت عليه لعلقمة فطلقها وتزوجها علقمة فسمى الفحل لذلك وقيل بل كان فى قومه آخر يسمى علقمة الخصي من ربيعة الجوع ٠٠ ولعلقمة الفحل ثلاثة قصائد مشهورات احداهن

* ذهبت من الهجران فى كل مذهب *

ويروي – فى غير مذهب – وفي هذه القصيدة وقع الحكم له على امرىء القيس ٠٠ والثانية قوله

* طحى بك قلبٌ فى الحسان طروبُ *

والثالثة قوله * هل ما علمتَ وما استودعتَ مكتوم *

وأما عدي بن زيد فلقربه من الريف وسكناه الحيرة في حيز النعمان بن المنذر لانت ألفاظه فحمل عليه كثير والا فهو مقل ومشهوراته أربع قوله

* أرواحَ مودعٍ أم بكورُ *

٠٠ وقوله * أتعرفُ رسمَ الدار من أمِّ معبد *

٠٠ وقوله * ليس شئٌ من المنونِ بباقى *

٠٠ وقوله لم أر مثلَ الفتيان في غِيَرِ الـأيام ينسون ماعواقبها

وقال بعض العلماء أحسبه أبا عمرو عديٌّ في الشعراء مثل سهيل فى النجوم يعارضها ولا يجرى معها هؤلاءِ أشعارهم كثيرة في ذاتها قليلة فى أيدى الناس ذهبت بذهاب الروات الذين يحملونها ٠٠ ومن المقلين المحكمين سلامة بن جندل وحصين بن الحمام المرى والمتلمس والمسيب بن علس كل أشعارهم قليل فى ذاته جيد الجملة ٠٠ ويروى عن أبى عبيدة أنه قال اتفقوا على أن أشعر المقلين فى الجاهلية ثلاثة المتلمس والمسيب بن علس وحصين ابن الحمام المري وأما أصحاب الواحدة فطرفة أولهم عند الجمحى وهو الحكم الصواب ومنهم عنترة والحارث بن حِلزة وعمرو بن كلثوم من أصحاب المعلقات المشهورات وعمرو ابن معدي كرب صاحب * أمن ريحانة الداعي السميعُ *

والاشعر بن حمدان الجعفي صاحب المقصورة

* هل بان قلبك من سليمى فاشتفى *

وسهيل بن أبى كاهل صاحب

* بسطت رابعةُ الحبلَ لنا *

والاسود بن يعفر صاحب

* نام الخلىُّ فما أحسُّ رقادى *

وله شعر كثير الا أنه لاينتهى الى قصيدته هذه •• وكان امرؤ القيس مقلا كثير المعانى والتصرف لايصح له الانيف وعشرون شعراً بين طويل وقطعة ولاترى شاعراً يكاد يفلت من حبائله وهذه زيادة فى فضله وتقديمه •• وأما المغلبون فمنهم نابغة بنى جعدة ومعنى المغلب الذى لا يزال مغلوباً •• قال امرؤُ القيس

فانك لم يفخرْ عليكَ كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يغلبك مثلُ مغلَّبِ

يعنى أنه اذا قدر لم يبق فاذا قالوا غلب فلان فهو الغالب •• وقد غلب على الجعدى أوس بن مغراء القريعي وغلبت عليه ليلى الأخيلية قال الجمحي وقد غلب عليه من لم يكن اليه فى الشعر ولا قريباً منه عقال بن خويلد العقيلى وكان مفحماً عليه بكلام لا بشعر وهجاه سوار بن أوفى القشيرى وهاجاه وفاخره الأخطل وله يقول عبيد بن حصين الراعى يتوعده

فانى زعيمٌ أن أقولَ قصيدةً مبينةً كالنقبِ بين المخارم
خفيفةَ اعجازِ المطىّ ثقيلة على قربها نزالةً بالمواسم

وقد علم الكافة ما صنع جرير بالاخطل والراعي جميعاً وقيل ان موت الجعدي كان بسبب ليلى الاخيلية فر من بين يديها فمات فى الطريق مسافراً والاصح انها هى التى ماتت فى طلبه •• قال الجمحي كان النابغة الجعدى أقدم من الذبياني لانه أدرك المنذر ابن محرق ويشهد بذلك قوله

تذكرتُ والذكرى تهيج على الفتى ومن عادةِ المحزونِ أن يتذكرا
ندامای عند المنذرِ بنِ محرّق فأصبحَ منهم ظاهرُ الأرضِ مقفرا

والذبيانى إنما أدرك النعمان •• وقال غيره ان النابغة الذبياني شفع عند الحارث بن أبى

شمر الغساني حين قتل المنذر فى أسارى بنى أسد فشفعه .. وإياه عنى علقمة بن عبدة بقوله

وفي كل حيّ قد خبطت بنعمة ... فحق لشاس من نداك ذنوب

قال الجمحي وكان الجعدى مختلف الشعر سئل عنه الفرزدق فقال مثله مثل صاحب الخلقان تري عنده ثوب عصب وثوب خز والى جنبه شملة كساء وكان الأصمعي يمدحه بهذا وينسبه الى قلة التكلف فيقول عنده خمار بواف ومطرف بآلاف - بواف - يعنى بدرهم وثلث .. ومن المغلبين الزبرقان غلبه عمرو بن الأهتم وغلبه المخبل السعدي وغلبه الحطيئة وقد أجاب الاثنين ولم يجب الحطيئة .. وقال يونس بن حبيب كان البعيث مغلباً في الشعر غلاباً في الخطب .. ومنهم تميم بن أبي مقبل هجاه النجاشي فقهره وغلب عليه حتى استعدي قومه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم يكن من اشكاله في الشعر فيقرن به وهاجي النجاشي عبد الرحمن بن حسان فغلبه عبد الرحمن وأفحمه .. وحدثنا أبو عبد الله محمد بن جعفر قال هجي الأعور بن براء بني كعب ومدح قومه بنى كلاب فأتت بنو كعب تميم بن أبى مقبل ينتصرون عليه به فقال لا أهجوهم ولكني أقول فارووا فقد جاءكم الشعر وقال

ولستُ وان شاحنتُ بعضَ عشيرتى ... لاذكرَ ما الكهلُ الكلابيُّ ذاكر

فكم ليَ من أمٍّ لعبتُ بثديها ... كلابيةٍ عادتْ عليها الأواصر

فأتت الاعور بن براء بنو كعب فعنفوه ورجعوا عليه فقال

ولستُ بشاتمٍ كعباً ولكن ... على كعبٍ وشاعرِها السلامُ

ولستُ ببائعٍ قوماً بقومٍ ... هم الأنفُ المقدَّمُ والسنامُ

وكائنْ في المعاشرِ من قبيل ... أخوهم فوقهم وهم كرام

متساملا وكان سبب ذلك اغضاء ابن مقبل واعطاؤه المقادة هرباً من الهجاء وقوم يرون ذلك منه أنفة .. ومن مغلبي المولدين على جلالته وتقدمه بشار بن برد فان حماد عجرد وليس من رجاله ولا أكفائه هجاه فأبكاه ومثّل به أشد تمثيل .. وعلى بن الجهم هاجا أبا السمط فروان بن أبى الجنوب فغلبه مروان وهاجاه البحترى فغلب عليه أيضاً على أن علياً أقذع منه لساناً وأسبق الى ما يريده من ذلك وأقدم سناً .. ومنهم حبيب هاجا السراج وعتبة

فما أتى بشيء وهجاه ابن المعذل حين أراد وجهته فقال أما هذا فقد كفي ناحيته ولم يقدم عليه على أن حبيباً أطول منه ذكراً وأبعد صوتاً في الشعر والذى قال له

أنتَ بين اثنتين تبرز للنا ... س لكلتيهما بوجه مذال

لستَ تنفكُّ طالباً لوصال ... من حبيب أوراغباً فى نوال

أيُّ ماء لحر وجهك يبقي ... بين ذل الهوي وذل السؤال

ورأيت فى شعر ابن المعذل في رواية المبرد أن عبد الصمد اجتمع بحبيب عند بعض بنى هاشم فكتب فى رقعة هذه الابيات المذكورة وألقاها اليه وهاجى دعبلا فاستطال عليه دعبل أيضاً

باب من رغب من الشعراء عن ملاحاة غير الاكفاء

منهم الزبرقان بن بدر لما هجاه المخبل السعدى جاوبه بعتاب لانه رآه أهلا لذلك من أجل شرف بيته وجلالته في نفسه فلما هجاه الحطيئة لم يره مكاناً للجواب على أنه ابن عمه وجاره فى النسب لانهما جميعاً من مضر بل استعدى عليه عمر رضى الله عنه فأنصفه .. وسُحيم بن وُثيل يقول للأحوص والابيرد ابنى المعذر وهما شاعران مغلقان وقال عبدالكريم الابيرد بن ابى الاحوص

عذرتُ البزلَ إن هي خاطرتنى ... فما بالى وبال ابنى لبون

فأنت ترى هذا الاحتقار .. ومثل هذا وان لم يكن من هذا الباب بحتاً قول الفرزدق لعمر بن لجأ لما أعانه الفرزدق على جرير بشعر وفطن له جرير فدهش عمر ولم يجد جواباً فقال الفرزدق حين بلغه ذلك يستضعفه ويستوهن عزمه

وما أنتَ إن قوما تميمٍ نساميا ... أخا التيم الا كالوشيظة فى العظم

فلو كنت مولي العزّ أوفي طلابه ... ظلمتَ ولكن لايدى لك بالظلم

والفرزدق قال فيه الطرماح من شعر هجا فيه بيوت بني سعد

وأسأل فقيرة بالمروت هل شهدت شوطَ الحطيئة بين الكسر والنضَدِ
أو كان في غالب شعر فيشبهه شعر ابنه فينال الشعر من صدد
جاءت به نطفة من شرٍّ ماء صرى سيقت الى شر واد شُقَّ في بلد

فقال الفرزدق يتهاون بأمره ويستحقره

ان الطرماحَ يهجوني لارفعه أيهات أيهات عيلت دونه القضب

-عيلت دونه القضب- أي رفعت عنه القصائد من قولهم عالت الفريضة أي ارتفعت والقضيب القصيدة لانها تقتضب .. وجرير هجاه بشار بن برد بأشعار كثيرة فلم يجبه قال بشار ولم أهجه لاغلبه ولكن ليجيبني فأكون من طبقته ولو هجاني لكنت أشعر الناس .. وهجا حماد عجرد بشاراً فلم يجبه أنفة واحتقاراً الى أن قال فيه

له مقلةٌ عمياء واستٌ بصيرةٌ الى الاير من تحتَ الثياب نشيرُ
على ودّه أنَّ الحميرَ تنيكه وأن جميعَ العالمينَ حميرُ

فغضب وهجاه .. قال الجاحظ ماكان ينبغي لبشار أن يضاد حماد عجرد من جهة الشعر لان حماداً في الحضيض وبشاراً في العيوق وليس مولد قروي يعد شعره في المحدث الا وبشار أشعر منه ولا نعلم مولداً بعد بشار أشعر من أبي نواس .. وهجا ابن الرومي البحتري وابن الرومي من علمت فأهدى اليه تخت متاع وكيس دراهم وكتب اليه ليريه أن الهدية ليست تقية منه ولكن رقة عليه وانه لم يحمله على ما فعل الا الفقر والحسد المفرط

شاعرٌ لا أهابه نبحتني كلابه أن من لا أعزه لعزيز جوابه

وأبو تمام هجاه دعبل وغيره من الاكفاء فجاوبهم وابتدأ بعضهم ولم يلتفت الى مخلد ابن بكار الموصلي حين قال فيه وكانت في حبيب حبسة شديدة اذا تكلم

يا نبيَّ الله في الشعر ويا عيسى بنَ مريم
أنت من أشعر خلقِ الله ما لم تتكلم

وقال فيه أشعاراً كثيرة منها

أنظرْ اليه والى خبثهِ كيف نطايا وهو منشور

ويحك من دلاك في نسبة قلبك منها الدهر مذعور
ان ذكرت طاله على فرسخ أظلم في ناظرك النور

بل رآه دون المهاجاة والجواب ولو هجاه لشرفت حاله وانتبه ذكره .. وكذلك فعل المتنبي حين بلى بحماقات ابن حجاج البغدادى سكت عنه اطراحاً واحتقاراً ولو أجابه لما كان هو بحيث هو من الانفة والكبر لانه ليس من أنداده ولا من طبقته .. ولما وصل أبو القاسم بن هانيء الى افريقية هجاه الشعراء فقال لا أجيب منهم أحداً الا ان يهجوني عليّ التونسى فاني أجيبه فلما بلغ قوله علياً قال أما انى لو كنت ألأم الناس ماهجوته بعد أن شرفنى على أصحابي وجعلنى من بينهم كفءاً له .. ومن الشعراء من يتزيا بالكبر ويظهر الانفة فى الجواب عن هجاء من هو مثله أو فوقه خوفا من الزراية على نفسه مما وقع فيه كجماعة أعرفهم من أهل عصرنا وهم ينسرعون الى أعراض السوقة والباعة ويستفحلون على الصبيان ومَن ليس من أهل الصناعة ولو كانت لهم أنفة كما يزعمون الا عن الاكفاء لكانوا عمن لا يحسن شيئاً بالجملة ولا يُعدُّ فى الخاصة أشد تنزها .. ومنهم من لا يهجو كفءاً ولا غيره لما فى الهجو من سوء الاثر وقبح السمعة كالذى يحكي عن العجاج أنه قيل له لم لا تهجو فقال ولم أهجو ان لنا أحسابا تمنعنا من أن نُظلَمَ وأحلاما تمنعنا من أن نَظلِمَ وهل رأيتم بانياً لا يحسن أن يهدم ثم قال أتعلمون انى أحسن أن أمدح قالوا نعم قال أفلا أُحسن أن أجعل مكان أصلحك الله قبحك الله ومكان حياك الله أخزاك الله .. وقد رد ابن قتيبة هذا القول على العجاج بأن الهجاءَ أيضاً بناء وليس كل بان لضرب بانياً لغيره .. ورده الجاحظ بأن من الشعراء من لا يجيد فناً من الشعر وان أجاد فنا غيره كما يوجد ذلك فى كل صناعة .. ومعنى الجاحظ وابن قتيبة واحد وان اختلف اللفظان والصواب ما قالا الا أن يعرف من الشاعر أنف عن قدرة لا تُدفع وبعد تجربة لا تُستراب فحينئذ .. وسئل نُصيب عن مثل ذلك فقال انما الناس أحد ثلاثة رجل لم أعرض لسؤاله فما وجه ذمه ورجل سألته فأعطاني فالمدح أولى به من الهجاء ورجل سألته فحرمنى فأنا بالهجاء أولي منه وهذا كلام عاقل منصف لو أخذ به الشعراءُ أنفسهم لاستراحوا واستراح الناس .. وقد كان في زماننا من انتحل هذا المذهب وهو أبو محمد عبد الكريم بن ابراهيم لم يهج أحداً قط .. ومن أناشيده فى

كتابه المشهور لغيره من الشعراء

ولستُ بهاجٍ في القرى أهلَ منزلٍ على زادِهم أبكي وأُبكي البواكيا
فاما كرامٌ موسرون أتيتهم فحسبيَ مِن ذو عندهم ما كفانيا
واما كرامٌ معسرونَ عذرتهم واما لئامٌ فادّخرتُ حيائيا

وهذا مثل كلام نصيب فى المنثور الذى تقدم وانما ذكرت هؤلاء لانهم يمدحون ولا ترضون بالهجاء وأما من لا يمدح فأحرى أن لا يهجو أحداً على أن منهم من لم يقل قط الا هجواً أو شبيهاً به كيحيى بن نوفل ذكره دعبل فى طبقاته ونجِدُ له من أهل عصرنا نظراءَ عدة

باب فى الشعراء والشعر

طبقات الشعراء أربع جاهلي قديم ومخضرم وهو الذى أدرك الجاهلية والاسلام وإسلامي ومحدَث ثم صار المحدَثون طبقات أولى وثانية على التدريج وهكذا في الهبوط الى وقتنا هذا فليعلم المتأخر مقدار ما بقي له من الشعر فيتصفح مقدار من قبله لينظر كم بين المخضرم والجاهلي وبين الاسلامي والمخضرم وان المحدث الاول فضلا عمن دونه دونهم فى المنزلة على أنه أغمض مسلكا وأرقّ حاشية فاذا رأي أنه ساقةُ الساقة تحفظ على نفسه وعلم من أين يؤتي ولم تغرُرْه حلاوة لفظه ولا رشاقة معناه ففي الجاهلية والاسلام من ذهب بكل حلاوة ورشاقة وسبق الى كل طلاوة ولباقة .. قال أبو الحسن الأخفش يقال ماء خِضرِمٌ اذا تناهي فى الكثرة والسعة فمنه سمى الرجل الذى شهد الجاهلية والاسلام مُخضرَماً كأنه استوفى الأمرين قال ويقال أُذُنٌ مُخضرَمةٌ اذا كانت مقطوعة فكأنه انقطع عن الجاهلية الى الاسلام .. وحكى ابن قتيبة عن عبد الرحمن عن عمه قال أسلم قوم فى الجاهلية على ابل قطعوا آذانها فسمى كل من أدرك الجاهلية والاسلام مخضرَماً وزعم أنه لا يكون مخضرماً حتي يكون اسلامه بعد وفاة النبي صلي الله عليه وسلم وقد أدركه كبيراً ولم يُسلِم وهذا عندى خطأ لأن النابغة الجعدى ولبيداً قد وقع

عليهما هذا الاسم ٠٠ وأما علي بن الحسين كُرَاعٌ فقد حكى شاعر محضرم بحاء غير معجمة مأخوذ من الحضرمة وهي الخلط لأنه خلط الجاهلية بالاسلام ٠٠ وأنشد بعض العلماء ولم يَذكر قائله

الشعراءُ فاعلمنَّ أربعه   فشاعرٌ لا يُرتجي لمنفعه
وشاعرٌ ينشد وسط المجمعه   وشاعر آخر لا يجرى معه
وشاعرٌ يقالُ خمرٌ في دعه

وهكذا رويتها عن أبي محمد عبد العزيز بن أبي سهل رحمه الله وبعض الناس يرويها على خلاف هذا وقد قيل لا يزال المرء مستوراً وفي مندوحة ما لم يصنع شعراً أو يؤلف كتاباً لأن شعره ترجمان علمه وتأليفه عنوان عقله ٠٠ وقال الجاحظ من صنع شعراً أو وضع كتابا فقد استهدف فان أحسن فقد استعطف وان أساء فقد استقذف ٠٠ قال حسان وما أدراك ماهو

وانَّ أشعرَ بيتٍ أنت قائله   بيتٌ يقال اذا أنشدته صدقا
وانما الشعرُ لب المرء يَعرِضه   على المجالس ان كَيساً وإن حمقا

٠٠ وقال محمد بن مناذر وكان اماماً

لا تقلْ شعراً ولا تَهمُمْ به   واذا ما قلتَ شعراً فأجد

٠٠ وقال شيطان الشعراء دِعبل بن علي

سأقضي ببيتٍ يَحمدُ الناسُ أمره   ويَكثرُ من أهل الروايات حامِلهْ
يموتُ رديُّ الشعر من قبل أهله   وجيده يبقى وان مات قائله

وقالوا الشعراء أربعة شاعر خِنذِيذ وهو الذى يجمع الى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره وسئل رؤبة عن الفحولة قال هم الرواة ٠٠ وشاعر مفلق وهو الذي لا رواية له الاَّ أنه مجوّد كالخنذيذ في شعره ٠٠ وشاعر فقط وهو فوق الرديّ بدرجة ٠٠ وشُعرُورٌ وهو لا شيء ٠٠ قال بعض الشعراء لآخر هجاه

يارابع الشعراء كيف هجوتنى   وزعمتَ أنى مُفحَمٌ لا أنطقُ

وقيـل بل هم شاعر مُفلق وشاعر مُطلق وشُوَيعر وشُعرُور والمفلق هو الذي يأتي في شعره بالفلق وهو العجب وقيل الفلق الداهية .. قال الاصمعي فالشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران سماه بذلك امرؤ القيس ومثل عبد العزّى المعروف بالشويعر وهو الذي يقول

فَنلتُ به ثأري وأدركتُ ثؤرتي   اذا ما تناسي ذَحله كل غَيهب

وهو الضعيف عن طلب ثأره روى بالغين معجمة وبالعين غير معجمة .. قال الجاحظ والشويعر أيضاً عبد ياليل من بنى سعد بن ليث وقيل اسمه ربيعة بن عثمان وهو القائل

وأفلتنا أبو ليلى طفيلٌ   صحيحَ الجلدِ من أثرِ السلاح

وقال بعضهم شاعر وشويعر وشعرور .. وقال العبدي في شاعر يدعى المفوف من بنى ضبة ثم من بنى حميس

ألا تنهي سَراتُ بنى حُميس   شوَيعرَها فُوَيلية الافاعي

فسماه شويعراً — وفالية الافاعي — دويبة فوق الخنفساء فصغرها أيضاً تحقيراً له .. وزعم الحاتمى أن النابغة سئل من أشعر الناس فقال من استجيد جيده وأضحك رديه وهـذا كلام يستحيل مثله عن النابغة لانه اذا أضحك رديه كان من سفلة الشعراء الا أن يكون ذلك في الهجاء خاصة .. وقال الحطيئة

الشعرُ صعبٌ وطويلٌ سُلّمه   والشعرُ لا يسطيعه من يظلمه

اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه   زلّتْ به الى الحضيض قدمُه

يريد أن يعربه فيعجمه

وانما سمي الشاعر شاعراً لانه يَشعرُ بما لا يشعر له غيره فاذا لم يكن عند الشاعر توليـد معنى ولا اختراعه أو استظراف لفظ وابتداعه أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعانى أو نقص مما أطاله سواه من الالفـاظ أو صرف معنى الى وجه عن وجه آخر كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ولم يكن له الا فضل الوزن وليس بفضل عندي مع التقصير.. ولقي رجل آخر فقال له ان الشعراء ثلاثة شاعر وشويعر وماصّ بظرامه فأيهم أنت قال أما أنا فشويعر واختصم أنت وامرأ القيس في الباقي .. وقال بعضهم الشعر شعران جيد

محكاك وردئ مضحك ولا شئ أثقل من الشعر الوسط والغناء الوسط .. وقد قال ابن الرومى يهجو ابن طيفور

عدمتك يا ابن أبي الطاهر وأُطعمتُ ثكلك من شاعر

فما أنتَ سخنٌ ولا بارد وما بينَ ذين سوى الفاتر

وأنت كذاك تغثى النفو سَ تغثية الفاتر الخاثر

وقد يجوز أن يكون النابغة أشار فيما حكي عنه الحاتمي من الردئ المضحك الى هذا النحو .. وقيل عمل الشعر على الحاذق به أشد من نقل الصخر ويقال ان الشعر كالبحر أهون ما يكون على الجاهل أهول ما يكون على العالم وأتعب أصحابه قلباً من عرفه حق معرفته وأهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلته من نحو وغريب ومثل وخبر وما أشبه ذلك ولو كانوا دونهم بدرجات وكيف وان قاربوهم أو كانوا منهم بسبب .. وقد كان أبو عمرو ابن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الاحمر في حلبة هذه الصناعة أعني النقد ولا يشقون له غباراً لنفاذه فيها وحذقه بها واجادته لها وقد يميز الشعر من لا يقوله كالبزاز يميز من الثياب ما لم ينسجه والصيرفي يخبر من الدنانير ما لم يسبكه ولا ضربه حتى انه ليعرف مقدار ما فيه من الغش وغيره فينقص قيمته .. وحكى ان رجلا قال لخلف الاحمر ما أبالي اذا سمعت شعراً استحسنته ما قلتَ أنتَ وأصحابك فيه فقال له اذا أخذت درهما تستحسنه وقال لك الصيرفي انه ردئ هل ينفعك استحسانك إياه .. وقيل للمفضل الضبي لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به قال علمي به هو الذي يمنعني من قوله .. وأنشد

وقد يَقرض الشعرَ البكيُّ لسانه وتُعيي القوافي المرءَ وهو لبيب

والشعر مزلة العقول وذلك ان أحداً ما صنعه قط فكتمه ولو كان رديئاً وانما ذلك لسروره به واكباره إياه وهذه زيادة في فضل الشعر وتنبيه على قدره وحسن موقعه من كل نفس .. وقال الاصمعي على تقدمه في الرواية وميزه بالشعر

أبى الشعر الا أن يفيء رديه عليّ ويأبي منه ما كان محكما

فياليتني اذلم أُجد حوكَ وشيه ولم أكُ من فُرسانه كنتُ مُفحما

وقال عبدالكريم الشعر أصناف ٠٠ فشعر هو خير كله وذلك ما كان في باب الزهد والمواعظ الحسنة والمثل العائد على من تمثل به بالخير وما أشبه ذلك ٠٠ وشعر هو ظرف كله وذلك القول فى الاوصاف والنعوت والتشبيه وما يُفتنّ به من المعانى والآداب ٠٠ وشعر هو شر كله وذلك الهجاء وما تسرع به الشاعر الى اعراض الناس ٠٠ وشعر يتكسب به وذلك أن يحمل الى كل سوق ما يَنفقُ فيها ويخاطب كل انسان من حيث هو ويأتى اليه من جهة فهمه ٠٠ وذكر الجمحى فى الشعراء المقاحم والثنيان قال ـ والمقحم ـ الذى يقتحم سنا الى أخري وليس بالبازل ولا المستحكم وأنشد لأوس بن حَجَر

وقدرام بحري قبل ذلك طامياً من الشعراء كلُّ عَوْد ومقحم

قال ـ والثنيان ـ الواهن العاجز وأنشد لأوس بن مَغرَاء

ترى ثنانا اذا ما جاء بَدْأهم وبدؤهم ان أتانا كان ثُنيانا

قال غيره الثنيان الذى ليس بالرئيس بل هو دونه وأنشدوا لنابغة بني ذبيان يخاطب يزيد بن الصعق

يصدُّ الشاعر الثنيان عنى صدودَ البكر عن قرمٍ هجان

قال الجمحى وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما يثقفه اللسان من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يُبصره ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون ولا مَسّ ولا طراوة ولا دنس ولا صفة ويعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف بَهْرَجها وزائفها وسَتوقها ومفرَغها ومنه البصر بأنواع المتاع وضروبه وصنوفه مع تشابه لونه ومسه وذرعه واختلاف بلاده حتى يَرُدَّ كل صنف منها الى بلده الذى خرج منه وكذلك بصر الرقيق فتوصف الجارية فيقال ناصعة اللون جيدة الشطب نقية الثغر حسنة العين والأنف جيدة النهدين ظريفة اللسان واردة الشَّعر فتكون بهذه الصفة بمائة دينار وبمائتي دينار وتكون أخرى بألف دينار وألفي دينار ولكن لا يجد واصفها مزيداً على هذه الصفة وتوصف الدابة فيقال خفيف العنان لين الظهر جيد الحافر فتي السن نقي العيون فيكون بخمسين ديناراً أو نحوها وتكون أخري بمائتي

دينار وأكثر تكون هذه صفتها ويقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء انه لندي الحلق حسن الصوت طويل النفس مصيبُ اللحنِ وتوصف الاخرى والاخري بهذه الصفة وبينهما بون بعيد يعرف ذلك أهل العلم به عند المعاينة والاستماع بلا صفة ينتهي اليها ولا علم يوقف عليه وان كثرة المدارسة للشيء لتُعين على العلم به وكذلك الشعر يعرفه أهل العلم به .. وسمعت بعض الحذاق يقول ليس للجودة في الشعر صفة انما هو شيء يقع في النفس عند المميز كالفرند في السيف والملاحة في الوجه وهذا راجع الى قول الجمحى بل هو بعينه وانما فيه فضلُ الاختصار

باب حد الشعر وبنيته

البنيةُ من أربعة أشياء وهي اللفظ والوزن والمعنى والقافية فهذا هو حد الشعر لأن من الكلام موزوناً مقفىً وليس بشعر لعدم الصنعة والبنية كأشياء اتزنت من القرآن ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر والمتزن ماعرض على الوزن فقبله فكأن الفعل صار له ولهذه العلة سمي ما جرى هذا المجرى من الأفعال فعل مطاوعة هذا هو الصحيح وعند طائفة من أصحاب الجدل أن المنفعل والمفتعل لافاعل لهما نحو شويت اللحم فهو منشوٍ ومشتوٍ وبنيت الحائط فهو منبنٍ ووزنت الدينار فهو متزن وهذا محال لا يصح مثله في العقول وهو يؤدى الى مالاحاجة لنا به ومعاذ الله أن يكون مراد القوم في ذلك الا المجاز والاتساع والا فليس هذا مما يغلط فيه مَن رق ذهنه وصفا خاطره وانما جئت بهذا الفصل احتجاجاً على مَن زعم أن المتزن غير داخل في الوزن واذا لم يعرض المتزن على الوزن فيوجد موزوناً فمن أين يعلم أنه متزن وكيف يقع عليه هذا الاسم ..وقال بعض العلماء بهذا الشأن بنى الشعر على أربعة أركان وهي المدح والهجاء والنسيب والرثاء..وقالوا قواعد الشعر أربع الرغبة والرهبة والطرب والغضب فمع الرغبة يكون المدح والشكر ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب

الموجع .. وقال الرماني علي بن عيسى أكثر ماتجري عليه اغراض الشعر خمسة النسيب والمدح والهجاء والفخر والوصف ويدخل التشبيه والاستعارة في باب الوصف .. وقال عبد الملك بن مروان لارطاة بن سُهية أتقول الشعر اليوم فقال والله ماأطرب ولا أغضب ولا أشرب ولا أرغب وانما يجيء الشعر عند احداهن .. قال أبو علي البصير

مدحت الأمير الفتحَ أطلب عُرفَهُ وهل يستزاد قائل وهو راغب

فأفني فنونَ الشعر وهي كثيرةٌ وما فنيت آثاره والمناقبُ

فجعل الرغبة غاية لا مزيد عليها .. وقال عبد الكريم يجمع أصناف الشعر أربعة المديح والهجاء والحكمة واللهو ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون فيكون في المديح المراثى والافتخار والشكر ثم يكون من الهجاء الذم والعتاب والاستبطاء ومن الحكمة الامثال والتزهيد والمواعظ ويكون من اللهو الغزل والطرب وصفة الخمر والمخمور ..وقال قوم الشعر كله نوعان مدحٌ وهجاء فالى المدح يرجع الرثاء والافتخار والتشبيب وماتعلق بذلك من محمود الوصف كصفات الحمولِ والآثار والتشبيهات الحسان وكذلك تحسين الاخلاق كالامثال والحكم والمواعظ والزهد فى الدنيا والقناعة والهجاءُ ضدُّ ذلك كله غير أن العتاب حال بين حالين فهو طرف لكل واحد منهما وكذلك الاغراء ليس بمدحٍ ولا هجاء لانك لا تغرى بانسان فتقول انه حقير ولا ذليل الاَّ كان عليك وعلى المغرى الدركُ ولا تقصد أيضاً بمدحه الثناء عليه فيكون ذلك على وجهه .. والبيت من الشعر كالبيت من الابنية قراره الطبع وسمكه الرواية ودعائمه العلم وبابهُ الدُّربةُ وساكنه المعنى ولا خير في بيتٍ غيرِ مسكون وصارت الاعاريض والقوافى كالموازين والامثلة للابنية أو كالاواخي والاوتاد للاخبية فأما ماسوى ذلك من محاسن الشعر فانما هو زينة مستأنفة ولو لم تكن لاستُغنيَ عنها .. قال القاضى علي بن عبدالعزيز الجرجانى صاحب كتاب الوساطة الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان وقال ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث والجاهلي والمخضرم والاعرابى والمولد الا أني أرى حاجة المحدث الى

الرواية أمس وأجده الى كثرة الحفظ أفقر فاذا استكشفت عن هذه الحال وجدت سببها والعلة فيها أن المطبوع الذي لا يمكنه تناول ألفاظ العربي الا رواية ولا طريق الى الرواية الا السمع وملاك السمع الحفظ ٠٠ قال دعبل في كتابه من أراد المديح فبالرغبة ومن أراد الهجاء فبالبغضاء ومن أراد التشبيب فبالشوق والعشق ومن أراد المعاتبة فبالاستبطاء فقسم الشعر كما ترى هذه الاقسام الأربعة وكان الرثاء عنده من باب المدح على ماقدمت الا أنه جعل العتاب بدلا منه ٠٠ وقال غير واحد من العلماء الشعر ماشتمل على المثل السائر والاستعارة الرائعة والتشبيه الواقع وماسوى ذلك فانما لقائله فضل الوزن ٠٠ وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي قلت لاعرابي من أشعر الناس قال الذي اذا قال أسرع واذا أسرع أبدع واذا تكلم أسمع واذا مدح رفع واذا هجا وضع ٠٠ وسئل بعض أهل الأدب من أشعر الناس فقال من أكرهك شعره على هجو ذويك ومدح أعاديك يريد الذي تستحسنه فتحفظ منه ما فيه عليك وصمة وخلاف للشهوة وهذا قول أبي الطيب أولا

واسمع من ألفاظه اللغة التي ... يلذ بها سمعي ولو ضمنت شتمي

أخذه من قول أبي تمام

فان أنا لم يمدحك عني صاغراً ... عدوك فاعلم انني خير حامد

واتبعه البحتري في ذلك فقال

ليواصلنك ركب شعري سائراً ... يرويه فيك لحسنه الاعداء

وقال عبد الصمد بن المعذل الشعر كله في ثلاث لفظات وليس كل انسان يحسن تأليفها فاذا مدحت قلت أنت واذا هجوت قلت لست واذا رثيت قلت كنت ٠٠ وقال بعض النقاد أصعب الشعر الرثاء لأنه لا يعمل رغبة ولا رهبة ٠٠ قال ابن قتيبة قال احمد بن يوسف الكاتب لابي يعقوب الخزيمي أنت في مدائحك لمحمد بن منصور كاتب البرامكة أشعر منك في مراثيك له فقال كنا يومئذ نعمل على الرجاء ونحن نعمل اليوم على الوفاء ٠٠ قال صاحب الكتاب ومن هذا المشهور والله أعلم سرق البصير بيته المتقدم في الفتح بن خاقان ٠٠ وقيل لبعضهم ما أحسن الشعر فقال ما أعطى القياد وبلغ المراد ٠٠ وقال أبو عبد الله

وزير المهدي خير الشعر مافهمته العامة ورضيته الخاصة .. وسمعت بعض الشيوخ يقول قال الحذاق لو كانت البلاغة فى التطويل ما سبق اليها أبو نواس والبحترى .. وقال بعض الحذاق من المتعقبين أشعر الناس مَن تخلص فى مدح امرأة ورثائها .. وقال ابن المعتز قيل لمعتوهٍ ما أحسنُ الشعر قال مالم يحجبه عن القلب شيء

باب فى اللفظ والمعنى

اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته فاذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه كما يعرض لبعض الاجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك من غير أن تذهبَ الروح وكذلك ان ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفرُ حظ كالذى يعرض للاجسام من المرض بمرض الارواح ولا تجد معنى يختل الا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياساً على ما قدمت من أدواء الجسوم والارواح فان اختل المعنى كله وفسد بقى اللفظ مواتاً لافائدة فيه وان كان حسن الطلاوة فى السمع كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء فى رأي العين الا أنه لا يُنتفع به ولا يفيد فائدة وكذلك ان اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى لأنا لا نجد روحاً فى غير جسم البتة .. ثم للناس فيما بعد آراء ومذاهب منهم مَن يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايتهُ ووكده وهم فرقٌ قومٌ يذهبون الى فخامة الكلام وجزالته على مذهب العرب من غير تصنع كقول بشار

اذا ما غضبنا غضبةً مضريةً … هتكنا حجابَ الشمسِ أوقطرتْ دما

اذا ما أعرنا سيداً من قبيلةٍ … ذُرى منبرٍ صلي علينا وسلما

وهذا النوع أدل على القوة وأشبه بما وقع فيه من موضع الافتخار وكذلك ما مدح به الملوك يجب أن يكون من هذا النحت .. وفرقة أصحاب جَلبة وقعقعة بلا طائل معنى الا القليلَ النادرَ كابى القاسم بن هانيء ومن جرى مجراه فانه يقولُ أولَ مذهبه

أصاخت فقالت وقعُ أجردَ شيظمٍ … وشامت فقالت لمعُ أبيضَ مخذم

وما ذُعرتْ الأُلِجَرْسِ حليِّها ولا رمقت الأُ بْرِىّ في مخدَمِ

وليس تحت هذا كله الا الفسادُ وخلافُ المراد ما الذى يفيدنا أن تكون هذه المنسوب بها لبست حليها فتوهمته بعد الاصاخة والرمق وقع فرس أو لمع سيف غير انها مغزوة في دارها أو جاهلة بما حملته من زينتها ولم يخف عنا مراده انها كانت تترقبه فما هذا كله .. وكانت عند أبى القاسم مع طبعه صنعة فاذا أخذ فى الحلاوة والرقة وعمل بطبعه وعلي سجيته أشبه الناس ودخل في جملة الفضلاء واذا تكلف الفخامة وسلك طريق الصنعة أضر بنفسه وأتعب سامع شعره ويَقع له من الكلام المصنوع والمطبوع في الاحايين أشياء جيدة كقوله فى المطبوع يصف شجعاناً

لا يأكل السرحان شِلوَ عقيرهم مما عليه من القنى المتكسرِ

ـ العقير ـ ههنا منهم أى لم يمت لشجاعتـه حتى تحطم عليه من الرماح ما لا يصل معه الذئب اليـه كثرة ولو كان العقير هو الذي عقروه هم لكان البيت هجواً لانه كان يصفهم بالضعف والتكاثر علي واحد .. وقوله فى المصنوع

وجنيتم ثمرَ الوقائع يانعاً بالنصرِ من ورقِ الحديد الاخضر

فهذا كله جيد بديع وقد زاد فيه على قول البحتري

حملت حمائله القديمة بقلةً من عهد عاد غضةً لم تَذْبل

ويروي ـ من عهد تبع ـ ومنهم من ذهب الى سهولة اللفظ فعنى بها واغتُفرَ له فيها الركاكة واللين المفرط كأبى العتاهيـة وعباس بن الاحنف ومن تابعهما وهم يرون الغاية قول أبى العتاهية

يا اخوتى ان الهوى قاتلى فسيروا الاكفان من عاجل
ولا تلوموا فى اتباع الهوى فاننى في شغل شاغل
عينى علي عتبةَ منهلةٌ بدمعها المنسكبِ السائل
يامن رأى قبلى قتيلاً بكى من شدةِ الوجد على القاتل
بسطتُ كفى نحوكم سائلا ماذا تردون على السائل

ان لم تنيلوه فقولوا له قولا جميلا بدلَ النائل
أو كنتم العامَ على عسرة منه فمنوه الى قابل

وقد ذكر أن أبا العتاهية وأبا نواس والحسين بن الضحاك الخليع اجتمعوا يوما فقال أبو نواس لينشد كل واحدمنكم قصيدة لنفسه في مراده من غير مدح ولا هجاء فأنشد أبو العتاهية هذه القصيدة فسلما له وامتنعا من الانشاد بعده وقالا له أمامع سهولة هذه الالفاظ وملاحة هذا القصد وحسن هذه الاشارات فلا ننشد شيئاً وذلك في بابه من الغزل جيد أيضاً لا يفضله غيره ٠٠ ومنهم من يؤثر المعنى علي اللفظ فيطلب صحته ولايبالى حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته كابن الرومي وأبى الطيب ومن شاكلهما هؤلاء المطبوعون فأما المتصنعون فسيرد عليك ذكرهم ان شاء الله تعالى ٠٠وأكثر الناس علي تفضيل اللفظ عل المعنى سمعت بعض الحذاق يقول قال العلماء اللفظ أغلي من المعنى ثمناً وأعظم قيمة وأعز مطلباً فان المعانى موجودة فى طباع الناس يستوى الجاهل فيها والحاذق ولكن العمل علي جودة الالفاظ وحسن السبك وصحة التأليف ألا ترى لو أن رجلا أرادفى المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه فى الجود بالغيث والبحر وفى الاقدام بالاسد وفى المضاء بالسيف وفي العزم بالسيل وفى الحسن بالشمس فان لم يحسن تركيب هذه المعانى فى أحسن حلاها من اللفظ الجيد الجامع للرقة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة والحلاوة لم يكن للمعني قدر ٠٠ و بعضهم وأظنه ابن وكيع مثل المعنى بالصورة واللفظ بالكسوة فان لم تقابل القصور الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها وتضاءلت فى عين مبصرها ٠٠ وقال عبد الكريم وكان يؤثر اللفظ علي المعنى كثيراً في شعره وتأليفه الكلام الجزل أغنى عن المعانى اللطيفة من المعاني اللطيفة على الكلام الجزل وانما حكاه ونقله نقلا عمن روى عنه النحاس ٠٠ومن كلام عبد الكريم قال بعض الحذاق المعنى مثال واللفظ حذوٌ والحذوُ يتبع المثال فيتغير بتغيره ويثبت بثباته ٠٠ ومنه قول العباس بن الحسن العلوى فى صفة بليغ معانيه قوالب لالفاظه هكذا حكي عبدالكريم وهو الذى يقتضيه شرط كلامه ثم خالف فى موضع آخر فقال ألفاظه قوالب لمعانيه وقوافيه معدة لمبانيه والسجع يشهد بهذه الرواية الاخرى وهي التى أعرف ٠٠ والقالب يكون وعاء كالذي تفرغ فيه

الأواني ويعمل به اللبن والآجر وقد يكون قدراً للوعاء كالذي يقام به اللوالك وتصلح عليه الأخفاف ويكون مثالاً كالذي تحذى عليه النعال وتفصل عليه القلانس فلهذا احتمل القالب أن يكون لفظاً مرة ومعني مرة .. وللشعراء ألفاظ معروفة وأمثلة مألوفة لاينبغي للشاعر أن يعدوها ولا أن يستعمل غيرها كما ان الكتّاب اصطلحوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابية لا يتجاوزونها الى سواها الا أن يريد شاعر أن يتظرف باستعمال لفظ أعجمي فيستعمله في الندرة وعلى سبيل الحظرة كما فعل الأعشى قديماً وأبونواس حديثاً فلا بأس بذلك والفلسفة وجر الأخبار باب آخر غير الشعر فان وقع فيه شيء منهما فبقدر ولا يجب أن يجعلا نصب العين فيكونا متكئاً واستراحة وانما الشعر ما أطرب وهز النفوس وحرك الطباع فهذا هو باب الشعر الذي وضع له وبني عليه لا ما سواه .. ومن ملح الكلام على اللفظ والمعنى ما حكاه أبو منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبي قال البليغ من يحوك الكلام على حسب الاماني ويخيط الالفاظ على قدود المعاني .. وقال غيره الالفاظ في الاسماع كالصور في الابصار .. وقال أبو عبادة البحتري

وجه الحبيب بدا امين محبه وكأنها والسمع معقود بها

باب في المطبوع والمصنوع

ومن الشعر مطبوع ومصنوع فالمطبوع هو الاصل الذي وضع أولا وعليه المدار والمصنوع وان وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفاً تكلف أشعار المولدين لكن وقع فيه هذا النوع الذي سموه صنعة من غير قصد ولا تعمل لكن بطباع القوم عفواً فاستحسنوه ومالوا اليه بعض الميل بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره حتي صنع زهير الحوليات علي وجه التنقيح والتثقيف يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفا من التعقب بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة وربما رصد أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك والعرب لاتنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أوتطابق أوتقابل فتترك لفظة للفظة أومعنى لمعنى كما يفعل المحدثون ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وابرازه واتقان بنية الشعر واحكام عقد القوافي وتلاحم الكلام بعضه ببعض حتى عدوا من

فضل صنعة الحطيئة حسنَ نسقهِ الكلامَ بعضه على بعض في قوله

فلا وأبيك ما ظلمتْ قريعٌ   بأن يبنوا المكارم حيث شاؤا
ولا وأبيك ما ظلمت قُريع   ولا عنفوا بذاك ولا أساؤا
بعثرة جارهم أن يُنعشوها   فيعثرَ بعدها نعمٌ وشاء
فيبنى مجدها ويقيم فيها   ويمشى ان أريد به المشاء
وانَّ الجارَ مثلُ الضيف يغدو   لوجهته وان طالَ الثواء
وانى قد علقتُ بحبل قوم   أعانهم على الحسب الثراء

وكذلك قول أبي ذؤيب يصف حُمرَ الوحش والصائد

فوردنَ والعيوقُ مقعد رابئ الـضُرباء خلف النجم لا يتتلعُ
فشرعن في مجراة عذب بارد   حصب البطاح تغيب فيه الأكرُع
فشربن ثم سمعن حساً دونه   شرف الحجاب وريب فرع يقرع
فنكرنه فنفرن فامترست له   هوجاءُ هادية وهادٍ جرشُعُ
فرمي فأنفذ من نحوص عائط   سهما فخرَّ وريشه متصمع
فبدا له أقراب هاد رائماً   عنه فعيّثَ في الكنانة يَرجع
فرمى فألحق صاعديًا مطحراً   بالكشح فاشتملت عليه الاضلع
فأبدّهنّ حتوفهن فهارب   بذَمائه أو باركٌ متجعجع

فأنت ترى هذا النسق بالفاء كيف اطرد له ولم ينحلّ عقده ولا اختلّ بناؤه ولولا ثقافة الشاعر ومراعاته اياه لما تمكن له هذا التمكن واستطرفوا ماجاء من الصنعة نحو البيت والبيتين في القصيدة بين القصائد يستدل بذلك على جودة شعر الرجل وصدق حسه وصفاء خاطره فأما اذا كثر ذلك فهو عيب يشهد بخلاف الطبع وإيثار الكلفة وليس يتجه البتة أن يتأتى من الشاعر قصيدة كلها أو أكثرها متصنعٌ من غير قصد كالذي يأتى من أشعار حبيب والبحتري وغيرهما وقد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها .. فأما حبيب

فيذهب الي حزونة اللفظ وما يملأ الاسماع منه مع التصنيع المحكم طوعا وكرهاً يأتي للاشياء من بعد و يطلبها بكلفة و يأخذها بقوة .. وأما البحترى فكان أملح صنعة وأحسن مذهباً فى الكلام يسلك منه دماثة وسهولة مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة .. وما أعلم شاعراً أكمل ولا أعجب تصنعاً من عبد الله بن المعتز فان صنعته خفية لطيفة لا تكاد تظهر في بعض المواضع الا للبصير بدقائق الشعر وهو عندى ألطف أصحابه شعراً وأكثرهم بديعاً وافتناناً وأقربهم قوافي وأوزاناً ولا أرى وراءه غاية لطالبها في هذا الباب غير انا لا نجد المبتدئ في طلب التصنيع ومزاولة الكلام أكثر انتفاعا منه بمطالعة شعر حبيب وشعر مسلم بن الوليد لما فيهما من الفضيلة لمبتغيها ولأنهما طرّقا الى الصنعة ومعرفتها طريقاً سابلة وأكثرا منها في أشعارهما تكثيرا سهلها عند الناس وجسرهم عليها على أن مسلما أسهل شعراً من حبيب وأقل تكلفاً وهو أول من تكلف البديع من المولدين وأخذ نفسه بالصنعة وكثر منها .. ولم يكن في الاشعار المحدثة قبل مسلم صريع إلاّ النبذ اليسيرة وهو زُهير المولدين كان يبطئ فى صنعته ويجيدها .. وقالوا أول من فتق البديع من المحدثين بشار بن برد وابن هَرْمة وهو ساقة العرب وآخر من يستشهد بشعره .. ثم اتبعهما مقتدياً بهما كلثوم بن عمرو العتابى ومنصور النمرى ومسلم بن الوليد وأبو نواس واتبع هؤلاء حبيب الطائى والوليد البحترى وعبد الله بن المعتز فانتهى علم البديع والصنعة اليه وخُتِمَ به .. وشبه قوم أبا نواس بالنابغة لما اجتمع له من الجزالة مع الرشاقة وحسن الديباجة والمعرفة بمدح الملوك .. وأما بشار فقد شبهوه بامرئ القيس لتقدمه على المولدين وأخذهم عنه ومن كلامهم بشار أبو المحدثين .. وسمعت أبا عبد الله غير مرة يقول انما سُمِّيَ الأعشى صنّاجة العرب لأنه أول من ذكر الصنجَ فى شعره .. قال ويقال بل سمى صناجة لقوة طبعه وحلية شعره يُخيلُ لك اذا أنشدته أن آخر ينشد معك .. ومثله من المولدين بشار بن برد تنشد أقصر شعره عروضاً وألينه كلاماً فتجد له فى نفسك هزّة وجَلبة من قوة الطبع وقد أشبهه تصرفاً وضرباً في الشعر وكثرة عروض مدحاً وهجاء وافتخاراً وتطويلا .. انقضى كلام أبى عبد الله رجعنا الى القول في الطبع والتصنيع .. ولسنا ندفع أن البيت اذا وقع مطبوعا في غاية الجودة ثم وقع فى معناه بيت مصنوع فى نهاية الحسن لم تؤثر فيه

الكلفة ولا ظهر عليه التعمل كان المصنوع أفضلهما الا أنه اذا توالى ذلك وكثر لم يجز البتة أن يكون طبعاً واتفاقا اذ ليس ذلك فى طباع البشر .. وسبيل الحاذق بهذه الصناعة اذا غلب عليه حب التصنيع أن يترك للطبع مجالا يتسع فيه .. وقيل اذا كان الشاعر مصنعاً فان جيده من سائر شعره كأبى تمام فصار محصوراً معروفاً بأعيانه واذا كان الطبع غالباً عليه لم يبن جيده كل البينونة وكان قريباً من قريب كالبحتري ومن شاكله .. وقد نص ابن الرومي فى بعض تسطيراته على محمد بن أبى حكيم الشاعر حين عاب عليه قوله فى الفرس من قصيدة رثي بها عبد الله بن طاهر

فله شهامة سوذنيق با كرٍ   وحوافرٌ حفرٌ ورأسٌ صَنتَعُ

وذكر قول حبيب   بحوافر حفر وصلب صُلَّب

فحفل به واعتذر له وخرّج التخاريج الحسان وذكر ان الحافر الوأب والحافر المقعب ونحوهما أشرف فى اللفظ من الحافر الأحفر الا أن الطائى عنده كان يطلب المعنى ولا يبالى باللفظ حتى لو تم له المعنى بلفظة نبطية لأتى بها والذى أراه أن ابن الرومي أبصر بحبيب وغيره منا وان التسليم له والرجوع اليه أحزم غير أنى لو شئت أن أقول ولست راداً عليه ولا معترضاً بين يديه أن المعنى الذي أراده وأشار اليه من جهة الطائي انما هو معني الصنعة كالتطبيق والتجنيس وما أشبههما لا معنى الكلام الذى هو روحه وان اللفظ الذى ذكر أنه لا يبالى به انما هو فصيح الكلام ومستعمله ويدلك على صحة ما ادعيته على ابن الرومي قوله ان الحافر الوأب والمقعب أشرف فى اللفظ من الحافر الأحفر فكلامه راجع الى ماقلته فى الطائي غيرَ مخالف له وان كان فى الظاهر على خلافه لساغ ذلك الا أن أكثر الناس على ماقال وانما هذا معرض للكلام لا مخالفةٌ .. وقال الجاحظ كما لا ينبغى أن يكون اللفظ عامياً ولا ساقطاً سوقياً فكذلك لا ينبغي أن يكون وحشياً الا أن يكون المتكلم به بدوياً اعرابياً فان الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقى قال وأنشد رجل قوماً شعراً فاستغربوه فقال والله ماهو بغريب ولكنكم فى الادب غرباء .. وعن غيره أن رجلا قال للطائى فى مجلس حفل وأراد تبكيته لما أنشد يا أبا تمام لم لا تقول من الشعر ما يفهم فقال له وأنت لم لا تفهم

من الشعر مايقال ففضحه .. ويروي أن هذه الحكاية كانت مع أبى العميثل وصاحب له خاطباه فأجابهما .. وقال بعض من نظر بين أبى تمام وأبى الطيب انما حبيب كالقاضى العدل يضع اللفظة موضعها ويعطى المعنى حقه بعد طول النظر والبحث عن البينة أو كالفقيه الورع يتحرى فى كلامه ويتحرج خوفاً على دينه وأبو الطيب كالملك الجبار يأخذ ماحوله قهراً وعنوة أو كالشجاع الجرئ يهجم على ما يريده لا يبالى ما لقى ولا حيث وقع .. وكان الاصمعى يقول زهير والنابغة من عبيد الشعر يريد أنهما يتكلفان اصلاحه ويشغلان به حواسهما وخواطرهما ومن أصحابهما فى التنقيح وفي التثقيف والتحكيك طفيل الغنوى .. وقد قيل ان زهيراً روىله وكان يسمي محبراً لحسن شعره ومنهم الحطيئة والنمر بن تولب وكان يسميه أبو عمرو بن العلاء الكيس .. وكان بعض الحذاق بالكلام يقول قل من الشعر ما يخدمك ولا تقل منه ما تخدمه وهذا هو معنى قول الاصمعي وسأحلى هذا الباب من كلام السيد أبي الحسن بحلية تكون له زينة فائقة واختمه بخاتمة تكسوه حلة رائقة لاوفى بذلك بعض ما ضمنت وأقضى به حق ماشرطت ان شاء الله فمن ذلك قوله بتاهرت سنة خمس وأربعمائة يتشوق الى أهله

ولى كبدٌ مكلومـة من فراقكم ... أطامنها صبراً على ما أجنَّتِ

تمنتكم شوقاً اليـكم وصبوةً ... عسي الله أن يدنى لها ماتمنَّت

وعينٌ جفاها النوم واعتادها البكا ... اذاعن ذكرُ القيروان استهلت

فلو أن اعرابياً تذكر نجداً فحن به الى الوطن أو تشوق فيه الى بعض السكن ماحسبته يزيد على ما أتى به هذا المولد الحضرى المتأخر العصر وما أمحط بهذا التمييز فى هواى ولا أتنفَّقُ بهذا القول عند مولاى ولا الخديعة مما تظن به ولا فيه ولكن رأيت وجه الحق فعرفته والحق لا يتلثم وما هو فى بلاغته وإيجازه الا كما قال الأحيمر السعدى فى وصيته

من القولِ مايكفي المصيبَ قليلُهُ ... ومنه الذى لايكتفي الدهرَ قائله

يصد عن المعنى فيترك ما نحى ... ويذهبُ في التقصير منه يطاوله

فلا تكُ مكثاراً تزيدُ على الذى ... عنيتَ به في خطب أمرٍ تزاوله

باب فى الاوزان

الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية وهومشتمل على القافية وجالب لها ضرورة الا أن تختلف القوافى فيكون ذلك عيباً فى التقفية لا فى الوزن وقد لايكون عيباً نحو المخمسات وما شاكلها والمطبوع مستغن بطبعه عن معرفة الاوزان وأسمائها وعللها لنبوِّ ذوقه عن المزاحف منها والمستكره والضعيفُ الطبع محتاج الي معرفة شيء من ذلك يعينه علي ما يحاوله من هذا الشأن .. وللناس فى ذلك كتب مشهورة وتواليف مفردة وبينهم فيه اختلاف وليس كتابى هذا بمحتمل شرح ذلك ولا هو من شرطه فراراً من التكرار والتطويل ولكنى أذكر نتفاً يحتاج اليها ويكتفي بها مَن نظر من المتعلمين فى هذا الكتاب ان شاء الله .. فأول من ألف الأوزان وجمع الاعاريض والضروب الخليل بن احمد فوضع فيها كتاباً سماه العروض استخفافاً والعروض آخر جزء من القسم الأول من البيت وهي مؤنثة وتثنى وتجمع الا أن يكون لهذا الجنس من العلم والضربُ آخر جزء من البيت من أى وزن كان .. ثم ألف الناس بعده واختلفوا على مقادير استنباطاتهم حتى وصل الأمر الى ابى نصر اسماعيل بن حماد الجوهري فبين الأشياء وأوضحها في اختصار والى مذهبه يذهب حذاق أهل الوقت وأرباب الصناعة فأول ما خالف فيه ان جعل الخليلُ الأجزاء التي يوزن بها الشعر ثمانية منها اثنان خماسيان وهما فعولن وفاعلن وستة سباعية وهي مفاعيلن وفاعلاتن ومستفعلن ومفاعلتن ومتفاعلن ومفعولات فنقص الجوهري منها جزء مفعولات وأقام الدليل على أنه منقول من مستفعلن مفروق الوتد أى مقدم النون على اللام لانه زعم لو كان جزءًا صحيحاً لتركب من مفرده بحر كما تركب من سائر الاجزاء يريد أنه ليس فى الاوزان وزن انفرد به مفعولات ولا تكرر فى قسم منه وعد الخليل أجناس الاوزان فجعلها خمسة عشر جنساً على أنه لم يذكر المتداركَ وهى عنده الطويل والمديد والبسيط فى دائرة ثم الوافر والكامل في دائرة ثم الهزَج والرجز والرَمل فى دائرة ثم السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضَب والمجتَثّ فى دائرة ثم المتقاربُ وحده في دائرة .. وذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاج اختلاف الناس فى ألقاب الشعر فحكي عن

الخليل شيئاً أخذتُ به اختصاراً وتقليداً لانه أول من وضعَ علم العروض وفتحه للناس وغادرت ما سوى ذلك من قول ابى اسحاق الزجاج وغيره لا على أن فيه تقصيراً ..
ذكر الزجاج أن ابن دريد أخبره عن أبي حاتم عن الاخفش قال سألت الخليل بعد أن عمل كتاب العروض لم سميتَ الطويل طويلا قال لانه طال بتمام أجزائه قلت فالبسيط قال لأنه انبسط عن مدى الطويل وجاء وسطه فعلن وآخره فعلن قلت فالمديد قال لتمدد سُباعيه حول خماسيه قلت فالوافر قال لوفور أجزائه وَتِداً بوتدٍ قلت فالكامل قال لان فيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره من الشعر قلت فالهزج قال لانه يضطرب شُبه بهزج الصوت قلت فالرجز قال لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام قلت فالرمل قال لانه شُبه برمل الحصير لضمّ بعضه الى بعض قلت فالسريع قال لانه يسرع على اللسان قلت فالمنسرح قال لانسراحه وسهولته قلت فالخفيف قال لانه أخف السباعيات قلت فالمقتضب قال لانه اقتُضب من السريع قلت فالمضارع قال لانه ضارع المقتضب قلت فالمجتث قال لانه اجتُثَّ أي قطع من طويل دائرته قلت فالمتقارب قال لتقارب أجزائه لانها خماسية كلها يشبه بعضها بعضاً .. وجعل الجوهرى هذه الاجناس اثنى عشر باباً على أن فيها المتدارك سبعةٌ منها مفردات وخمسةٌ مركبات قال فأولها المتقارب ثم الهزج والطويل بينهما مركب منهما ثم بعد الهزج الرمل والمضارع بينهما ثم بعد الرمل الرجز والخفيف بينهما ثم بعد الرجز المتدارك والبسيط بينهما ثم بعد المتدارك المديد مركب منه ومن الرمل قال ثم الوافر والكامل لم يتركب بينهما بحر لما فيهما من الفاصلة .. وزعم أن الخليل انما أراد بكثرة الالقاب الشرح والتقريب قال والا فالسريع هو من البسيط والمنسرح والمقتضب من الرجز والمجتث من الخفيف لان كل بيت مركب من مستفعلن فهو عنده من الرجز طال أو قصر وكل بيت ركب من مستفعلن فاعلن فهو من البسيط طال أو قصر وعلى هذا قياس سائر المفردات والمركبات عنده .. والمتدارك الذي ذكره الجوهرى مقلوب من دائرة المتقارب وذلك أن فعولن يخلفه فاعلن ويخبنُ فيصيرُ فعلن وشعر عمرو الجنى منه وهو الذى يسميه الناس اليوم الخَبَب .. وليس بين العلماء اختلاف في تقطيع الاجزاء وأنه يراعى فيه اللفظ دون الخط فيقابل الساكن بالساكن والمتحرك بالمتحرك و يظهر حرف التضعيف وتسقط ألف الوصل ولام

التعريف اذا لم تظهر فى دَرْج الكلام وتثبت النون بدلا من التنوين ويعد الوصل والخروج حرفين وهذا هو الاصل المحقق لأن الاوزان انما وقعت على الكلام والكلام لا محالة قبل الخط لان الألف صورة هوائية لا مستقر لها ولان المضاعف يجعل حرفاً واحداً ولأن التنوين شكل خفى وليس فى جميع الاوزان ساكنان في حشو بيت الا في عروض المتقارب فان الجوهرى أنشد وأنشده المبرد قبله

ورمنا القصاص وكان التقاص فرضاً وحتماً على المسلمين

قال الجوهري كأنه نوى الوقوف على الجزء والا فالجمع بين ساكنين لم يسمع به فى حشو بيت .. قال صاحب الكتاب الا أن سيبويه قد أنشد

كانه بعد كلالِ الزاجر ومسحهِ مرّ عقابٍ كاسر

باسكان الحاء وادغامها في الهاء والسين قبلها ساكنة .. وجميع أجزاء الشعر تتألف من ثلاثة أشياء سبب ووتدٍ وفاصلةٍ .. فالسبب نوعان خفيف وهو متحرك بعده ساكن نحو ما وهلْ وبلْ ومَن وثقيل وهو متحركان نحو لِمَ وبِمَ اذا سألت وقد أنكره بعض المحدثين .. والوَتدُ أيضاً نوعان مجموع وهومتحركان بعدهما ساكنٌ نحو رمى وسعى ومفروق وهو ساكن بين متحركين نحو قال وباع .. والفاصلةُ فاصلتان صغرى وهي ثلاث متحركات بعدها ساكن نحو بلغت وما أشبه ذلك وكبري وهي أربع متحركات بعدها ساكن نحو بلغنى و بلغنا وما أشبه ذلك وهى تأتى فى جزء من الشعر بعينه وهو فَعلتنْ ولا تأتى البتة باجماع من الناس بين جزءين فتكون حرفين متحركين في آخر جزء ومثلهما فى أول جزء وآخرَ يليه ولا يجتمع في الشعر خمس متحركات البتة .. ومن الناس من جعل الشعر كله من الأوتاد والأسباب خاصة يركب بعضها على بعض فتتركب الفواصل منهما .. وبعض المتعقبين أظنه الملقب بالحمار يسمي الفاصلتين وتداً ثلاثياً ووتداً رباعياً والسبب عنده نوعان منفصل نحو من ومتصل نحو لمن فاللام عنده وحدها سبب متصل والميم والنون سبب هو منفصل لمَّا كان لحركة الميم نهاية وهي النون الساكنة ولو كانت متحركة لم تكن نهاية .. وأما الزحاف فهو ما يلحق أيّ جزء كان من الاجزاء السبعة التي جعلت موازين الشعر من نقص أو زيادة أو تقديم حرف أو تأخيره أو تسكينه ولا يكاد يسلم منه شعر .. ومن الزِّحاف ماهو أخف من

التمام وأحسن كالذى يستحسن في الجارية من التفاف البدن واعتدال القامة مثال ُذلك مفاعيلن في عروض الطويل التام تصير مفاعلن فى جميع أبياته وهذا هو القبض وكل ماذهب خامسه الساكن فهومقبوض •• وفاعلن في عروض البسيط التام وضربه يصير فعلن وذلك هو الخبن وكل ماذهب ثانيه الساكن فهو مخبون •• ومفاعلتن في عروض الوافر التام وضربه حذفوا منه التاء والنون وأسكنوا اللام فصار مفاعل فخلفه فعولن وهذا هو القطف ُ •• وليس في الشعر مقطوف غيره •• ويخف على المطبوع أبداً أن يجعل َمكان مستفعلن فى الخفيف مفاعلن يظهر له أحسن •• ومنه أعني الزحاف ما يستحسن قليله دون كثيره كالقبَل ِ اليسير والفلج ِ واللثغ ِ مثال ذلك قول خالد بن زُهير الهذلي لخاله أبي ذؤيب

لعلك إما أمُّ عمروٍ تبدلت   سواكَ خليلا شاتمى يستجيرُها

فنقص ساكناً بعد كاف سواكَ وهونون فعولن وهذا هو القبض ومن رواه خليلاسواك قبض الياء من مفاعيلن وهو أشد قليلا •• ومنه مايحتمل على كره كالقدع ِ والوكع والكزم في بعض الحسان ومثاله في الشعر كثير وكفاك قول امرئ القيس بن حجر

وتعرف فيه من أبيه شمائلا   ومن خاله ومن يزيدَ ومن حجر
سماحةَ ذا وبرَّ ذا ووفاء ذا   ونائلَ ذا اذا صحى واذا سكرْ

فهذا أجمع العلماء بالشعر أنه ماعمل في معناه مثله الا أنه على ماتراه من الزِّحاف المستكره حكي ذلك أبو عبيدة •• ومنه قبيح مردود لاتقبل النفس عليه كقبح الخلق واختلاف الاعضاء في الناس وسوء التركيب مثاله قصيدة عبيدٍ المشهورة

• أقفرَ من أهلِهِ ملحوبُ •

فانها كادت تكون كلاماً غير موزون بعلة ولا غيرها حتى قال بعض الناس انها خطبة ارتجلهافاتزن له أكثرُها •• وقال الاصمعي الزِّحاف في الشعر كالرخصة فى الفقه لا يقدمُ عليها الا فقيه •• وينبغي للشاعر أن يركب مستعمل الأعاريض ووطيئها وان يستحلى الضروب ويأتى بألطفها موقعاً وأخفها مستمعاً وأن يجتنب عويصها ومستكرهها فان العويص مما يشغله ويمسك من عنانه ويوهن قواه ويفتُّ في عضده ويخرجه عن مقصده

٠٠ وقد يأتون بالخرم كثيراً وهو ذهاب أول حركة من وتد الجزء الأول من البيت وأكثر ما يقع فى البيت الأول وقد يقع قليلا في أول عجز البيت ولا يكون أبداً الأ فى وتد وقد أنكره الخليل لقلته فلم يُجزه، وأجازه الناس ٠٠ أنشد الجوهرى

قدّمتُ رِجلاً فان لم تزعِ قَدمت الأخرى فنلت القرارا

وأنشد أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى لامرئ القيس

لقد أنكرتني بعلبك وأهلها وابنُ جريجٍ كان في حِمصَ أنكرا

هكذا روايته ورواه غيره «ولابنُ جريج» بغير خرم فاذا اجتمع الخرم والقبض على الجزء فذلك هو الثرمُ وهو قبيحٌ ٠٠ وهذان عيبان تدلك التسمية فيهما على قبحهما لأن الخرم فى الأنف والثرم في الفم وانما كانت العرب تأتى به لان أحدهم يتكلم بالكلام على أنه غير شعر ثم يرى فيه رأياً فيصرفه الى جهة الشعر فمن ههنا احتمل لهم وقبح على غيرهم ٠٠ ألا ترى أن بعض كتاب عبد الله بن طاهر عاب ذلك على أبي تمام في قوله

* هنّ عوادى يوسفٍ وصواحبُهْ *

على أنه أولى الناس بمذاهب العرب ٠٠ ويأتون بالخزم بزاي معجمة وهو ضد الخرم بالراء غير معجمة الناقص منهما ناقص نقطة والزائد زائد نقطة وليس الخزم عندهم بعيب لان أحدهم انما يأتى بالحرف زائداً فى أول الوزن اذا سقط لم يفسد المعنى ولا أخل به ولا بالوزن وربما جاء بالحرفين والثلاثة ولم يأتوا بأكثر من أربعة أحرف أنشدوا عن علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى ورضى عنه

أشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت اذا حل بواديكا

فزاد أشدد بياناً للمعنى لانه هو المراد٠ ٠ قال كعب بن مالك الانصارى يرثى عثمان بن عفان رضى الله عنه

لقد عجبتُ لقومٍ أسلموا بعد عزهم إمامهم للمنكراتِ وللغدرِ

فزاد لقد على الوزن هكذا أنشدوه ٠٠ وأنشد الزجاج وزعم أصحاب الحديث أن الجن قالته

نحن قتلنا سيدَ الخز رج سعدَ بن عباده
رميناه بسهمين فلم نخط فؤاده

فزاد على الوزن نحن وأنشد الزجاج أيضاً

* بل لم تجزعوا يا آل حرب مجزعا *

فزاد بل وأنشد أيضاً

يا مطرَ بن خارجةَ بن سلمةَ اننى أجفا وتغلقُ دونيَ الابواب

وانما الوزن مطر بن خارجة والياء والألف زائدة . . ومما جاء فيه الخزم فى أول عجز البيت وأول صدره وهو شاذ جداً قول طرفة

هل تذكرون اذ نقاتلكم اذ لا يضرُّ معدماً عدمه

فزاد فى أول صدر البيت هل وزاد فى أول العجز اذ والبيت من قصيدته المشهورة

أشجاك الربع أم قدمه أم رماد دارس حممُهْ

وقال جريبةُ[1] بن الأشيم أنشده أبو حاتم عن أبي زيد الانصارى

لقد طال إيضاعي المخدَّم لا أرى فى الناس مثلى من معد يخطب
حتى تأوبت البيوت عشيةً فوضعت عنه كورهُ تتثاءبُ

فاللام فى لقد زائدة وصاحب هذا الشعر جاهلى قديم وقالت الخنساء

أقذى بعينك أم بالعين عوَّارُ أم أوحشت اذخلت من أهلها الدار

فزادت ألف الاستفهام ولو أسقطتها لم يضر المعنى ولا الوزن شيئاً وروي ان أبا الحسن ابن كيسان كان ينشد قول امريء القيس

كأنَّ ثبيراً في عرانين وبله

فما بعد ذلك بالواو فيقول وكأنَّ ذُرَي رأس المجيمر غدوةً
وكأنَّ السباع فيه غرقى عشيةً

(١) ن خزيمة وأخري حريبة

معطوفا هكذا ليكون الكلام نسقاً بعضه على بعض .. وقال عبد الكريم بن ابراهيم مذهبهم فى الخزم أنه اذا كان البيت يتعلق بما بعده وصلوه بتلك الزيادة بحروف العطف التى تعطف الاسم على الاسم والفعل على الفعل والجملة على الجملة .. وأخذ الخزم من خزامة الناقة ومن شأنهم مد الصوت فجعلوه عوضاً من الخرم الذي يحذفونه من أول البيت .. وقد قال غيره انما أسقطوه كأنهم يتوهمون انه في السكتة فلذلك جعلوه فى الوتد المجموع لأن المفروق لو أسقطوا حركته الأولى لبقي أوله ساكنا ولا يبتدأ بالساكن فيسقط أيضاً والسكتة لا تحتمل عندهم إلا حرفا واحداً وهذا اعتلال مليح بين جداً .. ومن التزحيف في الأوساط الإقعادُ وهو أن تذهب مثلانون متفاعلن أومستفعلن فى عروض الضرب الثانى من الكامل وتسكن اللام فيصير عروضه كضربه فعلاتن أو مفعولن كما قال الشاعر وهذا هو القطع عند أصحاب القوافى

أفبعدَ مقتلِ مالكِ بنِ زهيرِ ترجو النساءُ عواقبَ الأطهار

فجاء هذا على معنى التصريع وليس به فهو عيب وأقبح منه قول الآخر

انى كبرتُ وانَّ كل كبير مما يضنّ به علىّ ويُقتَرُ

لأنه أتى بالعروض دون الضرب بحرف لا لتوهم تصريع ولا إشكال وانما نذكر مثل هذا ليجتنب اذا عُرِفَ قبحه .. وجاء منه فى الطويل قول النابغة الذبيانى

جزا الله عبساً عبس آل بغيض جزاءَ الكلابِ العاوياتِ وقد فعلْ

أنشده النحاس .. وقول ضباب بن سبيع بن عوف الحنظلى

لعمرى لقد برَّ الضبابَ بنوه وبعض البنين حمةٌ وسُعالُ

هكذا روايته بالحاء غير معجمة وهو الصحيح وبعضهم يرويه غمة بالغين معجمة .. وزعم الجمحى أن الاقعاد لا يجوز لمولد وقد أتى به البحترى فى عروض الخفيف فقال يهجو شاعراً

ليس ينفك هاجياً مضروبا ألفَ حدٍّ ومادحا مصفوعا

قياساً على قول الحارث بن حلزة اليشكري

أسد في اللقاء ذو أشبال ... وربيع ان شنعت غبراء

وابن قتيبة يسمي هذا الزحاف اقواء وسأذكره في أبواب القوافي ان شاء الله تعالى ..
ومن مهمات الزحاف أربعة أشياء .. ابتداء وهو ما كان في أول البيت مما لا يجوز مثله في الحشو كالثلم في الطويل والعصب في الوافر والخرم في الهزج .. وفصل وهو ما كان ملتزماً في نصف البيت الذى يسمى عروضاً مثل مفاعلن في عروض الطويل وفاعلن في عروض المديد وما جرى مجراهما هذا هو الحقيقة .. وأما ما كان من جهة التوسع والمجاز ومعنى التقريب فقد مر ذكرها آنفا .. واعتماد وهو ما كان من الزحاف الجائز في الحشو ولا مثل الجزء الذى قبل الضرب كقول امرىء القيس

أعنى على برق أراه وميض ... يضيء حبياً في شماريخ بيض

فأثبت ياء شماريخ وهي مكان النون من فعولن وكان الأجود أن يسقطها بالقبض لمكان الاعتماد لأن السبب قد اعتمد على وتدين أحدهما قبله والآخر بعده فقوي قوة ليست لغيره من الاسباب فحسن الزحاف فيه والاعتماد في المتقارب سلامة الجزء من الزحاف .. وغاية وهو ما كان في الضرب الذى هو جزء القافية ملتزما مخالفا للحشو كالمقطوع والمقصور والمكشوف والمقطوف وهذه أشياء لا تكون في حشو البيت ..
قالوا وأكثر الغايات معتل لأن الغاية اذا كانت فاعلاتن أو فعولن أو مفاعيلن فقد لزمها أن لا تحذف سواكن أسبابها لأن آخر البيت لا يكون متحركا هذه حقيقة ما ذكر وأما المجاز والاتساع فكثير .. ويتصل بالغايات أنواع أخر فمن ذلك معرفة ما يلزمه حرف المد واللين الذي هو الردف مما لا يلزمه ذلك أجمع حذاق أهل العلم من البصريين والكوفيين على أن كل وزن نقص من أتم بنائه حرف متحرك عوض حرف المد واللين من ذلك الحرف فلم يجيء الا مردفاً بواو أو ياء أو ألف .. ولا يحتسب في ذلك بما يقع للزحاف مثل مفعلن في الخفيف .. ألا ترى أنه يعاقب فاعلاتن فهو لا يوجب الردف فان ذهب منه أكثر من حرف متحرك أو ما يقوم مقامه وهو حرف ساكن مع حرف آخر متحرك لم يلزمه الردف واذا التقى ساكنان ألزموه الردف .. فمما سقط فألزم حرف المد فعولن المحذوف في الطويل لم يعتدوا بالنون لما يدركها من الزحاف فكأنما ذهبت

اللام فقط •• ومن المديد فاعلاتن المقصور •• ومن البسيط فعلن المقطوع •• والفرق بين القطع والقصر أن القصر في الأسباب والقطع في الأوتاد وهما جميعاً ذهاب ساكن من آخر الجزء وحركة متحرك قبله ملاصقة •• والردف انما يكون عوضاً مما بعده لا مما قبله •• ومن الكامل فعلاتن المقطوع ومن الرجز مفعولن المقطوع ومن الرمل فاعلاتن المقصور ومن المتقارب فعولن المقصور •• ومما التقي فيه ساكنان وألزموه الردف مستفعلان المذال في البسيط وفيه اختلاف •• أما من ألزمه الردف فلالتقاء الساكنين أقاموا المد منهما مقام الحركة •• وأما من لم يلزمه الردف فلأنه قدتم وزيد على تمامه •• والارداف انما يأتي عوضاً من النقصان لا من الزيادة •• وفي الكامل متفاعلان المذال وفي الرجز شاذ أنشده أبو زهرة النحوي في كتاب العروض وهو

كأنني فوق أقبَّ سهوَق ... جابٍ اذاعشرَصاتِ الإرنان

وفي الرمل فاعلاتن وحدها والقول فيها كالقول في مستفعلان المذال في البسيط وفاعلات في السريع وهو مذيَّلٌ من البسيط عند الجوهري فأما علي ماعند من سواه فهوموقوف من مفعولات مطوية أي ساقطة الواو ومفعولات في مشطور السريع أيضاً •• وفي منهوك المنسرح يلزمها حرف اللين فعلى هذا اجماع الحذاق الأسيبويه فانه رَخص فيه لموافقة الوزن مردفا وغير مردف وأنشد قول امرىء القيس

ولقد رحلتُ العيس ثم زَجرْتها ... وَهناً وقلتُ عليكِ خيرَ معدّ

وقول الراجز ... انْ تُمنعِ اليومَ نساءٌ تُمنعْنْ

باسكان العين والنون •• وكان الجرمي والأخفش يريان هذا غلطاً من قائله كالسناد والاكفاء يحكي ولا يعمل به الا أن أبا نواس في قوله

لا تَبكِ ليلى ولا تَطربْ الي هند

أخذ بقول سيبويه وهو قليل •• والقياس الاول حسن مطرد وهو المختار •• ومن أهم أمور الغايات معرفة ما يُنشد من الشعر مطلقاً ومقيداً •• قال أبوالقاسم الزجاجي وغيره من أصحاب القوافي الشعر ثلاثة وستون ضرباً لا يجوز اطلاق مقيد منها الا انكسر الشعر ما خلا ثلاثة أضرب أحدها في الكامل

أبنى لا تظلم بمكــة لا الصغير ولا الكبير

وهذا هو الضرب السابع يسمي مذالا وان شئت قلت ـ ولا الـكبيرا ـ فأطلقته وهو الضرب السادس منه يسمى المرفل ٠٠ والضرب الثانى فى الرمل وهو قول زيد الخيل

يابني الصيداء ردوا فرسى انما يفعل هذا بالذليل

وهو الضرب الثانى منه فان أطلقته صار أول ضرب منه ٠٠ والضرب الثالث فى المتقارب أنشد الاصمعي وأبو عبيدة

كأنى ورحلى اذا زعتها على جمزى جازئ بالرمال

غير أن سيبويه أنشده فيما يجوز تقييده واطلاقه

صفية قومي ولا تعجزى وبكي النساء على حمزه

وهو من المتقارب ان أطلق كان محذوفا وان قيد كان أبتر ٠٠ وقد أنشد أبو زيد سعيد ابن أوس بن ثابت الأنصارى لعمرو بن شاس قال والشعر مقيد

وما بيضة بات الظليم يحفها الى جؤجؤ جاف بميثاء محلال

بأحسن منها يوم بطن قراقر تخوض به بطن القطاة وقد سال

لطيفة طى الـكشح مضمرة الحشى هضيم العناق هونة غير مجبال

تميل علي مثل الـكثيب كأنها نقى كلما حركت جانبه مال

هذا شئ لم يذكره العروضيون وهو عندهم مطلق محمول على الإقواء كما حمل قول امرئ القيس

أحنظل لو حاميتم وصبرتم لأثنيت خيراً صالحاً ولأرضان

ثياب بنى عوف طهاري نقية وأوجههم عند المشاهد غران

عوير ومن مثل العوير ورهطه وأسعد فى ليل البلابل صفوان

فقد أصبحوا والله أصفاهم به أبر بأيمان وأوفى بجيران

الا الأخفش والجرمى فانهما يرويان هذا الشعر موقوفا ولا يريان فيه اقواء وهذا عند

سيبويه لا بأس به .. وقد صوب الناس قول الخليل في مخالفة هذا المذهب وأنشد بعض المتعقبين أظنه البازي العروضي

سنبدى لك الايام ما كنتَ جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تُزَوِّدِ

بالتقييد على أنه من الضرب المحذوف المعتمد قال الا أنه يدخله عيب لترك حرف اللين وهو كثير جداً وليس الابتداء والفصل والاعتماد والغاية بعلل ولكنها مواضع العلل فأقيم المضاف اليه مقام المضاف .. وأما زحاف الحشو فمن أهمه معرفة المعاقبة والمراقبة فأما المعاقبة فهي أن يتقابل سببان فى جزأين فهما يتعاقبان السقوط يسقط ساكن أحدهما لثبوت ساكن الآخر ويثبتان جميعاً ولا يسقطان جميعاً والمعاقبة بين سببي جزأين من جميع الاوزان فى أربعة أنواع المديد والرمل والخفيف والمجتث وهو عند الجوهري ضرب من الخفيف فاذا كان السبب في أول البيت أو كان قبله وتد دخله الزحاف فهو برىء من المعاقبة اذ ليس قبله ما يعاقبه ولأن الوتد لا يعاقب السبب فاذا زوحف ثاني الجزء لمعاقبة ما بعده فهو عجز فان زُوحف أوله لمعاقبة ما قبله وآخره لمعاقبة ما بعده فهما طرفان وياء مفاعيلن فى الطويل والهزج يعاقب نونها وكذلك سين مستفعلن فى الكامل تعاقب فاءها .. والمراقبة أن يتقابل السببان فى جزء واحد فيسقط ساكن أحدهما ولا يسقطان جميعاً البتة وكذلك لا يثبتان جميعاً وهي من جميع الأوزان فى المضارع والمقتضب والجوهري يعد المقتضب من الرجز كما قدمتُ فهى من المضارع فى سببي مفاعيلن أعنى الياء والنون اما ان يأتى مفاعيلن مقبوضاً أو مفاعيلن مكفوفاً ومن المقتضب في سببي مفعولات أعنى الفاء والواو اما أن تخبن فتصير مفاعيل واما أن تطوى فتصير فاعلات ولا يجوز أن يكون هذا ولا الذي قبله أعنى المضارع سالماً البتة .. والفرق بين المعاقبة والمراقبة أن سببى المعاقبة يثبتان معا وان سببي المراقبة لا يثبتان معا وان المعاقبة فى جزأين الا ما كان من مفاعيلن فى الطويل والهزج ومستفعلن فى الكامل وان المراقبة فى جزء واحد .. وسأفرد لباقى الزحاف بابا أذكره فيه مع المشطور ان شاء الله تعالى ولست أحمل أحداً على ارتكاب الزحاف الا ما خف منه وخفي ولو أن الخليل رحمه الله وضع كتاب العروض ليتكلف الناس ما فيه من الزحاف ويجعلوه مثالا دون أن يعلموا أنها رخصة أتت بها العرب عند

الضرورة لوجب أن يتكلف ما صنعه من الشعر مزاحفاً ليدل بذلك على علمه وفضل ما نحا اليه •• ولسنا نري الزحاف الظاهر فى شعر محدث الا القليل لمن لا يتهم كالبحترى وما أظنه كان يتعمد ذلك بل على سجيته لانه كان بدويا من قري منبج ولذلك أعجب الناس به وكثر الغناء فى شعره استظرافا لما فيه من الحلاوة على طبع البداوة •• وذ كر ابن الجراح انه من أهل قنسرين والعواصم وقد ذكرت ما يليق ذكره بهذا الموضع ليعرفه المتعلم ان شاء غير متكلف به شعراً الا ما ساعده عليه الطبع وصح له فيه الذوق لانى وجدت تكلف العمل بالعلم فى كل أمر من أمور الدين أوفق الا في الشعر خاصة فان عمله بالطبع دون العروض أجود لما فى العروض من المسامحة فى الزحاف وهو مما يهجن الشعر ويذهب برونقه

باب القوافي

القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمي شعراً حتي يكون له وزن وقافية هذا علي مَن رأى أن الشعر ما جاوز بيتاً واتفقت أوزانه وقوافيه ويستدل بأن المصرّع أدخل فى الشعر وأقوى من غيره •• وأما ماقد أراه فقد قدمته فى باب الأوزان واختلف الناس فى القافية ماهي فقال الخليل القافية من آخر حرف فى البيت الى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذى قبل الساكن والقافية على هذا المذهب وهو الصحيح تكون مرة بعضَ كلمة ومرةً كلمةً ومرةً كلمتين كقول امرئ القيس

* كجُلمود صخر حطه السيل من عل *

فالقافية من الياء التي بعد حرف الروى فى اللفظ الى نون من مع حركة الميم وهاتان كلمتان •• وعلي وزن هذه القافية قوله

* اذا جاش فيه حَميه غلي مِرجلِ *

فالقافيةُ مِرجل وهي كلمة وعلى وزنها قوله

* ويلوي بأثواب العنيف المثقَّلِ *

فالقافية من الثاء الى آخر البيت وهذا بعض كلمة .. وتابعه على هـذا أبو عمر الجرمي وأصحابه وهو قول مضبوط محقق يشهد بالعلم .. وقال الأخفش القافيـة آخر كلمة من البيت واستدل على صحة ذلك بأنه لوقال لك انسان أكتب لى قوافى قصيدة لكتبت له كلمات نحو كتاب ولعاب وركاب وصحاب وما أشبه ذلك وهو المتعارف بين الناس اليوم أعنى قول الأخفش وكل كلمة من قوله عَلِ وقوله مِرْجلِ وقوله المتقلِ فى شعر امرئ القيس قافية بذاتها عند الأخفش فعلى هذين القولين مدار الحـذاق فى معرفة القافية .. ورأي الخليل عندي أصوب وميزانه أرجح لان الأخفش ان كان انما فر من جعله القافية بعض الـكلمة دون بعضها فقد نجـد من القوافى ما يكون فيها حرف الروي وحده القافية على رأيه فان وزن معه ما قبله فأقامها مقام كلمة من الـكلمات التي عدها قوافي كان قد شرك القافية بعض كلمة أخرى مما قبلها فاذا جاز أن يشترك في القافية كلمتان لم يمتنع أن تكون القافية بعض كلمة مثال ذلك ما شا كل قول أبى الطيب

طوى الجزيرةَ حتى جاءنى خبر فزعت فيه بآمالى الى الـكذب

حتى اذا لم يدع لى صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاديشرقُ بى

فالقافية في البيت الأول على قوله الـكذب لولا أن الالف فيه ألف وصل نابت عنها لام الى فان قال القافية فى البيت الثانى يشرق بى رجع ضرورة الى مذهب الخليل وأصحابه لأن القافية عنده في هذا البيت من الياء التي للوصل وهى ههنا ضمير المتكلم الى شين يشرق مع حركة الياء التي قبلها فى أول الـكلمة وان جعل القافية باء الخفض التي في موضع الروى وياء الضمير التي قامت مقام الوصل رجع الى قول مَن جعل القافية حرف الروى وهو خلاف مذهبه وليس بشيء لانه لو كان صحيحاً لجاز في قصيدةٍ واحدةٍ فجر وفجار وفاجر وفجور ومنفجر وانفجار ومفجر ومتفجر ومفجور وهذا لا يكون أبداً الا أن الفراء يحيي بن زياد قدنص فى كتاب حروف المعجم أن القافية هي حرف الروى واتبعه على ذلك أكثر الـكوفيين منهم احمد بن كيسان وغيره وخالفه من أهل الـكوفة أبو موسى الحامض فقال القافية مالزم الشاعر تكراره فى آخر كل بيت .. وهذا كلام مختصر مليح الظاهر الا أنه اذا تأملته كلام الخليل بعينه لا زيادة فيه ولا نقصان

.. ومن الناس من جعل القافية آخر جزء من البيت .. قال أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي بعض الناس من العلماء يرى أن القافية حرفان من آخر البيت وحكى أنهم سألوا اعرابياً وقد أنشد

* بنات وطاء على خد الليل *

ما القافية فقال خد الليل .. ولا أدرى كيف قال أبو القاسم هذا لان خد الليل كلمتان وليستا حرفين الا اتساعاً وذا هو آخر جزء من البيت على قول من قاله ولو قال قائل ان الاعرابى انما أراد الياء واللام من الليل علي مذهب من يري القافية حرفين من آخر البيت لكان وجهاً سائغاً لان الاعرابى لا يعرف حروف التهجي فيقول القافية الياء واللام من الليل فكرر اللفظ ليفهم عنه السائل مراده .. ومنهم من جعل القافية فى الجزء الآخر من البيت وقال لا يسمى بيتاً من الشعر مادام قسيما أول .. ومنهم من قال البيت كله هو القافية لانك لاتبنى بيتاً على أنه من الطويل ثم تخرج منه الى البسيط ولا الي غيره من الاوزان .. ومنهم من جعل القافية القصيدة كلها وذلك اتساع ومجاز .. وسميت القافية قافية لانها تقفو إثر كل بيت .. وقال قوم لانها تقفو اخواتها والأول عندي هو الوجه لانه لو صح معنى القول الاخير لم يجز أن يسمي آخر البيت الأول قافية لانه لم يقف شيئاً وعلى أنه يقفو اثر البيت يصح جداً .. وقال أبوموسي الحامض هى قافية بمعنى مقفوة مثل ماء دافق بمعنى مدفوق وعيشة راضية بمعنى مرضية فكأن الشاعر يقفوها أى يتبعها وهذا قول سائغ متجه .. وسأذكر مما يلزم القافية من الحروف والحركات مالا غنى عن ذكره فى هذا الموضع مجملا مختصر البيان والايضاح ان شاء الله تعالى .. فأقول إن الشعر كله مطلق ومقيد فالمقيد ما كان حرف الروى فيه ساكنا وحرف الروى الذى يقع عليه الاعراب وتبنى عليه القصيدة فيتكرر فى كل بيت وان لم يظهر فيه الاعراب لسكونه وليس اختلاف اعرابه عيباً كما هو فى المطلق اقواء وحركة ماقبل الروى فى المقيد خاصة دون المطلق على رأى الزجاج وأصحابه توجيه .. وقال غيره في المطلق والمقيد جميعاً يسمي التوجيه مالم يكن الشعر مردفاً ويجوز فى التوجيه التغيير فيكون سناداً عند بعض العلماء وكان الخليل يجيزه على كره من جهة الفتحة فأما الضمة والكسرة فهما عنده متعاقبتان كالواو والياء فى الردف والفتحة كالالف وأنشدوا

• أحارِ بنَ عمرو كأنى خَمِرْ •

وفى القصيدة • وكندةُ حولى جميعاً صُبُرْ •

وفيها • تُحرقت الارض واليوم قَرْ •

فاختلف التوجيه بالكسر والضم والفتح .. وقد سمى ابن قتيبة وأبو عبيدة وغيرهما هذا العيب اجازة الا أن منهم من جعل الاجازة اختلاف حركة الروى فيما كان وصله هاء ساكنة خاصة وأنشدوا

الحمد لله الذى يعفوو يشتد انتقامُهْ

فى كرههم ورضاهم لايستطيعون اهتضامَه

وأنشد آخرون فى مثل ذلك الا أن منهم من أطلق الهاء

فديتُ من أنصفنى في الهوا حتى اذا أحكمه مله

آمنَ ما كنتُ ومن ذا الذى قبلى صفى العيشُ له كله

وكان ابن الرومي يلتزم حركة ماقبل الروى فى المطلق والمقيد فى أكثر شعره اقتداراً صنع ذلك في قصيدته القافية فى السوداء وفى مطولته • أبين ضلوعى جمرة تتوقد • قال شيخنا أبو عبد الله الاجازة بالزاى معجمة اختلاف حركات ما قبل الروى وهو مأخوذ من اجازة الحبل وهو تراكب قواه بعضها على بعض فكأن هذا اختلفت قوى حركاته .. وقد حكي ابن قتيبة عن ابن الاعرابى مثل قول أبى عبدالله وقال هو مأخوذ من اجازة الحبل والوتر .. والمطلق نوعان أحدهما ماتبع حرف رويه وصلٌ فقط .. والوصل أحد أربعة أحرف الياء والواو والالف والهاء ينفرد كل واحد منها بالقصيدة حتي تكمل فمما وصله ياء قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل

فبعد اللام ياء فى اللفظ لا يقوم الوزن الا بها ومما وصله واو

أمن المنون وريبها تتوجعُ

فبعد العين فى اللفظ واو كذلك ومما وصله ألف أيتها النفسُ اجملى جزعا

فبعد العين ألف ثابتة في الخط وانما أثبتوها دون الياء والواو لخفتها مرة وكونها عوضاً

من التنوين مرة ومما وصله هاء
أشجاكَ الرَّبع أو قِدمُهُ

وكل وصل ساكن ما خلا الهاء فانها تكون ساكنةً ومتحركةً وسيرد عليك ذكرها ان شاء الله تعالى ٠٠ واذا كان ماقبل الواو والياء والهاء ساكناً أو كانت مضاعفة لم تكن الا حرف روى لاغير لان الوصل لا يكون ما قبلها ساكناً ولعلة أن المقيد لاوصل له فأما الألف فلا يكون ما قبلها ساكنا لانها أخف من ذلك واذا انفتح ما قبل الواو والياء الساكنتين لم يكونا الا رويا عندسيبويه واذا انكسر ما قبلها أو انضم كنت فيهما بالخيار وكذلك الألف اذا كانت أصيلة أنت فيها بالخيار ٠٠ وأما الياء المشددة المكسور ماقبلها مع الياء المشددة المفتوح ماقبلها فرأيُ القاضي أبي الفضل جعفر بن محمد فيهما أن يكون المكسور ماقبلها ردفا ويكون المفتوح ما قبلها اما ردفا لما بقى فيها من المد واما غير ردف لذهاب أكثر المدمنها فتكون على المذهب الاول مثل قضينا مع رضينا وهذا سناد وعلى المذهب الثاني مثل ارداف بيت وترك ارداف الآخر كقول حسان بن ثابت ـ ولا توصه ـ في بيت ثم قال في الآخر ـ ولا تعصه ـ وهذا أيضا سناد ٠٠ وله رأى ثالث وهو أن تكون اليا آن لما أدغمت احداهما في الأخرى صارتا بمنزلة حرف واحد وصار التزام التشديد اختياراً من الشاعر والاَّ فترك التشديد جائز له ٠٠ وهذا قول الخليل والاخفش جميعا وقد أنكره الجرمي وأبو سعيد السيرافي ٠٠ وكل هاء تحرك ما قبلها فهي صلة الا أن تكون من نفس الكلمة فانك تكون فيها بالخيار وان شئت جعلتها رويا وان شئت سمحت بها فصيرتها صلة والتزمت ماقبلها فجعلته رويا ٠٠ وكثيراً ما يسقط الشعراء في هذا النوع ٠ قال أبو الطيب

أنا بالوشاة اذا ذكرتكَ أشبهُ ... تأتي الندى ويذاع عنك فتكره

واذا رأيتكَ دون عِرض عارضا ... أيقنتُ أن الله يبغي نصره

فغلط في التصريع لانه التزم فيه الهاء ولولا ذلك لكان البيتان رائيين وسمح بهاء تكره فصيرها صلة وان كانت من نفس الكلمة ٠٠ وقد وقع ابن المعتز في مثل حال أبي الطيب فقال

أفني العداةَ إمامٌ ماله شبه ... ولا نرى مثله يوما ولم نره

ضار اذا انقض لم تُحرم مخالبه مستوفزٌ لاتباع الحق منتبه
ما يحسن القطرُ أن ينهل عارضه كما تتابع أيام الفتوح له

وقال أيضا يصف كلاب الصيد فى أرجوزة

ان خرطتْ من قدّها لم نرها الاّ وما شاءت من الصيد لها
تمسكه عضا ولا يدمى به غريزة منهن أو تفقها

ووقع بشار بن بردعلى تقدمه عليهما فى مثل ذلك فقال

الله صورها وصيرها لاقتك أو لم تلقها نرها
نصباً لعينيك لاترى حسنا الا ذكرتَ لها به شَبها

ولا أعلم أن أحداً من العلماء تسامح فى مثل هذا بل هو عندهم عيب كالا كفاء وروى بيت بشار ـ نزها ـ بالنون والزاى جمع نزهة ولاعيب فيه على هذا .. وهاء حمزة وطلحة لا تكون الا صلة واذا تحركت هاء التأنيث كنت فيها بالخيار ان شئت التزمت ما قبلها وجعلتها كالصلة مجازاً وان شئت التزمتهـا فكانت على حقها رويا .. وهذا رأيهم فى كاف المخاطب مع التأسيس اذا شاؤا جعلوها رويا فلم يلتزم ماقبلها وان شاؤا جعلوها مقام الصلة والتزموا ما قبلها مجازاً وهو الاجود لاختيار الشعراء اياه قديما على اتساعهم فى تركه .. قال القاضى أبو الفضل من زعم أن التاء والكاف يكونان وَصلا فانما حمله على ذلك انه رأى بعض الشعراء قد لزم فى بعض شعره حرفا لم يفارقه فظن ذلك الحرف رويّاً .. وانما لم يجز عنده كونهما صلة لانهما ليس فيهما من مضارعة حروف المد واللين ما فى الهاء .. وقال من جعل التاء صلة كالهاء انهـا تجيءُ للتأنيث مثلها وتكون اسما كما تكون الهاء اسما وتزاد كما تزاد الهاء وان الهاء تنقلب تاء فى درج الكلام وشبه الكاف بالهاء لانهـا حرف اضمار مثلها وانها تكون اسما للمجرور والمنصوب كالهاء .. والنوع الآخر من المطلق ما كان لوصله خروج ولا يكون ذلك الوصل الا هاء متحركة نحو قول الشاعر

والشيخُ لايترُكُ أخلاقه حتي يُوَاري في ثرى رَمسه

فالسين حرف الروى وحركتها مجرى وان شئت اطلاق كلاهما يقال والهاء وصل [١] وحركتها نفاذ و بعدها فى اللفظ ياء هي الخروج ولو كانت الهاء مضمومة كان الخروج واواً أو مفتوحة كان الخروج ألفاً . . ولا يكون حرف الروي الا فى أحد ثلاثة مواضع امامتأخرا كقول طرفة لخولة أطلالٌ ببرقة ثهمد

فالدال روى واما قبل المتأخر ملاصقاً له كقول عمرو بن كلثوم

ألا هُبي بصحنكِ فاصبحينا

فالنون حرف الروي أو قبل المتأخر بحرف كقول لبيد

عَفتِ الدّيارُ محلها فمقامها

فالميم حرف الروى . . وهذه المواضع المذكورة انما هى فى اللفظ لا فى الخط . . ولا يكون حرف الروى اذا كان بعده شئ الا متحركا لأن المقيد لا شئ بعده وأنشد بعضهم

شَلتْ يدَا فاريَةٍ فَرتْها

على أن التاء حرف روى فرد ذلك العلماء بالعلة التى ذكرتها وقالوا انما التزم التاء والراء قبلها اتساعا والا فالهاء هي الروى . . وكل شعر فلا بد أن يكون مطلقا أو مقيداً ثم لابد أن يكون مردفاً أو مؤسساً أو معرّي منهما مجرداً . . فالمردف نوعان تشترك الياء والواو فى أحدهما نحو قول علقمة الفحل

طَحي بكَ قلبٌ فى الحسانِ طَروبُ بُعيدَ الشبابِ عَصرَحانَ مَشيب

فالياء فى مشيب مقام الواو في طروب وتنفرد الالف بالنوع الآخر نحو قول امرئ القيس

ألا عم صباحاً أيها الطللُ البالى

لا يشركها غيرها والحركة التى قبل الردف ياء كانت أو واواً أو ألفاً تسمي الحذوَ وقد تجرئ الضمة واواً فى اللفظ والكسرة ياء وذلك مع هاء الضمير فتكون ردفا وان لم تثبت فى الخط نحو قول ابن المعتز

ضمخوا عارضها بالمسك فى خدٍ أسيلِ

---

(١) ن والهاء وصل حركتها نفاذ

نحت صدغين يشيـــران الى وجه جميلِ
عندىَ الشوق اليه والتناسى عنده لى

ومن المردف ما تكون حركة الحذو فيه مخالفة للردف فيجعل شعراً على جهته فان دخل مع غيره كان سناداً وذلك مثل هوْلٍ وسبلٍ يكونان في قصيدة ولا يكون معهما سول وفيل ٠٠ وقياس المردف فى الوصل والخروج وغير ذلك من حروف الروى وحركته جار على ما تقدم فى المجرد من الردف الا الحذو والتوجيه فان المقيد يختص بالتوجيه وهو الروى والمردف يختص بالحذو وهو حركة ما قبل الردف وان كان المردف مقيداً أسقط التوجيه و بقى الحذو لأن الردف قد سد موضع التوجيه ٠٠ وقد يلتبس بالمردف ماليس بمردف فيجتنبه الشعراء مثل فيهم مع منهم وهو جائز لأن الهاء ليست رويًّا فتكون الياء ردفا وانما الروي الميم و يجتنبون منكم مع منهم وذلك جائز لا عيب فيه لما قدمت آنفاً ٠٠ وكان ابن الرومى خاصة من بين الشعراء يلتزم مالا يلزمه فى القافية حتى انه لا يعاقب بين الواو واليـاء فى أكثر شعره قدرةً على الشعر واتساعا فيه ٠٠ والاجود أن يكون الردف والروى جميعاً فى كلمة واحدة فاذا كانا فى كلمتين فلا بأس ٠٠ والمؤسس من الشعر ما كانت فيه ألف بينها و بين حرف الروي حرف يجوز تغـيـيره فذلك الحرف يسمى الدخيل وحركته تسمي الاشباع و يجوز تغييرها عند الخليل ولا يجوز عند أبى الحسن الأخفش مثال ذلك ما أنشده أبو زكريا الفراء

تهوى الخليطَ وان أقمنا بعدهم ان المقيم مكلفٌ بالسائر
ان المطىَّ بنا يخدْن ضحى غدٍ واليوم يومُ لبانةٍ وتزاورِ

وهو جائز غير معيب ٠٠ وأما القاضى أبو الفضل فرأيه أن حركة الدخيل مادامت اشباعا جاز فيها التغيير بالنصب والخفض والرفع فاذا قيد الشعر وصار موضع الاشباع التوجيه لم يجز الفتح مع واحد منهما واعتل فى ذلك بمجال المطلق غير المؤسس ان ما قبل رويه جائز تغييره فاذا قيد لم يجز الفتح فيه الا وحده فهو سناد و يشارك الضم والكسر وهذا قول واضح البيان ظاهر البرهان والناس مجمعون على تغيير الدخيل حتى ان بعضهم لم يسمه لتغيره واضطرابه لكن عده فيما لا يلزم القافية فسكت عنه ٠٠ وأما الاشباع فالقول

فيه ماقدمت واذا كان ألف التأسيس فى كلمة وحرف الروى فى كلمة أخرى لم يعدوها تأسيساً لبعدها الا أن يكون حرف الروى مع مضمر متصل أو منفصل فان الشاعر بالخيار ان شاء جعل الالف تأسيساً وان شاء لم يجعلها تأسيساً فالتي لا تكون عندهم تأسيساً قول عنترة

* والناذرين اذا لم القهما دمي *

لما كان الاسم ظاهراً .. وقد أنشد بعضهم فى أبيات اللغز والمعاياة

أقول لعمرو حين خودَ راله ونحن بوادى عبد شمس وهاشم

وهي من الوهي وشم من الشيم للبرق .. وقول الآخر

أقول لعبدِ الله لما لقيته ونحن بوادى الروم فوق القناطر

فالقنا جمع قناة وطر أمر من طار يطير فرخص فيه لما انكسرت حركة دخيله على متعارف الشعر وهو كلام حسن الظاهر الا أنه خلاف لما قال العلماء والتى تكون تأسيساً لكونها مع المضمر قول الشاعر

تزيد حسي الكأس السفيه سفاهةً وتترك أخلاقَ الكريم كما هيا

.. وقول جرير

فردى جمال الحىّ ثم تحملى فما لك فيهم من مقام ولا ليا

فهذا ضمير متصل والذى قبله ضمير منفصل .. ومما جاءت الالف فيه غير تأسيس مع المضمر قول الشاعر وهو من شواهد أبي الفتح عثمان بن جنى النحوى

أية جاراتك تلك الموصيه قائلةً لا تسقيا بحبليه

لو كنتُ حبلاً لسقيتها بيه لو قاصراً وَصلتهُ بثوبيه

فالألف فى سقيتها غير تأسيس فاذا كانت الهاء والكاف التى للمخاطب دخيلا لم يخلط الشعراء بها غيرها اتساعاً والافهو جائز .. وأنشد الجرمى لعوف بن عطية بن الجزع

فان شئتما ألقحتما ونتجتما وان شئتما عينا بعين كما هما

وان كان عقلا فاعقلا لاخيكما بنات المخاض والفصالَ المقاحما

ومن المؤسس والمردَف ما يلتبس على المبتدئ فلا يميزه الا عن كلفة و بعدَ فترةٍ فأوردت منه ما يكون له مثالا يستدل به و يعمل عليه ان شاء الله تعالى .. فمن ذلك تغيير ما قبل الكاف في القافية المؤسسة لانه دخيل والكافُ رويٌ والتزامه يعد اتساعا فاذا كانت موضع الكاف هاء صار الشعر مُردَفاً موصولا ولم يجز تغيير ماقبل الهاء لانك لو غيرته لكنت قد غيرت حرف الروى مثال ذلك قول كثير أو غيره

تراغتْ لو شكِ البينِ بُزْلُ جِمالِكِ ولو شئتِ ما فجعتِنى بارتحالِكِ

فالتزم اللام فى القصيدة كلها أو فى أكثرها اتساعاً ولو غير كما فعل ذوالرمة في قوله

اما استحلبتْ عينيك الا محلةٌ بجمهور حُزْوَى أو بجرعاء مالكِ

أناخت روايا كلِّ دلو به بها وكلِّ سماكيٍّ أجشَّ المبارِكِ

لم يكن عيباً لان الكاف روي وصلتها الياء التى بعدها فى اللفظ والدخيل راءُ المبارك ولام مالك وقد التزمه كثير كأنَّ القافية عنده لامية مردفة فالكاف مقام الهاء صلة على المجاز لا على الحقيقة .. وقال كثير في المردف

على ابن أبى العاصى دِلاصٌ حصينة أجادَ المسدِّى سردَها وأذالها

فاللام روى والألف التى قبلها رِدفٌ والهاء صلة والألف التي بعدها خروج ولا يجوز أن يقال لهذه القافية مؤسسة لان الهاء اذا تحرك ما قبلها وليست من نفس الكلمة لم تكن الا صلة واذا كانت الهاء صلة لم تكن اللام الاّ روياً ولا يجوز تغييرها .. وجميع ما يلحق القوافى من الحروف والحركات ستة أحرف وست حركات فالأحرف الرويُّ والردف والتأسيسُ والوصلُ والخروج والدخيل والحركات الاطلاق والحذو والرسُّ والتوجيه والنفاذُ والاشباع والذي يجتمع منها فى قافيةٍ واحدة خمسة أحرف وهي التأسيس والرّوي والصلة والخروج والدّخيل وكلها يلزم تكراره بعينه الاّ الدّخيل وأربع حركات وهي الرسُّ والاشباع والاطلاق والنفاذ وذلك مثل قول الشاعر

يوشكُ مَن فرَّ من منيته فى بعض غِرّاته يوافقها

ولا يجتمع فى قافية الحذوُ والرس كما لايجتمع الردف والتأسيس وكذلك لا يجتمع أيضاً

التوجيه والاشباع فيسقط التوجيه اذا كان المؤسس مطلقا ويسقط الاشباع اذا كان المؤسس مقيداً .. وقد أنكر الجرميُّ والاخفش وأصحابهما على الخليل تسمية الرس وقالوا لامعنى لذكر هذه الفتحة لان الألف لايكون ما قبلها الا مفتوحاً وانما احتيج الى ذكر الحذو قبل الردف لان الحذو قد يتغير فيكون مرة فتحة قبل ألف ومرة كسرة قبل ياء ومرة ضمة قبل واو .. ومما يجب أن يراعي فى هذا الباب الاقواء والاكفاء والايطاء والسناد والتضمين فانها من عيوب الشعر .. فأما الاقواء والاكفاء فاختلف العلماء فيهما وفى اشتقاقهما .. وأما السناد والايطاء فاتفقوا فيما دون اشتقاقهما وعند أكثر العلماء اختلاف اعراب القوافى اقواء وهو غير جائز لمولد وانما يكون فى الضم والكسر ولا يكون فيه فتح هذا قول الحامض .. وقال ابن جنى والفتح فيه قبيح جداً الا أن أبا عبيدة ومن قال بقوله كابن قتيبة يسمون هذا إكفاءً والاقواءُ عندهم ذهاب حرف أومايقوم مقامه من عروض البيت نحو قول الشاعر وهو بجير بن زهير ابن أبي سلمي

كانتْ عُلالَةَ يومِ بطنِ حُنينِ وغداةَ أوطاس ويوم الأبرقِ

واشتقاقه عندهم فيما روى النحاس من أقوت الدار اذا خلت كأن البيت خلامن هذا الحرف .. وقال غيره انما هو من أقوى الفاتلُ حبله اذا خالف بين قواه فجعل احداهن قوية والاخرى ضعيفة أو مُمرَّةً والاخرى سحيلةً أو بيضاء والاخرى سوداء أوغليظة والاخرى دقيقة أو انحل بعضها دون بعض أو انقطع وهذا يسميه الخليل المقعد وهو من باب الوزن لامن باب القافية والجمهور الاول من العلماء على خلاف رأي أبي عبيدة فى الاقواء .. وأما الاكفاء فهو الاقواء بعينه عند جلة العلماء كأبي عمرو بن العلاء والخليل بن احمد ويونس بن حبيب وهو قول احمد بن يحيي ثعلب وأصله من أكفأت الاناء اذا قلبته كأنك جعلت الكسرة مع الضمة وهى ضدها وقيل من مخالفة الكفوة صواحبها وهى النسيجة من نسائج الخباء تكون فى مؤخره فيقال بيت مكفأ تشبيهاً بالبيت المكفأ من المساكن اذ كان مشبهاً به في كل أحواله .. قال الاخفش البصرى الاكفاء القلب وقال الزجاجي وابن دريد كفأت الاناء اذا قلبته واكفأته اذا أملته كان الشاعر أمال فمه بالضمة فصيرها كسرة الاابن دريد رواهما أيضاً بمعنى قلبته شاذا وقيل بل من المخالفة

في البناء والكلام يقال أكفأ البانى اذا خالف فى بنائه وأكفأ الرجل في كلامه اذا خالف نظمه فأفسده قال ذو الرمة

ودوِّية قفرٍ ترى وجهَ ركبها إذا ما علوها مكفأً غيرَ ساجع

وقال المفضل الضبى الاكفاء اختلاف الحروف فى الروي وهو قول محمد بن يزيد المبرد وأنشد

قُبِّحتِ من سالفةٍ ومن صُدُغْ كأنها كُشيةُ ضبٍّ في صُقُع

فأتى بالعين مع الغين واشتقاقه عنده من المماثلة بين الشيئين كقولك فلان كفء فلان أى مثله قال ومنه كافأتُ الرجل كأن الشاعر جعل حرفاً مكانَ حرف والناسُ اليوم فى الاكفاء على رأي المفضل وهو عيب لا يجوز أيضا لمحدث ولا يكون الا فيما تقارب من الحروف والا فهو غلط بالجملة هذا رأى الاخفش سعيد بن مسعدة والخليل يسمى هذا النوع الاجازة .. قال الفراء الاجازة فى قول الخليل أن تكون القافية طاء والاخري دالاً وقال أبو اسحاق النجيرمي الاجازة بالراء لاغير وهي من الجوار وهو الموج قال ابن السكيت وهو الماء الكثير وأنشد للقطامي يذكر سفينة نوح عليه السلام - ولولا اللهُ جاربها الجوارُ - قال المهلبي ورأيته بخط الطوسي والسكرى بالراء وهو قول الكوفيين فأما البصريون فيقولون الاجازة بالزاى حكي ذلك ابن دريد .. وقال بعض شيوخنا الاجارة فى القوافي مشتقة من الجوار في السكني والذمام ألا ترى أنها فيما تقارب من الحروف فكأن الحرف جاورِ الآخر ودخل فى ذمامه وقال قوم بل هي من الجور كأنَّ القافية جارت أى خالفت القصد وأجارها الشاعر أى صيرها كذلك وعلى هذا يصح قول النجيرمى فاذا تأملنا أقاويل العلماء وجدنا الاجازة بالزاى اختلاف التوجيه وهو حركة والاجارة بالراء اختلاف الروى وهو حرف وليس هذا من هذا في شيء فكأنَّ العلماء لم يختلفوا حينئذ لان التسمية اختلفت باختلاف المسمى .. ومثل الاجازة الاصراف حكاه شيخنا أبو عبد الله قال وهو أن تكون القافية دالاً والاخرى طاء والقصيدة مصرفةً ولذلك قال الشاعر

مقومةً قوافيها وليست بمصرَفةِ الرويِّ ولا سناد

وأما السناد فأنواع كثيرة منها وهو المشهور أن يختلف الحذو وهو حركة ما قبل الردف فيدخل شرط الالف وهي الفتحة على الياء والواو كقول الفضل بن العباس اللهبي

* واملأ وجهك الجميل خُموشا *

ثم قال * وبنا سميت قريشٌ قريشا *

وهو كثير للعرب غير جائز للمولدين ومنها اختلاف الاشباع كقول النابغة

- يزرن ألالَ سيرُهنّ التدافع -

والقصيدة كلها اشباع ومنها ارداف قافية وتجريد أخري كقول حسان بن ثابت في قافية

فارسل حكيما ولا توصهِ

وقال في أخري وشاور لبيباً ولا تعصه

ومنها تأسيس قافية دون اخواتها كقول العجاج -فخندفٌ هامةُ هذا العالم- وأول هذه الارجوزة * يادار سلمى يا اسلمي ثم اسلمي *

وكلها غير مؤسسة الا هذا البيت وحده ويقال ان لغته الهمز فاذا همز لم يكن تأسيساً

.. ومنها اختلاف التوجيه نحو قول امرئ القيس بن حجر

لاَ وأبيكِ ابنةَ العامري لا يدعى القومُ اني أفِرْ

ثم قال تميمُ بن مرٍّ واشياعها وكندةُ حولى جميعاً صُبُرْ

اذا ركبوا الخيل واستلأموا تحرَّقتِ الارض واليوم قَرّ

فما قبل الراء في البيت الأول مكسور وفي الثاني مضموم وفي الثالث مفتوح وليس هذا بعيب شديد عندهم .. قال الزجاجي السناد كل عيب يلحق القافية ما خلا الاقواء والا كفاء والايطاء وهذا قول فيه بيان واختصار .. وقال علي بن عيسى الرماني السناد اختلاف ما قبل حرف الروي أو بعده على أي وجه كان الاختلاف بحركة كان أو بحرف .. وقال ابن جني السناد كل عيب يحدث قبل الروي .. واشتقاق السناد من من تساند القوم اذا جاؤا فرقاً لا يقودهم رئيس واحد وقيل بل هو من قولهم ناقة سناد اذا كانت قوية صلبة لان الياء الصلبة أقوى في النطق من الياء اللينة .. وقالوا بل

السناد الناقة المشرفة كأن احدى القوافي أشرفت على اخواتها ٠٠ وأما الايطاء فهو أن يتكرر لفظ القافية ومعناها واحد كما قال امرؤ القيس في قافية ـ سَرْح مرقب ـ وفي قافية أخري ـ فوق مرقب ـ وليس بينهما غير بيت واحد ٠٠ وكلما تباعد الايطاء كان أخف وكذلك ان خرج الشاعر من مدح الى ذم أو من نسيب الى أحدهما ألا ترى الى قولهم دع ذا وعد عن ذا فكان الشاعر في شعر آخر وأقبح من هذا الايطاء قول تميم بن أبي مقبل

أو كاهتزاز رديني تداوله أيدي التجار فزادوا متنه لينا

ويروى ـ تذاوقه ـ ثم قال في القصيدة غير بعيد

نازعت ألبابها لُبي بمقتصد من الاحاديث حتى زدنني لينا

فكرر القافية والمعني مع أكثر لفظ القسم وأشد من ذلك قول أبي ذؤيب في بنيه

سبقوا هوىً وأعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنبٍ مصرع

ثم قال في صفة الثور والكلاب

فصرعنه تحت العجاج فجنبه متترب ولكل جنبٍ مصرع

فكرر ثلث البيت ٠٠ واذا اتفق الكلمتان في القافية واختلف معناهما لم يكن ايطاء عند أحد من العلماء الا عند الخليل وحده فان يزيد عنده بمعنى الاسم ويزيد بمعنى الفعل ايطاء وكذلك جون للابيض والاسود وجلل للكبير والصغير واذا كان أحد الاسمين نكرة والآخر معرفة لم يكن ايطاء وكذلك ضرب للواحد وضربا للاثنين ولم تضرب للمذكر ولم تضربي للمؤنث ومن غلام ومن غلامي مضافا كل هذا ليس بايطاء ٠٠ وأما اختلاف الحروف على الاسم كقولك لزيد وبزيد وعلى الفعل كقولك اضرب ويضرب وتضرب في مخاطبة المذكر والحكاية عن المؤنث فكل ذلك ايطاء ٠٠ والايطاء جائز للمولدين الا عند الجمحي وحده فانه قال قد علموا أنه عيب ٠٠ وقال الفراء انما يواطيء الشاعر من عي واذا كرر الشاعر قافية للتصريع في البيت الثاني لم يكن عيباً نحو قول امرئ القيس

خليليّ مرا بي علي أم جندب

ثم قال في البيت الثاني ـ لدي أم جندب ـ واشتقاقه من الموافقة قال الله عز وجل ﴿ ليوَاطئوا عِدَّةَ ما حرَّمَ الله ﴾ أي ليوافقوا ٠ وقال قوم بل الايطاء من الوطء كأن الشاعر أوطأ القافية عقب أختها كما قال توبة يخاطب بعل ليلى الاخيلية

لعلك ياتيساً نزَى في مَريرَة ... تُعاقبُ ليلي أن تراني أزورها

على دماءُ البدْن ان إكان بَعلها ... يري لىَ ذنباً غير أني أزورها

والتضمين أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها كقول النابغة الذبياني

وهم وردوا الجفارَ علي تميم ... وهم أصحابُ يوم عكاظ اني

شهدتُ لهم مواطن صالحاتٍ ... وثقتُ لهم بحسن الظن مني

وكلما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثاني بعيدة من القافية كان أسهل عيباً من التضمين ويقرب من قول النابغة قول كعب بن زهير

ديار التي بتّت حبالي وصرمت ... وكنت اذا ما الحبل من خُلةٍ صُرم

فزعتُ الى وجناءَ حرف كأنما ... بأقرابها قارٌ اذا جلدها استحم

وأخف من هذا قول ابراهيم بن هرَمة

إما تريني شاحباً متبذلا ... كالسيف يَخلق جُفنه فيضيع

فلرب لذة ليلة قد نلتهـا ... وحرامها بحلالهـا مدفوع

وليس منه قول متمم بن نويرة

لعمرى ومادهري بتأبين هالكٍ ... ولا جزعا مما أصاب فأوجعا

لقد كفن المنهالُ تحتَ ردائه ... فتيً غيرمبطان العشيات أروعا

وربما حالت بين بيتي التضمين أبيات كثيرة بقدر ما يتسع الـكلام وينبسط الشاعر في المعاني ولا يضره ذلك اذا أجاد ٠٠ ويجمع القوافي كلها خمسة ألقاب ٠ المتكاوِس وهو أربع حركات بين ساكنين وله جزء واحد وهو فعلتن والفراء لا يعده لانه عنده من المتدارك لأن فعلتن انما هي مستفعلن مزاحف السببين ٠ والمترا كب وهو ثلاث متحركات

بين ساكنين ولهاجزآن مفاعلتن وفعلن . والمتدارك وهو حركتان بين ساكنين وهو نحو مفاعلن ومتفاعلن ومستفعلن وفاعلن . والمتواتر وهو ما توالى فيه متحرك بين ساكنين نحو مفاعيلن وفاعلاتن وفعلاتن ومفعولن . والمترادف وهوما اجتمع فى آخره ساكنان نحو فاعلان ومتفاعلان ومستفعلان وما أشبه ذلك .. ولا يجتمع نوعان من هذه الانواع في قصيدة الا في جنس من السريع فان المتواتر يجتمع فيه مع المتراكب اذا كان الشعر مقيداً

كقول المرقش فى بيت * وأطرافُ الأكفِّ عنمْ *

وفى بيت آخر * قد قلتُ فيه غيرَ ما تعلمْ *

باب التقفية والتصريع

هذا باب يشكل على كثير من الناس علمه ويلحقه عيب سماه قدامة التجميع كأنه من الجمع بين رويين وقافيتين ورأيت من يقول التخميع بالخاء كانه من الخمع فى الرِّجل وسأذكره فى موضعه ان شاء الله تعالى .. فأما التصريع فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه وتزيد بزيادته نحو قول امرئ القيس فى الزيادة

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسمٍ عفت آياته منذ أزمان

وهى فى سائر القصيدة مفاعلن وقال في النقصان

لمنْ طللٌ أبصرتهُ فشجانى كخطِّ زَبورٍ فى عَسيبٍ يمانى

فالضرب فعولن والعروض مثلهُ لمكان التصريع وهي فى سائر القصيدة مفاعلن كالأولى فكل ما جرى هذا المجرى فى سائر الأوزان فهو مصرَّع .. والتقفية أن يتساوى الجزآن من غير نقص ولا زيادة فلا يتبع العروض الضرب فى شيء الا في السجع خاصة مثال ذلك قوله

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل بسقط اللوى بين الدَّخول فحوملِ

فهما جميعاً مفاعلن الا أن العروض مقفى مثل الضرب فكل مالم يختلف عروض بيته

الأول مع سائر عروض أبيات القصيدة الا في السجع فقط فهو مقفي ٠٠ واشتقاق التصريع من مصراعي الباب ولذلك قيل لنصف البيت مصراع كأنه باب القصيدة ومدخلها وقيل بل هو من الصرعين وهما طرفا النهار ٠٠ قال أبو اسحاق الزجاج الاول من طلوع الشمس الى استواء النهار والآخر من ميل الشمس عن كبد السماء الى وقت غروبها ٠٠ قال شيخنا أبو عبد الله وهما العصران ٠٠ وقال قوم الصرع المثل وسبب التصريع مبادرة الشاعر القافية ليُعلم في أول وَهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منثور ولذلك وقع في أول الشعر وربما صرع الشاعر في غير الابتداء وذلك اذا خرج من قصة الي قصة أو من وصف شئ الى وصف شئ آخر فيأتي حينئذ بالتصريع اخباراً بذلك وتنبيهاً عليه وقد كثر استعمالهم هذا حتى صرعوا في غير موضع تصريع وهو دليل على قوة الطبع وكثرة المادة الا أنه اذا كثر في القصيدة دل على التكلف الاَّ من المتقدمين ٠٠ قال امرؤ القيس

تروحُ من الحيّ أم تبتكرْ ... وماذا عليك بأن تنتظرْ
أمرخٌ خيامهم أم عُشرْ ... أم القلب في إثرهم مُنحدرْ
وشاقكَ بينُ الخليط الشُّطُرْ ... وفيمن أقام من الحي هِرْ

فوالى بين ثلاثة أبيات مصرعة في القصيدة وقد يجعلون أولها

أحارِ بنَ عمروٍ كأني خمِر ... ويعدو على المرء ما يأتمِر

وقال عنترة العبسى

أعياكَ رسمُ الدارِ لم يتكلم ... حتى تكلم كالأصمّ الاعجم

ثم قال بعد بيت واحد

هل غادرَ الشعراءُ من متردَّم ... أم هل عرفتَ الدار بعد توهم
يادارَ عبلةَ بالجِواءِ تكلمي ... وعمى صباحاً دارَ عبلةَ واسلمي

فصرع البيت الأول والثالث والرابع ٠٠ وقولنا في شعر امرئ القيس وعنترة وغيرهما مما يستأنف مصرّعٌ انما هو مجاز وجرى على عادة الناس لئلا يخرج عن المتعارف والا

فقد بينت ذلك أولا .. ومن الناس من لم يصرع أول شعره قلة اكتراث بالشعر ثم يصرع بعد ذلك كما صنع الاخطل اذ يقول أول قصيدة

حلت صبيرةُ أمواهَ العدادِ وقد ... كانت تحل وأدنى دارها نكدُ
وأقفرَ اليوم ممن حلهَ الثمدُ ... فالشعبتان فذاكَ الأبلقُ الفردُ

فصرع البيت الثانى دون الأول .. وقال ذو الرمة أول قصيدة

أدارًا بحزوَي هجتِ للعين عَبرةً ... فماءُ الهوى يرفضُ أو يترقرقُ

ثم قال بعد عدة أبيات

أمن ميةَ اعتاد الخيالُ المؤرّقُ ... نعم إنها مما على النأي تطرقُ

وكان الفرزدق قليلا ما يصرع أو يلقي بالاً بالشعر كقوله

ألم ترأني يوم جوِّ سويقةٍ ... بكيتُ فنادتنى هُنيدةُ ماليا

فجاء بمثل هذه القصيدة الجليلة غير مصنوعة .. وكذلك قوله يرد على جرير

تكاثر يربوعٌ عليك ومالك ... على آل يربوع فمالك مَسرحُ

وأكثر شعر ذي الرمة غير مصرّع الاوائل وهو مذهب كثير من الفحول وان لم يعد فيهم لقلة تصرفه الا أنهم جعلوا التصريع فى مهمات القصائد فيما يتأهبون له من الشعر فدل ذلك على فضل التصريع .. وقد قال أبو تمام وهو قدوة

وتقفو الي الجدوَى بجدوَى وانما ... يروقك بيتُ الشعرِ حين يصرّعُ

فضرب به المثل كما ترى .. والتصريع يقع فيه من الاقواء والاكفاء والايطاء والسناد والتضمين ما يقع فى القافية .. فمن الاقواء ما أنشده الزجاجي وهو قول بعضهم

مابال عينك منها الماء مهراقُ ... سحا فلا غاربٌ منها ولا راقي

ومن الاكفاء قول حسان بن ثابت أنشده الجاحظ

ولستَ بخيرٍ من أبيك وخالكا ... ولستَ بخيرٍ من معاظلةِ الكلب

ومن الايطاء قول عبد الله بن المعتز

ياسائلا كيف حالي ... أنت العليم بحالى

ومن السناد قول اسماعيل بن القاسم أبي العتاهية

ويلي على الأظعان ولّوا عني بعتبةَ فاستقلوا

ومن التضمين قول البحتري

عذيري فيك من لاحٍ اذا ما شكوتُ الحبَّ قطعني ملاما

ومن ابتداء القصائد التجميع وهو أن يكون القسم الأول متهيئاً للتصريع بقافية مافيأتي تمام البيت بقافية على خلافها كقول جميل

يابثنَ انك قدملكت فاسجحي وخذي بحظك من كريم واصل

فتهيأت القافية على الحاء ثم صرفها الى اللام ‥ ومثله قول حميد بن ثور الهلالى

سل الربع أنىَّ يممت أمُ سالم وهل عادةٌ للربع أن يتكلما

فتهيأت له قافية مؤسسة لو شاء ثم أتت في آخر البيت غير مؤسسة ويروي أم أسلما فخرج عن التجميع ‥ ومن أشد التجميع قول النابغة الذبياني

جزى الله عبسا عبسَ آل بغيضٍ جزاء الكلاب العاويات وقدفعل

وانما التجميع فيما شابه الاطلاق أو قارب ذلك كقول جميل فيما تقدم وقول حميد وهو كالا كفاء والسناد فى القوافي الا انه دونهما في الكراهية جداً ‥ واذا لم يصرع الشاعر قصيدته كان كالمتسور الداخل من غير باب ‥ والمداخل من الأبيات ما كان قسيمه متصلا بالآخر غير منفصل منه قد جمعتهما كلمة واحدة وهو المدمجُ أيضاً وأكثر مايقع ذلك في عروض الخفيف وهو حيث وقع من الأعاريض دليل على القوة الا أنه في غير الخفيف مستثقل عند المطبوعين وقد يستخفونه في الأعاريض القصار كالهزج ومربوع الرمل وما أشبه ذلك ‥ ومن الشعر غير المصرع مالايجوز أن يظن تجميعاً وذلك نحو قول ذى الرمة واسمه غيلانُ بن عقبةَ

أأن ترسمت من خرقاء منزلةً ماءُ الصبابةِ من عينيكَ مسجومُ

لأن القافية من عروض البيت غير متمكنة ولا مستعمل مثلها وان كان استعمالها جائزاً لو وقع ‥ ومن الشعر نوع غريب يسمونه القواديسى تشبيهاً بقواديس السانية لارتفاع

بعض قوافيه فى جهة وانخفاضها فى الجهة الاخري فأول من رأيته جاء به طلحة بن عبيد الله العونى فى قوله وهي من قصيدة له مشهورة طويلة

كم للدُّمى الأبكار بالـــخبتين من منازل
بمهجتى للوجد من تذكارها منـــازل
معاهـــد رعيلها منفجر الهـواطل
لما نأيـــ ساكنها فأدمعي هـواطل

وهو مربوع الرجز تعمد فيه الاقواء وأوطأ فى أكثره قصداً كما فعل فى البيتين الاولين من هذه ٠٠ ومن الشعر جنس كله مصرع الا أنه مختلف الأنواع وأنا منبه عليها ان شاء الله تعالى ٠٠ فمن ذلك الشعر المسمطُ وهو أن يبتدئ الشاعر ببيت مصرع ثم يأتى بأربعة أقسمة على غير قافيته ثم يعيد قسماً واحداً من جنس ما ابتدأ به هكذا الى آخر القصيدة مثال ذلك قول امرئ القيس وقيل انها منحولة

توهمتُ من هند معالم اطلالِ عفاهنّ طولُ الدهر في الزمن الخالى
مرابعُ من هند خلت ومصائفُ يصيح بمغناها صدى وعوازفُ
وغيّرَها هوجُ الرياحِ العواصفُ وكل مُسفّ ثم آخر رادفُ
٭ بأسحم من نوء السما كين هطالِ ٭

وهكذا يأتى بأربعة أقسمة على أي قافيــة شاء ثم يكرر قسماً على قافية اللام وربما كان المسمط بأقل من أربعة أقسمة كما قال أحدهم

خيال هاج لى شجنا فبت مكابداً حزنا
عميدَ القلب مرتهناً بذكر اللهو والطرب
سبتنى ظبيــة عُطُلُ كأن رضابها عسلُ
ينوءُ بخصرها كفلُ ثقيلُ روادف الحقب

وربما جاؤا بأوله أبياتاً خمسة على شرطهم فى الاقسمة وهو المتعارف أو أربعة ثم يأتون بعد ذلك بأربعة أقسمة كما قال خالد القناص أنشده الزجاجي أبو القاسم

لقد نكرت عينى منازل جيران كاسطار رق ناهجٍ خلق فانى
توهمتها من بعد عشرين حجة فما استبينُ الدار الا بعرفان
فقلتُ لهاحييت يادارَ جيرتى أبينى لنا أنى تبدَّدَ اخوانى
وأىّ بلاد بعد ربعك حالفوا فان فؤادى عند ظبيةِ جيرانى

فجاء بأربعة أبيات كما ترى ثم قال بعدها

وما نطقت واستعجمت حين كلمت وما رجعت قولا وما ان ترمرمت
وكان شفائى عندها لو تكلمت الىّ ولو كانت أشارت وسلمت
ه ولكنها ضنت علىّ بتبيان ه

وهكذا الى آخرها وقدجاء هذا الشاعر فى قصيدته بخمسة أقسمة مرةواحدةولم يعاودها ولو عاودها لم يضره وكذلك لو نقص الا أن الاعتدال أحسن .. والقافية التى تكرر في التسميط تسمى عمود القصيدة واشتقاقه من السمط وهو أن تجمع عدة سلوك فى ياقوتة أو خرزة ما ثم تنظم كل سلك منها على حدته باللؤلؤ يسيراً ثم تجمع السلوك كلها فى زبرجدة أوبشب أونحو ذلك ثم تنظم أيضاً كل سلك على حدته وتصنع به كما صنعت أولا الى يتم السمط هذا هو المتعارف عند أهل الوقت .. وقال أبو القاسم الزجاجى انما سمى بهذا الاسم تشبيهاً بسمط اللؤلؤ وهو سلكه الذى يضمه ويجمعه مع تفرق حبه وكذلك هذا الشعر لما كان متفرق القوافى مُتعقباً بقافية تضمه وترده الى البيت الأول الذى بنيت عليه القصيدة صار كأنه سمط مؤلف من أشياء مفترقة .. ونوع آخر يسمى مخمساً وهو أن يؤتى بخمسة أقسمة على قافية ثم بخمسة أخرى فى وزنها على قافية غيرها كذلك الى أن يفرغ من القصيدة هذاهو الاصل وأكثروا من هذا الفن حتى أتوا به مصراعين مصراعين فقط وهو المزدَوجُ الا أن وزنه كله واحد وان اختلفت القوافي كذات الأمثال وذات الحلل وما شاكلهما ولا يكون أقل من مصراعين وكل مشطور أو منهوك فهو بيت وان قيل مصرع فعلى المجاز وماسوى ذلك مما لم يأت مثله عن العرب فهو مصاريع ليس ببيت ولم أجدهم يستعملون فى هذه المخمسات الا الرجز خاصة لأنه وطيء سهل المراجعة .. فأما المسمطات فقد جاءت فى أوزان كثيرة مختلفة كما

قدمت .. ونوعان من الرجز وهما المشطور والمنهوك فأما المشطور فما بني على شطر بيت نحو قول أبي النجم العجلي

الحمد لله الوهوبِ المجزلِ أعطي فلم يبخل ولم يبخَّلِ

وأما المنهوك فهو ما بنى على ثُلُثِ بيت ونهك بذهاب ثلثيه أي أضعف وهذا مثل قول أبي نواس

وبلدةٍ فيها زَوَرْ صعراءُ تخطى في صعرْ

فأشبه بهما مشطور السريع ومنهوك المنسرح وسيأتيان فيما بعد ان شاء الله تعالى .. وأنشد الزجاجى وزناً مشطراً مجير الفصول لا أشك أنه مولد محدث وهو

سقي طللا بحزوى هزيمُ الودقِ أحوي
عهدنا فيه أروى زماناً ثم أقوى
وأروى لا كنودٌ ولا فيها صدود
لها طرف صيودٌ ومبتسمٌ برودٌ
لئن شط المزار بها ونأت ديار
فقلبي مستطار وليس له قرار
ستدنيها ذَمول جلنفعةٌ ذَلولُ
اذا عرضت هجولُ تُقصِّرُ ما يطولُ

وهذا وزن ملتبس يجوز أن يكون مقطوعا من مربع الوافر ويجوز أن يكون من المضارع مقبوضاً مكفوفاً ذكره الجوهرى .. وأنشد لبعض المحدثين

أشاقك طيفُ مامهْ بمكة أم حمامهْ

أشاقك مفاعل وحقه فى أصل الوزن مفاعيلن .. وقد رأيت جماعة يركبون المخمسات والمسمطات ويكثرون منها ولم أر متقدماً حاذقاً صنع شيئاً منها لأنها دالة على عجز الشاعر وقلة قوافيه وضيق عطنه ما خلا امرأ القيس فى القصيدة التى نسبت اليه وما أصححها له وبشار بن برد قد كان يصنع المخمسات والمزدوجات عبثاً واستهانة بالشعر

وبشر بن المعتمر فقد أنشد الجاحظ له أول مزدوجة وصنع ابن المعتز قصيدة في ذم الصبوح وقصيدة في سيرة المتعضد ركب فيها هذا الطريق لما تقتضيه الالفاظ المختلفة الضرورية ولمراده من التوسع في الكلام والتملح بأنواع السجع •• وهذا الجنس موقوف على ابن وكيع والامير تميم بن المعتز ومن ناسب طبعهما من أهل الفراغ وأصحاب الرخص وقد يقع لبعض الشعراء البيتان والثلاثة لها قافية واحدة يجعلونها معاياةً فيتلاقفها العروضيون كالأبيات التي تروى لابن دريد وسترد في مكانها من سوى هذا الباب ان شاء الله تعالى

باب في الرجز والقصيد

قد خص الناس باسم الرجز المشطور والمنهوك وما جرى مجراهما وباسم القصيد ماطالت أبياته وليس كذلك لان الرجز ثلاثة أنواع غير المشطور والمنهوك والمقطع •• فاما الأول منها فنحو أرجوزة عبدة بن الطيب

باكرني بسحرةٍ عواذلى ... وعذلهنَّ خبلٌ من الخبلْ
يلمنني في حاجةٍ ذكرتها ... في عصر أزمان ودهرٍ قد نَسل

والنوع الثانى نحو قول الآخر

القلب منها مستريحٌ سالم ... والقلبُ منى جاهد مجهود

والنوع الثالث قول الآخر

قد هاج قلبي منزلُ ... من أم عمرو مُقفرُ

فهذه داخلة في القصيد وليس بممتنع أيضاً أن يسمى ما كثرت بيوته من مشطور الرجز ومنهوكه قصيدة لان اشتقاق القصيد من قصدت الى الشئ كأن الشاعر قصد الي عملها على تلك الهيئة والرجز مقصود أيضاً الى عمله كذلك •• ومن المقصَّد ما ليس برجز وهم يسمونه رجزا لتصريع جميع أبياته وذلك هو مشطور السريع نحو قول الشاعر أنشدناه أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوى عن أبي علي الحسين بن ابراهيم الآمدى

عن ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن أبي زيد الأنصاري

هل تعرفُ الدارَ بأعلى ذي القوزْ غيرها نأجُ الرياحِ والموزْ
ودرَست غيرَ رمادٍ مكفوزْ مكتئبِ اللون مريحٍ ممطور
وغير نؤيٍ كبقايا الدُّعثور أزمانَ عيناء سرورُ المسرُوزْ

* عيناء حوراءُ من العين الحور *

وأنشد أبو عبد الله لابن المعتز

ومقلة قد بات يبكيها فيضُ نجيع من مآقيها
وكلها طولُ تمنيها بأنجم الليلِ تراعيها
ومهجة قد كاد يفنيها طولُ سقامٍ ثابتٍ فيها
وبرؤها في كفِ مبليها كما ابتلاها فهو يشفيها
ليس لها من حبها ناصر من ذا على الأحباب يعديها

وهذا عند الجوهري من البسيط والذي أنشد أبو عبد الله على قول الجوهري هو من الرجز جعل الجزء الآخر مستفعلن مفروق فيه الوتد فأسكن اللام لأن آخر البيت لا يكون متحركا كخلفه مفعولات .. وأما منهوك المنسرح - صبرا بني عبد الدار - فهو عند الجوهري من الرجز ومثله - ويلم سعدٍ سعداً - الا أنه أقصد منه فعلى كل حال نسمي الأرجوزة قصيدة طالت أبياتها او قصرت ولا نسمي القصيدة أرجوزةً الا أن تكون من أحد أنواع الرجز التي ذكرت ولو كانت مصرعة الشطور كالذي قدمته فالقصيد يطلق على كل الرجز وليس الرجز مطلقاً على كل قصيد أشبه الرجزَ في الشطر .. قال النحاس القريض عند أهل اللغة العربية الشعر الذي ليس برجز يكون مشتقاً من قرض الشئ أي قطعه كأنه قطع جنساً وقال أبو اسحاق وهو مشتق من القرض أي القطع والتفرقة بين الاشياء كأنه ترك الرجز وقطعه من شعره وكان أقصر ما صنعه القدماء من الرجز ما كان على جزءين نحو قول دريد بن الصمة يومَ هوازن

ياليتني فيها جذَعْ أخبُّ فيها وأضعْ

حتى صنع بعض المتعقبين أظنه عليّ بن يحيي أو يحيي بن عليّ المنجم أرجوزة على جزء واحد وهي

طيفٌ ألمّ بذى سلمْ بعد العتَمْ يطوي الأكَمْ
جادَ بنِمْ وملتــزَم فيه هضمْ اذا يُضم

ويقال أن أول من ابتدع ذلك سلم الخاسر يقول فى قصيدة مدح بها موسى الهادي

موسى المطر غيث بكر ثم انهمر ألوى المرد
كم اعتسر ثم اينسر وكم قدر ثم غفر
عدل السير باقي الأثر خير وشر نفع وضر
خير البشر فرع مضر بدر بدَر والمفتخــر
لمن غبر

والجوهرى يسمي هذا النوع المقطع ٠٠ وقد رأى قوم أن مشطور الرجز ليس بشعر لقول النبي صلى الله عليه وسلم

هل أنتِ الا أصبع دميتِ وفى سبيلِ الله ما لقيتِ

بكسر التاء ورواية أخري بسكونها وتحريك الياء بالفتح قبلها وليس هذا دليلا وانما الدليل فى قول النبي صلى الله عليه وسلم عدم القصد والنية لانه لم يقصد به الشعر ولانواه فلذلك لايعد شعراً وان كان كلاما متزناً والا فالرجاز شعراء عند العرب وفى متعارف اللسان إلا أن الليث روي أنهم لما ردوا على الخليل قوله ان المشطور ليس بشعر قال لاحتجن عليهم بحجة ان لم يقروا بها كفروا قال فعجبنا من قوله حتى سمعنا حجته ٠٠ وقد رواه قوم دميت باسكان الياء والتاء جميعاً ولا يكون حينئذ موزوناً ٠٠ والراجز قل ما يقصد فان جمعهما كان نهاية نحو أبي النجم فانه كان يقصد وأما غيلان فانه كان راجزا ثم صار الى التقصيد ٠٠ وسئل عن ذلك فقال رأيتني لا أقع مع هذين الرجلين على شيء يعنى العجاج وابنه رؤبة وكان جرير والفرزدق يرجزان وكذلك عمر بن لجأ كان راجزاً مقصداً ٠٠ومثله حميد الأرقط والعمانى أيضاً وأقلهم رجزا الفرزدق ٠٠ وليس يمتنع الرجز

على المقصد امتناعَ القصيد علي الراجز الا ترى أن كل مقصد يستطيع أن يرجز وان صعب عليه بعض الصعوبة وليس كل راجز يستطيع أن يقصد واسم الشاعر وان عم المقصد والراجز فهو بالمقصد أعلق وعليه أوقع فقيل لهذا شاعر ولذلك راجز كأنه ليس بشاعر كما يقال خطيب أومرسل أونحو ذلك

باب في القطع والطوال

حدثنا الشيخ أبو عبد الله عبد العزيز بن أبى سهل رحمه الله تعالى قال سئل أبو عمرو بن العلاء هل كانت العرب تطيل فقال نعم ليُسمع منها قيل فهل كانت توجز قال نعم ليحفظ عنها .. قال وقال الخليل بن احمد يطول الكلام ويكثر ليفهم ويوجز ويختصر ليحفظ وتستحب الاطالة عند الاعذار والانذار والترهيب والترغيب والاصلاح بين القبائل كما فعل زهير والحارث بن حلزة ومن شاكلهما والا فالقطع أطير في بعض المواضع والطوال للمواقف المشهورات .. ويحكي أن الفرزدق لماوقع بينه وبين جرير ماوقع وحكم بينهما قال بعض الحكام الفرزدق أشعر لانه أقواهما أسرَ كلام وأجراهما في أساليب الشعر وأقدرهما على تطويل وأحسنهما قطعاً فقدم بالقطع كما ترى .. وقال بعض العلماء يحتاج الشاعر الى القطع حاجته الى الطوال بل هو عند المحاضرات والمنازعات والتمثيل والملح أحوج اليها منه الى الطوال .. وقال أحد المجودين وهو محمد بن حازم الباهلي

أبى لىَ أن أطيلَ المدح قصدى ... الى المعنى وعلمي بالصوابِ
وايجازى بمختصرٍ قصيرٍ ... حذفتُ به الطويلَ من الجوابِ

وقيل لابن الزبعري انك تقصر أشعارك فقال لان القصار أولج فى المسامع وأجول فى المحافل وقال مرة أخري يكفيك من الشعر غرة لائحة وسبة فاضحة .. وقيل للجماز لم لاتطيل الشعر فقال لحذفى الفضول وقال له بعض المحدثين وقد أنشده بيتين ما تزيد على البيت والبيتين فقال أردتَ أن أنشدك مُذارعة وهو القائل

أقول بيتاً واحداً أكتفي بذكره من دون أبيات

وقيل مثل ذلك لعقيل بن عُلّفةَ فقال يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق ٠٠ وقال الجاحظ قيل لابي المهوس لم لا تطيل الهجاء فقال لم أجد المثل السائر الا بيتاً واحداً ٠٠ وهجا محمد ابن عبد الملك الزيات احمد بن أبي دؤاد بتسعين بيتاً فقال ابن أبي دؤاد يخاطبه

أحسن من تسعين بيتاً سُدىً جمعُك معناهنَّ في بيت

ما أحوج الملك الى مطرة تغسلُ عنه وضرَ الزيت

غير أن المطيل من الشعراء أهيب في النفوس من الموجز وان أجاد على أن للموجز من فضل الاختصار ما ينكره المطيل ولكن اذا كان صاحب القصائد دون صاحب القطع بدرجة أو نحوها وكان صاحب القطع لا يقدر على التطويل ان حاوله بتة سوّيَ بينهما لفضل غير المجهود على المجهود فانا لا نشك أن المطول ان شاء جرد من قصيدته قطعة أبيات جيدة ولا يقدر الآخر أن يمد من أبياته التي هي قطعةٌ قصيدةً ٠٠ ولام قوم الكميت على الاطالة فقال انا على الاقصار أقدر هكذا جاءت الرواية ولا تكاد ترى مقطعاً الا عاجزاً عن التطويل والمقصد أيضاً قد يعجز عن الاختصار ولكن الغالب والاكثر أن يكون قادراً على ماحاوله من ذلك وبالعجز رمى الكميت ٠٠ وكان عبد الكريم بهذه الصفة لا يكاد يصنع مقطوعاً ولا أظن في جميع أشعاره خمس قطع أو نحوها وكان أبو تمام على جلالته وتقدمه مقصراً في القطع عن رتبة القصائد ٠٠ والمشهورون بجودة القطع من المولدين بشار بن برد وعباس بن الأحنف والحسن بن الضحاك وأبو نواس وأبو علي البصير وعلي بن الجهم وابن المعذّل والجماز وابن المعتز ٠٠ وكانوا يقولون في زمان منصور الفقيه وهو قريب من عصرنا هذا إيا كم ومنصوراً اذا رمح بالزَّوج وكان ربما هجا بالبيت الواحد ٠٠ ووصف عبد الكريم أبا الطيب فزعم أنه أحسن الناس مقاطيع ولو قال مقاطع بلا ياء قلنا صدقت ولم نخالفه وقيل اذا بلغت الابيات سبعة فهي قصيدة ولهذا كان الايطاء بعد سبعة غير معيب عند أحد من الناس ٠٠ ومن الناس من لا يعد القصيدة الا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو ببيت واحد ٠٠ ويستحسنون أن تكون القصيدة وتراً وأن يتجاوز بها العقد أو توقف دونه كل ذلك ليدلوا على قلة الكلفة وإلقاء البال بالشعر ٠٠ وزعم

الروات أن الشعر كله انما كان رجزاً وقطعاً وانه انما قصد على عهد هاشم بن عبد مناف وكان أول من قصده مهلهل وامرؤ القيس و بينهما و بين مجيء الاسلام مائة ونيف وخمسون سنة ذكر ذلك الجمحي وغيره ..وأول من طول الرجز وجعله كالقصيد الاغلب العجلى شيئاً يسيراً وكان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتى العجاج بعد فافتنَّ فيه فالأغلب العجلى والعجاج فى الرجز كامرئ القيس ومهلهل فى القصيد والشاعر اذا قطع وقصد ورجز فهو الكامل وقد جمع ذلك كله الفرزدق ومن المحدثين أبو نواس وكان ابن الرومي يُقصد فيجيد و يطيل فيأتى بكل احسان وربما تجاوز حتي يسرف وخير الأمور أوساطها .. وهو القائل

وإذا امرؤ مدح امرأ لنواله ... فأطال فيه فقد أرادَ هجاءه

لو لم يقدِّر فيه بُعدَ المستقى ... عند الورود لما أطال رشاءه

باب في البديهة والارتجال

البديهة عند كثير من الموسومين بعلم هذه الصناعة فى بلدنا أو من أهل عصرنا هي الارتجال وليست به لان البديهة فيها الفكرة والتأيد والارتجال ما كان انهماراً وتدفقاً لا يتوقف فيه قائله كالذى صنع الفرزدق وقد دفع اليه سليمان بن عبد الملك أسيراً من الروم ليقتله فدس اليه بعض بنى عبس سيفاً كهاماً فنبا حين ضرب به فضحك سليمان فقال الفرزدق ارتجالا فى مقامه ذلك يعتذر لنفسه و يعير بنى عبس بنبو سيف ورقاء بن زهير عن رأس خالد بن جعفر

فان يكُ سيف خان أو قَدَرٌ أبى ... لتأخير نفس حينها غير شاهد

فسيفُ بنى عبسٍ وقد ضربوا به ... نبا بيدىْ ورقاء عن رأسِ خالد

كذاك سيوف الهند تنبو ظُباتها ... ويَقطعن أحياناً مَناطَ القلائد

ولو شئت قُطَّ السيفُ مابين أنفه ... الى عَلقٍ دون الشراسيفِ جاسدِ

ثم جلس وهو يقول

ولا نقتلُ الأسري ولكن نفكهم   اذا أثقل الأعناق حمـلُ المغارم

وكالذى يروى عن أبي الخطاب عمر بن عامر السعدى المعروف بأبي الاسد وقد أنشد موسى الهادي شعراً مدحه به يقول فيه

ياخيرَ من عقدت كفاه حُجرته   وخـيرَ من قلدته أمرَها مضرُ

فقال له موسي إلاَّ مَن ياباءس فقال واصلا كلامه ولم يقطعه

الاَّ النبيَّ رسولَ الله ان له   فخراً وأنت بذاك الفخرِ تفتخـر

ففطن موسى ومن بحضرته أن البيت مستدرك ونظروا في الصحيفة فلم يجدوه فضاعف صلته .. وأعظم ارتجال وقع قصيدة الحارث بن حلزة بين يدي عمرو بن هند فانه يقال أتى بها كالخطبة وكذلك قصيدة عبيد بن الابرص وقيل أفضـل البديهة بديهة أمن وردت فى موضع خوف فما ظنك بالارتجال وهو أسرع من البديهة .. وكان أبو نواس قوى البديهة والارتجال لايكاد يقطع ولا يُرَوِّى الافلتةً .. روى أن الخصيب قال له مرة يمازحه وهما بالمسجد الجامع أنت غير مدافع فى الشعر ولـكنك لا تخطب فقام من فوره يقول مرتجلا

منحتكم ياأهل مصر نصيحتي   ألا فخذوا من ناصحٍ بنصيب

رما كم أمـيرُ المؤمنين بحيـةٍ   أكولٍ لحيات البلاد شروب

فان يكُ باقى سحرِ فرعون فيكم   فان عصى موسى بكف خصيبِ

ثم التفت اليه وقال والله لا يأتى بمثلها خطيب مِصقع فكيف رأيت فاعتذر اليه وحلف إن كنتُ الامازحاً .. وسمعت جماعة من العلماء يقولون كان مسلم بن الوليد نظير أبى نواس وفوقه عند قوم من أهل زمانه فى أشياء الا أن أبا نواس قهره بالبديهة والارتجال مع تقبض كان في مسلم واظهار توقر وتصنع وكان صاحب روية وفكرة لايتبده ولا يرتجل وكان أبو العتاهية فيما يقال أقدر الناس على ارتجال و بديهة لقرب مأخذه وسهولة طريقته اجتمع عدة من الشعراء فيهم أبو نواس فشرب أحدهم ماء ثم قال أجيزوا

* برد الماء وطابا * فكلهم تلعثم حتى طلع أبو العتاهية فقال فيم أنتم فأنشدوه فقال وما تروّى * حبذا الماءُ شرابا * فأتي بالقسيم رسلاً شبيهاً بصاحبه وذلك هو الذى أعوز القوم لاوزنُ الكلام •• وصحب رفقة فسمع زقاء الديوك فقال لرفيقه

* هل رأيت الصبح لاحا * قال نعم قال * وسمعت الديك صاحا * قال نعم قال * انما بكى على ا المغتر بالدنيا وناحا * فاستيقظ رفيقه للكلام أنه شعر فرواه فما جرى هذا المجرى فهو ارتجال ·· وأما البديهة فبعد أن يفكر الشاعر يسيراً ويكتب سريعاً ان حضرت آلة الا أنه غير بطيء ولا متراخ فان أطال حتى يُفرّط أو قام من مجلسه لم يُعدّ بديهاً •• وقالوا اجتمع الشعراء بباب الرشيد فأذن لهم فقال من يجيز هذا القسيم وله حكمه فقالوا وما هو يا أمير المؤمنين قال الملك لله وحده

•• فقال الجاز وللخليفة بعده

وللمحب اذا ما حبيبه بات عنده

فقال أحسنت وأتيت على ما فى نفسى وأمر له بعشرة آلاف درهم •• ومن عجيب ما اروى فى البديهة حكاية أبى تمام حين أنشد احمد بن المعتصم بحضرة أبى يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندى وهو فيلسوف العرب

اقدام عمرو في سماحة حاتم فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

فقال له الكندى ما صنعت شيئاً شبهت ابن أمير المومنين وولى عهد المسلمين بصعاليك العرب ومن هؤلاء الذين ذكرت وما قدرهم فأطرق أبو تمام يسيراً وقال

لا تنكروا ضربى له مَن دونه مثلا شروداً فى الندى والبس

فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس

فهذا أيضاً وما شاكله هو البديهة وان أعجب ما كان البديهة من أبى تمام لانه رجل متصنع لا يحب أن يكون هذا فى طبعه •• وقد قيل ان الكندى لما خرج أبو تمام قال هذا الفتى قليل العمر لانه ينحتُ من قلبه وسيموت قريباً فكان كذلك •• وقد كان أبو الطيب

كثير البديهة والارتجال الا أن شعره فيهما نازل عن طبقته جداً وهو لعمرى فى سعة من العذر اذ كانت البديهة كما قال فيها ابن الرومي

نار الروية نارٌ جِدُّ منضجةٍ ولِلبديهة نارٌ ذات تلويح
وقد يفضلها قوم لسرعتها لكنها سرعةٌ تمضى مع الريح

وقال عبد الله بن المعتز

والقولُ بعدالفكرُ يؤمنُ زيغُهُ شتان بين رويةٍ وبديه

ومن الشعراء من شعره فى رويته و بديهته سواء عند الأمن والخوف لقدرته وسكون جاشه وقوة غريزته كهدبة بن الخشرم العذرى وطرفةَ بن العبد البكرى ومرة بن محكان السعدى اذ يقول وقد أمر مصعب بن الزبير رجلا من بنى أسد بقتله

بنى أسد أن تقتلونى تحاربوا تميما اذا الحرب العوان اُشمعلّتِ
ولستُ وان كانت الى حبيبةً بباكٍ على الدنيا اذا ما تولتِ

وهذا شعر لو روّي فيه صاحبه حولا كاملا على أمن ودعة وفرط شهوة أو شدة حمية لما أتى فوق هذا .. وكذلك عبد يغوث بن صلاءة اذ يقول فى كلمة طويلة

أقول وقد شدُّوا لسانى بنسعةٍ أمعشرَ تيم أطلقوا من لسانيا
فيا راكباً إما عرضتَ فبلغنْ ندامایَ من نجرانَ أن لاتلاقیا

وكانوا قد شدوا لسانه خوفاً من الهجاء فعاهدهم فأطلقوه لينوح على نفسه فصنع هذه القصيدة وعرض عليهم فى فدائه ألف ناقة فأبوا الاَّ قتله فقال

فان تقتلونى تقتلونى بخيركم وان تطلقونى تحربونى بماليا

وهذه شهامة عظيمة وشدة .. ومن قول طرفة بن العبد لما أيقن بالموت

أبا منذر كانت غرورا صحيفتى ولم أعطكم فى الطوع مالى ولاعرضى
أبا منذر أفنيتَ فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهونُ من بعض

وأين هؤلاء من عبيد بن الابرص وهو شيخ الصناعة ومقدم فى السن على الجماعة إذ يقول له النعمان يوم بؤسه أنشدنى فقال حالَ الجريضُ دونَ القريض قال أنشدنى قولك

أقفرَ من أهله ملحوب فالقطبياتُ فالذَّنوبُ

فقال لا ولكن أقفرَ من أهله عبيد فاليوم لا يُبدى ولا يعيد

فبلغت به حال الجزع الى مثل هذا القول على أن فى بيتي طرفةً بعض الضراعة ٠٠ وممن وجد نفسه عند احاطة الموت به تميم بن جميل فانه القائل بين يدى المعتصم وقد قدم السيف والنطع لقتله

أرى الموتَ بين النطع والسيف كامنا يلاحظنى من حيث ما أتلفتُ

وأكبرُ ظنى أنكَ اليوم قاتلى وأيُّ امرىءٍ مما قضى الله يُفلت

وأيُّ امرىءٍ يدلى بعذر وحجة وسيف المنايا بين عينيه مُصلتُ

يعز على الأوس بن تغلب موقف يسل عليَّ السيف فيه وأسكتُ

وما حزنى أني أموت واننى لاعلم أن الموت شيءٌ موقتُ

ولكن خلفى صبية قد تركتهم وأكبادهم من حسرة تتفتت

كأني أراهم حين أنعي اليهم وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا

فان عشت عاشوا خافضين بنعمة أذود الردى عنهم وان مت موتوا

فكم قائلٍ لا أبعد الله داره وآخرَ جذلانٍ يسرُّ ويشمت

فعفا عنه المعتصم وأحسن اليه وقلده عملا ٠٠ وعلي بن الجهم هو القائل وقد صُلب عريانًا

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية اا إثنين مغلولا ولا مجهولا

نصبوا بحمد الله ملءُ عيونهم حسناً وملءُ قلوبهم تبجيلا

ماضره أن بُزَّ عنه لباسهُ فالسيف أهولُ ما يُرى مسلولا

وهذا من جزل الكلام لا سيما فى مثل ذلك المقام وكان علي من الفضلاء علما بالشعر وصناعة له ٠٠ حكي عن علي بن يحيي أنه قال كنت عند المتوكل اذ أتاه رسول برأس اسحاق بن اسمعيل فقام علي بن الجهم يخطر بين يديه ويقول

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئتَ بما يشفى من الغليل

برأس اسحق بن اسمعيل

فقال المتوكل قوموا التقطوا هذا الجوهر لا يضيع ٠٠ والشاعر الحاذق المبرِّز اذا صنع البديهة قنع منه بالعفو اللين والنزر التافه لما فيهما من المشقة وهو في الارتجال أعذر ٠٠ واشتقاق البديهة من بدهَ بمعنى بدأ أبدلت الهمزة هاءً كما أبدلت فى أشياء كثيرة لقربها منها فقد قالوا مدَحَ ومدهَ ولهنَّكَ تفعل كذا بمعنى لانك ومثل ذلك كثير ٠٠ والارتجال مأخوذ من السهولة والانصباب ومنه قيل شعر رجلٌ اذا كان سبطاً مسترسلاً غير جعدٍ وقيل هو من ارتجال البئر وهو أن تنزلها برجليك من غير حبل

باب فى آداب الشاعر

من حكم الشاعر أن يكون حلو الشمائل حسن الاخلاق طلق الوجه بعيد الغور مأمون الجانب سهل الناحية وطئ الأكناف فان ذلك مما يحببه الى الناس ويزينه فى عيونهم ويقربه من قلوبهم وليكن مع ذلك شريف النفس لطيف الحس عَزوب الهمة نظيف البزة أنفاً لتهابه العامة ويدخل فى جملة الخاصة فلا تمجه أبصارهم سمح اليدين والا فهو كما قال ابن أبى فنَنَ واسمه احمد

وان أحقّ الناسِ باللوم شاعر يلوم على البخل الرجالَ ويبخل

والى هذا المعنى ذهب الطائى بقوله

أألوم مَن بخلت يداه واغتدى للبخل تِرباً ساء ذاك صنيعا

والشاعر مأخوذ بكل علم مطلوب بكل مكرمة لاتساع الشعر واحتماله كلما حمّل من نحو ولغة وفقه وخبر وحساب وفريضة واحتياج أكثر هذه العلوم الى شهادته وهو مكتف بذاته مستغن عما سواه ولانه قيد للاخبار وتجديد للآثار ٠٠ وصاحبه الذي يذم ويحمد ويهجو ويمدح ويعرف ما يأتي الناس من محاسن الأشياء وما يذَرونه فهو على نفسه شاهد وبحجته مأخوذ ٠٠ وليأخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر ومعرفة النسب وأيام العرب ليستعمل بعض ذلك فيما يريده من ذكر الآثار وضرب الامثال وليعلق بنفسه بعض

أنفاسهم ويقوى طبعه بقوة طباعهم فقد وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين يَفضل أصحابه برواية الشعر ومعرفة الاخبار والتلمذة بمن فوقه من الشعراء فيقولون فلانٌ شاعر راويةٌ يريدون أنه اذا كان راوية عرف المقاصد وسَهل عليه مأخذ الكلام ولم يضق به المذهب واذا كان مطبوعا لا علم له ولا رواية ضل واهتدى من حيث لا يعلم وربما طلب المعنى فلم يصل اليه وهو ماثل بين يديه لضعف آلته كالمقعد يجد فى نفسه القوة على النهوض فلا تعينه الآلة .. وقد سئل رؤبة بن العجاج عن الفحل من الشعراء فقال هو الراوية يريد أنه اذا روى استفحل .. قال يونس بن حبيب وانما ذلك لانه يجمع الى جيد شعره معرفة جيد غيره فلا يحمل نفسه الاعلى بصيرة وقال رؤبة فى صفة شاعر

لقد خشيتُ أن تكون ساحرا ... راويةً مَرًّا ومَرًّا شاعرا

فاستعظم حاله حتى قرنها بالسحر .. وقال الاصمعي لا يصير الشاعر فى قريض الشعر فحلا حتى يروي أشعار العرب ويسمع الأخبار ويعرف المعانى وتدور فى مسامعه الالفاظ وأول ذلك أن يعلم العروض ليكون ميزاناً له على قوله والنحو ليصلح به لسانه وليقيم به اعرابه والنسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم .. وقد كان الفرزدق على فضله فى هذه الصناعة يروى للحطيئة كثيراً وكان الحطيئة راوية زهير وكان زهير راوية أوس بن حجر وطفيل الغنوى جميعاً وكان امرؤ القيس راوية أبى دؤاد الإيادى مع فضل نحيزة وقوة غريزة ولا بد بعد ذلك أن يلوذ به فى شعره ويتوكأ عليه كثيراً وقد نزل أعشى بنى قيس بن ثعلبة بين يدى النابغة الذبيانى بسوق عكاظ وأنشده فقدمه وأنشده حسان بن ثابت ولبيد بن ربيعة فما عابهم ذلك ولا غض منهم وكان كثير راوية جميل ومفضلا له اذا استنشد لنفسه بدأ بجميل ثم أنشد ما يراد منه ولم يكن بدون جرير والفرزدق بل يقدم عليهما عند جميع أهل الحجاز وكان أبو حية النميرى واسمه الهيثم بن الربيع وهو من أحسن الناس شعراً وأنظفهم كلاماً مؤتماً بالفرزدق آخذاً عنه كثير التعصب له والرواية عنه .. ولا يستغنى المولد عن تصفح أشعار المولدين لما فيها من حلاوة اللفظ وقرب المأخذ واشارات الملح ووجوه البديع الذى مثله فى شعر المتقدمين قليل وان كانوا هم فتحوا بابه وفتقوا

جلبا به وللمتعقب زيادات وافتنان لا على أن تكون عمدة الشاعر مطالعة ماذكرته آخر كلامي هذا دون ماقدمته فانه متى فعل ذلك لم يكن فيه من المتانة وفضل القوة ما يبلغُ به طاقة من تبع جادته واذا أعانته فصاحة المتقدم وحلاوة المتأخر اشتد ساعده وبَعد مرماه فلم يقع دون الغرض وعسى أن يكون أرشق سهاماً وأحسن موقعاً ممن لو عول عليه من المحدثين اقصرَ عنه ووقع دونه وليجعل طلبه أولا السلامة فاذا صحت له طلب التجويد حينئذ وليرغب فى الحلاوة والطلاوة رغبته فى الجزالة والفخامة وليجتنب السوقى القريب والحوشىّ الغريب حتي يكون شعره حالا بين حالين كما قال بعض الشعراء

عليك بأوساط الأمور فانها نجاةٌ ولا تركب ذَلولا ولا صَعبا

فأول ما يحتاج اليه الشاعر بعد الجد الذي هو الغاية وفيه وحده الكفاية حسن التأتى والسياسة وعلم مقاصد القول فان نسب ذل وخضع وان مدح أطرى وأسمع وان هجا أخل[1] وأوجع وان فخر خبَّ ووضع وان عاتب خفض ورفع وان استعطف حن ورجع ولكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائنا من كان ليدخل اليه من بابه ويداخله فى ثيابه فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذى به تفاوتَ الناس وبه تفاضلوا .. وقد قيل لكل مقام مقال وشعر الشاعر لنفسه وفى مراده وأمور ذاته من مزح وغزل ومكاتبة ومجون وخمرية وما أشبه ذلك غير شعره فى قصائد الحفل التي يقوم بها بين السماطين يقبل منه فى تلك الطرائق عفو كلامه وما لم يتكلف له ولا ألقى به بالا ولا يقبل منه فى هذه الا ما كان محككا معاوداً فيه النظر جيداً لاغثّ فيه ولا ساقط ولا قلق وشعره للأمير والقائد غير شعره للوزير والكاتب ومخاطبته للقضاة والفقهاء بخلاف ما تقدم من هذه الانواع .. وسيأتى هذا فى موضعه من هذا الكتاب مفصلا ان شاء الله تعالى .. والمتأخر من الشعراء فى الزمان لا يضره تأخره اذا أجاد كما لا ينفع المتقدم تقدمهُ اذا قصر وان كان له فضل السبق فعليه درك التقصير كما أن للمتأخر فضل الاجادة أو الزيادة ولا يكون الشاعر حاذقاً مجوداً حتى يتفقد شعره ويعيد فيه نظره فيسقط رديه ويثبت جيده ويكون سمحاً بالركيك منه مطرحاً له راغباً عنه فان بيتاً جيداً يقاوم ألفي ردىء

(١) ن أقل

٠٠قال امرؤ القيس وهو أول من زعموا أنه اختبر له وعلم به أنه يكون أفضل الشعراء والمقدم عليهم

أذود القوافيَ عَنى ذيادا ذيادَ غلام جريء جرادا
فلما كثرن وعَنَّينه تخير منهن شتى جيادا
فأعزلُ مرجانها جانباً وآخذُ من دُرها المستجادا

هكذا في أكثر النسخ وفى بعضها ـ حراد ـ بالحاء مكسورة غير معجمة ـ وشتى جيادا ـ بالشين معجمة مفتوحة غير منونة التاء فاذا كان أشعر الشعراء يصنع هذا ويحكيه عن نفسه فكيف ينبغي لغيره أن يصنع ٠٠وزعم ابن الكلبي أنه امرؤ القيس بن بكر بن امرئ القيس بن الحارث بن معاوية الكندى وروى سفيٍّ في موضع جريء ـ والسفي ـ السفيه والخفيف أيضاً واليه يرجع اشتقاقه وزعم غير ابن الكلبي أن الأبيات لامرئ القيس بن عابس الكندي ويقال أن أبا نواس كان يفعل هذا الفعل فينفى الدنى ويبقى الجيد ٠٠وليلتمس له من الكلام ما سهل ومن القصد ما عدل ومن المعنى ما كان واضحاً جلياً يعرف بديا فقد قال بعض المتقدمين شر الشعر ماسئل عن معناه وكان الحطيئة يقول خير الشعر الحولى المحكك أخذ في ذلك بمذهب زهير وأوس وطفيل ٠٠ ولا يجوز للشاعر كما يجوز لغيره أن يكون معجباً بنفسه مثنياً على شعره وان كان جيداً فى ذاته حسناً عند سامعه فكيف ان كان دون مايظن كقوم أفردوا لذلك أنفسهم وأفنوا فيه أعمارهم ومايحصلون على طائل وقد قال الله عز وجل ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾ اللهم الا أن يريد الشاعر ترغيب الممدوح أو ترهيبه فيثنى على نفسه ويذكر فضل قصيدته فقد جعلوه مجازاً مساحماً فيه كالذى يعرض لكثير من الشعراء فى أشعارهم من مدح قصائدهم على أن أبا تمام يقول

ويسيئ بالاحسان ظناً لا كمن يأتيك وهو بشعره مفتون

وان كان أوصف الناس لقصيده وأكثرهم ولوعا بذلك وهذا مادام شعراً كان محمولا على ماقدمناه وانما المكروه المعيب أن يكون ذلك منثوراً أو تأليفاً مسطوراً كالذى فعل الناشئ أبو العباس فى أشياء من شعره ذكرها فى كتابه الموسوم بتفضيل الشعر فشكرها ونوه بها ونبه عليها وفضلها على أشعار الفحول مثل جرير وغيره منها قول جرير

ان العيون التي فى طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهنَّ أضعف خلق الله إنسانا

وزعم يعد اقامة ما حسبه برهاناً أن قوله

لا شيءَ أعجب من عينيك انهما لا يضعفان القوى الاَّ اذا ضعفا

خير منه وأسلم من الاعتراض وأكثر اختصاراً .. ويجب على الشاعر أن يتواضع لمن دونه ويعرف حق من فوقه من الشعراء فان امرأ القيس وكان شديد الظنة فى شعره كثير المنازعة لاهله مدلاَّ فيه بنفسه واثقا بقدرته لقي التوءم اليشكرى واسمه الحارث ابن قتادة فقال له ان كنت شاعراً كما تقول فملط لى انصاف ما أقول فأجزها قال نعم

فقال امرؤ القيس أحارِ ترى بُريقاً هبَّ وهنا
فقال التوءم كنار مجوسَ تستعر استعارا
فقال امرؤ القيس أرقتُ له ونام أبو شُرَيحٍ
فقال التوءم اذا ماقلتُ قد هدأ استطارا
فقال امرؤ القيس كأن هزيمه بوراء غيب
فقال التوءم عشارٌ واله لاقت عشارا
فقال امرؤ القيس فلما أن على كتفي أضاخ
فقال التوءم وهتْ أعجاز ريّقهِ فحارا
فقال امرؤ القيس فلم يترك بذات السر ظبيا
فقال التوءم ولم يترك بجلهتها حمارا

فلما رآه امرؤ القيس قدماته ولم يكن فى ذلك الحرس أي العصر من يماته أى يقاومه ويطاوله آلى ألاَّ ينازع الشعر أحداً آخر الدهر روى ذلك أبو عبيدة عن أبى عمرو ابن العلاء ولو نظر بين الكلامين لوجد التوءم أشعر فى شعرهما هذا لأن امرأ القيس مبتدئ ماشاء هو فى فسحة مما أراد والتوءم محكوم عليه بأول البيت مضطر فى القافية التي عليها مدارهما جميعاً ومن ههنا والله أعلم عرَفَ له امرؤ القيس من حق المماتنة ماعرف ونازع أيضاً علقمة بن عبدة فكان من غلبة علقمة عليه ما كان .. وأما جرير فهجاه

شاعر يقال له البرذختُ فقال ما اسمه قيل له البردخت فقال وما معنى البردخت قالوا له الفارغ فقال اذاً والله لا أشغله بنفسي أبداً وسالمه هذا وهو جرير الذى غلب شياطين الشعراء وسكن شقاشق الفحول ٠٠ وأما عقبة بن رؤبة بن العجاج فانه أنشد عقبة بن سلم بحضرة بشار أرجوزة فقال كيف ترى يا أبا معاذ فأثنى بشار كما يجب لمثله أن يفعل وأظهر الاستحسان فلم يعرف له عقبة حقه ولا شكر له فعله بل قال له هذا طراز لا تحسنه فقال له بشار ألمثلي يقال هذا الكلام أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك ثم غدا على عقبة بن سَلم بأرجوزته التي أولها

ياطلل الحيّ بذات الصَّمدِ ... بالله خبر كيف كنتَ بعدى

فضح بها ابن رؤبة فضيحة ظاهرة كان غنياً عنها ٠٠ وكان فى البحترى اعجاب شديد اذا أنشد يقول مالكم لا تعجبون أما تَحسَنُ ما تسمعون فأنشد المتوكل يوماً قصيدته التي أولها

عن أى ثغر تبتسم ... وبأي طرف تحتكم

وأبو العباس الصيمرى حاضر فلما رأى اعجابه قام حذاءه فقال

من أى سَلحٍ تلتقم ... وبأي كف تلتطم

ذقن الوليد البحترى ... أبى عبادة فى الرحم

فولى البحتري وهو غضبان فقال ... وعلمتُ أنك تنهزم

فضحك المتوكل حتي فحص برجليه وأعطي الصَّيمري جائزة سنية

باب عمل الشعر وشحذ القريحة له

لا بد للشاعر وان كان فحلا حاذقاً مبرزاً مقدماً من فترة تعرض له فى بعض الأوقات أما لشغل يسير أو موت قريحة أو نبوّ طبع فى تلك الساعة أو ذلك الحين وقد كان الفرزدق وهو فحل مضر فى زمانه يقول تمر على الساعة وقلع ضرس من أضراسي

أهونُ عليَّ من عمل بيت من الشعر ٠٠ فاذا تمادي ذلك على الشاعر قيل أصفى وأفصى كما يقال أفصت الدجاجة وأصفت الدجاجة اذا انقطع بيضها وكذلك يقال له أجبل كما يقال لحافر البئر اذا بلغ جبلا تحت الأرض لا يعمل فيه شيء أجبل ومثل أجبل أكدى الا أنهم خصوا به العطاء وذلك أن يصادف حافر البئر كدية فلا يزيد شيئاً على ما حفر ويقال أفحمَ الشاعر على أفعلَ قالوا وهو من فحم الصبى اذا انقطع صوته من شدة البكاء فان ساء لفظه وفسدت معانيه قيل له أهتر فهو مهتر ٠٠ وقد قيل فى الذبيانى انه انما كان شعره نظيفاً من العيوب لانه قاله كبيراً ومات عن قرب ولم يهتر ٠٠ وأكثر ماجاء الإهتار فى صفة الكبير الذى يختلط كلامه ٠٠ وقولهم فى شعر النابغة انه قاله وهو كبير يدل على أنه بهذا سمى نابغة كما عند أكثر الناس لا لقوله

٥ فقد نبغت لنا منهم شُئُونُ ٥

كما تقدم من قول بعضهم ٠٠ ويقال أخلى الشاعر كما يقال أخلى الرامى اذا لم يصب معنى ٠٠ حكى عن البحترى أنه قال فاوضت ابن الجهم علياً فى الشعر وذكر أشجع السلمي فقال انه كان يخلى فلم أفهمها عنه وأنفت أن أسأله عنها فلما انصرفت فكرت فيها ونظرت فى شعر أشجع فاذا هو ربما مرت له الأبيات معسولة ليس فيها بيت رائع ٠٠ ثم ان للناس فيما بعد ضروباً مختلفة يستدعون بها الشعر فتشحذُ القرائح وتنبه الخواطر وتلين عريكة الكلام وتسهل طريق المعنى كل امرئ على تركيب طبعه واطراد عادته وسيأتى ذلك فى أقاويل العلماء بما أرجو أن تكون فيه هداية ان شاء الله تعالى ٠٠ قال بكر بن النطاح الحنفي الشعر مثل عين الماء ان تركتها اندفنت وان استهتنها هتنت وليس مراد بكر أن تستهتنَ بالعمل وحده لانا نجد الشاعر تكلُّ قريحته مع كثرة العمل مراراً وتنزف مادته وتنفدُ معانيه فاذا أجم طبعه أياما وربما زمانا طويلا ثم صنع الشعر جاء بكل آبدةٍ وانهمر فى كل قافية شاردة وانفتح له من المعانى والالفاظ مالو رامه من قبل لاستغلق عليه وأبهم دونه لكن بالمذاكرة مرة فانها تقدح زناد الخاطر وتفجر عيون المعاني وتوقظ أبصار الفطنة وبمطالعة الأشعار كرة فانها تبعث الجسدَ وتولد الشهوة ٠٠ وسئل ذو الرمة كيف تفعل اذا انقفل دونك الشعر فقال كيف ينقفل دونى وعندي

مفاتحه قيل له وعنه سألناك ما هو قال الخلوة بذكر الأحباب فهذا لانه عاشق ولعمرى أنه اذا انفتح للشاعر نسيب القصيدة فقد ولج من الباب ووضع رجله في الركاب على أن ذا الرمة لم يكن كثير المدح والهجاء وانما كان واصف اطلال ونادب اظعان وهو الذى أخرجه من طبقة الفحول .. وقيل لكثير كيف تصنع اذا عسر عليك الشعر قال أطوف فى الرباع المحيلة والرياض المعشبة فيسهل على أرصنه ويسرع الى أحسنه.. وقال الأصمعي ما استدعيَ شارد بمثل الماء الجارى والشرف العالى والمكان الخالى وقيل الحالى يعنى الرياض. وحدثنى بعض أصحابنا من أهل المهدية وقد مررنا بموضع بها يعرف بالكدية هو اشرفها أرضاً وهواءً قال جئت هذا الموضع مرة فاذاعبد الكريم على سطح برج هنالك قد كشف الدنيا فقلت أبا محمد قال نعم قلت ماتصنع ههنا قال ألقح خاطرى وأجلو ناظري قلت فهل نتج لك شيء قال ماتقر به عينى وعينك ان شاء الله تعالى وأنشدنى شعراً يدخل مسامَّ القلوب رقة قلت هذا اختبار منك اخترعتهُ قال بل برأى الأصمعي ..وقالوا كان جرير اذا أراد أن يؤبد قصيدة صنعها ليلايشعل سراجه و يعتزل وربما علا السطح وحده فاضطجع وغطى رأسه رغبة فى الخلوة بنفسه يحكي أنه صنع ذلك فى قصيدته التي أخزى بها بنى نمير وقد تقدم ذكرها .. وروي أن الفرزدق كان اذا صعبت عليه صنعة الشعر ركب ناقته وطاف خالياً منفرداً وحده فى شعاب الجبال و بطون الأودية والأماكن الخربة الخاليــة فيعطيه الكلام قياده حكي ذلك عن نفسه فى قصيدته الفائية عرَفتَ بأعشاشٍ وما كِدتَ تعرِفُ

وذكر أن فتى من الأنصار بحضرة كثير أوغيره فاخره بأبيات حسان بن ثابت

لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعنَ بالضحى وأسيافنا يقطرنِ من نجدةٍ دما

فأنظره سنةً فمضى حنقاً وطالت ليلته ولم يصنع شيئاً فلما كان قرب الصباح أتى جبلا بالمدينة يقال له ذُباب فنادى أخاكم يابنى لُبَينى صاحبكم صاحبكم صاحبكم وتوسدا ذرع ناقته فانثالت عليه القوافي انثيالا وجاء بالقصيدة بكرةً وقد أعجزت الشعراء وبهرتهم طولا وحسناً وجودة .. وقيل لأبى نواس كيف عملك حين تريد أن تصنع الشعر قال أشرب حتى اذا كنتُ أطيب ما أكونُ نفساً بين الصاحي والسكران صنعتُ وقد

داخلني النشاط وهزتني الأريحية .. قال ابن قتيبة وللشاعر أوقات يسرع فيها أتيه ويسمح فيها أبيه منها أول الليل قبل تغشى الكرى ومنها صدر النهار قبل الغداء ومنها يوم شرب الدواء ومنها الخلوة فى الحبس والمسير ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل المترسل .. وحكي عن أبي تمام وقد سأله البحترى عن أوقات صنعة الشعر قريب من هـذا لا أحفظه نصاً ولا أشك أن ابن قتيبة به اقتدى وان كان مما رواه .. ومما يجمع الفكرة من طريق الفلسفة استلقاء الرجل على ظهره وعلى كل حال فليس يفتح مقفل بحار الخواطر مثل مباكرة العمل بالاسحار عند الهبوب من النوم لكون النفس مجتمعة لم يتفرق حسها في أسباب اللهو أو المعيشة أو غير ذلك مما يعيبها واذاهي مستريحة جديدة كانما أنشئت نشأة أخرى ولان السحر ألطف هواء وأرق نسيماً وأعدل ميزاناً بين الليل والنهار وانما لم يكن العشى كالسحر وهو عديله فى التوسط بين طرفي الليل والنهار لدخول الظلمة فيه على الضياء بعد دخول الضياء في السحر على الظلمة ولان النفس فيه كالة مريضة من تعب النهار وتصرفها فيه ومحتاجة الى قوتها من النوم متشوقة نحوه فالسَّحر أحسن لمن أراد ان يصنع وأما لمن اراد الحفظ والدراسة وما أشبه ذلك فالليل قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿ إن ناشئة الليل هي أشدُّ وطأً وأقومُ قيلاً ﴾ وهذا الكلام الذى لامطعن فيه ولا اعتراض عليه وعلى قراءة من قرأ وطاء يكون معناه أثقل على فاعله واذا كان كذلك كان أكثر أجراً فهذا يشهد لنا أن العمل أول الليل يصعب لان النوم يغلب والجسم يكل .. وكان أبو تمام يكره نفسه على العمل حتى يظهر ذلك فى شعره .. حكى ذلك عنه بعض أصحابه قال استأذنت عليه وكان لا يَستترعني فأذن لى فدخلت فى بيت مصهرج قد غسل بالماء يتقلب يميناً وشمالاً فقلت لقد بلغَ بك الحرُّ مبلغاً شديداً قال لا ولكن غيره ومكث كذلك ساعة ثم قام كانما أطلق من عقال فقال الآن أردت ثم استمدَّ وكتب شيئاً لا أعرفه ثم قال أتدرى ما كنت فيه منذ الآن قلت كلا قال قول أبي نواس

كالدهرِ فيه شراسةٌ وليانُ

أردت معناه فشمس عليَّ حتى أمكن الله منه فصنعت

شرست بل لنت بل قانيت ذاك بذا فأنت لاشك فيك السهل والجبل

ولعمري لو سكت هذا الحاكي لتم هذا البيت بما كان داخل البيت لان الكلفة فيه ظاهرة والتعمل بين .. على أن مثل حكاية أبي تمام وأشد منها قد وقعت لمن لا يتهم وهو جرير صنع الفرزدق شعراً يقول فيه

فاني أنا الموت الذى هو ذاهب بنفسك فانظر كيف أنت محاوله

وحلف بالطلاق أن جريراً لا يغلبه فيه فكان جرير يتمرغ فى الرمضاء ويقول أنا أبو حزرة حتي قال

انا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجئنى بمثل الدهر شيئاً يطاوله

وكان أبو تمام ينصب القافية للبيت ليعلق الاعجاز بالصدور وذلك هو التصدير في الشعر ولا يأتي به كثيراً الاشاعر متصنع كحبيب ونظرائه والصواب أن لا يصنع الشاعر بيتاً لا يعرف قافيته غير أني لا أجد ذلك فى طبعي جملة ولا أقدر عليه بل أصنع القسم الاول على ما أريده ثم التمس في نفسى مايليق به من القوافى بعد ذلك فأبني عليه القسم الثاني أفعل ذلك فيه كما يفعل من يبنى البيت كله علي القافية ولم أر ذلك بمخل عليّ ولا يزيحنى عن مرادي ولا يغير عليّ شيئاً من لفظ القسم الأول الا في النّدرة التي لا يعتد بها أو على جهة التنقيح المفرط .. وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن رواحة كالمتعجب من شعره فقال كيف تقول الشعر قال أنظر فى ذلك ثم أقول قال فعليك بالمشركين ولم يكن أعدّ شيئاً فأنشد أبياتاً منها

فخبروني أثمان العباء متى كنتم بطاريق أودانت لكم مضر

فعرف الكراهية فى وجه النبي صلى الله عليه وسلم لما جعل قومه أثمان العباء فقال

نجالد الناس عن عرض ونأسرهم فينا النبي وفينا تنزل السور

وقد علمتم بأنا ليس يغلبنا حيٌّ من الناس ان عزواوان كثروا

ينتهى الى أن يقول في النبى صلى الله عليه وسلم

فثبت الله ما أعطاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

فأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال وإياك فثبتَ الله يا بن رواحة ٠٠ ومن الشعراء مَن يسبق اليه بيت واثنان وخاطره في غيرهما يحب أن يكونا بعد ذلك بأبيات أو قبله بأبيات وذلك لقوة طبعه وانبعاث مادته ومنهم من ينصب قافية بعينها لبيت بعينه من الشعر مثل أن تكون ثالثة أو رابعة أو نحو ذلك لا يعدو بها ذلك الموضع الا انحل عنه نظم أبياته وذلك عيب في الصنعة شديد ونقص بين لانه أعنى الشاعر يصير محصوراً على شيء واحد بعينه مضيقاً عليه وداخلا تحت حكم القافية ٠٠ وكانوا يقولون ليكن الشعر تحت حكمك ولا تكن تحت حكمه ٠٠ ومنهم من اذا أخذ في صنعة الشعر كتب من القوافي ما يصلح لذلك الوزن الذي هو فيه ثم أخذ مستعملها وشريفها وماساعد معانيه وما وافقها وأطرح ما سوى ذلك الا أنه لا بد أن يجمعها ليكرر فيها نظره ويعيد عليها تخيره في حين العمل هذا الذي عليه حذاق القوم ومن الشعراء من اذا جاءه البيت عفواً أثبته ثم رجع اليه فنقحه وصفاه من كدره وذلك أسرع له وأخف عليه وأصح لنظره وأرخي لباله ٠٠ وآخر لا يثبت البيت الا بعد احكامه في نفسه وتثقيفه من جميع جهاته وذلك أشرف للهمة وأدل على القدرة وأظهر للكلفة وأبعد من السرقة ٠٠ وسألت شيخاً من شيوخ هذه الصناعة فقلت مايعين على الشعر فقال زهرة البستان وراحة الحمام وقيل ان الطعام الطيب والشراب الطيب وسماع الغناء مما يرقّ الطبع ويصفّي المزاجَ ويعين على الشعر ولما أرادت قريش معارضة القرآن عكف فصحاؤهم الذين تعاطوا ذلك على لُباب البرّ وسلاف الخمر ولحوم الضأن والخلوة الى أن بلغوا مجهودهم ٠٠ فلما سمعوا قول الله عز وجل ﴿ وقيلَ يا أرضُ ابلعي ماءكِ ويا سماءُ أقلعي وغيضَ الماءُ وقضيَ الأمرُ واستوتْ على الجوديِّ وقيلَ بعداً للقومِ الظالمين ﴾ يئسوا مما طمعوا فيه وعلموا أنه ليس بكلام مخلوق ٠٠ وقيل مقود الشعر الغناء به وذكر عن أبي الطيب أن متشرفاً تشرف عليه وهو يصنع قصيدته التي أولها ٭ جللا كما بي فليكُ التبريح ٭ وهو يتغنى ويصنع فاذا توقف بعض التوقف رجّع بالانشاد من أول القصيدة الى حيث انتهى منها وقال بعضهم مَن أراد أن يقول الشعر فليعشق فانه يرق وليروِ فانه يدل وليطمع فانه يصنع ٠٠ وقالوا الحيلة لـكلال القريحة انتظار الحمام وتصيد ساعات النشاط وهذا عندي أنجع الاقوال وبه أقول واليه أذهب ٠٠ وقال بكرُ بن عبد الله المزني لا تكدُّوا

القلوب ولا تهملوها وخير الفكر ما كان في عقب الجمام ومن أكره بصره عشى وأشحذوا القلوب بالمذاكرة ولا تيئسوا من اصابة الحكمة اذا امتحنتم ببعض الاستغلاق فان من أدمن قرع الباب وصل .. وقال الخليع من لم يأت شعره مع الوحدة فليس بشاعر قالوا يريد الخلوة وربما أراد الغربة كما قال ديك الجن ما أصفي شاعر مغترب قط .. ومما لا يسع تركه في هذا الموضع صحيفة كتبها بشر بن المعتمر ذكر فيها البلاغة ودل على مظان الكلام والفصاحة يقول فيها خذ من نفسك ساعة فراغك وفراغ بالك واجابتها إياك فان قلبك تلك الساعة أكرم جوهراً وأشرف حساً وأحسن في الاسماع وأحلى في الصدور وأسلم من فاحش الخطأ وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع .. واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمجاهدة وبالتكلف والمعاندة ومهما أخطأك لم يخطك أن يكون مقبولا قصداً أوخفيفاً على اللسان سهلا كما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه .. وإياك والتوعر فان التوعر يسلمك الي التعقيد والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ويشين ألفاظك .. ومن أراغ معني كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً فان حق المعني الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما أن يصونهما عما يفسدهما ويهجنهما وعما تعود من أجله أسوأ حالا منك من قبل أن تلتمس اظهارهما وترهن نفسك في ملابستهما وقضاء حقهما وكن في احدى ثلاث منازل فان أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقاً عذباً وفخماً سهلا ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً وقريباً معروفاً اما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت واما للعامة ان كنت للعامة أردت والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة .. وانما مدار الشرف مع الصواب واحراز المنفعة ومع موافقة الحال ومع ما يجب لكل مقام من المقال وكذلك اللفظ العامى والخاصي فان أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك في نفسك على أن تفهم العامة معانى الخاصة وتكسوها الألفاظ المتوسطة التي لا تلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الاكفاء فأنت البليغ التام فان كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أول نظرك في أول تكلفك وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصل الى قرارها والى حقها من أماكنها المقسومة لها والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها ولم تتصل بشكلها وكانت قلقة في مكانها نافرة

عن موضعها فلا تكرهها على اغتصاب مكانها والنزول في غير أوطانها فانك اذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك أحد فان أنت تكلفتها ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا محكماً لشأنك بصيراً بما عليك ولك عابك من أنت أقل منه عيباً ورأى من هو دونك انه فوقك ٠٠ فان أنت ابتليت بأن تتكلف القول وتتعاطى الصنعة ولم تسمح لك الطباع فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياضَ يومك أو سواد ليلك وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك فانك لا تعدم الاجابة والمواتاةَ ان كانت هناك طبيعة أو جريت في الصناعة على عرق فان تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل ومن غير طول اهمال فالمنزلة الثالثة أن تتحول عن هذه الصناعة الى أشهى الصناعات اليك وأخفها عليك فانك لم تشتهه ولم تنازع اليه الاَّ وبينكما نسب والشيء لا يحن الا الى ما شاكله وان كانت المشاكلة قد تكون في صفات الا أن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود به مع الشهوة والمحبة ٠٠ وقال بعض أهل الأدب حسب الشاعر عوناً على صناعته أن يجمع خاطره بعد أن يخلي قلبه من فضول الاشغال ويدع الامتلاءَ من الطعام والشراب ثم يأخذ فيما يريده ٠٠ وأفضل ما استعان به الشاعر فضل غني أو فضل طمع ٠٠ والفقر آفة الشعر وانما ذلك لان الشاعر اذا صنع القصيدة وهو في غني وسعة نقحها وأنعم النظر فيها على مهل فاذا كان مع ذلك طمع غني قوىَ انبعاثها من ينبوعها وجاءت الرغبة بها في نهايتها محكمةً واذا كان فقيراً مضطراً رضي بعفو كلامه وأخذ ما أمكنه من نتيجة خاطره ولم يتسع في بلوغ مراده ولا بلوغ مجهود نيته لما يحفزُه من الحاجة والضرورة فجاء دون عادته في سائر أشعاره وربما قصر عمن هو دونه بكثير ومنهم من تحمى الحاجة خاطره وتبعث قريحته فيجود فاذا أوسع أنف وصعب عليه عمل الأبيات اليسيرة فضلا عن الكثيرة وللعادة في هذه الاشياء فعل عظيم وهي طبيعة خامسة كما قيل فيها

باب في المقاطع والمطالع

اختلف أهل المعرفة فى المقاطع والمطالع ٠٠ فقال بعضهم هى الفصول والوصول بعينها فالمقاطع أواخر الفصول والمطالع أوائل الوصول وهذا القول هو الظاهر من نحوي الكلام والفصل آخر جزء من القسيم الأول كما قدمت وهي العروض أيضاً والوصل أول جزء يليه من القسيم الثانى ٠٠ وقال غيرهم المقاطع منقطع الابيات وهي القوافي والمطالع أوائل الأبيات ٠٠ وقال قدامة ابن جعفر في بعض تآليفه وقد ذكر الترصيع هو أن يتوخى تصيير مقاطع الاجزاء فى البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد فى التصريف فأشار بهذه العبارة الى أن المقاطع أواخر أجزاء البيت كما ترى ٠٠ وقد نجد من الشعر المرصع مايكون سجعه فى غير مقاطع الاجزاء نحو قول أم معدان الاعرابية فى مرثية لها

فعل الجميل وتفريج الجليل واعطاء الجزيل الذى لم يعطه أحد

فالسجع فى هذا البيت اللام المطردة فى ثلاثة أمكنة منه وآخر الاجزاء التي هي المقاطع على شريطة الياء التى قبل اللام اللهم الا أن يجعل السجع هو الياء الملتزمة فحينئذ على أنا لا نعلم حرف السجع يكون الاَّ متأخراً في مثل هذا المكان ومثل هذا فى أنواع الأعاريض كثير٠٠ ومن الناس مَن يزعم أن المطلع والمقطع أول القصيدة وآخرها وليس ذلك بشيء لانا نجد في كلام جهابذة النقاد اذا وصفوا قصيدة قالوا حسنة المقاطع جيدة المطالع ولا يقولون المقطع والمطلع وفي هذا دليل واضح لان القصيدة انما لها أول واحد وآخر واحد ولا يكون لها أوائل وأواخر الاَّ على ماقدمت من ذكر الابيات والأقسمة وانتهائها ٠٠ وسألت الشيخ أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن السمين عن هذا فقال المقاطع أواخر الأبيات والمطالع أوائلها قال ومعنى قولهم حسن المقاطع جيد المطالع أن يكون مقطع البيت وهو القافية متمكناً غير قلق ولا متعلق بغيره فهذا هو حسنه والمطلع وهو أول البيت جودته أن يكون دالا على ما بعده كالتصدير وماشاكله ٠٠ وروى الجاحظ أن شب بن شبة كان يقول الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه وأنا موكل بتفضيل جودة المقطع وبمدح صاحبه وحظ جودة القافية وان كانت

كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت أو القصيدة وحكاية الجاحظ هذه تدل على أن المقطع آخر البيت أو القصيدة وهو بالبيت أليق لذكر حظ القافية .. وحكي أيضاً عن صديق له أنه قال للعتابي ما البلاغة فقال كل ذى كلام أفهمك صاحبُهُ حاجته من غير إعادة ولا حبسةٍ ولا استعانةٍ فهو بليغ قال قلت قد عرفت الاعادة والحبسة وما الاستعانة قال اما تراه اذا تحدث قال عند مقاطع كلامه ياهناه اسمع منى واستمع الىّ وافهم وألست تفهم هذا كله عيٌّ وفسادٌ .. قال صاحب الكتاب وهذا القول من العتابى يدل على أن المقاطع أواخر الفصول ومثله ما حكاه الجاحظ أيضاً عن المأمون أنه قال لسعيد بن أسلم[1] والله انك لتصغى لحديثى وتقف عند مقاطع كلامي واذا جعل المقطع والمطلع مصدرين بمعنى القطع والطلوع كانت الطاء واللام مفتوحتين واذا أريد موضع القطع والطلوع كسرت اللام خاصة وهو مسموع على غير قياس

باب المبدأ والخروج والنهاية

قيل لبعض الحذاق بصناعة الشعر لقد طار اسمك واشتهر فقال لأنى أقللت الحز وطبقت المفصلَ وأصبت مقاتل[2] الكلام وقرطست نكت الأغراض بحسن الفواتح والخواتم ولطف الخروج الى المدح والهجاء .. وقد صدق لان حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح ولطافة الخروج الى المديح سبب ارتياح الممدوح وخاتمة الكلام أبقى فى السمع وألصق بالنفس لقرب العهد بها فان حسنت حسن وإن قبحت قبح والأعمال بخواتيمها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و بعد فان الشعر قفل أوله مفتاحه وينبغي للشاعر أن يجوِّد ابتداء شعره فانه أول ما يقرعُ السمع و به يستدل على ما عنده من أول وهلة وليجتنب ألا وخليليّ وقد فلا يستكثرُ منها في ابتدائه فانها من علامات الضعف والتكلان إلاَّ للقدماء الذين جروا على عرق وعملوا على شاكلة وليجعله حلواً سهلا وفخماً جزلاً فقد اختار الناس كثيراً من الابتداآت أذكر منها ههنا ماأمكن ليستدل به نحو قول امرئ القيس

(١) ن مسلم (٢) ن مقاصد

قفا نبك من ذكري حبيبٍ ومنزلِ

وهو عندهم أفضل ابتداء،صنعه شاعر لانه وقف واستوقف و بكي واستبكي وذكرالحبيب والمنزل في مصراع واحد وقوله

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالى

ومثله قول القطامي واسمه عُمير بن شُييم التغلبي

انا محيوك فاسلم أيها الطلل

وكقول النابغة

كليني لهمٍّ يا أميمةَ ناصب وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكب

•• وقوله

كتمتكَ ليلاً بالجموَمين ساهرا وهمّين همّاً مُستكناً وظاهرا

هذا بعض ما اختير للقدماء •• ومما اختير لهم فى الرثاء قول أوس بن حجر

أيتها النفسُ أجملى جَزعا ان الذى تحذرين قد وقعا

ومما اختير للمحدثين قول بشار بن برد

أبى طالٌ بالجزع أن يتكلما

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه محدث وقول أبى نواس

لمن دمنٌ تزدادُ طيبَ نسيمِ على طول ماأقوتْ وحسن رُسومِ

•• وقوله

رسمُ الكرى بين الجفونِ محيلُ عفى عليه بكاً عليك طويلُ

وقوله أعطتك ريحانها العقارُ وحانَ من ليلنا انسفارُ

•• وقوله

دع عنك لومي فان اللومَ إغراءُ وداونى بالتي كانت هي الداءُ

وما أشبه ذلك مما لو تقصيته لطال وكثر • وليرغب عن التعقيد في الابتداء فانه أول الى

ودليل الفهّة فقد حكى أن دعبلا بن علي الخزاعي ورد حمص فقصد دار عبد السلام ابن رغبان ديك الجن فكتم نفسه عنه خوفاً من قوارضه ومشارته فقال ما له يستتر وهو أشعر الجن والانس أليس هو الذى يقول

بها غير معلول فداو خمارها   وصل بعشيات الغبوق ابتكارها

ونل من عظيم الردف كل عظيمة   اذا ذكرت خاف الحفيظان نارها

فظهر اليه واعتذر له وأحسن نزله ثم تناشدا فأنشد ديك الجن ابتداء قصيدة

كأنها ما كأنه خلل الخلة وقف الهلوك اذ بغما

فقال له دعبل أمسك فوالله ما ظننتك تتم البيت الا وقد غشي عليك أو تشكيت فكيك ولكأنك في جهنم تخاطب الزبانية أو قد تخبطك الشيطان من المس وانما أراد الديك أن يهول عليه ويقرع سمعه عسى أن يروعه و يردعه فسمع منه ما كره أن يسمعه ولعمرى ماظلمه دعبل ولقد أبعد مسافة الكلام وخالف العادة وهذا بيت قبيح من جهات منها اضمار مالم يذكر قبلُ ولا جرت العادة بمثله فيعذر ولا كثر استعماله فيشتهر مع احالة تشبيه على تشبيه وثقل تجانسه الذى هو حشو فارغ ولو طرح من البيت لكان أحزم واستدعى قافيته لا لشيء الا لفساد المعنى واستحالة التشبيه ما الذى يريد بغامه في تشبيهه الوقف وهو السوار ولم كان وقف الهلوك خاصة ومعنى البيت أن عشيقته كأنها فى جيدها وعينها الغزال الذى كأنه بين نبات الخلة سوار الجارية الحسنة المشي المتهالكة فيه وقبل الهلوك البغيُّ الفاجرةُ فما هذا كله وأي شيء تحته .. ومثله قول محمد بن عبد الملك الزيات يصف ناقته أول قصيدة مدح بها الحسن بن سهل

كأنها حين تنائى خطوها   أخنس مطويُّ الشوى يرعى القلل

فالعيب الاول فى مخالفة العادة لازم له ومع ذلك قوله ـ حين تنائى خطوها ـ فقصر بها وهو يقدران يقول حين تدانى خطوها وخالف جميع الشعراء بذلك لانهم انما يصفون الناقة بالظليم والحمار والثور بعد الكلال غلواً فى الوصف ومبالغة هذا هو الجيد فان لم يفعلوا لم يذكروا انها بذلت جهدها واستفرغت جميع ماعندها بل يدعون التأويل محتملا للزيادة ثم قال يرعي القلل والثور لا يرعى قلل الجبال وانما ذلك الوعل فانه لا يسهل

والنور فى السهول والدماث ومواضع الرمال الا أن يريد قلل النبات أعاليه فربما أن تكون القلل نبتاً بعينه أو مكاناً فقد يمكن وما سمعت بهما .. ومن الشعراء من يقطع المصراع الثانى من الأول اذا ابتدأ شعراً وأكثر ما يقع ذلك فى النسيب كأنه يدل بذلك على وله وشدة حال كقول أبى الطيب

جللاً كما بى فليكُ التبريحُ أغذاءُ ذا الرشأ الأغنِّ الشيحُ

فهذا اعتذار من اعتذَر له ولو وقع مثل هذا فى الرثاء والتفجع لكان موضعه أيضاً وكذلك عند العظائم من الأمور والنوازل الشديدة وليحترس مما تناله فيه بادرة أو يقع عليه مطعن فان أبا تمام امتدح أبا دلف بحضرة من كان يكرهه فافتتح ينشد قصيدته المشهورة

* على مثلها من أربع وملاعب *

وكانت فيه حبسةٌ شديدةٌ فقال الرجل لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فدهش أبو تمام حتى تبين ذلك عليه على أنه غير مأخوذ بما قبل ولا هو مما يُدخل عليه عيباً ولا يلزمه ذنباً على الحقيقة الا أن الحوطة والتحفظ من خجلة البادرة أفضل وأهيب والتفريط أرذل وأخذل .. ودخل جرير على عبد الملك بن مروان فابتدأ ينشده

* اتصحو أم فؤادكَ غيرُ صاحي *

فقال له عبد الملك بل فؤادك يا بن الفاعلة كأنه استثقل هذه المواجهة والا فقد علم أن الشاعر انما خاطب نفسه .. ومن هذه الجهة بعينها عابوا على أبى الطيب قوله لكافور أول لقائه مبتدئا وان كان انما يخاطب نفسه لا كافوراً

كفى بك داءً ان ترى الموتَ شافيا وحسبُ المنايا أن يكنَّ أمانيا

فالعيب من باب التأدب للملوك وحسن السياسة لازم لأبى الطيب فى هذا الابتداء لاسيما وهذا النوع أعنى جودة الابتداء من أجل محاسن أبى الطيب وأشرف مآثر شعره اذا ذكر الشعر .. ودخل ذو الرمة على عبد الملك بن مروان فاستنشده شيئاً من شعره فأنشده قصيدته ما بالُ عينك منها الماء ينسكبُ

وكانت بعين عبد الملك ريشة وهى تدمع أبداً فتوهم أنه خاطبه أو عرَّض به فقال وما

سؤالك عن هذا ياجاهل فمقته وأمر بأخراجه .. وكذلك فعل ابنه هشام بأبي النجم وقد أنشده في أرجوزة

والشمس قد كادت ولما تفعلِ كأنها فى الأفقِ عينُ الأحول

وكان هشام أحول فأمر به فحجب عنه مدة وقد كان قبل ذلك من خاصته يسمر عنده ويمازحه .. وانما يؤتى الشاعر فى هـذه الاشياء اما من غفلة فى الطبع وغلظ أو من استغراق فى الصنعة وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب والفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها وينظر في أحوال المخاطبين فيقصد محابهم ويميل الى شهواتهـم وان خالفت شهوته ويتفقد ما يكرهون سماعـه فيجتنب ذكره .. ألا ترى أن بعض الملوك قال لأحد الشعراء وقد أورد بيتاً ذكر فيه لو خلد أحد بكرم لكنت مخلدا بكرمك وقال كلاماً نحو هذا فقال الملك إن الموت حق وان لنا منه نصيباً غير أن الملوك تكره ذكر ماينكد عيشها وينغص لذتها فلا تأتنا بشئ مما نكره ذكره .. ومن المشهور أن النعمان بن المنذر رأي شجرة ظليلة ملتفة الأغصان في مرج حسن كثير الشقائق وكان معجباً بها واليـه أضيفت شقائق النعمان فنزل وأمر بالطعام والشراب فأحضر وجلس للذته فقال له عدي بن زيد العبادي وكان كاتبه أتعرف أبيت اللعن ما تقول هذه الشجرة فقال وما تقول قال تقول

رب ركبٍ قد أناخوا حولنا يشربون الخمرَ بالماء الزلال
عطفَ الدهرِ عليهم فثوَوْا وكذاك الدهر حال بعد حال
مَن رآنا فليوطنْ نفسَه انمـا الدنيا علي قَرْطٍ زوال

كأنه قصد موعظته فتنغص عليه ما كان فيه وأمر بالطعام والشراب فرفعا من بين يديه وارتحل من فوره ولم ينتفع بنفسه بقية يومه وليلته وكانا جميعاً نصرانيين فهذا شأن الملوك قديماً وحديثاً .. ومن هذه الجهة أكثر الناس من الدعاء لهم بطول العمر حتى بلغوا بهم مالا يمكن فقالوا عش أبداً واسلم مدي الدهر وابق بقاء الزمان ودم مدة الايام واعترض النقاد فى ذلك واختلفوا بحسب ماينتحل كل واحد منهم فى قول أبي نواس للأمين

يا أمينَ الله عشْ أبدا دم على الأيامِ والزمنِ
أنتَ تبقي والفناءُ لنا فاذا أفنيتنا فكن

وفى كثير من مثله واذاخرج الكلام عن حد الامكان فانما يراد به بلوغُ الغاية لاغير ذلك ٠٠ ومن قبيح ما وقع لأبى نواس الذى أساء فيه أدبه وخالف فيه مذهبه أن بعض بني برمك بنى داراً استفرغ فيها مجهوده وانتقل اليها فصنع أبو نواس فى ذلك الحين أوقريباً منه قصيدة يمدحه بها يقول أولها

أربعَ البلا ان الخشوعَ لبادِ عليكَ وانى لم أخنكَ ودادى

وختمها أو كاد بقوله

سلامُ على الدنيا اذا مافُقدتم بنى برمكٍ من رائحين وغادى

فتطير منها البرمكي واشمأز حتى كلح وظهرت الوجمة عليـه ثم قال نعيت الينا أنفسنا ياأبا نواس فما كانت الا مديدة حتى أوقع بهم الرشيد وصحت الطيرة ٠٠ وزعم قوم أن أبا نواس قصد التشاؤم لهم لشىء كان فى نفسه من جعفر ولا أظن ذلك صحيحاً لان هذه القصيدة من جيد شعره الذى لا أشك أنه يحتفل له اللهم الاً أن يصنع ذلك حيلة منه وستراً على ما قصد اليه بذلك ٠٠ وللشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسيب لما فيه من عطف القلوب واستدعاء القبول بحسب مافى الطباع من حب الغزل والميل الى اللهو والنساء وان ذلك استدراج الى مابعده ٠٠ ومقاصد الناس تختلف فطريق أهل البادية ذكر الرحيل والانتقال وتوقع البين والاشفاق منه وصفة الطلول والحمول والتشوق بحنين الابل ولمع البروق ومر النسيم وذكر المياه التي يلتقون عليها والرياض التى يحلون بها من خزامى وأقحوان وبهار وحَنوةٍ وظيانٍ وعرار وما أشبهها من زهر البرية الذى تعرفه العرب وتنبته الصحارى والجبال وما يلوح لهم من النيران فى الناحية التي بهـا أحبابهم ولا يعدونَ النساءَ اذا تغزلوا ونسبوا فان وقع مثل قول طرفة

وفى الحيِّ أحوى ينفضُ المردَ شادنٌ مُظاهر سمطىْ لؤلوء وزبرجـد

فانما هو كناية بالغزل عن المرأة ٠٠ وأهل الحاضرة يأتى أكثر تغزلهم فى ذكر الصدود والهجران والواشين والرقباء ومنعةِ الحرس والأبواب وفى ذكر الشراب والندامي والورد

والنسرين والنيلوفر وما شاكل ذلك من النواوير البلدية والرياحين البستانية وفي تشبيه التفاح والتحية به ودس الكتب وما شاكل ذلك مماهم به منفردون .. وقد ذكروا الغلمان تصريحاً ويذكرون النساء أيضاً منهم من سلك في ذلك مسلك الشعراء اقتداء بهم واتباعا لما ألفته طباع الناس معهم كما يذكر أحدهم الابل ويصف المفاوز على العادة المعتادة ولعله لم يركب جملا قط ولا رأى ماوراء الجبانة ومنهم من يكون قوله في النساء اعتقاداً منه وان ذكر فجرياً على عادة المحدثين وسلوكاً لطريقهم لئلا يخرج عن سلك أصحابه ويدخل في غير سلكه وبابه أو كناية بالشخص عن الشخص لرقته أو حب رشاقته .. وهذا مما لا يطلب عليه شاهد لكثرته الا أني أتلمح في هذا المكان بقول أبي نواس

عليَّ عينٌ وأذنٌ من مذكرة ... موصولةٍ بهوى اللوطيِّ والغزلِ
كلاهما نحوَها سامٍ بهمته ... على اختلافهما في موضع العمل

والعادة أن يذكر الشاعر ماقطع من المفاوز وما انضي من الركائب وما تجشم من هول الليل وسهره وطول النهار وهجيره وقلة الماء وغؤوره ثم يخرج الى مدح المقصود ليوجب عليه حق القصد وذمام القاصد ويستحق منه المكافأة .. وكانوا قديماً أصحاب خيام ينتقلون من موضع الى آخر فلذلك أول ماتبدأ اشعارهم بذكر الديار فتلك ديارهم وليست كأبنية الحاضرة فلا معنى لذكر الحضري الديار الا مجازاً لان الحاضرة لاتنسفها الرياح ولا يمحوها المطر الا أن يكون ذلك بعد زمان طويل لا يمكن أن يعيشه أحد من اهل الجيل وأحسن ماأستعمله المولدون المحدثون ماناسب قول علي بن العباس الرومي

سقى الله قصراً بالرصافة شاقني ... بأعلاه قصريُّ الديار رصافي
أشار بقضبان من الدر قمعت ... يواقيت حمراً فاستباح عفافي

وكانت دوابهم الابل لكثرتها وعدم غيرها ولصبرها على التعب وقلة الماء والعلف فلهذا أيضاً خصوها بالذكر دون غيرها ولم يكن أحدهم يرضى بالكذب فيصف ماليس عنده كما يفعل المحدثون ألا ترى أن امرأ القيس لما كان ملكا كيف ذكر خيل البريد والفُرانق يعني البريد على أنه لم يستغن عن ذكر الابل للعادة التي جرت على ألسنتهم

فقال يصف رحيله الى قيصر ملك الروم

اذا قلت روحنا أرنّ فرانقٌ على جلعدٍ واهي الاباجل أبترا
على كل مقصوص الذنابى معاودٍ بريد السرى بالليل من خيل بربرا
اذا رُعته من جانبيه كليهما مشي الهيدَبى فى دفّهِ ثم فرفرا[1]
أقبّ كسرحان الغضا مُتمطرٍ ترى الماء من أعطافه قد تحدرا

وكانت الخيل البربرية تهلب أذنابها كالبغال لتدخل مداخلها فى خدمة البريد وليعلم أنها للملك .. وقال الفرزدق

راحت بمسلمةَ البغالُ عشيةً فارعى فزارةُ لا هناكِ المرتعُ

لما كان الذى راحت به البغال أميراً يذكر رحيله وقد عزل .. وقال ابن ميادة فى ابن هبيرة لما كان أميراً أيضاً

جاءت به معتجراً بِـبُرْدِهِ سفواءُ تردى بنسيجٍ وحده
تقدحُ قيسٌ كلها بزندهِ

الا أن منهم من خالف هذا كله فوصف أنه قصد الممدوح راجلا اما اخباراً بالصدق واما تعاطي صعلكة ورجلة .. قال أبو نواس للفضل بن يحيى بن خالد

اليك أبا العباس من بين من مشى عليهـا امتطينا الحضرمي الملسنا
قلائصُ لم تعرف حنيناً على طلى ولم تدر ما قرعُ الفنيقِ ولا الهنا

فذكر أن قلائصهم التي امتطوها اليه نعالهم فأخرجه كما ترى مخرج اللغز واتبعه أبو الطيب فقال

لا ناقتى تحمل الرديف ولا بالسوط يوم الرهان أجهدها
شرا كها كورُها ومشفرُها زمامها والشسوعُ مقودُها

---

(١) هكذا فى الاصول وفى اللسان ج ٦ ص ٣٥٩ فى مادة ف ر ر
اذا ذعته من جانبيه كليهما مشى الهيذبى فى دفه ثم فرفرا
ثم قال ويروي فرقرا والهيذبي بالذال المعجمة سير سريع

وقال كرة أخرى فى مثل ذلك يتشكي

وحبيتُ من خوص الركاب بأسود   من دارش فغدوت أمشى راكبا

وقال أيضاً يتصعلك و يتفقر

ومهمهٍ جبته على قدمى   تعجز عنه العرامس الذُلُلُ

بصارمى مرتدٍ بمخبرتى   مجتزئ بالظلام مشتمل

ولو شاء قائل أن يقول ان أبا نواس لم يرد ما ذهب اليه أبو الطيب لكن أراد أنه معه فى بلدة واحدة قصده فى حاجته محتذياً نعليه لكان ذلك أظهر وجهاً مالم يكن الحضرمي من الجلود مخصوصاً به المسافر دون الحاضر وظاهر الكلام أن مقصد الشاعرين واحد ..وقد ذكر أبو الطيب الخيل أيضاً في كثير من شعره وكان يؤثرها على الابل لما يقوم فى نفسه من التهيب بذكر الخيل وتعاطى الشجاعة فقال يذكر قدومه الى مصر على خوف من سيف الدولة

ويوم كليل العاشقين كمنته   أراقب فيه الشمس أيان تغربُ

وعينى الى أذني أغرّ كأنه   من الليل باقٍ بين عينيه كوكبُ

له فضلة عن جسمه فى إهابه   تجئ على صدرٍ رحيب وتذهبُ

شققت به الظلماء أدنى عنانه   فيطغى وأرخيه مرارا فيلعبُ

وأصرع أي الوحش قفّيته به   وأنزل عنه مثله حين أركبُ

وما الخيل الا كالصديق قليلة   وان كثرت فى عين من لايجربُ

اذا لم تشاهد غير حسنِ شياتها   وأعضائها فالحسن عنك مغيَّبُ

وليس في زماننا هذا ولا من شرط بلدنا خاصة شيء من هذا كله الا مايعد قلة فالواجب اجتنابه الا ما كان حقيقة لاسيما اذا كان المادح من سكان بلد الممدوح يراه فى أكثر أوقاته فما أقبح ذكر الناقة والفلاة حينئذ ..وقد قلت أنا وان لم أدخل فى جملة من تقدم ولا بلغت خطته من قصيدة اعتذرت بها الى مولانا خلد الله أيامه من طول غيبة غبتها عن الديوان

اليك يخاض البحر فعماً كأنه ... بأمواجه جيش الى البر زاحف
ويبعث خلف النجح كل منيفة ... تريك يداها كيف تطوى التنائف
من الموجفات اللائي يقذفن بالحصى ... ويرمي بهن المهمه المتقاذف
يطير الغمام الجعد عنها كأنه ... من القطن أو ثلج الشتاء ندائف
وقد نازعت فضلَ الزمام ابن نكبة ... هو السيف لا ما أخلصته المشارف
فكيف تراني لو أعنت على الغنى ... بجد واني للغنى لمشارف
وقد قرب الله المسافة بيننا ... وأنجزني الوعد الزمان المساوف
ولولا شقائي لم أغب عنك ساعة ... ولا رام صرفي عن جنابك صارف
ولكنني أخطأت رشدي فلم أصب ... وقد يُخطئ الرشد الفتى وهو عارف

فذكرت قرب المسافة بيني وبينه حوطة واخباراً أن خوض البحر وجوب الفلاة من صفة غيري من القصاد والغرباء والمنتجمين من الامصار .. ومن قصيدة صنعتها بديهة بالمهدية ساعة وصولى اليه أدام الله عزه عن اقتراح بعض شعراء وقتنا هذا

وذيّال له رجل طحون ... لما نزلت به ويدٌ زَجوج
يطير بأربع لاعيب فيها ... لظهران الصفا منها عجيج
خرجت به عن الاوهام سبقاً ... وقلّ له عن الوهم الخروج
الى الملك المعز أبى تميم ... أمرٌ بمن سواه فلا أعيج

ومن أخرى فى معنى التقفر والرحلة

وماء بعيد الغور كالنجم فى الدجا ... وردت طروقاً أو وردت مهجرا
على قدم أخت الجناح وأخمص ... يخال حصي المعزاء جمراً مسعرا
فريداً من الاصحاب صلتاً من الكسا ... كما أسلم الغمد الحسام المذكرا

ومن الشعراء من لا يجمل لكلامه بسطاً من النسيب بل يهجم على ما يريده مكافحة ويتناوله مصافحة وذلك عندهم هو الوثب والبتر والقطع والكسع والاقتضاب كل ذلك

يقال .. والقصيدة اذا كانت على تلك الحال بتراء كالخطبة البتراء والقطعاء وهي التى لا يبتدأ فيها بحمد الله عز وجل على عادتهم فى الخطب .. قال أبو الطيب

اذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً متيم

فأنكر النسيب وزعموا أن أول من فتح هذا الباب وفتق هذا المعني أبو نواس بقوله

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند واشرب علي الورد من حمراء كالورد

وقوله وهو عند الحاتمي فيما روى عن بعض أشياخه أفضل ابتداء صنعه شاعر من القدماء والمحدثين

صفة الطلول بلاغة القُدُمِ فاجعل صفاتك لابنة الكرم

ولما سجنه الخليفة على اشتهاره بالخمر وأخذ عليه أن لا يذكرها فى شعره قال

أعر شعرك الاطلالَ والمنزل القفرا فقد طالما أزري به نعتك الخمرا

دعانيُ الى نعت الطلول مسلطٌ تضيق ذراعي ان أرد له أمرا

فسمعاً أمير المؤمنين وطاعة وان كنت قد جشمتنى مركباً وعرا

فجاهر بان وصفه الاطلال والقفر انما هو من خشية الامام والا فهو عنده فراغ وجهل وكان شعوبى اللسان فما أدرى ما وراء ذلك وان في اللسان وكثرة ولوعه بالشيء لشاهداً عدلا لا ترد شهادته .. وقد قال أبو تمام

* لسان المرء من خدم الفؤاد *

ومن عيوب هذا الباب أن يكون النسيب كثيراً والمدح قليلا كما يصنع بعض أهل زماننا هذا وسنبين وجه الحكم والصواب من هذا فى باب المدح ان شاء الله تعالى .. ومن الشعراء من لا يجيد الابتداء ولا يتكلف له ثم يجيد باقي القصيدة وأكثرهم فعلا لذلك البحترى كان يصنع الابتداء سهلا ويأتى به عفواً وكلما تمادى قوى كلامه وله من جيد الابتداآت كثير لكثرة شعره والغالب عليه ما قدمت غير أن القاضى الجرجانى فضله بجودة الاستهلال وهو الابتداء على أبى تمام وأبى الطيب وفضلهما عليه بالخروج والخاتمة ولست أرى لذلك وجهاً الا كثرة شعره كما قدمت فانه لو حاسبهما ابتداء جيداً بابتداء ما

لاربى عليهما وقصرا عن عذره .. فأما الحاتمي فانه يغض من أبى عبادة غضاً شديداً ويجور عليه جوراً بيناً لا يقبل منه ولا يسلم اليه .. وكان أبو تمام فخم الابتداء له روعة وعليه أبهة كقوله

الحق أبلج والسيوف عوار فحذارِ من أسد العرين حذارِ

.. وقوله

السيف أصدق أنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

.. وقوله اصغي الى البين مغتراً فلا جرما

.. وقوله يا ربع لو ربعوا على ابن هموم

والغالب عليه نحت اللفظ وجهارة الابتداء .. وكان أبوالقاسم الحسن بن بشر الآمدى يفضل ابتدا آت البحترى جداً وهوالذي وضع كتاب الموازنة والترجيح بين الطائيين ونوه فيه بالبحترى أعظم تنويه .. ومن جيد ابتدا آته قوله

عارضنا أصلا فقلنا الربرب حتى أضاء الأقحوانُ الاشنبُ

.. وقوله

ما على الركب من وقوف الركاب في مغاني الصبا ورسم التصابى

.. وقوله ضمان على عينيكِ أني لا أسلو

.. وقوله

ترى عنده علم بشجوى وأدمعي وأنى متى أسمع بذكراه أجزع

وأما الخروج فهو عندهم شبيه بالاستطراد وليس به لأن الخروج انما هوأن تخرج من نسيب الى مدح أوغيره بلطف تحيّل ثم تتمادى فيما خرجت اليه .. كقول حبيب فى المدح

صب الفراق علينا صب من كثب عليه اسحاق يوم الروع منتقما

سيف الامام الذى سمته هيبته لما تخرم أهل الأرض مخترما

ثم تمادى فى المدح الى آخر القصيدة .. وكقول أبى عبادة البحتري

سقيت رُباكَ بكل نوءٍ عاجل　　من وبله حقاً لها معلوما
ولو أُنني أعطيت فيهن المنى　　لسقيتهن بكف ابراهيما

وأكثر الناس استعمالا لهذا الفن أبو الطيب فانه ما يكاد يفات له ولا يشذ عنه حتى ربما قبح سقوطه فيه نحو قوله

هافانظري أوفظني بي ترى حُرقاً　　مَن لم يذق طرفاً منها فقد وألا
علّ الامير يرى ذلي فيشفع لي　　الى التي تركتني في الهوى مثلا

فقد تمنى أن يكون له الأمير قواداً وليس هذا من قول أبي نواس

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد　　هوانا لعل الفضل يجمع بيننا

في شيء لان أبا نواس قال ـ يجمع بيننا ـ ثم اتبع ذلك ذكر المال والسخاء به فقال

أمير رأيت المال في نعماته　　مهيناً ذليلَ النفس بالضيم موقنا

فكأنه أشار الى أن جمعه بينهما بالمال خاصة يفضل عليه و بجزل عطيته فيتزوجها أو يتسري بها وأبو الطيب قال يشفع والشفاعة رغبة وسؤال ثم اتبع بيته بما هو مقو لمعناه في القيادة فقال

أيقنت أن سعيداً طالب بدمي　　لما بصرت به بالرمح معتقلا

فدل على أنه يشفع فان أجيب الى مساعدة أبي الطيب فذاك والا رجع الى القهر .. والذي يشاكل قول أبي نواس قوله

أحب التي في البدر منها مشابه　　وأشكو الى من لا يصاب له شكل

فلفظة ـ الشكوى ـ تحمل عنه كما حملت عن أبي نواس .. ومما سقط فيه وان كان مليح الظاهر قوله يخاطب امرأة نسب بها

لو أن فنا خسر صبحكم　　وبرزت وحدك عاقه الغزل
وتفرقت عنه كتائبه　　إن الملاح خوادع قتل
ما كنت فاعلة وضيفكم　　ملك الملوك وشأنكِ البخل
أتمنعين قرى فتفتضحي　　أم تبذلين له الذي يسل
بل لا يحل بحيث حل به　　بخل ولا جور ولا وجل

فختم على فنا خسرو بأن الغزل يعوقه وان كتائبه تتفرق عنه وجعله يسأل هذه المرأة وتشكك هل تمنعه أم تبذل له ثم أوجب أن البخل لا يحل بحيث حل فأوقعه تحت الزنى أو قارب ذلك ولعل هذا كان اقتراحاً من فنا خسرو والا فما يجب أن يقابل من هو ملك الملوك بمثل هذا وما أسرع ما نحط أبو الطيب بينا هو يسأل الامير أن يشفع له الى عشيقته صار يشفع للامير عندها .. والاستطراد أن يبنى الشاعر كلاماً كثيراً على لفظة من غير ذلك النوع يقطع عليها الكلام وهي مراده دون جميع ما تقدم ويعود الى كلامه الاول وكأنما عثر بتلك اللفظة عن غير قصد ولا اعتقاد نية وجل ما يأتي تشبيهاً وسيرد عليك فى بابه مبيناً ان شاء الله تعالى .. ومن الناس من يسمى الخروج تخلصاً وتوصلا وينشدون أبياتاً منها

اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه فليس به بأس ولو كان من جرم
ولو أن جرماً أطعموا شحم جفرة لباتوا بطاناً يضرطون من الشحم

وأولى الشعر بأن يسمى تخلصاً ما تخلص فيه الشاعر من معنى الى معنى ثم عاد الى الاول وأخذ فى غيره ثم رجع الى ما كان فيه .. كقول النابغة الذبيانى آخر قصيدة اعتذر بها الى النعمان بن المنذر

وكفكفتُ منى عبرةً فرددتها الى النحرِ منها مستهلٌ ودامع
على حين عاتبتُ المشيبَ على الصبا وقلت ألما أصحُ والشيبُ وازع

ثم تخلص الى الاعتذار فقال

ولكن همّاً دون ذلك شاغل مكان الشغاف تبتغيه الاصابع
وعيدُ أبى قابوس فى غير كنهه أتانى ودوني راكسٌ فالضواجع

ثم وصف حاله عند ما سمع من ذلك فقال

فبتُّ كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقشِ فى أنيابها السم ناقع
يسهد فى ليل التمام سليمها لحلي النساء فى يديه قعاقع
تناذرها الراقون من سوء سمها تطلقه طوراً وطوراً تراجع

فوصف الحية والسليم الذى شبه به نفسه ماشاء ثم تخلص الى الاعتذار الذى كان فيه فقال

أتاني أبيتَ اللعن انك لمتنى وتلك التي تستك منها المسامع

ويروى - وخبرت خير الناس انك لمتنى - ثم اطرد له ما شاء من تخلص الى تخلص حتى انقضت القصيدة وهو مع ما أشرت اليه غير خاف ان شاء الله تعالى .. وقد يقع من هذا النوع شئ يعترض فى وسط النسيب من مدح من يريد الشاعر مدحه بتلك القصيدة ثم يعود بعد ذلك الى ما كان فيه من النسيب ثم يرجع الى المدح كما فعل أبو تمام وان أتى بمدحه الذي تمادي فيه منقطعا وذلك قوله في وسط النسيب من قصيدة له مشهورة

ظلمتك ظالمة البرئ ظلوم والظلم من ذى قدرة مذموم
زعمت هواك عفا الغداة كما عفت منها طلول باللوى ورسوم
لا والذى هو عالم أن النوى أجل وأن أبا الحسين كريم
مازلت عن سنن الوداد ولا غدت نفسي على إلف سواك تحوم

ثم قال بعد ذلك

لمحمد بن الهيثم بن شبابة مجد الى جنب السماك مقيم

ويسمي هذا النوع الالمام .. وكانت العرب لا تذهب هذا المذهب في الخروج الى المدح بل يقولون عند فراغهم من نعت الابل وذكر القفار وما هم بسبيله دع ذا وعد عن ذا ويأخذون فيما يريدون أو يأتون بأن المشددة ابتداءً للكلام الذى يقصدونه فاذا لم يكن خروج الشاعر الى المدح متصلا بما قبله ولا منفصلا بقوله دع ذا وعد عن ذا ونحو ذلك سمي طفراً وانقطاعاً .. وكان البحتري كثيراً ما يأتى به نحو قوله

لولا الرجاء لمت من ألم الهوى لكن قلبي بالرجاء موكلُ
ان الرعية لم تزل فى سيرة عمرية مذ ساسها المتوكل

ولربما قالوا بعد صفة الناقة والمفازة الى فلان قصدتُ وحتى نزلت بفناء فلان وماشا كل ذلك .. وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الاسماع وسبيله أن يكون محكما لا تمكن الزيادة عليه ولا يأتى بعده أحسن منه واذا كان أول الشعر مفتاحاً

له وجب أن يكون الآخر قفلا عليه وقد أربى أبو الطيب على كل شاعر في جودة فصول هذا الباب الثلاثة الا أنه ربما عقد أوائل الاشعار ثقة بنفسه واغراباً على الناس كقوله أول قصيدة

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه   بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

فان هذا يحتاج الأصمعي الى أن يفسر معناه ويقع له في الخروج ما كان تركه أولى به وأشعر له وانما أدخله فيه حب الاغراب في باب التوليد حتى جاء بالغث البارد والبشع المتكلف نحو قوله

أحبك أو يقولوا جرَّ نملٌ   ثبيراً وابن ابراهيم ريعا

فهذا من البشاعة والشناعة بحيث لا يخفى على أحد وما أظنه سرق هذا المعنى الشريف الا من كذبة كذبها أبو العباس[1] الصيمرى عن لسان رجل زعم أنه قال رأيت رجلا نام ويده غمرة فجره النمل ثلاثة فراسخ فقد جعل أبو الطيب مكان الرجل جبلا وان اعلمنا الاغراق فى مراده ولفظه .. وقال

أعز مكان فى الدنا سرج سابح   وخير جليس في الزمان كتاب

وبحر أبو المسك الخضم الذي له   على كل بحر زخرة وعُباب

يريد وخير بحر أبو المسك وهـذه غاية التصنع والتكلف .. ومن العرب من يختم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة وفيها راغبة مشتهية ويبقي الكلام مبتوراً كأنه لم يتعمد جعله خاتمة كل ذلك رغبة فى أخذ العفو واسقاط الكلفة ألا ترى معلقة امرئ القيس كيف ختمها بقوله يصف السيل عن شدة المطر

كان السباع فيه غرقي غُدَيَّةً   بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المعلقات وهى أفضلها .. وقد كره الحذاق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء لانه من عمل أهل الضعف الا للملوك فانهم يشتهون ذلك كما قدمت ما لم يكن من جنس قول أبى الطيب يذكر الخيل لسيف الدولة

---

(١) ن أبو العنبس

فلا هجمتَ بها الاَّ على ظفر   ولا وصلت بها الاَّ الى أمل

فان هذا شبيه ما ذكر عن بغيض كان يصابح الامير فيقول لاصبح الله الامير بعافية ويسكت ثم يقول الاَّ ومساه بأكثر منها ويماسيه فيقول لامسى الله الامير بنعمة ويسكت سكتة ثم يقول الا وصبحه بأتم منها أو نحو هذا فلا يدعو له حتى يدعو عليه ومثل هذا قبيح لا سيما عن مثل أبي الطيب

باب البلاغة

تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي وأسناني فقال له إن الله يكره الانبعاق في الكلام فنضَّر الله وجه رجل أوجز في كلامه واقتصر على حاجته •• وسئل النبي صلى الله عليه وسلم فيم الجمال فقال في اللسان يريد البيان •• وقال أصحاب المنطق حد الانسانِ الحي الناطق فمن كان في المنطق أعلى رتبة كان بالانسانية أولى •• وقالوا الروح عماد الجسم والعلم عماد الروح والبيانِ عماد العلم •• وسئل بعض البلغاء ما البلاغة فقال قليل يفهم وكثير لا يسأم •• وقال آخر البلاغة اجاعة اللفظ واشباع المعنى •• وسئل آخر فقال معان كثيرة في ألفاظ قليلة •• وقيل لاحدهم ما البلاغة فقال اصابة المعنى وحسن الايجاز •• وسئل بعض الاعراب من أبلغ الناس فقال أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهة •• وسأل الحجاج ابن القبعثري ما أوجز الكلام فقال ألا تبطيء ولا تخطيء وكذلك قال صُحار العبدي لمعاوية بن أبي سفيان •• وقال خلف الاحمر البلاغة لمحة دالة •• وقال الخليل بن احمد البلاغة كلمة تكشف عن البقية •• وقال المفضل الضبي قلت لاعرابي ما البلاغة عندكم فقال الايجاز من غير عجز والاطناب من غير خطل •• وكتب جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي الى عمرو بن مسعدة اذا كان الاكثار أبلغ كان الايجاز تقصيراً واذا كان الايجاز كافياً كان الاكثار عياً •• وأنشد المبرد في صفة خطيب

طبيب بداء فنون الكلا   م لم يعي يوماً ولم يهذر

فان هو أطنب فى خطبة قضى للمطيل على المنزر
وان هو أوجز في خطبة قضي للمقل على المكثر

قال أبو الحسن على بن عيسى الرمانى أصل البلاغة الطبع ولها مع ذلك آلات تعين عليها وتوصل للقوة فيها وتكون ميزاناً لها وفاصلة بينها و بين غيرها وهي ثمانية أضرب الايجاز والاستعارة والتشبيه والبيان والنظم والتصرف والمشاكلة والمثل وسيرد كل واحد منها بمكانه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ٠٠ وقال معاوية لعمرو بن العاص من أبلغ الناس فقال من اقتصر على الايجاز وتنكب الفضول ٠٠ وسئل ابن المقفع ما البلاغة فقال اسم لمعان تجرى في وجوه كثيرة فمنها ما يكون فى السكوت ومنها ما يكون فى الاستماع ومنها يكون فى الاشارة ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعاً ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون جواباً ومنها ما يكون فى الحديث ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون خطباً ومنها ما يكون رسائل فعامة هذه الأبواب الوحي فيها والاشارة الى المعنى والايجاز هو البلاغة ٠٠ قال صاحب الكتاب فهذا ابن المقفع جعل من السكوت بلاغة رغبة فى الايجاز ٠٠ وقال بعض الكلبيين

واعلم بأن من السكوت إبانة ومن التكلم ما يكون خبالا

وقلت أنا فى مثل ذلك

وأخرقَ أكالٍ للحم صديقه وليس لجاري ريقه بمسيغ
سكت له ضناً بعرضى فلم أجب ورب جواب فى السكوت بليغ

وقلت أيضاً ولم أذكر بلاغة

أيها الموحي الينا نفثة الصل الصموت
ماسكتنا عنك عياً رب نطق فى السكوت
لك بيت في البيوت مثل بيت العنكبوت
إن يهن وهناً فبه حيلتا سكنى وقوت

وقيل لبعضهم ماالبلاغة فقال ابلاغ المتكلم حاجته بحسن افهام السامع ولذلك سميت

بلاغة .. وقال آخر البلاغة أن تفهم المخاطب بقدر فهمه من غير تعب عليك .. وقال آخر البلاغة معرفة الفصل من الوصل .. وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة الدلالة .. وقيل البلاغة أن يكون أول كلامك يدل على آخره وآخره يرتبط بأوله .. وقيل البلاغة القوة على البيان مع حسن النظام .. ومن قول السيد أبي الحسن أدام الله عزه فى صفة كاتب بالبلاغة وحسن الخط

فَضَلَ الأنام بفضل علم واسع — وعلا مقالهم بفصل المنطق
وحكي لنا وشي الرياض وقد وشت — أقلامه بالنقش بطن المُهْرَق

فبلغ ما أراد من الوصف في اختصار وقلة تكلف .. ونحو ذلك قوله ايضاً

اذا مشقت يمناك فى الطرس أسطرا — حكيت بها وشى الملاء المعضد
يروق مجيد الخط حسن حروفها — ويعجب منها بالمقال المسدد

وهذا الشعر كالأول في الحز واصابة المفصل وأن أبا الحسن لكما قال سميه أبو الطيب خاتم الشعراء

عليم بأسرار الديانات واللغي — له خطرات تفضح الناس والكتبا

بل كما قال ولى نعمته وشاكر منته

انى لاعجب كيف يحسن عنده — شعر من الاشعار مع احسانه
ما ذاك الا أنه در النهي — يَفِ التجار به على دِهقانه

أستغفر الله لا أجحد أبا الطيب حقه ولا أنكر فضله .. وقد قال

ملك منشد القريض لديه — يضع الثوب فى يدي بزاز

ثم نرجع الى وصف البلاغة بعد ما أفضنا ووشحنا هذا الباب من ذكر السيد فنقول .. وقالوا البلاغة ضد العي والعي العجز عن البيان .. وقيل لايكون الكلام يستوجب اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ولا يكون لفظه أسبق الى سمعك من معناه الى قلبك .. وسأل عامر بن الظرب العدوانى حمامة بن رافع الدوسى بين يدي بعض ملوك حمير فقال من أبلغ الناس قال من حلى المعنى المزيز باللفظ الوجيز وطبق المفصل

قبل التحزيز ٠٠ وقيل لارسطاطاليس ما البلاغة قال حسن الاستعارة ٠٠ وقال الخليل البلاغة ما قرب طرفاه و بعد منتهاه ٠٠ وقيل لخالد بن صفوان ما البلاغة قال اصابة المعنى والقصد الى الحجة ٠٠ وقيل لابراهيم الامام ما البلاغة قال الجزالة والاطالة وهذا مذهب جماعة من الناس جلة و به كان ابن العميد يقول فى منثوره ٠٠ وقيل لبعض الجلة ما البلاغة فقال تقصير الطويل وتطويل القصير يعني بذلك القدرة على الكلام ٠٠ وقال أبو العيناء من أجزأ بالقليل عن الكثير وقرب البعيد اذا شاء و بعد القريب وأخفى الظاهر وأظهر الخفي ٠٠ وقال البحترى يمدح محمد بن عبد الملك الزيات حين استوزر و يصف بلاغته

ومعـان لو فصلتها القوافى   هجّنت شعر جرول ولبيد
حُزْنَ مستعمل الكلام اختيارا   وتجنبن ظلمـة التعقيـد
وركبن اللفظ القريب فأدركـن   به غاية المراد البعيـد

والبيت الأول من هذه القطعة يشهد بفضل الشعر على النثر ٠٠ وحكي الجاحظ عن الامام ابراهيم بن محمد قوله كفى من حظ البلاغة الا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع ثم قال الجاحظ أما أنا فأستحسن هذا القول جداً ٠٠ ومن كلام ابن المعتز البلاغة بلوغ المعنى ولمّا يطل سَفَرُ الكلام ٠٠ وقال ابن الاعرابي البلاغة التقرب من البغية ودلالة قليل على كثير ٠٠ وقال بعض المحدثين البلاغة اهداء المعنى الى القلب فى أحسن صورة من اللفظ ٠٠ ومن كلام أبى منصور عبد الملك بن اسمعيل الثعالبي قال قال بعضهم البلاغة ما صعب على التعاطي وسهل على الفطنة ٠٠ وقال خير الكلام ما قل ودل وجل ولم يمل ٠٠ وقال أبلغ الكلام ما حسن ايجازه وقل مجازه وكثر اعجازه وتناسبت صدوره وأعجازه ٠٠ قال وقيل البليغ من يجتنى من الألفاظ نُوارها ومن المعانى ثمارها وهذا الذى حكاه الثعالبي مما يدلك على حذق أبى الطيب فى قوله لابن العميد

قَطَفَ الرجالُ القول قبل نباته   وقطفت أنت القـول لما نوّرا

وكان يمكنه أن يقول لما أثمر لكن ذهب الى ما قدمت وانما اقتدى بقول أبى تمام

ويجف نُوّار الكلام وقلما   يلفي بقاء الغرس بعد الماء

وكان بعضهم يقول تلخيص المعانى رفق والاستعانة بالغريب عجز والتشادق فى غير أهل

البادية نقص والخروج مما بنى عليه الكلام اسهاب .. وقال العتابى قيم الكلام العقل وزينته الصواب وحليته الاعراب ورائضه اللسان وجسمه القريحة وروحه المعاني .. وقال عبد الله بن محمد بن جميل المعروف بالباحث البلاغة الفهم والافهام وكشف المعانى بالكلام ومعرفة الاعراب والاتساع فى اللفظ والسداد فى النظم والمعرفة بالقصد والبيان فى الاداء وصواب الاشارة وإيضاح الدلالة والمعرفة بالقول والاكتفاء بالاختصار عن الاكثار وامضاء العزم على حكومة الاختيار قال وكل هذه الابواب محتاج بعضها الى بعض كحاجة بعض أعضاء البدن الى بعض لاغنى لفضيلة أحدها عن الآخر فمن أحاط معرفة بهذه الخصال فقد كمل كل الكمال ومن شذ عنه بعضها لم يبعد من النقص بما اجتمع فيه منها قال والبلاغة تخير اللفظ في حسن افهام .. وسئل الكندى عن البلاغة فقال ركنها اللفظ وهو على ثلاثة أنواع فنوع لا تعرفه العامة ولا تتكلم به ونوع تعرفه وتتكلم به ونوع تعرفه ولا تتكلم به وهو أحمدها .. ومن كتاب عبد الكريم قالوا حسن البلاغة أن يصور الحق في صورة الباطل والباطل فى صورة الحق قال ومنهم من يعيب ذلك المعنى ويعده إسهابا وآخر يعده نفاقاً .. قال ومر غيلان بن خرشة الضبي مع عبد الله ابن عامر بنهر أم عبد الله الذى يشق البصرة فقال عبد الله بن عامر ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر فقال غيلان أجل والله أيها الأمير يتعلم فيه العوم صبيانهم ويكون اسقيائهم ومسيل مياههم ويأتيهم بميرتهم قال ثم مر غيلان يساير زياداً على ذلك النهر وقد كان عادى ابن عامر فقال له ما أضر هذا النهر لأهل هذا المصر فقال غيلان أجل والله أيها الأمير تندى منه دورهم ويغرق فيه صبيانهم ومن أجله يكثر بعوضهم فكره الناس من البيان مثل هذا انقضى كلام عبد الكريم .. والذى أراه أنا ان هذا النوع من البيان غير معيب بأنه نفاق لانه لم يجعل الباطل حقاً على الحقيقة ولا الحق باطلا وانما وصف محاسن كل شىء مرة ثم وصف مساويه مرة أخرى كما فعل عمرو ابن الأهتم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سأله عن الزبرقان بن بدر فأثنى خيراً فقال مانع لحوزته مطاع فى أنديته ويروى فى أدانيه فلم يرض الزبرقان بذلك وقال اما أنه قد علم أكثر مما قال ولكن حسدنى لشرفى وفى رواية أخرى حسدنى مكانى منك يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم فأثنى عليه عمرو شراً وقال أما لئن قال ما قال

لقد علمته ضيق الصدر زمن المروءة أحمق الأب لئيم الخال حديث الغنى ثم قال والله يا رسول الله ما كذبت عليه فى الأولى ولقد صدقت فى الآخرة ولكن أرضانى فقلت بالرضى وأسخطنى فقلت بالسخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحراً ٠٠ قال أبوعبيد القاسم بن سلام وكان المعنى والله أعلم أنه يبلغ من بيانه أنه يمدح الانسان فيصدق فيه حتى يصرف القلوب الى قوله ثم يذمه فيصدق فيه حتى يصرف القلوب الى قوله الآخر فكأنه سحر السامعين بذلك ٠٠ وقال الجاحظ العربى يعاف البذاء ويهجو به غيره فاذا ابتلى به فخر به ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ماهجا به صاحبه ٠٠ ودخل أبو العيناء على المتوكل فقال له بلغني عنك بذاء قال ان يكن البذاء صفة المحسن باحسانه والمسيء باساءته فقد زكى الله وذم فقال ﴿نعم العبد انه أواب﴾ وقال ﴿هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم﴾ فذمه حتى قذفه واما أن أكون كالعقرب التى تلسع النبي والذمي فقد أعاذ الله عبدك من ذلك وقد قال الشاعر

اذا أنا بالمعروف لم أثن صادقاً ولم أشتم الجبس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفما

قال الجاحظ قال ثمامة بن أشرس قلت لجعفر بن يحيي ما البيان قال أن يكون اللفظ يحيط بمعناك ويخبر عن مغزاك ويخرجه من الشركة ولا يستعين عليه بالكثرة والذى لابد منه أن يكون سليما من التكلف بعيداً من الصنعة بريا من التعقيد غنيا عن التأويل قال الجاحظ وهذا هو تأويل قول الأصمعي البليغ من طبق المفصل واغناك عن المفسر قال أبو عبيدة البلغ البليغ بفتح الباء وقال غيره البالغ الذى يبلغ ما يريد من قول وفعل والبلغ الذى لايبالي ما قال وما قيل فيه كذلك قال أبو زيد وحكي ابن دريد كلام بلغ و بليغ وقال ابن الاعرابى يقال بلغ و بلغ ولا شك أن ابن الاعرابى قال انما هو فى الأهوج الذى لايبالي حيث وقع من القول وقد تكرر فى هذا الباب من أقاويل العلماء مالم يخف عني ولا غفلته لكن اغتفرت ذلك لاختلاف العبارات ومدار هذا الباب كله على أن البلاغة وضع الكلام موضعه من طول أو ايجاز مع حسن العبارة ومن جيد ما حفظته قول بعضهم البلاغة شد الكلام معانيه وان قصر وحسن التأليف وان طال

باب الايجاز

الايجاز عند الرمانى على ضربين مطابق لفظه لمعناه لا يزيد عليه ولا ينقص عنه كقولك سل أهل القرية ومنه مافيه حذف للاستغناء عنه في ذلك الموضع كقول الله عز وجل ﴿ واسأل القرية ﴾ وعبر عن الايجاز بأن قال هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف ونعم ما قال الا أن هذا الباب متسع جداً ولكل نوع منه تسمية سماها أهل هذه الصناعة .. فأما الضرب الأول مما ذكر أبو الحسن فهم يسمونه المساواة ومن بعض ما أنشدوا فى ذلك قول الشاعر

يا أيها المتحلي غير شيمته ... أن التخلق يأتى دونه الخلق
ولا يواتيك فيما ناب من حدث ... الا أخو ثقة فانظر بمن تثق

فهذا شعر لا يزيد لفظه على معناه ولا معناه على لفظه شيئاً .. ومثله قول أبى العتاهية ورواه بعضهم للحطيئة وهذا شرف عظيم لابى العتاهية ان كان الشعر له ولا أشك فيه

الحمد لله انى فى جوار فتى ... حامى الحقيقة نفاع وضرار
لا يرفع الطرف الا عند مكرمة ... من الحياء ولا يغضى على عار

وأنشد عبد الكريم في اعتدال الوزن

انما الذلفاءُ همي ... فليدعنى من يلوم
أحسن الناس جميعاً ... حين تمشى وتقوم
أصل الحبل لترضى ... وهى للحبل صروم

ثم قال عندهم أنه ليس فى هذا الشعر فضلة عن إقامة الوزن وهذه الأبيات واشكالها داخلة في باب حسن النظم عند غير عبد الكريم .. والضرب الثانى مما ذكر الرماني وهو قول الله عز وجل ﴿واسأل القرية﴾ يسمونه الاكتفاء وهو داخل فى باب المجاز وفى الشعر القديم والمحدث منه كثير يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقي علي الذاهب .. من ذلك قول الله عز وجل ﴿ ولو أنَّ قرآناً سُيرت به الجبالُ أو قطعت به الأرضُ

أو كلّمَ به الموتي » كأنه قال لكان هذا القرآن ٠٠ ومثله قولهم لو رأيت علياً بين الصفين أى لرأيت أمراً عظيما وانما كان هذا معدوداً من أنواع البلاغة لان نفس السامع تتسع فى الظن والحساب وكل معلوم فهو هين لكونه محصوراً ٠٠ وقال امرؤ القيس

فلو أنها نفس تموت سوية ولكنها نفس تُساقطُ أنفسا

كأنه قال لهان الأمر ولكنها نفس تموت موتات ونحو هذا ٠٠ ومن الحذف قول الله عز وجل « فأما الذين اسودّتْ وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم » أي فيقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم ٠٠ ومن كلام النبي صلي الله عليه وسلم قوله للمهاجرين وقد شكروا عنده الانصار أليس قد عرفتم ذلك لهم قالوا بلى قال فان ذلك يريد فان ذلك مكافأة لهم ٠٠ وروى أبو عبيدة أن سفيان الثوري قال جاء رجل من قريش الى عمر بن عبد العزيز يكلمه فى حاجة له فجعل يمت بقرابتـه فقال عمر فان ذلك ثم ذكر حاجته فقال لعل ذلك ٠٠ وقال الطرماح يوماً للفرزدق يا أبا فراس أنت القائل

ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمـه أعز وأطـول

أعز مماذا وأطول مماذا وأذن المؤذن فقال له الفرزدق يالكع ألا تسمع ما يقول المؤذن الله أكبر أكبر مما ذا أعظم مماذا فانقطع الطرماح انقطاعاً فاضحاً ٠٠ وزعم بعض العلماء أن معنى قول الفرزدق عزيز طويل ولكنه بناه علي أفعل مثل أبيض وأحمر وما شاكلهما فجعله لازماً لما في ذلك من الفخامة في اللفظ والاستظهار فى المعنى ٠٠ ومن الايجاز قول الاعرابي فى صفة الذئب

أطلس يخفى شخصه غباره فى شدقه شـفرته وناره

فقوله ــ فى الشفرة والنار ــ ايجاز مليح ٠٠ وقال آخر فى صفة سهم صارد

• غادر داءً ونجا صحيحا •

وقال آخر فى صفة ناقة • خرقاء الا أنها صَناع •

وقال أبو نواس يصف جنين ناقة مخدجا • مَيتُ الأساحيُ الشـعَرْ •

وقال ابن المعتز يصف بازياً • مبارك اذا رأى فقد رزق •

ومن الايجاز البديع قول الله عز وجل ﴿ وقيلَ يا أرضُ ابلعي ماءَكِ ويا سماءُ أقلعي وغِيضَ الماءُ وقضيَ الأمرُ واستوت على الجوديِّ وقيلَ بُعداً للقومِ الظالمين ﴾ وقوله تعالى ﴿ خذِ العفوَ وأمرْ بالعرفِ وأعرضْ عن الجاهلين ﴾ فكل كلمة من هذه الكلمات فى مقام كلام كثير وهي على ماترى من الاحكام والايجاز ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم همُ العدوُّ فاحذَرهمْ قاتلهمُ الله أنى يؤفكون ﴾ وقوله تعالى ﴿ وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاطَ اللهُ بها ﴾ وقوله ﴿ إنْ تتبعونَ الاَّ الظنَّ وماتهوى الانفس ﴾ .. وقال النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقال كفي بالسلامة داء ومثل هذا كثير فى كلامه صلى الله عليه وسلم ومن أولى منه بالفصاحة وأحق بالايجاز وقد قال أعطيت جوامع الكلم فأما قوله عليه الصلاة والسلام كفي بالسيف شا يريد شاهداً فقد حكاه قوم من أصحاب الكتب أحدهم عبدالكريم والذى أرى أن هذا ليس مما ذكروا فى شيء لان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قطع الكلمة وأمسك عن تمامها لئلا تصير حكما ودليل ذلك أنه قال لولا أن يتتابع فيه الغيران والسكران فهذا وجه الكلمة والله أعلم لا كما قال علقمة بن عبدة

كان أبريقهم ظبي على شرف مفدم بسبا الكتان ملثوم

يريد ـ بسبائب الكتان ـ فحذف اضطراراً لان الوزن لا يستقيم له الا بعد الحذف وكذلك قول لبيد ٭ درس المنا بمتالع فأبان ٭

يريد ـ المنازل ـ فحذف للضرورة أيضاً ورسول الله صلى الله عليه وسلم غير متكلف ولا مضطر .. فأما سائر العرب فالحذف فى كلامهم كثير لحب الاستخفاف وتارة للضرورة وسيرد عليك فى باب الرخص ان شاء الله تعالى

باب البيان

قال أبو الحسن الرمانى فى البيان هو احضار المعنى للنفس بسرعة ادراك وقيل ذلك لئلا يلتبس بالدلالة لانها احضار المعنى للنفس وان كان بابطاء .. وقال البيان الكشف عن المعنى

حتى تدركه النفس من غير عقلة وانما قيل ذلك لأنه قد يأتى التعقيد فى الكلام الذى يدل ولا يستحق اسم بيان ·· قال صاحب الكتاب وقد مرَّ بى فى باب البلاغة قول غيلان بن خرشة في صفة نهر أم عبد الله مادحاً وذاما وهو من جيد البيان عندهم وكذلك قول عمرو بن الأهتم في الزبرقان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحراً وقال مثل ذلك للعلاء بن الحصين وقد سأله هل تروى من الشعر شيئاً فأنشده

حي ذَوِي الاضغان تسب عقولهم　　تحيتك الحسنى وقد يرقع النعل
فان دحسوا بالكره فاعف تكرماً　　وان خنسوا عند(١) الحديث فلا تسل
فان الذي يؤذيك منه سماعه　　وان الذى قالوا وراءك لم يقل

فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما وروي لحكمة ·· ومن البيان الموجز الذى لا يقرن به شئ من الكلام قول الله تعالى ﴿ ولكم فى القصاص حياة ﴾ وقوله فى الاعراب عن صفته ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ فبين تعالى أنه واحد لاثانى معه وأنه صمد لاجوف له وقيل الصمد السيد الذى يصمد اليه فى الأمور كلها ولا يعدل عنه وقيل العالى المرتفع وأنه غير والد ولا مولود وأنه لا شبه له ولا مثل وقيل ان الكفو ههنا الصاحبة تعالى الله وانما نزلت هذه السورة لما سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له صف لنا ربك وانسبه فقد وصف نفسه في التوراة ونسبها فأكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقال لو سألتمونى أن أصف لكم الشمس لم أقدر على ذلك فبينما هو كذلك اذ هبط عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ﴿ قل هو الله أحد ﴾ السورة ·· ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضى الله عنهم قوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم والمرء كثير بأخيه فهذا كلام فى نهاية البيان والايجاز ·· وقال أبو بكر رضى الله عنه في بعض مقاماته وليت أموركم ولست بخيركم أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فان عصيت فلا طاعة لى عليكم فقد بلغ بهذه الالفاظ الموجزة غاية البيان ·· وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى بعض خطبه أيها الناس

(١) ن حبسوا عنك

إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه روى ذلك المبرد عن العتبي وذكر الأخفش عن علي ابن سليمان هذه الخطبة فقال الصحيح عندى انها لابى بكر .. ومن كلام عمر رضى الله عنه كفي بالمرء غياً أن تكون فيه خلة من ثلاث أن يعيب شيئاً ثم يأتي مثله أو يبدو له من أخيه مايخفي عليه من نفسه أو يؤذي جليسه فيما لا يعنيه .. وكتب عثمان بن عفان الى علي بن أبي طالب رحمة الله عليهما لما أحيط به أما بعد فانه قد جاوز الماء الزبا وبلغ الحزام الطبيين وتجاوز الأمر بى قدره وطمع فيّ من لا يدفع عن نفسه

فان كنتُ مأكولا فكن أنت آكلى وإلاّ فأدركنى ولمــا أمزق

البيت الذى تضمنته الرسالة من شعر الممزق العبدى يقوله لعمرو بن هند فى قصيدة مشهورة وبه سمي الممزق واسمه شاس بن نهار .. وخاطب عثمان علياً يعاتبه وهو مطرق فقال له ما بالك لاتقول فقال على ان قلت لم أقل الا ما تكره وليس لك عندى الا ما تحب قال المبرد تأويل ذلك ان قلت اعتددت عليك بمثل ما اعتددت به عليّ فلدغك عتابى وعقدى الا أفعل وان كنت عاتباً الا ما تحب .. وهذا قليل من كثير يستدل به عليه ولو تقصيت ماوقع من ألفاظ التابعين وماتقدمت به شعراء الجاهلية والاسلام لافنيت العمر دون ذلك وقد استفرغ أبو عثمان الجاحظ وهو علامة وقته الجهد وصنع كتاباً لا يُبلَغُ جودة وفضلا ثم ما ادعى احاطة بهذا الفن لكثرته وان كلام الناس لايحيط به الا الله عز وجل

باب النظم

قال أبو عثمان الجاحظ أجود الشعر مارأيته متلاحم الاجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه أفرغ افراغاً واحداً وسبك سبكا واحداً فهو يجرى على اللسان كما يجرى الدهان واذا كان الكلام على هذا الاسلوب الذى ذكره الجاحظ لذ سماعه وخف محتمله وقرب

فهمه وعذب النطق به وحلي في فم سامعه فاذا كان متنافراً متبايناً عسر حفظه وثقل على لسان الناطق به ومجته المسامع فلم يستقرفيها منه شيء .. وأنشد الجاحظ قال أنشدني أبو العاصي قال أنشدني خلف

وبعض قريض القوم أبناء علة   يكد لسان الناطق المتحفظ

وأنشد عنه عن أبي البيداء الرياحي

وشعر كبعر الكبش فرق بينه   لسان دعي في القريض دخيل

واستحسن أن يكون البيت بأسره كانه لفظة واحدة لخفته وسهولته واللفظة كأنها حرف واحد وأنشد قول الثقفي

من كان ذا عضد يدرك ظلامته   إن الذليل الذي ليست له عضد

تنبو يداه اذا ما قل ناصره   ويأنف الضيم إن أثرى له عدد

والناس مختلفو الرأي في مزاوجة الالفاظ منهم من يجعل الكلمة وأختها وأكثر مايقع ذلك في ألفاظ الكتاب وبه كان يقول البحتري في أكثر أشعاره .. من ذلك قوله

تطيب بمسراها البلاد اذا سرت   فينم رياها وبصفو نسيمها

ففي القسم الآخر تناسب ظاهر .. وكذلك قوله

ضاق صدري بما أجـ   ـن وقلبي بما أجد

وقوله أيضاً في مدح المتوكل

لقد اصطفى رب السما   ء له الخلائق والشيم

ومنهم من يقابل لفظتين بلفظتين ويقع في الكلام حينئذ تفرقة وقلة تكلف .. فمن المتناسب قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض كلامه أين من سعي واجتهد وجمع وعدد وزخرف ونجد وبنى وشيد فاتبع كل لفظة ما يشا كلها وقرنها بما يشبهها .. ومن الفرق المنفصل قول امرئ القيس

كأني لم أركب جوادا للذة   ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل   لخيلي كري كرة بعد اجفال

وكان قد ورد على سيف الدولة رجل بغدادي يعرف بالمنتخب لا يكاد يسلم منه أحد من القدماء والمحدثين ولا يذكر شعر بحضرته الا عابه وظهر على صاحبه بالحجة الواضحة فأنشد يوماً هذين البيتين فقال قد خالف فيهما وأفسد لو قال

كاني لم أركب جواداً ولم أقل ... لخيلي كرى كرة بعد اجفال

ولم أسبأ الزق الروى للذة ... ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

لكان قد جمع بين الشئ وشكله فذكر الجواد والكر في بيت وذكر النساء والخمر فى بيت فالتبس الامر بين يدي سيف الدولة وسلموا له ما قال فقال رجل ممن حضر ولا كرامة لهذا الرأي الله أصدق منك حيث يقول ﴿ ان لك ألا تجوعَ فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾ فأتى بالجوع مع العرى ولم يأت به مع الظمأ فسر سيف الدولة وأجازه بصلة حسنة .. قال صاحب الكتاب قول امرئ القيس أصوب ومعناه أعز وأغرب لان اللذة التي ذكرها انما هي الصيد هكذا قال العلماء ثم حكي عن شبابه وغشيانه النساء فجمع فى البيت معنيين ولو نظمه على ماقال المعترض لنقص فائدة عظيمة وفضيلة شريفة تدل على السلطان وكذلك البيت الثانى لونظمه على ماقال لكان ذكر اللذة حشواً لا فائدة فيه لان الزق لا يسبأ الا للذة فان جعل الفتوة كما جعلناها فيما تقدم الصيد قلنا فى ذكر الزق الروي كفاية ولكن امرؤ القيس وصف نفسه بالفتوة والشجاعة بعد أن وصفها بالتملك والرفاهة .. وأما احتجاج الآخر بقول الله عز وجل فليس من هذا فى شئ لأنه أجرى الخطاب على مستعمل العادة وفيه مع ذلك تناسب لان العادة أن يقال جائع عريان ولم يستعمل فى هذا الموضع عطشان ولا ظمآن وقوله تعالى تظمأ وتضحى متناسب لان الضاحى هو الذى لا يستره شئ عن الشمس والظمأ من شأن من كانت هذه حاله .. وقال الجاحظ في القرآن معان لا تكاد تفترق من مثل الصلاة والزكاة والخرف والجوع والجنة والنار والرغبة والرهبة والمهاجرين والانصار والجن والانس والسمع والبصر .. ومن الشعراء من يضع كل لفظة موضعها لا يعدوه فيكون كلامه ظاهراً غير مشكل وسهلا غير متكلف ومنهم من يقدم ويؤخر إما لضرورة وزن أو قافية وهو أعذر واما ليدل على أنه يعلم تصريف الكلام ويقدر على تعقيده

وهذا هو العي بعينه وكذلك استعمال الغرائب والشذوذ التي يقل مثلها في الكلام فقد عيب على من لا تعلق به التهمة نحو قول الفرزدق

على حالة لو أن فى البحر حاتماً على جوده ما جاد بالماء حاتم

فخفض حاتماً على البدل من الهاء التي فى جوده حتي رأي قوم من العلماء ان الا قواء فى هذا الموضع خير من سلامة الاعراب مع الكلفة ٠٠ وكذلك قوله

تعلق هاماً لم تنله أ كفنا بأسيافنا هام الملوك القماقم

أراد تعلق بأسيافنا هام الملوك القماقم ثم نبه وقرر فقال هاماً لم تنله أ كفنا يريد أي قوم لم نملكهم ونقهرهم وهـذا عند الصدور المذكورين بالعلم تكلف وتعمل لا تعرفه العرب المطبوعون وكذلك

ان الفرزدق صخرةٌ عادية طالت فليس تنالها الاوعالا

نصب الاوعال بطالت ويروى عزت ٠٠ وأ كثر شعر أبى الطيب من هذه العلامة ومما لا بأس به قول الخنساء

فنعم الفتى فى غداةِ الهياج اذا ما الرماحُ نجيعاً روينا

فقدمت نجيعاً على روينا مبادرة للخبر بارى من أي شيء هو وكذلك قول أبى السفاح بكير بن معدان اليربوعي

نهنهته عنكَ فلم ينهـهُ بالسيفِ الاَّ جلداتٌ وجاع

أراد نهنهته عنك بالسيف أو أراد فلم ينهه الاجلدات وجاع بالسيف وكلاهما فيه تقديم وتأخير ٠٠ ورأيت من علماء بلدنا من لا يحكم للشاعر بالتقـدم ولا يقضي له بالعلم الاَّ أن يكون فى شعره التقديم والتأخير وأنا أستثقل ذلك من جهـة ما قدمت وأ كثر ما نجده في أشعار النحويين ومن الشعر ما تتقارب حروفه أو تكرر فتثقـل علي اللسان نحو قول ابن بشر

لم يضرها والحمـدُ لله شيءٌ وانثنتْ نحوَ عزف نفسٍ ذهول

فان القسيم الآخر من هذا البيت ثقيل لقرب الحاء من العين وقرب الزاي من السين

•• وقال آخر

وقبرُ حربٍ فى مكانٍ قفر   وليس قربَ قبرِ حربٍ قبر

فتكررت الالفاظ وترددت الحروف حتى صار ألقية يختبر به الناس ولا يقدر أحد أن ينشده ثلاث مرات الا عثر لسانه فيه وغلط •• وقال كعب بن زهير

تجلو عوارضَ ذى ظلم اذا ابتسمتْ   كانه منهلٌ بالراحِ معلولُ

فجمع بين الضاد والدال والطاء وهي متقاربة منشا كلة •• ومن حسن النظم أن يكون الكلام غير مشبج والتشبيج جنس من المعاظلة ترد فى بابها ان شاء الله تعالى •• ومن الناس من يستحسن الشعر مبنياً بعضه على بعض وأنا أستحسن أن يكون كل بيت قائماً بنفسه لا يحتاج الى ماقبله ولا الى ما بعده وما سوى ذلك فهو عندي تقصير الاَّ فى مواضع معروفة مثل الحكايات وما شا كلها فان بناء اللفظ علي اللفظ أجود هنالك من جهة السرد ولم أستحسن الاول على أن فيه بعداً ولا تنافرا الا أنه ان كان كذلك فهو الذى كرهت من التشبيج

باب المخترع والبديع

المخترع من الشعر هو ما لم يسبق اليه قائله ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقرب منه كقول امرئ القيس

سموتُ اليها بعدَ ما نام أهلها   سموَّ حبابِ الماء حالا علي حال

فانه أول من طرق هذا المعنى وابتكره وسلم الشعراء اليه فلم ينازعه أحد إياه وقوله

كان قلوبَ الطيرِ رطباً و يابساً   لدى وكرِه العنابُ والحشفُ البالي

وله اختراعات كثيرة يضيق عنها الموضع وهو أول الناس اختراعاً في الشعر وأ كثرهم توليداً •• ومن الاختراع قول طرفة

ولولا ثلاثٌ هنَّ من لذةِ الفتى   وجدِّك لم أحفل متى قام عوَّدى

فمِنهن سَبقُ العاذلاتِ بشربة كميت متي ما تعل بالماء تزبد
وكرى اذا نادي المضاف محنباً كسيدالغضا ذى الطخيةِ المتوردِ
وتقصير يومِ الدجنِ والدجن معجب ببهكنةٍ تحتَ الطراف المعمد

وقوله يصف السفينة فى جريها

يشق حبابَ الماء حيزومُها بها كما قسم التربَ المفائلُ باليد

وله أيضاً اختراعات أكثرها من هذه القصيدة .. وقال نابغة بنى ذبيان

سقطَ النصيفُ ولم تردإسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

وقوله أيضاً من الاختراعات

ولوانهاعرضتْ لاشمطَ راهب عبدَ الالهِ صرورةٍ متعبدِ
لرنا لرؤيتها وحسن حديثها ولخاله رشداً وان لم يرشد

وما زالت الشعراء تخترع الى عصرنا هذا وتولد غير أن ذلك قليل فى الوقت . والتوليد أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه أو يزيد فيه زيادة فلذلك يسمى التوليد وليس باختراع لما فيه من الاقتداء بغيره ولا يقال له أيضاً سرقة اذا كان ليس آخذاً على وجهه مثل ذلك قول امرئ القيس

سموتُ اليها بعدَ ما نامَ أهلها سموَّ حبابِ الماء حالا علي حالِ

فقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة وقيل وضاح اليمانى

فاسقط علينا كسقوط الندى ليلة لا ناهٍ ولا زاجر

فولد معنى مليحاً اقتدى فيه بمعنى امرئ القيس دون أن يشركه فى شئ من لفظه أو ينحو نحوه الاَّ في المحصول وهو لطف الوصول الى حاجته فى خفية .. وأما الذى فيه زيادة فكقول جرير يصف الخيل

يخرجنَ من مستطيرِ النقعِ دامية كأن آذانها أطرافُ أقلام

فقال عدي بن الرقاع يصف قرن الغزال

تزجي أغنَّ كأن ابرةَ روْقه قلمٌ أصابَ من الدواةِ مدادها

فولد بعد ذكر القلم اصابته مداد الدواة بما يقتضيه المعنى إذ كان القرن اسود ٠٠ وقال العماني الراجز بين يدي الرشيد يصف الفرس

تخالُ أذنيه اذا تشوّفا قادمةً أو قلماً محرفاً

فولد ذكر التحريف في القلم وهو زيادة صفة ٠٠ ومن التوليد قول أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان

لكل قبيلة ثبجٌ وصلب وأنت الرأسُ أولُ كل هاد

فقال نصيب لمولاه عمر بن عبد العزيز

فأنتَ رأسُ قريش وابنُ سيدها والرأسُ فيه يكون السمعُ والبصر

فولد هذا الشرح وان كان مجملا في قول أمية بن أبي الصلت ٠٠ ثم أتى علي بن جبلة فقال يمدح حميد بن عبد الحميد

فالناسُ جسمٌ وامامُ الهدى رأسٌ وأنتَ العينُ في الراس

فأوقع ذكر العين على مشبه معين ولم يفعل نصيب كذلك لكن أتى بالسمع والبصر على جهة التعظيم لأن من ولد عمر ولي عهد ففي قول علي بن جبلة زيادة ٠٠ وجاء ابن الرومي فقال

عينُ الأميرِ هي الوزير وأنت ناظرها البصير

فرتب أيضاً ترتيباً فيه زيادة فهذا مجرى القول في التوليد ٠٠ وأكثر المولدين اختراعاً وتوليداً فيما يقول الحذاق أبو تمام وابن الرومي ٠٠ والفرق بين الاختراع والابداع وان كان معناهما في العربية واحداً أن الاختراع خلق المعاني التي لم يسبق اليها والاتيان بما لم يكن منها قط والابداع اتيان الشاعر بالمعنى المستظرف والذى لم تجر العادة بمثله ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وان كثر وتكرر فصار الاختراع للمعنى والابداع للفظ فاذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمر وحاز قصب السبق ٠٠ واشتقاق الاختراع من التليين يقال بيت خرع اذا كان ليناً والخروع فعول منه فكان الشاعر سهل طريقة هذا المعنى ولينه حتى أبرزه ٠٠ وأما البديع فهو

الجديد وأصله فى الحبال وذلك أن يفتل الحبل جديداً ليس من قوى حبل نقضت ثم فتلت فتلا آخر .. وأنشدوا للشماخ بن ضرار

أطار عقيقه عنه نسالا — وأدمج دمج ذي شطر بديع

والبديع ضروب كثيرة وأنواع مختلفة أنا أذكرمنها ما وسعته القدرة وساعدت فيه الفكرة ان شاء الله تعالى على أن ابن المعتز وهو أول من جمع البديع وألف فيه كتاباً لم يعده الاخمسة أبواب الاستعارة أولها ثم التجنيس ثم المطابقة ثم رد الاعجاز على الصدور ثم المذهب الكلامي وعدما سوى هذه الخمسة أنواع محاسن وأباح أن يسميها من شاء ذلك بديعاً وخالفه مَن بعده فى أشياء منها يقع التنبيه عليها والاختيار فيها حيثما وقعت من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

باب المجاز

العرب كثيراً ما تستعمل المجاز وتعده من مفاخر كلامها فانه دليل الفصاحة ورأس البلاغة و به بانت لغتها عن سائر اللغات .. ومعنى المجاز طريق القول ومأخذه وهو مصدر جزت مجازاً كما تقول قمت مقاماً وقلت مقالا حكي ذلك الحاتمي ومن كلام عبدالله بن مسلم بن قتيبة فى المجاز قال لو كان المجاز كذباً لكان أكثر كلامنا باطلا لأنا نقول نبت البقل وطالت الشجرة وأينعت الثمرة وأقام الجبل ورخص السعر وتقول كان هذا الفعل منك فى وقت كذا والفعل لم يكن وانما يكون وتقول كان الله وكان بمعنى حدث والله قبل كل شئ وقال فى قول الله عز وجل ﴿ فوجدَا فيها جِداراً يريدُ أن يَنقضَّ فأقامه ﴾ لو قلنا لمنكر هذا كيف تقول فى جدار رأيته على شفا انهيار لم يجد بداً من أن يقول يهم أن ينقض أو يكاد أو يقارب فانى فعل فقد جعله فاعلا ولا أحسبه يصل الى هذا المعنى فى شئ من السنة العجم الا بمثل هذه الألفاظ .. والمجاز فى كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة وأحسن موقعاً فى القلوب والاسماع وما عدا الحقائق من جميع الالفاظ ثم لم يكن محالا محضاً فهو مجاز لاحتماله وجوه التأويل فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما

من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز الا أنهم خصوا به أعنى اسم المجاز باباً بعينه وذلك أن يسمى الشئ باسم ما قاربه أو كان منه بسبب كما قال جرير بن عطية

اذا سقطَ السماء بأرضِ قوم رعيناه وان كانوا غضابا

أراد المطر لقربه من السماء ويجوز أن تريد بالسماء السحاب لان كل ماأظلك فهو سماء وقال -سقط- يريد سقوط المطر الذى فيه وقال-رعيناه- والمطر لا يرعى ولكن أراد النبت الذى يكون عنه فهذا كله مجاز •• وكذلك قول العتابى

يا ليلةً لى بحوَّارين ساهرةً حتى تكلم فى الصبحِ العصافيرُ

فجعل الليلة ساهرة على المجاز وانما يسهر فيها وجعل للعصافير كلاماً ولا كلام لها على الحقيقة •• ومثله قول الله عز وجل اخباراً عن سليمان صلى الله على سيدنا محمد وعليه ﴿ يا أيها الناسُ عُلمنا منطق الطير ﴾ وانما الحيوان الناطق الانس والجن والملائكة فأما الطير فلا ولكنه مجاز مليح واتساع •• وهذا أكثر من أن يحصره أحد •• ومثله في كتاب الله عز وجل كثير من ذلك قوله تعالى ﴿ واسأل القرية ﴾ ومثله ﴿ وأُشربوا فى قلوبهمُ العجلَ بكفرهمْ ﴾ يعنى حبه ومنه ﴿ فتبارك اللهُ أحسن الخالقين ﴾ وهو الخالق حقاً وغيره خالق مجازاً وقوله ﴿ والله خير الماكرين ﴾ وانما سمى ذلك مكراً لكونه مجازاة عن مكر وكذلك قوله ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ والعذاب لا يبشر به وانما هو إنهَ مكان البشارة •• ومن أناشيد هذا الباب قول الفرزدق

والشيبُ ينهضُ في الشبابِ كأنه ليلٌ يصيحُ بجانبيه نهار

وقال يعقوب بن السكيت العرب تقول بأرض بنى فلان شجر قدصاح اذاطال وأنشدوا للعجاج • كالكرم إذ نادى من الكافور •

قال ابن قتيبة لما تبين الشجر بطوله ودل على نفسه جعله كأنه صائح لأن الصائح يدل على نفسه بصوته •• وأنشد غيره قول سويد بن كراع فى نحو هذا

رعى غيرَ مذعورٍ بهن وراقه لُعاعٌ تهاداه الدكادكُ واعد

يقال نبات واعد اذا أقبل كأنه قد وعد بالتمام وكذلك اذا نور أيضاً قيل قد وعد ••

ومن المجاز عندهم قول الشاعر وغيره فعات ذاك والزمان غر والزمان غلام وما أشبه ذلك وهو يريد نفسه ليس الزمان ولا أرى ذلك مستقيما بل الصواب عندى ونفس الاستعارة أن يبقى الكلام على ظاهره مجازاً لأنا نجد في هذا النوع مالا ينساغ فيه هذا التأويل كقول بعضهم

سألتنى عن أناسٍ هلكوا ... شربَ الدهرُ عليهم وأكلْ

فليس معناه شربت وأكلت عليهم لانه انما يعنى بعد العهد لا السلو وقلة الوفاء •• وقال أبو الطيب

أفنتْ مودتها الليالى بعدنا ... ومشى عليها الدهرُ وهو مقيدُ

فانما أراد الدهر حقيقة •• وقال الصنوبرى

كان عيشي بهم أنيقاً فولىّ ... وزمانى فيهم غلاماً فشاخا

فليس مراده كنت فيهم غلاماً فشخت ولكل موضع مايليق به من الكلام ويصح فيه من المعنى •• وأما كون التشبيه داخلا تحت المجاز فلأن المتشابهين فى أكثر الأشياء انما يتشابهان بالمقاربة على المسامحة والاصطلاح لا على الحقيقة وهذا يبين في بابه ان شاء الله تعالى •• وكذلك الكناية في مثل قوله عز وجل اخباراً عن عيسى ومريم عليهما السلام ﴿ كانا يأكلان الطعام ﴾ كناية عما يكون عنه من حاجة الانسان وقوله تعالى حكاية عن آدم وحواء صلى الله عليهما ﴿فلما تغشاها ﴾ كناية عن الجماع وقول النبى صلى الله عليه وسلم العين وكاء السَّتِه وقوله لحاد كان يحدو به إياك والقوارير كناية عن النساء لضعف عزائمهن الى أكثر من هذا

باب الاستعارة

الاستعارة أفضل المجاز وأول أبواب البديع وليس في حلي الشعر أعجب منها وهى من محاسن الكلام اذا وقعت موقعها ونزلت موضعها والناس مختلفون فيها •• منهم

من يستعير للشيء ماليس منه ولا اليه كقول لبيد

وغداةِ ريحٍ قد وزعتُ وقرَّة إذ أصبحتْ بيد الشمالِ زمامُها

فاستعار للريح الشمال يداً وللغداة زماماً وجعل زمام الغداة ليد الشمال اذ كانت الغالبة عليها وليست اليد من الشمال ولا الزمام من الغداة .. ومنهم من يخرجها مخرج التشبيه كما قال ذو الرمة

أقامتْ به حتى ذوى العودُ والتوى وساقَ الثريا فى ملاءته الفجرُ

فاستعار للفجر ملاءة وأخرج لفظه مخرج التشبيه .. وكان أبو عمرو بن العلاء لا يرى ان لاحد مثل هذه العبارة ويقول ألاترى كيف صير لهملاءة ولاملاءة له وانما استعار له هذه اللفظة وبعض المتعقبين يرى ما كان من نوع بيت ذي الرمة ناقص الاستعارة اذ كان محمولا على التشبيه ويفضل عليه ما كان من نوع بيت لبيد وهذا عندى خطأ لانهم انما يستحسنون الاستعارة القريبة وعلى ذلك مضى جلة العلماء وبه أتت النصوص عنهم واذا استعير للشيء ما يقرب منه ويليق به كان أولى مما ليس منه فى شيء ولو كان البعيد أحسن استعارة من القريب لما استهجنوا قول أبي نواس

بحَّ صوتُ المال مما منك يشكو ويصيح

فأى شيء أبعد استعارة من صوت المال فكيف حتى بح من الشكوى والصياح مع ما أن له صوتاً حين يوزن أو يوضع ولم يرده أبو نواس فيما أقدر لان معناه لا يتركب على لفظه الا بعيداً وكذلك قول بشار

وجذَّت رقابَ الوصل أسيافُ هجرها وقدت لرجلِ البينِ نعلين من خدى

فما أهجن رجل البين وأقبح استعارتها ولو كانت الفصاحة بأسرها فيها وكذلك رقاب الوصل ولا مثل قول ابن المعتز وهو أنقد النقاد

* كل وقت يبول زبُّ السحاب *

فهذا أردى من كل ردي وأمقت من كل مقيت .. قال القاضي الجرجاني الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الاصلي ونقلت العبارة فجعلت فى مكان غيرها وملاكها

بقرب التشبيه ومناسبة المستعار للمستعار له وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبين فى أحدهما إعراض عن الآخر .. وقال قوم آخرون منهم أبو محمد الحسن بن على بن وكيع خير الاستعارة ما بعد وعلم فى أول وهلة أنه مستعار فلم يدخله لبس وعاب على أبى الطيب قوله

وقدمتِ الخيلُ العتاقُ عيونها ... الى وقتِ تبديلِ الركابِ من النعل

اذ كانت الخيل لها عيون فى الحقيقة ورجح عليه قول أبي تمام

ساس الأمورَ سياسةَ ابنِ تجاربٍ ... رمقته عينُ الملك وهو جنينُ

اذ كان الملك لاعين له في الحقيقة .. وقال أبوالفتح عثمان بن جني الاستعارة لاتكون الا للمبالغة والا فهي حقيقة قاله فى شرح بيت أبى الطيب

فتى يملأ الأفعالَ رأياً وحكمة ... وبادرةً أحيانَ يرضى ويغضب

وكلام ابن جنى أيضاً حسن في موضعه لان الشئ اذا أعطي وصف نفسه لم يسم استعارة فاذا أعطي وصف غيره سمي استعارة الا أنه لايجب للشاعر أن يبعد الاستعارة جداً حتى ينافر ولا أن يقربها كثيراً حتى يحقق ولكن خير الامور أوساطها .. قال كثير يمدح عمر بن عبد العزيز واستعار حتى حقق

وقد لبستَ لبسَ الملوك ثيابها ... وأبدتْ لك الدنيا بكفٍ ومعصمِ

وترمقُ أحياناً بعينٍ مريضةٍ ... وتبسمُ عن مثلِ الجمانِ المنظمِ

وحسبك أنه وصف العين التي استعار بالمرض وشبه المبسم بالجمان وهذا افراط غير جيد هنا .. قال أبو الحسن الرمانى الاستعارة استعمال العبارة على غير ماوضعت له فى أصل اللغة وذكر قول الحجاج انى أرى رؤساً قد أينعت وحان قطافها .. وقد يأتي القدماء من الاستعارات بأشياء يجتنبها المحدثون ويستهجنونها و يعافون أمثالها ظرفاً ولطافة وان لم تكن فاسدة ولا مستحيلة .. فمنها قول امرئ القيس

وهرٌ تصيد قلوبَ الرجال ... وأفلت منها ابن عمرو حُجُر

فكان لفظة هر واستعارة الصيد معها مضحكة هجينة ولو أن أباه حجراً من فارات بيته

ما أسف على إفلاته منها هذا الأسف وأين هذه الاستعارة من استعارة زهير حين قال يمدح

ليثٌ بعثَّرَ يصطادُ الرجال اذا ما كذَّب الليثُ عن أقرانه صدقا

لاعلي ان امرأ القيس أتى بالخطأ على جهته ولكن للكلام قرائن تحسنه وقرائن تقبحه كذكر الصيد في هذين البيتين ٠٠ ولعل معترضاً يقول العرب لا تعرف الا الحقائق ولا تلتفت الى كلام السفلة فقد قدمت هذا فى أول كلامى وعرفت أنه لا يلزم ولكن يرغب عنه في الواجب ألا ترى أن بعض الوزراء وقيل بل هو المأمون غير المسلحة واستهجنها لما فيها فقال قولوا المصلحة وليس ذلك لعلة الا موافقة كلام السفلة ٠٠ وقال الرماني الاستعارة الحسنة ما أوجب بلاغة بيان لا تنوب منابه الحقيقة كقول امرئ القيس ـقيد الأوابدـ واسترذل قول بعض المولدين

اسفري لى النقا بَ ياضرةَ الشمس

بأن قال أتراه ظن أن الضرة لا تكون الا حسنة والا فأي وجه لاختياره هذه الاستعارة ٠٠ ومثل قول امرئ القيس المتقدم ذكره فى القبح قول مسلم بن الوليد

وليلةٍ خُلست للعينِ من سِنة هتكتُ فيها الصباح عن بيضةِ الحجل

فاستعار للحجل بمعنى الكلل بيضة كما استعارها امرؤ القيس للخدر ٠٠ فى قوله

* وبيضةِ خدرٍ لا يرامُ خباؤها *

وكلاهما يعنى المرأة فاتفق لمسلم سوء الاشتراك فى اللفظ لأن بيضة الحجل من الطير تشاركها وهى لعمرى خسنة المنظر كما عرفت ٠٠ وقال فى موضع آخر

رمتُ السلوَّ وناجانى الضميرُ به فاستعطفتنى على بيضاتها الحجل

فما الذى أعجبه من هذه الاستعارة قبحيا الله ولو قال الكلل لتخلص وأبدع فكان تبعاً لامرئ القيس في جودة هذه الاستعارة ٠٠ وقال حبيب على بصره بهذا النوع

* والله مفتاح باب المعقل الأشب *

فجعل الله تعالى اسمه مفتاحاً وأي طائل فى هذه الاستعارة مع مافيها من البشاعة والشناعة

وان كنا نعلم انما أراد أمر الله وقضاءه .. واعترض بعض الناس على قول أبي تمام

للجودِ بابٌ في الأنام ولم تزل مذ كنتَ مفتاحاً لذاك البابِ

بحضرة بعض أصحابنا وقال أتى الى ممدوحه فجعله مفتاحاً فهلا قال كما قال ابن الرومي

قبـل أنامله فلسن أناملا لـكنهن مفاتحُ الأرزاق

فقال له الآخر عجبت منك تعيب أن يجعل ممدوحه مفتاحاً وقد جعل ربه كذلك وأنشد البيت المتقدم عجزه .. وقال في ممدوح ذكر أنه يعطيه مرة ويشفع له أخرى الى من يعطيه

فاذا ماأردتَ كنتَ رشاءً واذا ماأردتَ كنتَ قليبا

فجعله مرة حبلا ومرة بئراً .. وقال الآخر هو أبو تمام

ضاحي المحيا للهجيرِ وللقنا تحتَ العجاجِ تخاله محراثا

فلعنة الله على المحراث ههنا ما أقبحه وأركه وأين هذا كله من قوله المليح البديع

أو مارأت بردىَّ من نسجِ الصبا ورأت خضابَ الله وهو خضابي

وان كان انما أخذه من قول الله عز وجل ﴿ صِبغةَ اللهِ ومَن أحسنُ من اللهِ صِبغة ﴾ قالوا يريد الختان وقيل الفطرة .. والاستعارة انما هى من اتساعهم فى الكلام اقتداراً ودالة ليس ضرورة لان ألفاظ العرب أكثر من معانيهم وليس ذلك فى لغة أحد من الأمم غيرهم فانما استعاروا مجازاً واتساعاً .. ألا ترى أن للشئ عندهم أسماء كثيرة وهم يستعيرون له مع ذلك على أنا نجد أيضاً اللفظة الواحدة يعبر بها عن معان كثيرة نحو العين التي تكون جارحة وتكون للماء وتكون الميزان وتكون المطر الدائم الغزير وتكون نفس الشئ وذاته وتكون الدينار وما أشبه ذلك كثير وليس هذا من ضيق اللفظ عليهم ولـكنه من الرغبة في الاختصار والثقة بفهم بعضهم عن بعض .. ألا ترى أن كل واحد من هذه التي ذكرنا له اسم غير العين أو أسماء كثيرة .. ومما اختاره ابن الاعرابى وغيره قول أرطاة بن سهية

فقلتُ لهـا يا أمَّ بيضاء[1] انني هُريقَ شبابي واستشنَّ أديمي

(١) بن عمران

فقال- هريق شبابي-لما في الشباب من الرونق والطراوة التي هي كالماء ثم قال - استشن أديمي- لأن الشن هو القربة اليابسة فكأن أديمه صار شناً لما هرق ماء شبابه فصحت له الاستعارة من كل وجه ولم يبعد .. ومثل ذلك في الجودة ما اختاره ثعلب وفضله جماعة ممن قبله وهو قول طفيل الغنوى

فوضعتُ رحلي فوقَ ناجيةٍ　　يقتاتُ شحمَ سنامها الرحلُ

فجعل شحم سنامها قوتاً للرحل وهذه استعارة كما تراها كأنها الحقيقة لتمكنها وقربها .. وقد تناولها جماعة منهم كلثوم بن عمرو العتابى قال فى قصيدة يعتذر فيها الى الرشيد

ومن فوقِ أكوارِ المهارى (١) لبانة　　أحل لها أكل الذرى والغوارب

ثم أتى أبو تمام وعول على العتابى وزاد المعنى زيادة لطيفة بينة فقال

وقد أكلوا منها الغوارب بالسرى　　فصارت لها أشباحهم كالغوارب

وكان ابن المعتز يفضل ذا الرمة كثيراً ويقدمه بحسن الاستعارة والتشبيه لا سيما بقوله

فلما رأيتُ الليلَ والشمسُ حية　　حياةَ الذى يقضي حشاشة نازع

لان قوله - والشمس حية - من بديع الكلام والاستعارة وباقى البيت من عجيب التشبيه .. واختار الحاتمي فى باب الاستعارة فى وصف سحائب وأظنه لابن ميادة واسمه الرماح بن أبرد من بنى مرة وميادة أمه

اذا ماهبطن القاعَ قد مات بقله　　بكين به حتى يعيشَ هشيم

ورواه قوم لأبي كبير وابن ميادة أولى به وأشبه .. والاستعارة كثيرة فى كتاب الله عز وجل وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم من ذلك قوله تعالى ﴿ لما طَغَى الماءُ ﴾ وقوله ﴿ فلما سَكتَ عن موسى الغضبُ ﴾ وقوله ﴿ سمعوا لها شهيقاً وهيَ تفورُ تكادُ تميزُ من الغيظ ﴾ فالشهيق والغيظ استعارتان وقوله تعالى ﴿ يا أرضُ ابلعي ماءكِ ﴾ وكثير من هذا لو تقصى لطال جداً .. وقول النبى صلى الله عليه وسلم الدنيا حلوة خضرة وقوله لحالب حلب ناقة دع داعى اللبن يعنى بقية من اللبن فى الحلب وقوله تمسحوا بالأرض فانها

---

(١) ن المطايا

بكم برة .. قال أبو عبيد يريد أنها منها خلقهم ومنهـا معادهم وهي بعد الموت كفاتهم وقوله رب تقبل توبتي واغسل حوبتي فغسل الحوبة استعارة مليحة .. ومن أناشيد هذا الباب وهو فيما زعم ابن وكيع أول استعارة وقعت قول امرئ القيس يصف الليل

وليلٍ كموج البحرِ أرخى سدوله   عليَّ بأنواعِ الهمومِ ليبتلي
فقلتُ له لما تمطي بجوزه   وأردف اعجازاً وناءَ بكلكل

فاستعار لليل سدولا يرخيها وهي الستور وصلباً يتمطى به واعجازاً يردفها وكلكلا ينوء به .. وقال حسان بن ثابت يذكر قتلة عثمان رحمة الله عليه

ضحوا بأشمط عنوانُ السجود به   يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

فالاستعارة قوله ـ عنوان السجود به ـ وقد أخذه من قول الله تعالى ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ .. وقال جميل العذرى

أكلما بان حيٌّ لا تلائمهم   ولا يبالون أن يشتاق من فجعوا
علقتني بهوى منهم فقد جعلت   من الفراق حصاةُ القلب تنصدع

البديع حصاة القلب .. ومن كلام المولدين قول أبي نواس

بصحن خد لم يغض ماؤه   ولم تخضه أعين الناس

البديع كل البديع عجز البيت .. وقال أيضاً

فاذا بدا اقتادت محاسنه   قسراً اليه أعنة الحدق

البديع ـ أعنة الحدق ـ وقوله اقتادت .. وقال أبو الطيب

ضممتَ جناحيهم على القلب ضمة   تموت الخوافى تحتها والقوادم

أراد بالجناحين ميمنة العسكر وميسرته و بالقلب موضع الملك و بالخوافى والقوادم السيوف والرماح وهذا تصنيع بديع كله حسن الاستعارات .. وقال

صدمتهم بخميس أنت غرته   وسمهريته فى وجهه شمم

وهذا كالأول جودة .. وقال السري الموصلي

يشق جيوب الورد في شجراته نسيم متى ينظر الى الماء يبرد

فالبديع قوله -متى ينظر-

باب التمثيل

ومن ضروب الاستعارة التمثيل وهو المماثلة عند بعضهم وذلك أن تمثل شيئاً بشيء فيه اشارة نحو قول امرئ القيس وهو أول من ابتكره ولم يأت أملح منه

وماذرفت عيناكِ الالتقدحى بسهميك في أعشارقلب مقتَّل

فمثل عينيها بسهمي الميسر يعني المعلّي وله سبعة انصباء والرقيب وله ثلاثة انصباء فصار جميع اعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عينيها ومثل قلبه باعشار الجزور فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل .. وقال حريث بن زيد الخيل

أفأنا بقتلانا من القوم عصبة كراماً ولم نأ كل بهم حشفَ النخل

فمثل خساس الناس بحشف النخل ويجوز أن يريد أخذ الدية فيكون حينئذ حذفاً أو اشارة .. وقال الأخطل لنابغة بني جعدة

لقد جارى أبو ليلى بقحم ومنتكث عن التقريب وانى

اذا هبط الخبار كبا لفيه وخرَّ على الجحافل والجران

وانما عيره بالكبر وانما هو شاب حديث السن .. وقال بعض الرواة انما تهاجيا في مسابقة فرسين وهو غلط عند الحذاق .. ومن التمثيل أيضاً قوله

فنحن أخٌ لم تلق في الناس مثلنا أخاً حين شابَ الدهرُ وابيض حاجبه

ومعنى التمثيل اختصار قولك مثل كذا وكذا كذا وكذا .. وقال أبو خراش في قصيدة رثى بها زهير بن عجردة وقد قتله جميل بن معمر يوم حنين مأسوراً

فليس كعهدِ الدار يا أمَّ مالكٍ ولكنْ أحاطتْ بالرقابِ السلاسل

يقول نحن من عهد الاسلام فى مثل السلاسل والا فكنا نقتل قاتله وهو من قول الله عز وجل فى بنى اسرائيل ﴿ ويضعُ عنهم إصرَهمْ والأغلالَ التي كانت عليهم ﴾ يريد بذلك الفرائض المانعة لهم من أشياءَ رخص فيها لامة محمد صلى الله عليه وسلم والى نحو ذلك ذهب عمرو بن معدى كرب حين خفقه عمر رضي الله عنه بالدرة فقال له الحُمى أضرعتنى لك يعنى الدين وان كان المثل قديماً انما الحمي أضرعتنى للنوم •• ومن جيد التمثيل قول ضباعة بنت قرط ترثى زوجها هشام بن المغيرة المخزومي

إن أبا عثمان لم أنسه وإنَّ صمتاً عن بكاه لحوب

تفاقدوا من معشر ما لهم أي ذنوب صوبوا فى القليب

ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم فى التمثيل قوله الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة •• وقوله ظهر المؤمن مشجبه وخزانته بطنه وراحلته رجله وذخيرته ربه •• وقوله المؤمن فى الدنيا ضيف وما فى يديه عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة ونعم الصهر القبر ••

ومن مليح أناشيد التمثيل قول ابن مقبل

انى أقيد بالمأثور راحلتي ولا أبالى وان كنا على سفر

فقوله ـ أقيد بالمأثور ـ تمثيل بديع والمأثور هو السيف الذى فيه أثر وهو الفرند وقوله ـ ولا أبالى ـ حشو مليح أفاد مبالغة عجيبة وقوله ـ وان كنا على سفر ـ زيادة فى المبالغة وهذا النوع يسمى إيغالا و بعضهم يسميه التبليغ وهو يرد فى مكانه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى •• ومما اختاره عبد الكريم وقدمه قول ابن أبي ربيعة

أيها المنكحُ الثريا سهيلا عمرَكَ الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت وسهيلٌ اذا استقلَّ يمانى

يعنى الثريا بنت على بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر وكانت نهاية فى الحسن والكمال وسهيل بن عبدالرحمن بن عوف وكان غاية فى القبح والدمامة فمثل بينهما و بين سميهما ولم يرد الا بعد ما بينهما وتفاوته خاصة لا ان سهيلا اليمانى قبيح ولا دميم ولا أدرى هل هذا الرأي موافق لرأي عبد الكريم أم لا وحسبك أن الشاعر لم ينكر الا التقاءهما •• وقال أبو الطيب وذكر نزاراً

فأقرحت المقاود ذِفريها وصعَّر خدها هذا العذار

ووصف رمحاً فقال وهو مليح متمكن جداً

يغادر كلَّ ملتفتٍ اليه ولبته لثعلبه وجار

وقال يخاطب سيف الدولة

بنو كعب وما أثرتَ فيهم يدٌ لم يدمها إلاَّ السوار

بها من قطعها ألمٌ ونقصٌ وفيها من جلالتها افتخار

والتمثيل والاستعارة من التشبيه إلاَّ انهما بغير آلته وعلى غير أسلوبه ٠٠ والمثل المضروب في الشعر نحو قول طرفة

ستبدي لك الأيام ما كنتَ جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

راجع الى ما ذكرته لان معناه ستبدي لك الأيام كما أبدت لغيرك ويأتيك بالأخبار من لم تزود كما جرت عادة الزمان ٠٠ وتسمية المثل دالة على ما قلته لان المَثل والمثل الشبيه والنظير وقيل انما سمى مثلا لانه ماثل لخاطر الانسان أبداً يتأسى به ويعظ ويأمر ويزجر والماثل الشاخص المنتصب من قولهم طلل ماثل أى شاخص فاذا قيل رسم ماثل فهو الدارس والماثل من الاضداد ٠٠ وقال مجاهد فى قول الله عزوجل ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ هي الأمثال ٠٠ وقال قتادة هي العقوبات ٠٠ وقال قوم انما معنى المثل المثال الذى يحذى عليه كأنه جعله مقياساً لغيره وهو راجع الي ما قدمت ٠٠ وقال بعضهم في المثل ثلاث خلال ايجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه وقد يكون المثل بمعنى الصفة من ذلك قول الله تعالى ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ أي صفة الجنة وقوله ﴿وله المثل الأعلى فى السموات والأرض﴾ أي الصفة العليا وهى قولنا لا اله الاَّ الله وقوله تعالى ﴿ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه﴾ أى صفتهم

باب المثل السائر

المثل السائر فى كلام العرب كثير نظماً ونثراً وأفضله أوجزه وأحكمه أصدقه

وقولهم مثل شرود وشارد أى سائر لا يرد كالجمل الصعب الشارد الذى لا يكاد يعرض له ولا يرد٠٠وزعم قوم ان الشرود مالم يكن له نظير كالشاذ والنادر فأما قول أبى تمام وكان امام الصنعة ورئيسها

لا تنكروا ضربى له مَنْ دونه مثلا شروداً فى الندى والباس

حين عيب عليه قوله فى ابن المعتصم

اقدام عمرو فى سماحة حاتم فى حلم أحنفَ فى ذكاء إياس

فانه يشهد للقول الأول لان المثل بعمرو وحاتم مضروب قديماً وليس بمثل لا نظير له كما زعم الآخر٠٠وقد تأتى الأمثال الطوال محكمة اذا تولاها الفصحاء من الناس فأما ما كان منها في القرآن فقد ضمن الاعجاز قال الله عزوجل ﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت ﴾ وقال ﴿ فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ وقال ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ فهذه أمثال قصار٠٠وقال ﴿ ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ﴾ ومن الأمثال الطوال قوله تعالى ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ﴾ الآية ﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ﴾ الآية ﴿ ومريم بنة عمران ﴾ الآية وقال ﴿ فمثله كمثل صفوان عليه تراب ﴾ الآية وقال ﴿ والذين كفروا بربهم أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتي اذا جاءه لم يجده شيئاً ﴾ الآية ثم قال ﴿ أو كظلمات فى بحر لجي ﴾ الآية ٠٠ومن كلام النبى صلى الله عليه وسلم فى الأمثال قوله كل الصيد في جوف الفرا قاله لأبى سفيان ابن حرب حين أسلم وقوله مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تميلها الريح مرة هكذا ومرة هكذا ومثل المنافق مثل الأرزة المجرية على الأرض حتى يكون انجعافها مرة وقوله حين ذكر الدنيا وزينتها فقال وان مما ينبت الربيع مايقتل حبطاً أو يلم وقوله واياكم وخضراء الدمن قيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء٠٠والأناشيد في هذا الباب كثيرة فمنها ما فيه مثل واحد ومنها ما فيه مثلان ومنها ما فيه ثلاثة أمثال ومنها ما فيه أربعة أمثال وهو قليل جداً وكل نوع من هذه الأنواع فيه احتياج واستغناء والمثل انما وزن في الشعر ليكون أشرد له وأخف للنطق به فمتى لم يتزن كان الاتيان به

قريباً من تركه .. وقد حكي الحاتمي أشياء لا أدري كيف وجهها وزعم ان حمادا الراوية سئل بأي شئ فضل النابغة فقال ان النابغة ان تمثلت ببيت من شعره اكتفيت به مثل قوله

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مذهبُ

بل لو تمثلت بنصف بيت من شعره اكتفيت به وهو قوله ـ وليس وراء الله للمرء مذهب ـ بل لو تمثلت بربع بيت من شعره اكتفيت به وهو قوله ـ أي الرجال المهذب ـ ولا أعرف كيف يجمل حماد هذا ربع بيت وفيه زيادة سببين وهما أربعة أحرف إلاَّ أن يريد التقريب فهذا هو من الاحتياج الذى ذكرته لانه لا يتمثل به على انه شعر إلاَّ احتاج الى ما قبله واستغنى ماقبله عنه ألا ترى لو قال ـ ولست بمستبق أخاً لا تلمه ـ انه يكون مثلاً كافياً ثم لا يتعلق قوله على شعث بشئ من المثل الثانى وان بقى موزوناً فاذا رده على الصدر تعلق به و بقى المثل الثانى مكسوراً .. ومثله قول القطامي واسمه عمير ابن شييم التغلبي

والناسُ من يلق خيراً قائلون له ... ما يشتهي ولامِّ المخطىء الهبل

فقوله ـ ولام المخطئ الهبل ـ مثل إلاَّ انه غير موزون حتى يتصل بقوله ما يشتهى وذلك من تمام المثل الأول الذي في صدر البيت وهذا كله احتياج .. ومما لا احتياج فيه قول امرئ القيس

الله أنجحَ ما طلبتَ به ... والبر خيرُ حقيبةِ الرحل

ففى كل قسيم من هذين مثل قائم بنفسه غير محتاج الى صاحبه .. وكذلك قول الحطيئة

من يفعلِ الخير لا يعدم جوازيه ... لايذهبُ العرفُ بينَ الله والناس

.. وقال عبيد بن الأبرص الأسدي

الخير يبقي وان طال الزمان به ... والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زاد

.. ومما فيه مثل واحد قول عنترة العبسى

نبئت عمراً غير شاكر نعمتى ... والكفرُ مخبثةٌ لنفس المنعم

فجاء بالمثل غير محتاج الى ما قبله .. وقال أبو ذؤيب

تركوا هوىً وأعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنبٍ مصرع

فان بدأت بالقسيم الثانى كان مثلا سائراً وان أسقطت جزأ منه بقي المثل سائراً غير موزون إلاَّ أن يكون فى المرفوع من الأمثال مصمت يأتي فى البيت بأسره كقول الأول

وانك لن ترى طرداً لحر كإلصاق به طرف الهوان

وقول أبي نواس

اذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشفت له عن عدوٍّ فى ثياب صديق

.. ومما فيه ثلاثة أمثال قول زهير

وفى الحلم إذعان وفى العفو دربة وفى الصدق منجاة من الشر فاصدق

فأتي بكل مثل في ربع بيت ثم جعل الربع الآخر زيادة فى شرح معنى ما قبله .. وكذلك قول النابغة الذبيانى

الرفق يمن والاناة سلامة فاستأن فى رفق تلاق نجاحا

فجاء بثلاثة أمثال إلاَّ انها مداخلة لم تسلم سلامة ما قبلها من كلام زهير .. وقال ابن عبد القدوس

كل آت لابد آت وذو الجهـ......ـل معني والغم والحزن فضل

فأتى بثلاثة أمثال مداخلة الوزن أيضاً وكان قول ضابئٍ بن الحارث

وفى الشك تفريط وفى الحزم قوة ويخطئ فى الحدس الفتى ويصيب

أحسن تعديلاً فى القسمة لان شطره الأول مشتمل على مثلين وشطره الثانى مشتمل على مثل قائم بنفسه .. وقال عبد الله بن المعتز

والعيش هر والموت مر مستكره والمنى ضلال

والحرص ذل والبخل فقد وآفة النائل المطال

فني البيت الأول ثلاثة أمثال في أحدها احتياج وفى البيت الثانى ثلاثة أمثال لااحتياج

فيها على حذو ما أتي به ضابئ ولم أر بيتاً فيه أربعة أمثال كل واحد منها قائم بنفسه إلاّ قليلا . أنشد الأصمعي

فالهمُّ فضلٌ وطول العيش منقطعٌ والرزق آتٍ وروحُ الله منتظر

وقال أبو الطيب وحكم عليه الوزن أيضاً

والمرء يأملُ والحياة شهية والشيبُ أوقر والشبيبة أنزق

فأتى بمثلين في كل قسيم .. وصنعت أنا

كلٌّ الى أجلٍ والدهرُ ذو دول والحرص مخيبةٌ والرزقُ مقسوم

وأقل من ذلك ما كان فيه خمسة أمثال ولا أعرف منه فى حفظي الا بيتاً واحداً للقزاز السناط فى بسط قصيدة مدح بها الأمير تميم بن معد .. وهو قوله

خاطر تفد وارتد تجد واكرم تسد وأنقد تقد واصغر تعد الأكبرا

وأما ما فيه ستة فانى صنعت

خذ العفوَ وأبَ الضيمَ واجتنبِ الأذى واغض تسد وارفق تنل واسخ تحمد

ومن الأمثال أيضاً كلمات سارت على وجه الدهر كقولهم تسمع بالمعيدى خير من أن تراه يضرب مثلا للذى رأيته دون السماع بهوفي كل ماجرى هذا المجرى .. وكذلك قولهم على أهلها جنت براقش يضرب مثلا للرجل يهلك قومه بسببه .. وأما قولهم في تفسير ما يقع فى الشعر من جنس قول الحطيئة

* شدُّوا العناجَ وشدُّوا فوقه الكربا *

هو مثل فانما ذلك مجاز أرادوا التمثيل ..وهذه الأشياء فى الشعر انما هي نبذ تستحسن ونكت تستظرف مع القلة وفى الندرة فأما اذا كثرت فهى دالة على الكلفة فلا يجب للشعر أن يكون مثلا كلهوحكمة كشعرصالح بن عبد القدوس فقد قعد به عن أصحابهوهو يقدمهم فى الصناعة لا كثاره من ذلك وما نص عليه العلماء في كتبهم ..وكذلك لا يجب أن يكون استعارة و بديعاً كشعر أبي تمام فقد رأيت ماصنع به ابن المعتز وكيف قال فيه ابن قتيبة وما ألف عليه المتعقبون كالجرجاني وأبي القاسم بن بشر الآمدي وغيرهما

وانما هرب الحذاق عن هذه الاشياء لما تدعو اليه من التكلف لاسيما ان كان في الطبع أيسر شيء من الضعف والتخلف .. وأشد ما تكلفه الشاعر صعوبة التشبيه لما يحتاج اليه من شاهد العقل واقتضاء العيان .. ولا ينبغي للشعر أن يكون أيضاً خالياً مغسولا من هذه الحلى فارغاً ككثير من شعر أشجع واشباهه من هؤلاء المطبوعين جملة مع أنه لا بد لكل شاعر من طريقة تغلب عليه فينقاد اليها طبعه ويسهل عليه تناولها كأبى نواس فى الخمر وأبى تمام فى التصنيع والبحترى فى الطيف وابن المعتز فى التشبيه وديك الجن في المراثى والصنوبرى في ذكر النور والطير وأبي الطيب في الأمثال وذم الزمان وأهله .. وأما ابن الرومى فأولى الناس باسم شاعر لكثرة اختراعه وحسن افتنانه وقد غلب عليه الهجاء حتى شهر به فصار يقال أهجي من ابن الرومي ومن أكثر من شيء عرف به وليس هجاء ابن الرومى بأجود من مدحه ولا أكثر ولكن قليل الشر كثير

باب التشبيه

التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أوجهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان اياه ألا ترى أن قولهم خد كالورد انما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه وكذلك قولهم فلان كالبحر وكالليث انما يريدون كالبحر سماحة وعلماً وكالليث شجاعة وقرماً وليس يريدون ملوحة البحر وزعوقته ولا شتامة الليث وزهومته فوقوع التشبيه انما هو أبداً على الاعراض لا على الجواهر لأن الجواهر فى الاصل كلها واحد اختلفت أنواعها أو اتفقت فقد يشبهون الشيء بسميه ونظيره من غير جنسه كقولهم عين كعين المهاة وجيد كجيد الريم فاسم العين واقع على هذه الجارحة من الانسان والمهاة واسم الجيد واقع على هذا العضو من الانسان والريم والكاف للمقاربة وانما يريدون أن هذه العين

لكثرة سوادها قاربت أن تكون سوداء كلها كمين المهاة وأن هذا الجيد لانتصابه وطوله كجيد الريم ألا ترى أن الأصمعي سئل عن الحوَر فقال أن تكون العين سوداء كلها كعيون الظباء والبقر ولا حور في الانسان هذا أحد أقوال الاصمعي فى الحور ويدلك على أن التشبيه انما هو بالمقاربة كما قلنا .. والتشبيه والاستعارة جميعاً يخرجان الاغمض الى الأوضح ويقربان البعيد كما شرط الرمانى فى كتابه وهما عنده فى باب الاختصار .. قال واعلم أن التشبيه على ضربين تشبيه حسن وتشبيه قبيح فالتشبيه الحسن هو الذى يخرج الأغمض الى الاوضح فيفيد بياناً والتشبيه القبيح ما كان على خلاف ذلك قال وشرح ذلك أن ما تقع عليه الحاسة أوضح في الجملة مما لا تقع عليه الحاسة والمشاهد أوضح من الغائب فالأول فى العقل أوضح من الثانى والثالث أوضح من الرابع وما يدركه الانسان من نفسه أوضح مما يعرفه من غيره والقريب أوضح من البعيد في الجملة وما قد ألف أوضح مما لم يؤلف ثم عاب على بعض شعراء عصره

صدغهُ ضدُّ خده مثلُ ما الوعــدُ اذا ما اعتبرتَ ضدٌّ الوعيد

من قبل أنه شبه الأوضح بالأغمض وما تقع عليه الحاسة بما لا تقع عليه.. وكذلك قوله

وله غرةٌ كلونِ وصالٍ فوقها طرةٌ كلونِ صدودِ

وقال في موضع آخر التشبيه على ضربين والأصل واحد فأحدهما التقدير والآخر التحقيق فالذى يأتي علي التقدير التشبيه من وجه واحد دون وجه والذي يأتي علي التحقيق التشبيه علي الاطلاق وهو التشبيه بالنفس مثل تشبيه الغراب بالغراب وحجر الذهب بحجر الذهب اذا كان مثله سواء وحمرة الشقائق بحمرة الشقائق .. قال صاحب الكتاب أما ما شرط فى التشبيه فهو الحق الذى لا يدفع الا أنه قد حمل على الشاعر فيما أخذ عليه اذ كان قصد الشاعر أن يشبه ما يقوم فى النفس دليله بأكثر مما هو عليه فى الحقيقة كأنه أراد المبالغة ولعله يقول أو يقول المحتج له معرفة النفس والمعقول أعظم من ادراك الحاسة لا سيما وقد جاء مثل هذا فى القرآن وفى الشعر الفصيح قال الله عز وجل ﴿ طلعها كأنه رؤس الشياطين ﴾ فقال قوم ان شجرة الزقوم وهي أيضاً الاستن لها صورة منكرة وثمرة قبيحة يقال لها رؤس الشياطين .. وقال قوم

الشياطين الحيات في غير هذا المكان .. والأجود الأعرف أنه شبه بما لا يشك أنه منكر قبيح لما جعل الله عز وجل في قلوب الانس من بشاعة صور الجن والشياطين وان لم يروها عياناً فخوفنا تعالى بما أعد للعقوبة وشبهه بما نخاف أن نراه .. وقال امرؤ القيس

أيقتلني والمشرفيُّ مضاجعي ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوال

فشبه نصال النبل بأنياب الأغوال لما في النفس منها .. وعلى هذا التأويل قال أبو تمام وفيه عكس

وأحسن من نَوْرٍ يفتحه الندا (١) بياضُ العطايا في سوادِ المطالب

.. وقال اعرابي قديم

يزملون حديثَ الضغنِ بينهم والضغنُ اسودُ أو في وجهه كلفُ

فوصفه بما يتصور ويقوم في النفس كأنه يقول لو كان صورة لكان هكذا .. وقال بعض المولدين

وتديرُ عيناً في صفيحةِ فضةٍ كسوادِ يأسٍ في بياضِ رجاء

فاليأس على الحقيقة غير اسود لانه لا يدرك بالعيان لكن صورته في المعقول وتمثيله كذلك مجازاً والرجاء أيضاً على هذا التقدير في البياض .. وقد يقول المحتج الأول ان هذا داخل في باب الاستطراد كأن الشاعر لم يقصد الاخبار عن الغرة والطرة وشبههما لكن عن الوصال والصدود وعكس التشبيه ثقة بأن ما أشبه شيئاً من جهة فقد أشبهه الآخر من تلك الجهة .. فأما قول ابن المعتز يصف شرب حمار

وأقبلَ نحوَ الماء يستلُّ صفوَه كما أغمدتْ أيدي الصياقلِ منصلا

فانه بديع يشبه فيه انسياب الماء في شدقيه الى حلقه بمنصل يغمد وهذا تشبيه مليح يدرك بالحس ويتمثل في المعقول وكرر هذا التشبيه فقال يذكر إبل سفر

وأغمدن في الأعناقِ أسيافَ لجةٍ مصقلةً تفري بهن المفاوز

وزعم قدامة أن أفضل التشبيه ما وقع بين شيئين اشتركا في الصفات أكثر من

(١) ن تفتقه الصبا

انفرادهما حتى يدنى بهما الى حال الاتحاد وأنشد في ذلك وهو عنده أفضل التشبيه كافة

له أيطلا ظبيٍ وساقا نعامــةٍ　　وإرخاءُ سرحانٍ وتقريبُ تتفل

وهذا تشبيه اعضاء باعضاء هي هي بعينها وافعال بافعال هي هي أيضاً بعينها الاَّ أنها من حيوان مختلف كما قدمت والأمر كما قال في قرب التشبيه الا أن فضل الشاعر فيه غير كبير حينئذ لأنه كتشبيه نفس الشيء المشبه الذي ذكره الرماني في تشبيه الحقيقة وانما حسن التشبيه أن يقرب بين البعيدين حتى تصير بينهما مناسبة واشتراك كما قال الاشجعي

كأن أزيزُ الكيرِ إرزام شخبها　　اذا امتاحها في محالبِ الحيِّ ماتحُ

فشبه ضرع العنز بالكير وصوت الحلب بأزيزه فقرّب بين الاشياء البعيدة بتشبيهه حتى تناسبت ولو كان الوجه ما قال قدامة لكان الصواب أن يشبه الاشجعي ضرع عنزة بضرع بقرة أو خلف ناقة لانه انما أراد كبره وكثرة ما فيه من اللبن وكان يعدل عن ذكر الكير وأزيزه الذي دل به على أعظم ما يكون من صفة كبر الضرع وكثرة لبنه وسبيل التشبيه اذ كانت فائدته انما هي تقريب المشبه من فهم السامع وإيضاحه له أن تشبه الأدون بالأعلى اذا أردت مدحه وتشبه الأعلي بالادون اذا أردت ذمه فتقول في المدح تراب كالمسك وحصى كالياقوت وما أشبه ذلك فاذا أردت الذم قلت مسك كالـك أو التراب وياقوت كالزجاج أو كالحصى لان المراد في التشبيه ما قدمته من تقريب الصفة وإفهام السامع وان كان ماشابه الشيء من جهة فقد شابهه الآخر منها الاأن المتعارف وموضوع التشبيه ماذكرت ٠٠ وأصل التشبيه مع دخول الكاف وأمثالها أو كأن وما شا كلها شيء بشيء في بيت واحد الى أن صنع امرؤ القيس في صفة عقاب

كأنَّ قلوبَ الطيرِ رطباً ويابساً　　لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالى

فشبه شيئين بشيئين في بيت واحد واتبعه الشعراء في ذلك ٠٠ فقال لبيد بن ربيعة

وجلا السيولَ عن الطلولِ كأنها　　زبرٌ تجدُّ متونها أقـلامُها

فشبه الطلول بالزبر والسيول بالأقلام بل زاد فشبه جلاء هذه عن هذه بتجديد تلك لتلك ٠٠ وحكي عن بشار انه قال ما قرَّ بي القرار مذ سمعت قول امرئ القيس ـ كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ـ حتى صنعت

كأن مثارَ النقعِ فوق رؤسهم … وأسيافنا ليلٌ تهاوي كواكبه

فان كان مراده الترتيب فصدق ولم يقع بعد بيت امرئ القيس فى ترتيبه كبيته وان كان المراد تشبيهين فى بيت فقد قال الطرماح فى صفة ثور وحشى

يبدو وتضمره البلادُ كأنه … سيفٌ على شرفٍ يسلُّ ويغمد

وهذه نهاية فى الجودة .. وأما قول من قال في بيت الحارث بن حلزة

وحسبتُ وقعَ سيوفنا برؤسهم … وقعَ السحابةِ بالطرافِ المشرج

ان فيه تشبيهين من جهة الكثرة والحس أو السرعة والحس فمحتمل الا ان الشاعر لم يصرح الا بالوقع خاصة يريد بذلك الحس وحده في ظاهر الأمر ولذلك خص الطراف لكونه من الأدم فصوت القطر عليه أشد منه على غيره من سائر البيوت .. وقال بشار أيضاً

خلقنا سماءً فوقهم بنجومها … سيوفاً ونقعاً يقبضُ الطرفَ أقتما

وقال فشبه شيئين مختلفين بشيئين من جنس واحد

من كل مشتهرٍ فى كفِ مشتهرٍ … كأن غرتهُ والسيفَ نجمان

وربما شبهوا شيئاً بشيئين كقول القطامي

فهن كالحللِ الموشيّ ظاهرها … أو كالكتابِ الذى قد مسه البللُ

وربما شبهوا بثلاثة أشياء كما قال البحترى

كأنما يبسم عن لؤلؤ … منظمٍ أو بردٍ أو إقاح

فقول الشاعر أو زيادةُ تشبيه وان لم يصح من جميع المشبه بها الا شئ واحد من جهة الحكم فى أو .. ومن الناس من يرويه

كأنما يبسم عن لؤلؤ … أو فضةٍ أو بردٍ أو إقاح

وهي زعموا رواية أكثر أهل الأندلس والمغرب فيكون حينئذ الثغر مشبها بأربعة أشياء .. وقد تقدمه أبو تمام فقال

وثناياك إنها إغريضُ ولآلٍ تُوْمٌ وبرقٌ وميضُ

فشبهها بثلاثة أشياء حقيقة لان حكم الواو غير حكم أو لاسيما وقد أتى التشبيه بغير كاف ولا شيءٌ من اخواتها فجاء كأنه ايجاب وتحقيق . . وكثر تشبيههم شيئين بشيئين حتي لم يصر عجباً وقد جاؤا بتشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء في بيت واحد بالكاف و بغير كاف . . فقال مرقش

النشرُ مسكٌ والوجوهُ دنا نيرُ وأطرافُ الأكف عنم

وقال ابن الرومي

كأن تلك الدموعَ قطرُ ندى يقطرُ من نرجسٍ على ورد

وقال أيضاً ويدخل في باب قول مرقش

إن أقبلتْ فالبدرُ لاح وان مشتْ فالغصن ماد وان رنتْ فالريم

وقال ابن المعتز

بدر وليل وغصن * وجه وشعر وقد خمر ودر وورد * ريق وثغر وخد

وقال صاحب الكتاب

كأن ثناياه اقاح وخـده شقيقٌ وعينيه بقيةُ نرجس

وقال أيضاً علي جهة التفسير

بكؤس حكين من شف قلبي شـفة لم تذق وثغـراً و ريقاً

يريد حافة الكأس والحباب والخمر . . ثم أتوا بتشبيه أربعة بأربعة بالكاف أيضا و بغير كاف . . فقال امرؤ القيس وهو أول من فتح هذا الباب

له أيطلا ظبي وساقا نعامـة وارخاء سرحان وتقريب تتفل

فجاء بتشبيه اضافة كما تري حتى جعله تحقيقا لولا مفهوم الخطاب . . وقال أبو الطيب

بدت قمراً ومالت خوطَ بانٍ وفاحتْ عنبراً و رنتْ غزالا

فجاء بالتشبيه علي اسقاط الكاف . . وقال أيضا

ترنو اليَّ بعينِ الظبي مجهشةً وتمسحُ الطلَّ فوق الوردِ بالعنم

فشبه فى القسيم الأول عينها بعين الظبي وشبه في القسيم الآخر ثلاثة بثلاثة ٠٠ وقد تقدم أبو نواس فقال

يبكي فيذرى الدر من نرجس ويلطم الوردَ بعناب

وهذا مليح جداً ٠٠ سئل ابن مناذر من أشعر الناس فقال الذى يقول

يا قمراً أبصرتُ فى مأتم يندبُ شجواً بين أتراب

يبكي فيذري الدرَّ من نرجس ويلطم الوردَ بعناب

هذا أشعر الجن والانس ٠٠ وقد جاء بالشعر على سجيته أعنى أبا نواس وشاهد ذلك ظاهر فى لفظه والاَّ فهو قادر أن يجعل مكان الدر الطل حتى يتناسب الكلام لكنه لم يكن يؤثر التصنيع ولا يراه فضيلة لما فيه من الكلفة ٠٠ ومن الناس من يرويه كذلك ومنهم من يرويه – فيذرى الدر من جفنه – ومما شبه فيه أربعة بأربعة مع الكاف قول ابن حاجب وهو عبد العزيز وزير القادر بالله أبي العباس النعمان (١)

ثغرٌ وخدٌّ ونهدٌ واختضابُ يد كالطلعِ والوردِ والرمانِ والبلح

وقال صاحب الكتاب

بفرعٍ ووجهٍ وقدٍّ وردفٍ كليلٍ وبدرٍ وغصنٍ وحقف

ومما وقع فيه تشبيه خمسة بخمسة قول أبى الفرج الواوا وأتى به بغير آلة تشبيه

فأسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

وقال أبو الفتح البستى شاعر مصر في وقتنا هذا يصف شمعة

قد شابهتنىَ فى لون وفي قضف (٢) وفى احتراق وفي دمعٍ وفي سهر

فقوله – قد شابهتنى – أظهر مقدرة من المجيء بالكاف لانهم انما استصعبوا ذلك مع الكاف واخواتها من جهة ضيق الكلام بها فهذا الذى أتى به البستى أشد ضيقا ألا ترى انه

(١) ن قول ابن حاجب النعمان (٢) ن قصف

وقال كأنها أنا لكان هو الصواب ويكون قد أتى بكان وضميرين بعدها فضلا عن الكاف . ومنهم من يأتي بالتشبيه الواحد بغير كاف كقول امرئ القيس

سموتُ اليها بعد ما نام أهلها سموَّ حبابِ الماء حالا على حال

.. وقوله أيضاً

اذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرضَ أثناء الوشاحِ المفصل

يريد كسمو حباب الماء وكتعرض أثناء الوشاح . وأبدع من هذا عندهم وأغرب قول المنخل اليشكرى

دافعتها فتدافعت مشيَ القطاةِ الى الغدير

وانما براعته عندهم لما لم يكن قبله فعل من لفظه .. ومن مليح التشبيه قول أبي كبير الهذلي

فالطعنُ شغشغة والضربُ هيقمة ضرب المعوِّل تحت الديمة العضدا

وللقسىِّ أزاميلٌ وغمغمة حس الجنوب تسوقُ الماء والبردا

فالأول من نوع بيتى امرئ القيس والثانى من نوع بيت المنخل وأنا أستحسن هذين البيتين جداً . وقد يقع التشبيه بين الضدين والمختلفين كقولك العسل فى حلاوته كالصبر في مرارته أو كالخل في حموضته . قال أبو الحسن الرمانى وهذا الضرب من التشبيه لا يقال إلاَّ بتقييد وتفسير . ومن هذا النوع الذى ذكره الرماني قول ابن المهدي للمأمون يعتذر

لئن جحدتك معروفاً مننتَ به انى لفي اللؤم أحظى منك في الكرم

وكذلك قول أبى نواس

أصبح الحسنُ منك يا أحسن الأمـ ـة يحكي سماجة ابن حيش

يريد ان هذا غاية كما ان ذاك غاية . قال الجرجانى التشبيه والتمثيل يقع مرة بالصورة والصفة وأخري بالحالة والطريقة اعتذر بذلك عن قول أبي الطيب

بليتُ بلى الاطلال ان لم أقف بها وقوفَ شحيحٍ ضاع فى التربِ خاتمه

انه انما أراد وقوفاً خارجاً عن المتعارف ٠٠ وأنشد

رب ليل أمدُّ من نفس العا شقِ طولا قطعته بانتحاب

فهذا والله هو النقد العجيب الذى غفل الناس عنـه بل عموا وصموا ٠٠ والبيت لمحمد ابن عبد الملك الزيات ويروى لمانى الموسوس ٠٠ ومثله قول أبي تمام

ومسافةٍ كمسافة الهجرِ ارتقى في صدرِ باقي الحبِّ والبرحاء

وأنشد الرماني لذي الرمة

كأنه كوكبٌ في إثر عفرية مسوّمٌ في سوادِ الليل منقضبُ

ثم قال قد اجتمع الثور والكوكب في السرعة الاَّ ان انقضاض الكوكب أسرع واستدل بهذا على جودة التشبيه ٠ وأنا أرى ان فيه دركاً على الشاعر واغفالاً من الشيخ المفسر وذلك ان الثور مطلوب والكوكب طالب فشبهه به في السرعة والبياض ولو شبهه بالعفريت وشبه الكلب وراءه بالكوكب لكان أحسن وأوضح لكنه لم يتمكن له المعني الذي أراده من فوت الثور الذي شبه به راحلته ٠ وأما ما أغفله الشيخ فان الشاعر انما رغب في تشبيه الثور بالكوكب واحتمل عكس التشبيه بان جعل المطلوب طالباً لبياضـه فان الثور لهق لا محالة وأما السرعة التى زعم فان العفريت لو وصفه به وشبهه بسرعته لما كان مقصراً ولا متوسطاً بل فوق ذلك ٠ ومن التشبيهات عقم لم يسـبق أصحابها اليها ولا تعدى أحد بعدهم عليها واشتقاقها فيما ذكر من الريح العقيم وهى التي لا تلقح شجرة ولا تنتج ثمرة نحو قول عنترة العبسى يصف ذباب الروض

وخلا الذبابُ بها فليس ببارحٍ غرِداً كفعلِ الشاربِ المترنم
هزجاً يحكُّ ذراعـه بذراعـه قدحَ المكب على الزناد الأجذم

وقوله أيضاً فى صفة الغراب

خرقُ الجناحِ كأن لحيي رأسه جلمان بالأخبار هشٌّ مولع

وقال الحطيئة يصف لغام ناقته

ترى بين لحييها اذا ما ترغمت لغاماً كبيتِ العنكبوتِ الممدد

وقال الشماخ يصف آثار ريش نعامة

كأنما منثنى أقماع ما فرطت (١) من العفاء بليتيها الثآليل

وقول عدى بن الرقاع يصف قرن ظبي

تزجي أغنَّ كأن ابرة روقه قلم أصابَ من الدواةِ مدادها

وقول الراعي يصف جعد الرأس

جدلا أسك كأن فروةَ رأسه بذرت فأنبتَ جانباها فلفلا

وقول بشر بن أبي خازم يصف عروق الارطى وقد كشفها ثور

يثير ويبدي عن عروقٍ كأنها أعنة خراز تخط وتنشر

وقول الطرماح فى صفة الظليم

مجتاب شملة برجد لسراته قدراً وأسلم ماسواه البرجد

وقول ذى الرمة في صفة الليل

وليل كجلبابِ العروس قطعته (٢) بأربعة والشخصُ فى العينِ واحد

وقول مضرس بن ربعي فى صفة رأس النعامة

سكاء عاريةُ الأخادع رأسُها مثلُ المدق وأنفها كالمسرد

وقال النابغة فى صفة النسور

تراهن خلف القوم خزرٌ عيونها جلوسَ الشيوخ فى ثياب المرانب

وهذا التشبيه عندهم عقيم الا انى أقول انه من قول طرفة يصف عقاباً

وعجزاء دفت بالجناح كأنها مع الصبح شيخٌ فى بجاد مقنعُ

وينظر أيضاً الى قول امرئ القيس قبله

كأن ثبيرا فى عرانين وبله كبيرُ اناس فى بجاد مزملُ

وقال عبد الله بن الزبير الأسدى فى تشبيه رأس القطاة

---

(١) ن كأنما منتهى أقماع ما مطرت (٢) ن ادرعته

تقلب للاصغاء رأساً كأنها … يتيمة جوزا غيرتها المكاسر

وفى الشعر من هـذا صدر جيد وفى القرآن تشبيه كثير كقوله تعالى ﴿ والقـمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ وقوله تعالى ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ﴾ وقوله ﴿ واذا غشيهم موج كالظلل ﴾ وقوله ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم الناس كأسنان المشط وانما يتفاضلون بالعافية . وقال الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وكثير من هـذا يطول تقصيه . وقد أتت القدماء بتشبيهات رغب المولدون الاّ القليل عن مثلها استبشاعاً لها وان كانت بديعة فى ذاتها . مثل قول امرئ القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه … أساريع ظبي أو مساويك أسحل

فالبنانة لا محالة شبيهة بالأسروعة وهى دودة تكون فى الرمل وتسمي جماعتها بنات النقى وإياها عنى ذو الرمة بقوله

خراعيب أمثال كأن بنانها … بناتُ النقي تخفى مراراً وتظهر

فهي كأحسن البنان ليناً وبياضاً وطولاً واستواء ودقة وحمرة رأس كأنه ظفر قد أصابه الحناء وربما كان رأسها أسود إلاّ ان نفس الحضرى المولد اذا سمعت قول أبي نواس في صفة الكاس

تعاطيكها كفٌ كأن بنانها … اذا اعترضتها العين صفُّ مداري

أو قول عليّ بن العباس الرومي

سقي الله قصراً بالرصافة شاقني … بأعلاه قصري الدلال رصافي

أشار بقضبانٍ من الدر قمت … يواقيتَ حمراً فاستباح عفافى

أو قول عبد الله بن المعتز

أشرن على خوف بأغصان فضة … مقومةٍ أثمارُهنَّ عقيق

كان ذلك أحب اليها من تشبيه البنان بالدود في بيت امرئ القيس وان كان تشبيهه أشد اصابة .. وفى قول الطائى أبي تمام

بسطت اليك بنانةً أسروعا ... تصفُ الفراقَ ومقلة ينبوعا

وقرب هذا عنده وهو مدح من قول حسان في الهجو

وأمك سوداء نوبيةُ ... كأن أناملها الحنظب

اذا كان جميعاً من خشاش الأرض • فأما قول امرئ القيس أو مساويك أسحل فجار مجرى غيره من تشبيهاتهم لانهم يصفونها بالعنم والأقلام وما أشبه ذلك والبنان قريبة الشبه من اعواد المساويك في القدر والاستواء والاملاس الاَّ ان الأول على كراهته أشبه بها والاسحل شجر المخيطا • وقد استبشع قوم قول الآخر يصف روضاً

كأن شقائقَ النعمان فيه ... ثيابٌ قد رَوين من الدماء

فهذا وان كان تشبيهاً مصيباً فان فيه بشاعة ذكر الدماء ولو قال من العصفر مثلاً أو ما شاكله لكان أوقع في النفس وأقرب الى الانس وكذلك صفتهم الخمر في حبابها بسالخ الشجاع وما جرى هذا المجري من التشبيه فانه وان كان مصيباً لعين الشبه فانه غير طيب في النفس ولا مستقر على القلب • ومن ذلك قول أبي عون الكاتب

تلاعبها كفُّ المزاج محبةً ... لها وليجرى ذاتَ بينهما الانسُ

فتزبدُ من تيهٍ عليها كأنها ... غريرة خدر قد تخبطها المسُّ

فلو ان في هذا كل بديع لكان مقيتاً بشعاً ومن ذا يطيب له أن يشرب شيئاً يشبه بزبد المصروع وقد تخبطه الشيطان من المس ..وكأني أري بعض من لا يحسن الاَّ الاعتراض بلا حجة قد نعى على هذا المذهب وقال رد على امرئ القيس ولم أفعل ولكني بينت ان طريق العرب القدماء في كثير من الشعر قد خولفت الى ما هو أليق بالوقت وأشكل بأهله • وقد عاب الأصمعي بين يدى الرشيد قول النابغة

نظرتْ اليك بحاجةٍ لم تقضها ... نظر السقيم الى وجوه العوَّد

على انه تشبيه لا يلحق ولا يشق غبار صاحبه ولم يجد فيه المطعن الاَّ بذكر السقيم فانه رغب عن تشبيه المحبوبة به وفضل عليه قول عدى بن الرقاع العاملي

وكأنها وسطَ النساء أعارها ... عينيه أحورُ من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت   في عينه سنة وليس بنائم

وأجرى الناس هذا المجري قول صريع الغواني على انه لم يقع لأحد مثله وهو

فغطت بأيديها ثمار نحورها   كأيدي الأسارى أثقلتها الجوامع

فهذا تشبيه مصيب جداً الا انهم عابوه بما بينت وانما أشار الى قول النابغة

يخططن بالعيدان في كل منزل   ويخبأن رمان الثدي النواهد

ومثله قول أبي محجن الثقفي في وصف قينة

ترفع الصوت أحياناً وتخفضه   كما يطن ذباب الروضة الغرد

فأي قينة تحب أن تشبه بالذباب وقد سرق بيت عنترة وقلبه فأفسده

باب الاشارة

والاشارة من غرائب الشعر وملحه وبلاغة عجيبة تدل على بعد المرمي وفرط المقدرة وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز والحاذق الماهر وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة واختصار وتلويح يعرف مجملا ومعناه بعيد من ظاهر لفظه . فمن ذلك قول زهير

فاني لو لقيتك واتجهنا   لكان لكل منكرة كفاء(١)

فقد أشار له بقبح ما كان يصنع لو لقيه هذا عند قدامة أفضل بيت في الاشارة .. وقول الآخر

جعلت يدي وشاحاً له   وبعض الفوارس لا يعتنق

وهذا النوع من الشعر هو الوحي عندهم .. وأنشد الحاتمي عن علي بن هارون عن أبيه عن حماد عن أبيه اسحاق بن ابراهيم الموصلي

جعلنا السيف بين الخد منه   وبين سواد لمته عذارا

(١) ن لكل مندية لقاء

فأشار الى هيئة الضربة التى أصابه بها دون ذكرها اشارة لطيفة دلت على كيفيتها وانما وصف انهم ضربوا عنقه ويروى بين الجيد .. ومثله قول الآخر

ويوم يبيلُ النساء الدماء   جعلتَ رداءك فيه خمارا

يريد بالرداء الحسام كما قال متمم بن نويرة

لقد كفن المنهالُ تحت ردائه   فتى غيرَ مبطان العشياتِ أروعا

وقوله انه جعله خماراً أى قنّعت به الفرسان وأشار بقوله ـ يبيل النساء الدماء ـ الى وضع الحوامل من شدة الفزع .. ومما جاء من الاشارة على معنى التشبيه قول الراجز يصف لبناً ممذوقاً ـ جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط ـ فانما أشار الى تشبيه لونه لان الماء غلب عليه فصار كلون الذئب .. ومن أنواع الاشارة التفخيم والايماء فأما التفخيم فكقول الله تعالى ﴿ القارعة ما القارعة ﴾ وقد قال كعب بن سعد الغنوى

أخي ما أخي لا فاحشٌ عند بيته   ولا ورعٌ عند اللقاء هيوبُ

وأما الايماء فكقول الله عزوجل ﴿ فغشيهم من اليم ما غشيهم ﴾ فأومأ اليه وترك التفسير معه .. وقال كثير

تجافيتِ عنى حين لا لىَ حيلة   وخلفتِ ماخلفتِ بين الجوانح

فقوله ـ وخلفت ما خلفت ـ ايماء مليح .. ومثله قول ابن ذريح

أقول اذا نفسى من الوجد أصعدت   بها زفرة تعتادنى هي ما هيا

ومن أنواعها التعريض كقول كعب بن زهير لرسول الله صلى الله عليه وسلم

في فتيةٍ من قريشٍ قال قائلهم   ببطن مكةَ لما أسلموا زولوا

فعرض بعمر بن الخطاب وقيل بأبى بكر رضى الله عنهما وقيل برسول الله صلى الله عليه وسلم تعريض مدح ثم قال

يمشون مشىَ الجمال الزهر يعصمهم   ضربٌ اذا عرّد السودُ التنابيل

فقيل انه عرض في هذا البيت بالأنصار فغضبت الأنصار وقال المهاجرون لم تمدحنا اذ

ذممتهم حتى صرح بمدحهم في أبيات يقول فيها

مَن سره كرمُ الحياة فلا يزل في مقنبٍ من صالحي الأنصار

ومن مليح التعريض قول أيمن بن خريم الأسدى لبشر بن مروان يمدحه و يعرض بكلف كان بوجه أخيه عبد العزيز حين نفاه من مصر على يدى نصيب الشاعر مولاه

كأن التاجَ تاجَ بنى هرقل جلوه لأعظم الأعياد عيدا

يصافح خدَّ بشرٍ حين يمسى اذا الظلماءُ باشرت الخدودا

فهذا من خفي التعريض لانه أوهم السامع انه انما أراد المبالغة بذكر الظلماء لا سيما وقد قال ـ حين يمسى ـ وانما أراد الكلف هكذا حكت الرواة ٠٠ ومن أفضل التعريض مما يجل عن جميع الكلام قول الله عز وجل ﴿ ذق انك أنت العزيز الكريم ﴾ أي الذى كان يقال له هذا أو يقوله وهو أبو جهل لانه قال ـ ما بين جبليها (يعنى مكة) أعز منى ولا أكرم ـ وقيل بل ذلك على معنى الاستهزاء به ٠٠ ومن أنواعها التلويح كقول المجنون قيس بن معاذ العامرى .

لقد كنتُ أعلو حبَّ ليلي فلم يزل بى النقضُ والابرامُ حتي علانيا

فلوح بالصحة والكتمان ثم بالسقم والاشتهار تلويحاً عجيباً واياه قصد أبو الطيب بعد ان قلبه ظهراً لبطن فقال

كتمتُ حبك حتى منك تكرمة ثم استوى فيك اسرارى واعلانى

لانه زاد حتى فاض عن جسدي فصار سقمي به فى جسم كتمانى

الاَّ انه أخفاه وعقده كما ترى حتى صار أحجية يتلاقاها الناس ٠ ومن أجود ما وقع فى هذا النوع قول النابغة يصف طول الليل

تقاعس حتي قلتُ ليس بمنقضٍ وليس الذى يرعي النجومَ بآيب

ـ الذى يرعي النجوم ـ يريد به الصبح أقامه مقام الراعي الذى يغدو فيذهب بالابل والماشية فيكون حينئذ تلويحه هذا عجباً في الجودة ٠٠ وأما من قال ان الذى يرعى

النجوم انما هو الشاعر الذى شكي السهر وطول الليل فليس على شيء ٠٠ وزعم قوم ان الآيب لا يكون إلاّ بالليل خاصة ذكره عبد الكريم ٠٠ ومن أنواع الاشارات الكناية والتمثيل كما قال ابن مقبل وكان جافياً في الدين يبكي أهل الجاهلية وهو مسلم فقيل له مرة فى ذلك فقال

وما لى لا أبكى الديارَ وأهلها ... وقد رادها روَّاد عكٍّ وحميرا

وجاء قطا الأحباب مِن كل جانب ... فوقَّع فى اعطاننا ثم طيرا

فكنى عما أحدثه الاسلام ومثل كما ترى ٠٠ ومن أنواعها الرمز كقول أحد القدماء يصف امرأة قتل زوجها وسبيت

عقلت لها من زوجها عدد الحصى ... مع الصبح أو مع جنح كل أصيل

يريد اني لم أعطها عقلا ولا قوداً بزوجها إلاّ الهم الذي يدعوها الى عد الحصى وأصله من قول امرئ القيس

ظللت ردائى فوق رأسى قاعداً ... أعد الحصى ما تنقضى عبراتى

ومن مليح الرمز قول أبي نواس يصف كؤوساً ممزوجة فيها صور منقوشة

قرارتها كسرى وفى جنباتها ... مهىً تدَّريها بالقسيِّ الفوارس

فللخمر مازرت عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليه القلانس

يقول ان حد الخمر من صور هذه الفوارس التى فى الكؤوس الى التراقى والنحور وزيد الماء فيها مزاجاً فانتهى الشراب الى فوق رؤوسها ويجوز أن يكون انتهاء الحباب الى ذلك الموضع لما مزجت فأزبدت والأول أملح وفائدته معرفة حدها صرفاً من معرفة حدها ممزوجة وهذا عندهم مما سبق اليه أبو نواس وأرى والله أعلم انما نحلق على المعنى من قول امرئ القيس

فلما استطابوا صب فى الصحن نصفه ... ووافى بماء غير طَرق ولا كدر

ويروى ـ ووفوا ـ وإياه أردت ويروى ـ استظلوا ـ من الظلّ مكان استطابوا جعل الماء والشراب قسمين لقوة الشراب فتسلق الحسن عليه وأخفاه بما شغل به الكلام من ذكر الصورة المنقوشة فى الكؤوس إلاّ انها سرقة ظريفة مليحة ولم يكن أبو نواس

يرضى أن يتعلق بمن دون امرئ القيس وأصحابه ‥ وأصل الرمز الكلام الخفي الذى لا يكاد يفهم ثم استعمل حتى صار الاشارة ‥ وقال الفراء الرمز بالشفتين خاصة ومن الاشارات اللمحة كقول أبي نواس يصف يوما مطيراً

وشمسه حرة مخدرة ليس لها فى سمائها نور

فقوله ـ حرة ـ يدل على ما أراد فى باقى البيت اذ كان من شأن الحرة الخفر والحياء ولذلك جعلها مخدرة وشأن القيان والمملوكات التبذل والتبرج وأما زعم من زعم ان قوله حرة انما يريد خلوصها كما تقول هـذا العلق من حر المتاع فخطأ لان الشاعر قد قال ليس لها فى سمائها نور فأى خلوص هناك وكذلك قول حسان ويكون أيضا تتبيعا

أولادُ جفنةَ حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

يريد انهم ملوك ذوو حاضرة ومستقر عز ليسوا أصحاب رحلة وانتجاع ‥ ومن أخفي الاشارات وأبعدها اللغز وهو أن يكون للكلام ظاهر عجب لا يمكن وباطن ممكن غير عجب كقول ذي الرمة يصف عين الانسان

وأصغر من قعبِ الوليد ترى به بيوتا مبناة وأودية قفرا

فالباء فى به للالصاق كما تقول لمسته بيدى أى ألصقتها به وجعلتها آلة اللمس والسامع يتوهمها بمعنى فى وذلك ممتنع لا يكون والأول حسن غير ممتنع ‥ ومثله قول أبي المقدام

وغلام رأيتـه صار كلبا ثم من بعد ذاك صار غزالا

فقوله صار انما هو بمعنى عطف وما أشبهه من قول الله عز وجل ﴿ فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ﴾ ومستقبله يصور وقد قيل يصير وهي لغة قليلة وليس صار التي هي من اخوات كان مستقبلها يصير فقط ومعناها استقر بعد تحول ‥ واشتقاق اللغز من لغز اليربوع ولغز اذا حفر لنفسه مستقيما ثم أخذ يمنة ويسرة يورى بذلك ويعمى على طالبه ‥ ومن الاشارات اللحن وهو كلام يعرفه المخاطب بفحواه وان كان على غير وجهه قال الله تعالى ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ والى هذا ذهب الحذاق فى تفسير قول الشاعر

منطقٌ صائبٌ وتلحن أحيا نا وخيرُ الحديث ما كان لحنا

ويسميه الناس فى وقتنا هـذا المحاجاة لدلالة الحجا عليه ‥ وذلك نحو قول الشاعر يحذر قومه

خلوا على الناقةِ الحمراء أرحالكم والبازلَ الأصهبَ المعقولَ فاصطنعوا
ان الذئابَ قد اخضرت براثنها والناسُ كلهم بَكْرٌ اذا شبعوا

أراد ـ بالناقة الحمراء ـ الدهناء ـ وبالجمل الأصهب ـ الصمان ـ وبالذئاب ـ الاعداء يقول قد اخضرت أقدامهم من المشى فى الكلأ والخصب والناس كلهم اذا شبعوا طلبوا الغزو فصاروا عدواً لكم كما أن بكر بن وائل عدوكم .. ومثل ذلك قول مهلهل لما غدره عبداه وقد كبرت سنه وشق عليهما ما يكلفهما من الغارات وطلب الثارات فأرادا قتله فقال أوصيكما أن ترويا عنى بيت شعر قالا وما هو قال

من مبلغ الحيين أن مهلهلا لله دركما ودر أبيكما

فلما زعما أنه مات قيل لهما هل أوصي بشيء قالا نعم وأنشدا البيت المتقدم فقالت ابنته عليكم بالعبدين فانما قال أبى

من مبلغ الحيين أن مهلهلا أمسى قتيلا بالفلاة مجدلا
لله دركما ودر أبيكما لا يبرحُ العبدان حتى يقتلا

فاستقروا العبدين فأقرا انهما قتلاه ورويت هذه الحكاية لمرقش .. وسبيل المحاجاة ان تكون كالتعريض والكناية وكل لغز داخل في الأحاجي وقد حاجى شيخنا أبو عبد الله بعض تلاميذه فقال له

أحاجيك عباد كزينب في الورى ولم توت الا من حميم وصاحب

فأجابه التلميذ بأن قال

سأكتم حتى ما تحس مدامعي بما انهل منها من دموع سواكب

فكان معكوس قول أبي عبد الله ـ عباد كزينب في الورى ـ سرك ذائع فقال الآخر ـ سأكتم ـ فأجابه على الظاهر اجابة حسنة ومعكوس سأكتم ـ منك أتيت ـ فكأنه قابل به قول الشيخ ـ ولم توت الا من صديقٍ وصاحب ـ وهذا كله مليح .. ومنها التعمية وهذا مَثَلٌ للطير وما شاكله وكقول أبى نواس

* واسم عليه خبن للصفا *

وما أشبهه وهو معنى مشهور ٠٠ ومن الاشارات مصحوبة وهي عند أكثرهم معيبة كأنها حشو واستعانة على الكلام نحو قول أبى نواس

قال ابراهيم باا ... مال كذا غرباً وشرقا

ولم يأت بها أبو نواس حشواً ولكن شطارة وعبثاً بالكلام وان شئت قلت بيانا وتثقيفا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص وكيف بك اذا بقيت فى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابع يديه ولا أحد أفصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبعد كلاما منه من الحشو والتكلف ٠٠ وقالوا مبلغ الاشارة أبلغ من مبلغ الصوت فهذا باب تتقدم الاشارة فيه الصوت وقيل حسن الاشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان جاء بذلك الرمانى نصا وقاله الجاحظ من قبل وأخذ على بعض الشعراء فى قوله

أشارت بطرف العينِ خيفةَ أهلها ... اشارةَ مذعورٍ ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرفَ قد قال مرحبا ... وأهلا وسهلا بالحبيبِ المتيم

اذ كان هذا كله مما لا تحمله اشارة خائف مذعور ٠٠ ولما أقام معاوية الخطباء لبيعة يزيد قام رجل من ذى الكلاع فقال هذا أمير المؤمنين وأشار بيده الى معاوية فان مات فهذا وأشار الى يزيد فمن أبى فهذا وأشار الى السيف ثم قال

معاوية الخليفة لا نمارى ... فان يهلك فسائسنا يزيد

فمن غلب الشقاءُ عليه جهلا ... تحكم فى مفارقه الحديد

وقد جاء أبو نواس باشارات أخر لم تجر العادة بمثلها ٠٠ وذلك أن الأمين بن زبيدة قال له مرة هل تصنع شعراً لا قافية له قال نعم وصنع من فوره ارتجالا

ولقد قلت للمليحة قولى ... من بعيد لمن يحبك اشارة قبلة

فأشارت بمعصم ثم قالت ... من بعيد خلاف قولى اشارة لا لا

فتنفست ساعة ثم انى ... قلت للبغل عند ذلك اشارة امش

فتعجب جميع من حضر المجلس من اهتدائه وحسن تأتيه واعطاه الأمين صلة شريفة
.. ومن الاشارات الحذف نحو قول نعيم بن أوس يخاطب امرأته

ان شئت أشرفنا جميعاً فدعا الله كل جهده فاسمعا
بالخير خيراً وان شرا فا ا ولا أريد الشر الا أن تا

كذا رواه أبو زيد الأنصارى وساعده من المتأخرين علي بن سليمان الأخفش وقال لان الرجز يدل عليه الا أن رواية النحويين وان شرا فا والا إن أنى قالوا يريد وان شرا فشر والا أن تشائي .. وأنشدوا

ثم تنادوا بعد تلك الضوضا منهم بهات وهل ويايا
نادى مناد منهم الاتا قالوا جميعاً كلهم بلى فا

وأنشد الفراء * قلت لها قومي فقالت قاف *

يريد قد قمت .. ومن أنواعها التورية كقول علية بنت المهدي فى طل الخادم

أيا سرحة البستان طال تشوقي فهل لى الى ظل اليك سبيل
متى يشتفي من ليس يرجى خروجه وليس لمن يهوى اليه دخول

فورت بظل عن طل وقد كانت تجد به فمنعه الرشيد من دخول القصر ونهاها عن ذكره فسمعها مرة تقرأ ﴿ فان لم يصبها وابل ﴾ فما نهى عنه أمير المؤمنين ﴿ أي فطل ﴾ فقال ولا كل هذا.. وأما التورية فى أشعار العرب فانما هى كناية بشجرة أو شاة أو بيضة أو ناقة أو مهرة أو ماشا كل ذلك كقول المسيب بن علس

دعي شجرَ الأرض داعيهم لينصره السدرَ والأتأب

فكنى بالشجر عن الناس وهم يقولون فى الكلام المنثور جاء فلان بالشوك والشجر اذا جاء بجيش عظيم .. وكان عمر رضي الله عنه أو غيره من الخلفاء قدحظر على الشعراء ذكر النساء فقال حميد بن ثور الهلالى

نجرم أهلوها لان كنت مشعراً جنوناً بها يا طول هذا التجرم
ومالي من ذنب اليهم علمته سوى أنني قدقلت ياسرحة اسلمي

بلي فاسلمى ثم اسلمي ثمت اسلمي ثلاث تحيات وان لم تكلمي

•• وقال أيضاً فى مثل ذلك

أبي الله الا أن سرحة مالك على كل أفنان العضاه تروق
فيا طيب رياها ويا برد ظلها اذا حان من شمس النهار شروق
فهل أنا ان عللت نفسى بسرحة من السرح مسدودٌ عليَّ طريق
حمي ظلها شكس الخليقة خائف عليها غرام الطائفين شفيق

يريد بذلك بعلها أو ذا محرمها

فلا الظل من برد الضحي نستطيعه ولا الفيء منها فى العشي نذوق

•• وقال عنترة العبسي

يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت عليَّ وليتها لم تحرم

وانما ذكر امرأة أبيه وكان يهواها وقيل بل كانت جاريته فلذلك حرمها علي نفسه •• وكذلك قوله • والشاة ممكنة لمن هو مرتمي •

والعرب تجعل المهاة شاة لانها عندهم ضائنة الظباء ولذلك يسمونها نعجة وعلي هذا المتعارف فى الكناية جاء قول الله عز وجل فى اخباره عن خصم داود عليه السلام •• ﴿ إنَّ هذا أخي له تسعٌ وتسعون نعجة وليَ نعجة واحدة ﴾ كناية بالنعجة عن المرأة وقال امرؤ القيس

وبيضة خدر لا يرام خباؤُها تمتعت من لهو بها غير معجل

كناية بالبيضة عن المرأة •• وروي ابن قتيبة أن رجلا كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدي لك من أخى ثقة ازارى
قلائصنا هداك الله انا شغلنا عنكم زمن الحصار
فما قلص وجدن معقلات قفا سلع بمختلف التجار

يعقلهن جعد شيظمي ... وبئس معقل الذود الظؤار

وانما كني بالقلص وهي النوق الشواب عن النساء وعرض برجل يقال له جعدة كان يخالف الى المغيبات من النساء ففهم عمر ما أراد وجلد جعدة ونفاه .. ومن الكناية اشتقاق الكنية لانك تكني عن الرجل بالأبوة فتقول أبو فلان باسم ابنه أو ما تعورف في مثله أوما اختار لنفسه تعظيما له وتفخيما وتقول ذلك للصبي علي جهة التفاؤل بأن يعيش ويكون له ولد .. قال المبرد وغيره الكناية علي ثلاثة أوجه هذا الذى ذكرته آنفاً أحدها والثانى التعمية والتغطية التى تقدم شرحها والثالث الرغبة عن اللفظ الخسيس كقول الله عز وجل ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ﴾ فانها فيما ذكر كناية عن الفروج ومثله في القرآن وفى كلام الفصحاء كثير

باب التتبيع

ومن أنواع الاشارة التتبيع وقوم يسمونه التجاوز وهو أن يريد الشاعر ذكر الشي فيتجاوزه ويذكر ما يتبعه في الصفة وينوب عنه في الدلالة عليه وأول من أشار الى ذلك امرؤ القيس يصف امرأة

ويضحى فتيتُ المسك فوقَ فراشها ... نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

فقوله ـ يضحي فتيت المسك ـ تتبيع وقوله ـ نؤوم الضحى ـ تتبيع ثان وقوله ـ لم تنتطق عن تفضل ـ تتبيع ثالث وانما أراد أن يصفها بالترفه والنعمة وقلة الامتهان في الخدمة وانها شريفة مكفية المؤنة فجاءها بما يتبع الصفة ويدل عليها أفضل دلالة .. ونظيره قول الاخطل يصف نساءً

لا يصطلين دُخانَ النار شاتية ... الا بعود يلنجوجٍ على فحم

فذكر انهن ذوات تملك وشرف حال .. وأين من هذا قول النابغة فى معناه وقصده

ليست من السود اعقاباً اذا انصرفت ... ولا تبيع بجنبي نخلة البرما

كأنها ان لم تكن سوداء العقبين بياعة للبرم كانت في نهاية الحسن والشرف والدعة
.. وقال النابغة وأراد أن يصف طول العنق وتمام الخلقة فيها فذكر القرط اذ كان مما يتبع وصف العنق ولم يسبقه الى ذلك أحد من الشعراء

اذا ارتعشت خاف الجبان رعائها ومن يتعلق حيث علق يفرق

فجعل رعائها يخاف و يفرق وعذره ببعد مسقطه فتناول هذا المعنى عمر بن أبي ربيعة فأوضحه بقوله

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل أبوها واما عبد شمس وهاشم

وتبعه ذو الرمة فزاد المعنى وضوحاً بقوله

والقرط فى حرة الذفرى معلقة تباعد الحبل منه فهو يضطرب

وقال طفيل الغنوى يصف فرساً ويروى لغيره

هَريتٌ قصير عذير اللجام أسيل طويل عذار الرسن

فلو ترك الهرت والاسالة لكان من هذا الباب لكنه الآن لم يقصد التتبيع وانما جاء به كالتوكيد لما قبله هذه رواية ابن قتيبة فأمارواية النحاس عن شيوخه عن الاصمعي فانها

وأحوي قصير عذار اللجام وهوٌ طويل عذار الرسن

وهذا تتبيع لاشك فيه .. وأما قول الأخطل

أسيلة مجرى الدمع اما وشاحها فجار وأما الحجل منها فما يجرى

ففيه التتبيع فى ثلاثة مواضع وهي صفة الخد بالسهولة وصفة الخصر بالرقة والساق بالغلظ .. ومثله قول الاعشى

صفر الوشاح وملء الدرع خرعبة (١) اذاتأتى يكاد الخصر ينخزل

فقوله ـ صفر الوشاح ـ دال على رقة الخصر ـ وملء الدرع ـ دال على تمام الخلق من طول وسمن وامتلاء صدر وعجيزة وكل ماوقع من قولهم طويل النجاد وكثير الرماد وما يشا كلهما فهو من هذا الباب .. وقالت ليلى الاخيلية

ومخرق عنه القميص تخاله وسطَ البيوت من الحياء سقيما

(١) ن بهكنة

أرادت أنه يجذب ويتعلق به للحاجات لجوده وسؤدده وكثرة الناس حوله وقيل انما ذلك لعظم مناكبه وهم يحمدون ذلك ٠٠ ومن عجيب ما وقع في هذا الباب من التجاوز قول أوس بن حجر

حتى يلفَّ نخيلهم وبيوتهم لهبٌ كناصيةِ الحصان الأشقر

أراد الحرب التي هي المقصود بالصفة هكذا الرواية الصحيحة وبهذا التفسير فسره جلة العلماء وهم الأكثر وقال آخرون بل انما أغراه باحراق النخل والبيوت ففعل ولا يكون على هذا الرأى الآخر من هذا الباب ٠٠ ومن التجاوز قول رؤبة بن العجاج يصف حوافر الخيل

«سوى مساحيهن تقطيط الحقق»

أراد أن يشبهها بالمساحي فجعلها أنفسها مساحي يريد العظم ٠٠ ومثله قول ابن دريد

يدير اعليطين فى ملمومة الى لموحين بالحاظ اللأي

اراد أن يشبه أذن الفرس بالاعليط وهو وعاء ثمر المرخ فجعل الأذن نفسها اعليطاً كما فعل رؤبة فى المساحي ومثله كثير ٠٠ ومما يدخل فى باب التجاوز قول النابغة

تقدُّ السلوقى المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نارَ الحباحب

وانما أراد السلوقيَّ مع مافيه من الجسد وما تحت لابسه زعموا من السرج والفرس فعدا عن الجميع وجاء بما يتبعه ويستغنى به عن ذكره اذا كانت لا تقد السلوقي الا أن تقد ما فيه ولا تنتهى الى الصفاح على ما فسروا من أنه يريد الفارس بأداته الابعد أن تأتى على السرج والفرس على أن من الناس من رد يوقدن على الخيل ٠٠ والى مثل هذا الافراط ذهب النمر بن تولب فى صفة السيف الذى شبه به نفسه فقال

تظل تحفر عنه ان ضربت به بعد الذراعين والساقين والهادى

وروى الحذاق ـ القينين والهادي ـ وهو واضح فى المعنى ومن التتبيع قول زهير

وملجمنا ما أن ينـال قذاله ولاقدماه الأرضَ إلاأنامله

فاشار الى طول عنقه وقوائمه بذكر تطاول الملجم اشارة عجيبة وتبعه ابن مقبل فقال

تمطيت أخليه اللجام فبذنى وشخصي يسامى شخصه وهو طائله

وانما تناول زهير هذا المعنى من أبى دؤاد الايادي ويروى لعبد بن ثعلبة الأسدي حيث يقول

لا يكاد الطويل يبلغ منه حيث يثنى على المقص العذار

وأنا أقول ان بيت الذبيانى في الرعاث مأخوذ من قول عبيد بن الأبرص

ماطوا الرعاث بنهد لو يزلّ به لا ندق دون تلاقي اللبة القرط

.. وقال ابن دريد وأتى ببديع مليح

قريب مابين القطاة والمطا بعيدُ ما بين القذال والصلا

فدل بهذا على قصر الظهر وطول العنق .. وقال بعض الشعراء فملح وظرف

فمايك فيَّ من عيبٍ فانى جبانُ الكلب مهزولُ الفصيل

أشار الى كثرة غشيان الضيوف حتى أن الكلب مما أنس جبن أن ينبح فضلا عما سوى ذلك وهزال فصيله دال على أن الألبان مبذولة للضيفان فقل ما يبقى له منها

.. وقد قال امرؤ القيس * سمان الكلاب عجاف الفصال *

فعجف الفصال للعلة التي قدمت وسمن الكلاب لكثرة ما ينحرون ويذبحون .. ومن أعجب التتبيع قوله

أمرخٌ خيامهم أم عُشَرٌ أم القلبُ فى إثرهم منحدر

يقول انزلوا نجداً الذى من نباته المرخ أم الغور الذى من نباته العشر وان الاعراب يعملون خيامهم من نبات الارض التي ينزلونها فاذا رحلوا تركوه واستأنفوا غيره من شجر البلد الذى ينزلون به هكذا شرح العلماء هذا البيت المتقدم ولا ارى الاعراب تذكر ذلك كثيراً في أشعارها وانما يتعاورون ذكر الوتد اللهم الا أن تكون الاعمدة وماشاكلها تنتخب وتحمل وانما المطرح ما جعل فوقها وسدبه خصاصها فدفع الحر والبرد فنعم ولا أشك أن هذا هو الصحيح يدل عليه قول جرير يذكر منزلا

فلا عهدَ الا أن تذكر أوترى ثماماً حوالىْ منصب الخيم باليا

فذكر الثمام مطرحاً .. وقال أبو دؤاد

عهدت لها منزلا دائراً ... وآلاً علي الماء يحملن آلا

فالآل الأول أعمدة الأخبية والآل الثانى الشخص الذى يرتفع عند اشتداد الحر هكذا فسروه منهم قدامة والذى قال الحذاق يعني أعمدة تحمل أعمدة مثلها ذكره أبو حنيفة وقوله ـ علي الماء ـ يعني الماء العدّ الذى هو المحضر يرجعون اليه بعد تبديهم وانقطاع ماء السماء وقد أخبرك الشاعر علي القول الأول انهم يحملون أعمدة الأخبية والبيوت .. ومن أحسن ما وقع فى هذا الباب من التتبيع قول حسان بن ثابت

أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل

فقوله ـ حول قبر أبيهم ـ تتبيع مليح أشار به الى أنهم ملوك مقيمون لا يخافون فينتقلون من مكان الى مكان وأنهم فى مستقر عز وأرض خصب لا تجدب أراد الشام وان ذلك دأبهم من القدم فهم حول قبر أبيهم وهذا كما قال ابن مقبل

نحن المقيمون لم تبرح ظعائننا ... لا نستجير ومن يحلل بنا يُجَرِ

ومن هذا الباب أيضاً قول عنترة بن شداد العبسي

بطل كأن ثيابه في سرحة ... يحذى نعال السبت ليس بتوءم

أراد أنه ملك لأن نعال السبت لا يحتذيها عندهم الا كل شريف يدلك علي ذلك قول عتيبة بن مرداس المعروف بابن فسوة يذكر آل رسول الله صلي الله عليه وسلم فى قصيدة لام فيها عبد الله بن عباس وشكر الحسن بن علي عليهما السلام وعبد الله ابن جعفر رضي الله عنهما

الى نفر لا يخصفون نعالهم ... ولا يلبسون السبت مالم يخصر

.. ومن التتبيع قول الحطيئة

لعمرك ما قرادُ بنى كليب ... اذا نزع القرادُ بمستطاع

وذلك أن الفحل اذا منع الخطام نزعوا من قردانه شيئاً فاذ ذلك وسكن اليه ولان لصاحبه حتى يلقي الخطام فى رأسه فزعم الحطيئة أن هؤلاء لا يخدعون عن عزهم وإبلهم

فيقدر عليهم ٠٠ وأما قول ذى الأصبع العدوانى واسمه حرثان بن الحارث

يا عمرو إلاَّ تدعْ شتمي ومنقصتي أضربك حيث تقول الهامة اسقونى

فيجوز أن يكون أراد اضربك على الرأس الذى تصيح منه الهامة اسقونى على زعم الاعراب فيكون من هذا الباب ويجوز أن يكون مراده أضربك فلا يؤخذ بثأرك وتكون حيث ههنا مثلها فى قول زهير ٭ لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم ٭ فيخرج عن هذا الباب ٠٠ والى نحو التأويل الأول قصد أبو الطيب بقوله

فيا بن الطاعنين بكل لدن مواضعَ يشتكي البطلُ السعالا

أراد الصدر أو النحر ٠٠ وبيت البحترى فى صفة الذئب ويروى لعمارة بن عقيل

فأوجرته أخرى فأظللت ريشها بحيث يكون اللب والرعب والحقد

خير من بيت أبي الطيب وأجمع للصفة وقوله ـ أظللت ـ بمعنى صيرت ويروى بالصاد

باب التجنيس

التجنيس ضروب كثيرة منها المماثلة وهى أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى نحو قول زياد الأعجم وقيل الصلتان العبدي يرثى المغيرة بن المهلب

فانع المغيرةَ للمغيرةِ أذبدت شعواءُ مشعلة كنبح النابح

ـ فالمغيرة الأُولى ـ رجل والمغيرة الثانية الفرس وهى ثانية الخيل التي تغير ٠٠ وقال صاحب الكتاب قال الله تعالى ﴿ وأسلمت مع سليمان ﴾ وقال تعالى ﴿ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ﴾ وفى كلام النبي صلى الله عليه وسلم سُليم سالمها الله وغفارٍ غفر الله لها وعصية عصت الله ورسوله وان كان من غير هذا الباب ٠٠ وأنشد سيبويه

أنيخت فألقت بلدة فوق بلدة قليل بها الأصوات إلاَّ بغامها

ـ البلدة الأُولى ـ صدر الناقة والثانية المكان من الأرض ٠٠ ومثله أنشد ثعلب

وثنيـة جاوزتها بثنيـة حرف يعارضها ثنى أدهمُ

ـ فالثنية ـ الأُولى عقبة والثانية ناقة ـ والثنى الأدهم ـ الظل استعار له هذا الاسم .. ويروي ـ حبيب أدهم ـ ومثله أنشد أبو عمرو بن العلاء ٭ عَود على عَود على عَود خلق ٭ وقال الأول الشيخ والثانى الجمل المسن والثالث الطريق القويم قد ذلل بكثرة الوطء عليه .. ويجري هذا المجرى قول الأودى

وأقطع الهوجل مستأنساً بهوجل عيرانة عيطموس

أنشده قدامة على انه طباق وسائر الناس يخالفونه في هذا المذهب وقد جاء رد الأخفش عليّ بن سليمان عليه فى ذلك وانكاره على رأى الخليل والأصمعى فى كتاب حلية المحاضرة للحاتمي .. وعلى القول الأول قال أبو نواس فى ابن الربيع

عباس عباس اذا حضر الوغى والفضل فضل والربيع ربيع

.. وقال أبو تمام

ليالينا بالرقتين وأهلنا سقى العهدَ منك العهدُ والعهدُ والعهدُ

ـ فالعهد ـ الأَول المسقى هو الوقت ـ والعهد ـ الثانى هو الحفاظ من قولهم فلان ماله عهد ـ والعهد ـ الثالث الوصية من قولهم عهد فلان الى فلان وعهدت اليه أى وصاني و وصيته ـ والعهد ـ الرابع المطر وجمعه عهاد وقيل أراد مطراً بعد مطر بعد مطر وفسر ذلك بقوله

سحاب متى يسحب على النبت ذيله فلا رِجل ينبو عليـه ولا جعد

واستثقل قوم هذا التجنيس وحق لهم .. ومن مليح هذا النوع قول ابن الرومي

للسود في السود آثار تركن بها لمعاً من البيض تثنى أعين البيض

ـ فالسود ـ الأول الليالى ـ والسود ـ الآخر شعرات الرأس واللحية ـ والبيض ـ الأول الشيبات ـ والبيض ـ الآخر النساء .. وزعم الحاتمي ان أفضل تجنيس وقع لمحدث قول عبد الله بن طاهر

وانى للثغر المخيف لكالىء وللثغر يجرى ظَلْمُه لرشوف

فهذا وما شاكله التجنيس المحقق والجرجاني يسميه المستوفى .. ويقرب منه وليس محضاً قول ابن الرومى

له نائل مازال طالبَ طالبٍ ومرتادَ مرتادٍ وخاطبَ خاطبِ

أدخل الترديد والترديد نوع من المجانسة يفرد له باب ان شاء الله تعالى ٠٠ والتجنيس المحقق ما اتفقت فيه الحروف دون الوزن رجع الى الاشتقاق أو لم يرجع نحو قول أحد بني عبس

وذلكم أن ذلَّ الجار حالفكم وأن أنفكم لا يعرف الأنفا

فاتفقت الأنفُ في الأنف في جميع حروفها دون البناء ورجعا الى أصل واحد هذا عند قدامة أفضل تجنيس ٠٠ وقع مثله في الاشتقاق قول جرير والجرجاني يسميه التجنيس المطلق قال وهو أشهر أوصافه

وما زال معقولا عِقالٌ عن الندى وما زال محبوساً عن الخير حابسُ

وقال جرير أيضاً وفيه المضارعة والمماثلة والاشتقاق وأنشده ابن المعتز

تقاعس حتى فاته المجد فقعسٌ وأعيا بنو أعيا وضلَّ المضالُ

وقال خلف بن خليفة الأقطع

فان يشغلونا عن أذانٍ فاننا شغلنا وليداً عن غناء الولائد

يعني الوليد بن يزيد بن عبد الملك ٠٠ وقال أبو تمام فأحكم المجانسة بالاشتقاق

بحوافرٍ حفرٍ وصلبٍ صلَّبٍ وأشاعر شعر وخلق أخلق

فجنس بثلاث لفظات ٠٠ ومثله قول البحتري

صدق الغراب لقد رأيت شموسهم بالأمس تغرب عن جوانب غرَّب

ويقرب من هذا النوع قول ذي الرمة * واسترجعت هامها الهيم الشعاميم * فالهيم والهام قريبان في اللفظ بعيدان في الاشتقاق وربما جعلها بعض الناس من أصل واحد وكذلك قوله

كأن البرى والعاج عيجت متونها على عُشَرٍ نهّى به السيلَ أبطح

قال ابن المعتز - نهي به السيل - أي بلغ بهاليه فهو أنعم له وأكثر لدونة وأنا أقول معناه

ترك به السيل نهيا وهو الغدير وذلك أتم لما أراد ابن المعتز اللهم إلاّ أن يكون معناه جعل نهايته هناك فانه أتم وأجود أى لم يجد منصرفاً فأقام ٠٠ وقال البحترى

وذكرنيك والذكري عناء ... مشابهُ منك بينة الشكول

نسيم الروض في ريح شمالٍ ... وصوب المزن فى راح شمول

٠٠ وقال أبو تمام

مليتك الأحساب أيَّ حياة ... وحيا أزمة وحيّة واد

ويقرب من هذا النوع نوع يسمونه المضارعة وهو على ضروب كثيرة ٠٠ منها أن تزيد الحروف وتنقص نحو قول أبي تمام والجرجانى يسميه التجنيس الناقص

* يمدون من أيد عواص عواصم *

وهما سواء لولا الميم الزائدة ٠٠ وكذلك قوله ـ قواض قواضب ـ سواء لولا الباء ومع ذلك فان الباء والميم أختان ٠٠ ومثله قول البحترى

فيالك من حزم وعزم طواهما ... جديد البلى تحت الصفا والصفائح

٠٠ ومنها أن تتقدم الحروف وتتأخر كقول الطائى

بيض الصفائح لاسود الصحائف في ... متونهن جلاء الشك والريب

فقوله ـ الصفائح لاسود الصحائف ـ هو الذى أردت ٠٠ وقال البحترى

شواجر أرماح تقطع بينهم ... شواجرَ أرحام ملومٌ قطوعها

ومثله قول أبى الطيب

ممنعة منعمة رداحٌ ... يكلف لفظها الطيرَ الوقوعا

وحكي ابن دريد أن اعرابياً شتم رجلا فقال لمج أمه فقدم الى السلطان فقال انما قلت ملج أمه فدرأ عنه ٠٠ قال أبو بكر ـ لجها ـ أتاها ـ وملجها ـ رضعها وأصل المضارعة أن تتقارب مخارج الحروف وفى كلام العرب منه كثير غير متكلف والمحدثون انما تكلفوه فمن المعجز قول الله عز وجل ﴿ وهمْ ينهونَ عنه وينأونَ عنه ﴾ ٠٠ وقال النبى صلى الله عليه وسلم لرجل سمعه وهو ينشد على سبيل الافتخار وقيل بل سأله عن نسبه فقال

أنى امرؤ حميرى حين تنسبنى لامن ربيعة آبائى ولا مضر

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك والله ألأم لجدك واضرع لخدك وأفل لحدك وأقل لعدك وأبعد لك عن الله ورسوله وقوله عليه الصلاة والسلام نعوذ بالله من الأيمة والعيمة والغيمة والكزم والقزم -الأيمة- الخلو من النساء-والعيمة-شهوة اللبن-والغيمة- العطش-والكزم-قصر البنان خلقة أومن بخل ويقال الكزم شدة الأكل-والقزم- شهوة اللحم وهذا النوع يسميه الرمانى المشاكلة وهي عنده ضروب هذا أحدها وهي المشاكلة فى اللفظ خاصة وأما المشاكلة فى المعنى فننبه عليها فى أماكنها ان شاء الله تعالى ..وقال ابن هرمة

وأطعن للقرن يوم الوغي وأطعم فى الزمن الماحل

.. وقال أبو تمام

رب خفض تحت الثرى وغناء من عناء ونضرة من شحوب

وأبعد من هذا قليلا قول ساعدة بن جؤية الهذلى

رأى شخص مسعود بن بشر بكفه حديد حديث بالوقيعة معتد

و بنى المضارعة بالتصحيف ونقص الحروف قول بعضهم

فان حلوا فليس لهم مقر وان رحلوا فليس لهم مفر

.. وقال البحترى يمدح المعتز بالله

ولم يكن المعتز بالله ان سرى ليعجز والمعتز بالله طالبه

فجاء بتصحيف مستوف .. وقال

ما بعينى هذا الغزال الغرير من فتونٍ مستجلبٍ من فتور

.. وقال غيره وأظنه قابوس بن وشمكير

ان المكارم فى المكا ره والغنائم فى المغارم

وقال بعض العلماء ربما اسفر السفر عن الظفر وتعذر فى الوطن قضاء الوطر.. وقال آخر خلف الوعد خلق الوغد .. وقال ابن المعتز

لئن نزهت سمعك عن كلامي لقد نزهتُ في خديك طرفي

له وجهٌ به يُصبي ويُضنى ومبتسمٌ به يشقى ويشفي

وقال آخر أيضاً فى مثل ذلك وفيه تغيير كثير بتصحيف

فمن داعٍ ومن راعٍ ومن مطرٍ ومن مطرق

وكلٌّ خاشعُ الطرفِ لديهِ خاضعُ المنطق

أعنى بالتغيير ضاد خاضع ليست مناسبة لشين خاشع فيكون تصحيفاً وانما التصحيف فيما تناسب من الخط ومن هذا قوله داع وراع لبعد ما بينهما فى اللفظ والهجاء .. ومن الاسقاط الذي لايظهر الا فى الخط قول شمس المعالي قابوس بن وشمكير

ومن يسرِ فوقَ الأرضِ يطلبُ غاية من المجدِ نسري فوق جمجمة النسر

ومن يختلف في العالمينَ نجارهُ فانا منَ العلياء نجرى على نجرِ

فبالوصل فى النسر جانست به نسرى وصار لقاء النون كسرة الهاء من جمجمة كالتنوين في الهاء وكذلك صلة نجر جانست به نجري فاذا صرت الي الخط زالت المجانسة وقد أحدث المولدون تجانساً منفصلا يظهر أيضاً فى الخط كقول أبي تمام

رفدوكَ فى يوم الكُلاَب وشققوا فيهِ المزاد بجحفلٍ كاللاب

الكاف للتشبيه واللاب جمع لابة وهي الحرة ذات الحجارة السود .. هذا أصح الروايتين وأما قوله بجحفل كاللاب أي كان به كلباً فليس بشيء وانما القول ماقدمناه وليس بتجانس صحيح على ماشرطه المتقدمون ولكنه استظرف فأدخل فى هذا الباب تملحاً .. وأ كثر من يستعمله الميكالى وقابوس وأبو الفتح البستى وأصحابهم فمن ذلك قوله

عارضاه بما جنى عارضاه أو دعانى أمت بما أودعانى

فقوله ـ أودعاني ـ انماهي أو التى للعطف نسق بها دعانى وهو أمر اثنين من دع على قوله عارضاه الذى فى أول البيت وقوله ـ أودعانى ـ الذى فى القافية فعل ماض من اثنين تقول فى الواحد أو دع يودع من الوديعة .. وقال أيضاً

وان أقرَّ على رقـ ـ أناملهُ أقر بالرقِ كتابُ الأنامِ له

وربما صنعوا مثل هذا فى القوافى فتأتى كالإيطاء وليس بإيطاء الا فى اللفظ مجازاً ولا بتجنيس الا كذلك .. قال عمر بن علي المطوعى

أميرٌ كله كرمٌ سعدنا بأخذِ المجدِ منه واقتباسه
يحاكي النيلَ حين يُسام نيلا ويحكي باسلاً فى وقت باسه

يناسب فجاء القافيتان كما ترى فى اللفظ وليس بينهما في الخط الا مجاورة الحروف وهذا أسهل معنى لمن حاوله وأقرب شيء ممن تناوله من أبواب الفراغ وقلة الفائدة وهو مما لايشك في تكلفه وقد أكثر منه هؤلاء الساقة المتعقبون فى نثرهم ونظمهم حتي بردوا بل تدركوا فأين هذا العمل من قول القائل وهو أبو فراس

سكرتُ من لحظهِ لامن مدامته ومالَ بالنومِ عن عيني تمايله
وما السلافُ دهتني بل سوالفه ولا الشمولُ زهتني بل شمائله
ألوي بصبري أصداغٌ لوين له وغلّ صدريَ ما تحوى غلائله

فما كان من التجنيس هكذا فهو الجيد المستحسن وما ظهرت فيه الكلفة فلا فائدة فيه .. وقد يجيء التجنيس على غير قصد كقول أبى الحسن في مقطعاته التي ترد فيما بعد

ماترى الساقي كشمسٍ طلعت تحمل المريخ في برجِ الحمل

فبهذا التجنيس تم المعنى وظهر حسنه اذ كان برج الحمل بيت المريخ وموضع شرف الشمس فصار بعض الكلام مرتبطاً ببعضه ومظهراً لخفي محاسنه وحصل التجنيس فضلة على المعنى لأنه لو قال في وزن موضع الحمل أو النطح أو الكبش لكان كلاماً مستقيما فهذا التجنيس كما ترى من غير تكلف ولا قصد ولكن الأكثر أن يكون التجنيس مقصوداً اليه مأخوذاً منه ما سامحت فيه القريحة وأعان عليه الطبع .. وقد يعد قوم من المضارعة ما ناسب اللفظة في الخط فقط كقوله تعالى ﴿ وهم يَحسبونَ أنهم يُحسنون صُنعاً ﴾ وهي مضارعة بعيدة لا يجب أن يعد مثلها .. واختلف الناس فى قول الأعشى

ان تَسُدِ الحوص فلم تعدهم وعامرٌ ساد بني عامرِ

فقال الجرجانى علي بن عبد العزيز القاضى هو مجانسة لان أحدهما رجل والآخر قبيلة

وقال غيره بل معناهما واحد وأنا على خلاف رأى الجرجاني لان الشاعر قال بنى عامر وأضاف بنى اليه ولو قال ساد عامراً يعنى القبيلة لكان تجنيساً غير مدفوع ٠٠ قال الجرجانى وأراه يعنى بيت الأعشى يخالف قول الآخر

قتلنا به خير الضبيعات كلها   ضبيعة قيس لا ضبيعة اضجما

لان كلتيهما قبيلتان فكأنه جمع بين رجلين متفقي الاسم انتهى كلامه وهو يشهد بما قلته في بيت الأعشى اذا حققه من له ميز وتدبير ٠٠ وقد ذكروا تجنيساً مضافاً أنشده جماعة من المتعقبين منهم الجرجانى

أيا قمرَ التمام أعنت ظلماً   عليَّ تطاولَ الليلِ التمام

فهذا عندهم وما جرى مجراه اذا اتصل كان تجنيساً واذا انفصل لم يكن تجنيسا وانما كان يتمكن ما أراد لو أن الشاعر ذكر الليل وأضافه فقال ليل التمام كما قال قمر التمام والرمانى سمي هذا النوع مزاوجاً ومثله عنده قول الآخر

حمتني مياه الوفر منها مواردي   فلا تحمياني وردَ ماء العناقد

ومن المزاوجة عندهم قول الله تعالى ﴿ يُخادعونَ اللهَ وهوَ خادعُهمْ ﴾ وقوله ﴿ مَنِ اعتدَى عليكم فاعتدُوا عليه بمثلِ ما اعتدَى عليكم ﴾ وقوله ﴿ إنما نحنُ مستهزِؤُنَ الله يستهزئُ بهم ﴾ وكل هذه استعارات مجاز لان المراد المجازاة فزاوج بين اللفظين ٠٠وكان الأصمعي يدفع قول العامة هذا مجانس لهذا اذا كان من شكله يقول ليس بعربي خالص حكي ذلك ابن جنى ٠٠فأما ابن المعتز فقال وهو أول من نحا هذا النحو وجمعه والمجانسة أن تشبه اللفظة اللفظةَ فى تأليف حروفها على السبيل الذى ألف الأصمعى كتاب الأجناس عليها قال والجنس أصل لكل شيء تتفرع منه أنواعه وتعود كلها اليه كالانسان هو جنس وأنواعه عربي ورومي وزنجي وأشباه ذلك ولم تكن القدماء تعرف هذا اللقب أعنى التجنيس يدلك على ذلك ماحكي عن رؤبة بن العجاج وابيه وذلك أنه قال له يوماً أنا أشعر منك قال وكيف تكون أشعر مني وأنا علمتك عطف الرجز قال وماعطف الرجز قال * عاصم ياعاصم لو اعتصم * قال يا أبت أنا شاعر ابن شاعر وأنت شاعر ابن مفحم فغلبه فأنت ترى كيف سماه عطفاً ولم يسمه تجانساً اللهم الا أن يذهب

بالعطف الى معنى الالتفات فنعم ٠٠ ومن أناشيد هذا الباب قول الشنفري واسمه عامر ابن عمرو الأزدى وبتنا كأن البيت حجر فوقنا بريحانة ريحت عشاء وظلت

وقال علي بن محمد بن نصر بن بسام

فاشرب على الوردِ من وردية عتقت كأنها خدُّ ريمٍ ريمَ فامتنعا

٠٠ وقال الفرزدق

ألم يأته أني تخللُ ناقتي بنعمانَ أطرافَ الأراكِ النواعم

وحقيقة المجانسة عند الرماني بالمناسبة بمعنى الاصل نحو قول أبي تمام

* فى حده الحدُّ بين الجد واللعب *

قال لان معناهما جميعاً أبلغ وأما قولك قرب واقترب والطلوع والمطلع وما شاكل هذا فهو عنده من تصرف اللفظ ولا يعده تجنيساً ٠٠ ومن تصرف المعنى عنده قولك عين الميزان وعين الانسان وعين الماء ونحو ذلك ٠٠ ومن التصرف في اللفظ والمعنى جميعاً قولك الضرب والمضاربة والاستضراب وما أشبه ذلك كل هذه الانواع عنده من باب التصرف وما أكثر ما يستعمل هذا النوع بعض شعراء وقتنا المذكورين ويظن أنه قد أتى بشيء من غرائب التجنيس ٠٠ وأما قول دعبل فى امرأته سلمى

أحبك حباً لو تضمنه سلمى سميك ذاك الشاهق الراس

فقد جنس من غير ذكر جنس لان قوله ـ سميك ـ دال على مراده ٠٠ ومثله قول الآخر

ضيعتي مثل اسمها اا عام وداري مسترمه

أنشده الرماني ٠٠ وقال الآخر هو ابو تمام

اذ لا صدوق ولا كنود اسماهما كالمعنيين ولا النوار نوارا

المراد صدر البيت لاعجزه ٠٠ واذا دخل التجنيس نفيٌ عد طباقا وكذلك الطباق يصير بالنفي تجنيسا وسافرد لهما بابا ان شاء الله تعالي فيما بعدَ باب الترديد

﴿ تم الجزء الأول من كتاب العمدة ﴾

﴿ ويليه الجزء الثاني وأوله باب الترديد ﴾

الجزء الثاني من كتاب

العُمْدَة
في صِناعة الشِّعرِ ونَقدِه

تأليف

﴿ أبي على الحسن بن رشيق القيروانى ﴾

المتوفي سنة ٤٦٣

عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعسانى الحلبي

﴿ الطبعة الاولى ﴾

سنة ١٣٢٥ هـ — ١٩٠٧ م

على نفقة

« السيد محمد كامل النعسانى ومحمد عبد العزيز »

يطلب من محل محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه بمصر

(تنبيه) قوبلت هذه النسخة على ثلاث نسخ

« طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر — لصاحبها محمد اسماعيل »

بسم الله الرحمن الرحيم

باب الترديد

وهو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ثم يردها بعينها متعلقة بمعني آخر في البيت نفسه أو في قسيم منه وذلك نحو قول زهير

من يلق يوماً على علاته هرماً ... يلق السماحة منه والندي خلقا

فعلق يلق بهرم ثم علقها بالسماحة ‥ وكذلك قوله أيضاً

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... ولو رام أسباب السماء بسلم

فردد أسباب على ما بينت ‥ ولبعض الحجازيين

ومن لامني فيهم حبيب وصاحب ... فرد بغيظ صاحب وحميم

‥ وقال مجنون بني عامر

قضاها لغيري وابتلاني بحبها ... فهلاً بشيء غير ليلى ابتلانيا

‥ وقال أبو تمام

خفت دموعك في إثر القطين لدن ... خفت من الكثب القضبان والكثب

الترديد في خفت ولو جعلت الكثيب ترديداً لجاز ‥ وقال ابن المعتز

لو شئت لا شئت خليت السلو له ... وكان لا كان منكم في معافاتي

‥ وقال أيضاً في مثل ذلك

أتعذلني في يوسف وهو من ترى ... ويوسف أضناني ويوسف يوسف

ولبعضهم وأظنه الصنوبري

أنت عذرى اذا رأوك ولكن كيف عذري اذا رأوك تخون

الترديد في قوله اذا رأوك ٠٠ وقال أبو الطيب وأحسن ما شاء

أمير أمير عليه الندى جواد بخيل بان لايجودا

الترديد فى أول البيت وهـذا النوع في أشعار المحدثين أكثر منه فى أشعار القدماء جداً ٠٠ والعلماء بالشعر مجمعون علي تقديم أبى حية النميري وتسليم فضيلة هذا الباب اليه فى قوله

ألا حيِّ من أجل الحبيبِ المغانيا لبسن البلى مما لبسنَ اللياليا

اذا ما تقاضى المرء يوماً وليـلة تقاضاه شيءٌ لا يملُّ التقاضيا

والترديد الذى انفرد فيه بالاحسان عندهم قوله ـ لبسن البلى مما لبسن اللياليا ـ وكذلك قوله ـ اذا ما تقاضي المرء يوماً وليلة ـ ثم قال ـ تقاضاه شيء لايمل التقاضيا ـ لان الهاء كناية عن المرء وان اختلف اللفظ ٠٠ ويلحق بهذا قول أبى نواس

ـ لو مسها حجر مسته سرّاء ـ وقول الحسين بن الضحاك الخليع

لقد ملأت عينى بغرِّ محاسن ملأن فؤادى لوعة وهـموما

لقرب ما بين اللفظتين وكذلك قول الطائى

راحٌ اذا ما الراحُ كان مطيها كانت مطايا الشوقِ فى الاحشاء

ردد مطيها ومطايا الشوق ٠٠ وعلى هذا يحمل قول الجحاف بن حكيم وقيل العباس ابن مرداس

نعرض للسيوف بكل ثغر وجوهاً لا نعـرض للطام

وحمل قوم قول امرئ القيس ـ فثوباً لبست وثوباً أجر ـ على انه تكرار لا ترديد فيه وهذا هو الخطأ البين وأى ترديد يكون أحسن من هـذا وقد أفاد الثانى غير إفادة الأول حسب ما شرطوا ٠٠ ومثله قول بعض الاعراب فى مدح هارون الرشيد

جهيرُ الكلام جهيرُ العطاس جهيرُ الرواء جهير النغم

ومن أملح ماسمعته قول ابن العميد

فان كان مسخوطاً فقل شعر كاتب   وان كان مرضياً فقل شعر كاتب

وهو داخل عندي فى باب الترديد إذ كان قوله عند السخط ـشعر كاتبـ انما معناه التقصير به و بسط العذر له إذ ليس الشعر من صناعته كما حكي ابن النحاس انهم يقولون نحو كتابي اذا لم يكن مجوداً وقوله عند الرضي ـ شعر كاتبـ انما معناه التعظيم له وبلوغ النهاية فى الظرف والملاحة لمعرفة الكتاب باختيار الألفاظ وطرق البلاغات فقد ضاد وطابق في المعني وان كان اللفظ تجنيساً مردداً ٠٠وسمع أبو الطيب باستحسان هذا النوع فجعله نصب عينه حتى مقته وزهّد فيه ولو لم يكن إلاَّ بقوله

فقلقتُ بالهم الذى قلقلَ الحشا   قلاقل عيشٍ كلهن قلاقل

فهذه الألفاظ كما قال كلهن قلاقل ونحو ذلك قوله

أسدٌ فرائسها الأسودُ يقودُها   أسدٌ تكون له الأسودُ ثعالبا

فما أدرى كيف تخلص من هذه الغابة المملوءة أسوداً ولا أقول انه بيت شعر وأين يقع هذا من قول غيره

فصبحُ الوصالِ وليلُ الشباب   وصبحُ المشيبِ وليلُ الصدود

باب التصدير

وهو أن يرد أعجاز الكلام على صدوره فيدل بعضه على بعض و يسهل استخراج قوافي الشعر اذا كان كذلك وتقتضيها الصنعة و يكسب البيت الذى يكون فيه أُبهة ويكسوه رونقاً وديباجة و يزيده مائية وطلاوة وقد قسم هذا الباب عبد الله بن المعتز على ثلاثة أقسام٠٠ أحدها مايوافق آخر كلمة من البيت آخر كلمة من النصف الآخر نحو قول الشاعر

يلفي اذا ما الجيشُ كان عرمرما   فى جيشِ رأىٍ لا يفل عرمرم

٠٠الآخر ما يوافق آخر كلمة من البيت أول كلمة منه نحو قوله

سريعُ الى ابن العمِّ يشتم عرضهُ وليسَ الى داعى الندى بسريع

٠٠ والثالث ما وافق آخر كلمة من البيت بعض ما فيه كقول الآخر

عزيز بنى سُليم أقصدته سهامُ الموتِ وهي له سهام

والتصدير قريب من الترديد والفرق بينهما ان التصدير مخصوص بالقوافى ترد على الصدور فلا تجد تصديراً الا كذلك حيث وقع من كتب المؤلفين وان لم يذكروا فيه فرقاً والترديد يقع فى اضعاف البيت الا ما ناسب بيت ابن العميد المقدم٠٠ ومن أبيات التصدير قول زهير

كذلك خيمهم ولكلِ قوم اذا مستهم الضراءُ خيم

٠٠ وقال أيضاً في ذلك

له فى الذاهبين أرومُ صدق وكان لكلِ ذي حسبٍ أروم

٠٠ وقال أبو الأسود واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان الدئلى

وما كل ذى لب بمؤتيك نصحه وما كل مؤتٍ نصحه بلبيب

فهذا تصدير وان كان ظاهره في اللفظ ترديداً للعلة التى ذكرناها٠٠ ومن أناشيدهم فى التصدير قول طفيل الغنوى

محارمك أمنعها من القوم انني أرى جفنةً قد ضاع فيها المحارم

٠٠ وقال جرير وهم يستحسنونه جداً

سقى الرملَ جونٌ مستهلٌ ربابه وما ذاك الا حبُّ من حل بالرمل

٠٠ وقال عمرو بن أحمر

تغمرتُ منها بعد ما نفد الصبا ولم يروَ من ذى حاجة من تغمرا

ـ تغمرت ـ أى شربت من الغمر وهو قدح صغير جداً ضرب به مثلاً أى تعللت منها بالشئ القليل وذلك لا يبلغ ما فى نفسي منك من المراد٠٠ ومن التصدير نوع سماه عبد الكريم المضادة وأنشد للفرزدق

اصدر همومك لا يغلبك واردُها　　فكل واردةٍ يوماً لها صَدَرَ

وأنشد فى التصدير بيت طفيل المتقدم وبيت جرير وخص بيت الفرزدق بالمضادة دون أن يجعله تصديراً كما جعلهما أولا طباقاً كما يقال فى الاضداد اذا وقعت فى الشعر وقدرأيته فى إحدى النسخ مع أبيات المطابقة ويقاربه من كلام المحدثين قول ابن الرومى

ريحانها ذهبٌ على دررٍ　　وشرابهم دررٌ على ذهبِ

والكتّاب يسمون هذا النوع التبديل حكاه أبو جعفر النحاس .. ومن أناشيد ابن المعتز قول منصور بن الفرج فى ذكر الشيب

يابياضاً أذرى دموعىَ حتى　　عاد منها سوادُ عينى بياضا

وأنشد لأبى نواس وهو عندى بعيد من إحكام الصنعة التى يدخل بها فى هذا الباب على انه غاية فى ذاته لان أكثر العادة ان تعاد اللفظة بنفسها

دقت ورقت مذقةٌ من مائها　　والعيشُ بين رقيقتين رقيق

وأنشد لمسلم بن الوليد

تبسمُ عن مثل الاقاحِ تبسمت　　له مزنةٌ صيفيةٌ فتبسما

وهذا البيت أيضاً ترديد وأنشد للطائي

ولم يحفظ مضاعَ المجدِ شئٌ　　من الأشياء كالمالِ المضاع

فالمولدون أكثر عناية بهذه الأشياء وأشد طلباً لها من القدماء وهي فى أشعارهم أوجد كما قدمت آنفاً

باب المطابقة

المطابقة فى الكلام أن يأتلف في معناه مايضاد في فحواه (١) المطابقة عند جميع

(١) سقطت هذه الجملة من بعض النسخ وكأنها من منهيات المؤلف على حاشية نسخته فأدخلها بعض النساخ فى جملة الكتاب وسيأتي مثل هذا فى أبواب أخر

الناس جمعك بين الضدين فى الكلام أو بيت شعر الاقدامة ومن اتبعه فانهم يجعلون اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طباقا وقد تقدم الكلام في باب التجانس وسمى قدامة هذا النوع الذى هو المطابقة عندنا التكافؤ وليس بطباق عنده إلاَّ ما قدمت ذكره ولم يسم التكافؤ أحد غيره وغير النحاس من جميع من علمته •• قال الخليل ابن أحمد يقال طابقتُ بين الشيئين اذا جمعت بينهما على حذو واحد وألصقتهما •• وذكر الأصمعي المطابقة فى الشعر فقال أصلها وضع الرجل فى موضع اليد في مشى ذوات الأربع وأنشد لنابغة بنى جعدة

وخيلٍ يطابقنَ بالدارعين طباقَ الكلابِ يطأن الهراسا

ثم قال أحسن بيت قيل لزهير فى ذلك

ليثٌ بعثر يصطادُ الرجالُ اذا ما الليثُ كذَّب عن أقرانه صدقا

حكي ذلك ابن دريد عن أبي حاتم عنه •• وأما علي بن سليمان الأخفش فاختار قول ابن الزبير الاسدى

رمي الحدثان نسوةَ آل حرب بمقدار سمدْنَ له سمودا

فرد شعورَهن السودَ بيضاً وردوجوهَهُنَّ البيضَ سودا

وهذا من التبديل على مذاهب الكتاب واختار أيضاً قول طفيل الغنوى

بشاهم الوجهِ لم يقطع أباجله يصان وهوليوم الروع مبذول

حكاه الحاتمي عن أبي الفرج علي بن الحسن القرشى •• وقال الرمانى المطابقة مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان •• قال صاحب الكتاب هذا أحسن قول سمعته فى المطابقة من غيره وأجمعه لفائدة وهو مشتمل على أقوال الفريقين وقدامة جميعاً وأما قول الخليل اذا جمعت بينهما على حذو واحد وألصقتهما فهو مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان كما قال الرمانى يشهد بذلك قول لبيد

تعاورن الحديثَ وطبقنه كما طبقتَ بالنعلِ المثالا

ومنه طبقت المفصل أي أصبته فلم أزد فى العضو شيئاً ولم أنقص منه •• وكذلك قول

الاصمعي أصلها من وضع الرجل موضع اليد في مشى ذوات الأربع وهومساواة المقدار أيضاً لان من ذوات الأربع ما تجاوز رجله موضع يده ومنها ما يطابق كما قال خلقة وربما كان طباقها من ثقل تحمله أو شكيمة تمنعها أو شيء تتقيه على أنفسها ولذلك شبه النابغة الجعدي مشى الخيل إيوطء الكلاب الهراس وهوحطام الشوك فهي لا تضع أرجلها الاحيث رفعت منه أيديها طلباً للسلامة •• وأما قول قدامة في المطابق هو ما اشترك في لفظة واحدة بعينها فانه أيضاً مساواة لفظ للفظ وهي أعنى المساواة على رأي الخليل والاصمعي مساواة معنى لمعنى وقد يكون المراد أيضاً مطابقة اللفظ للمعنى أى موافقته ألا ترى أنهم يقولون فلان يطابق فلاناً علي كذا اذا وافقه عليه وساعده فيه فيكون مذهب قدامة أن اللفظة وافقت معنى ثم وافقت بعينها معنى آخر ويصح هذا أيضاً في قول الخليل في الطباق أنه جمعك بين الشيئين علي حذو واحد فيكون الشيئان للمعنيين والحذو الواحد اللفظة ••ومن مليح ما رأيته في المطابقة قول كثير بن عبد الرحمن يصف عيناً

وعن نجلاءَ تدمعُ في بياض اذا دمعتْ وتنظرُ في سواد

•• وقال أيضاً

ووالله ما قاربتُ الاَّ تباعدت بصرمٍ ولا أكثرتُ الاَّ أقلت

•• وقال ابن المعتز ويروي لابن المعذل

هوايَ هوىً باطنٌ ظاهر قديم حديثٌ لطيفٌ جليل

ولبعض الاعراب

أمؤثرة الرجالِ علىَّ ليلى ولم أوثر علي ليلي النساء

وقال اعرابى الدراهم مياسم تسم حمداً أو ذماً فمن حبسها كان لها ومن أنفقها كانت له ونظم الشاعر هذا الكلام فقال

أنتَ للمالِ اذا أمسكته فاذا أنفقته فالمالُ لكْ

ومن الطباق الحسن قول اعرابى خرجنا حفاة حين انتعل كل شيء ظله وما زادنا الا التوكل ومامطايانا الاَّ الأرجل حتى لحقنا بالقوم ••وقال آخر لصاحبه ان بسار النفس أفضل

من يسار المال فان لم ترزق غنى فلا تحرم تقوى فرب شبعان من النعم غرثان من الكرم واعلم أن المؤمن علي خير ترحب به الأرض وتستبشر به السماء ولن يساء اليه فى بطنها وقد أحسن علي ظهرها ·· ولربيعة بن مقروم الضبي

فدعوا نزالِ فكنتُ أولَ نازلٍ ... وعلامَ أركبه اذا لم أنزلِ

ومن أفضل كلام البشر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات فو الذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ومابعد الدنيا دار الاَّ الجنة أوالنار فهذا هو المعجز الذى لا تكلف فيه ولا مطمع في الاتيان بمثله· وقال الله عز من قائل ﴿ وما يستوى الأعمي والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ومايستوي الأحياء ولا الأموات ﴾ وعد ابن المعتز من المطابقة قول الله عز وجل ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ لان معناه القتل أنفى للقتل فصار القتل سبب الحياة وهذا من أملح الطباق وأخفاه ·· ومما استغرب به الجرجانى من الطباق واستاطفه قول الطائى

مهي الوحشِ الاأن هاتا أوانسٌ ... قنا الخطِّ الا أن تلك ذوابل

لمطابقته بهاتا وتلك واحداهما للحاضر والأخرى للغائب فكانتا فى المعنى نقيضتين وبمنزلة الضدين هذا قوله وليس عندى بمحقق انما احداهما للقريب والأخرى للبعيد المشار اليه ولكن الرجل أراد التخلص فزل في العبارة· ومثل هذا عندى فى بابه قول أبى الطيب يذكر خيل العدو الزاحف للحرب

ضربن الينا بالسياطِ جهالةً ... فلما تعارفنا ضربنَ بها عنا

فقوله ـ ضربن الينا ـ مجيءُ اقدام وقوله ـ ضربن بها عنا ـ ذهاب فرار وهما ضدان ·· ومن أنواع الطباق قول هدبة بن خشرم

فان تقتلونا فى الحديدِ فاننا ... قتلنا أخاكم مطلقاً لم يكبلِ

فقوله ـ فى الحديد ـ ضد قوله ـ مطلقاً لم يكبل ـ وان لم يأت على متعارف المضادة وكذلك قوله

فان يكُ أنفي زالَ عنى جماله ... فما حسبي فى الصالحين بأجدعا

كأنه قال وان يك أنني أجدع فما حسبي بأجدع قال الجرجاني وقد يخلط من يقصر علمه ويسوء تمييزه بالمطابق ما ليس منه كقول كعب بن سعد الغنوى يرثى أخاه

لقد كان أما حلمه فمروحٌ   علينا واما جهله فغريبُ

لما رأى الحلم والجهل ووجد مروحاً وغريباً جعلهما في هذه الجملة ولو ألحقنا ذلك بهما لوجب أن يلحق أكثر أصناف التقسيم ولا تسع الخرق فيه حتى يستغرق أكثر الكلام قال صاحب الكتاب معنى قوله فيما أنكر أن البيت انما حقه أن يكون في باب المقابلة لمقابلة الشاعر فيه كلمتين بكلمتين تقربان من مضادتهما وليستا بضدين على الحقيقة ولو كانتا ضدين لم يكن ما زاد على لفظتين متضادتين أو مستخفتين الا مقابلة فان لم يكن بين الألفاظ مناسبة البتة الا الوزن سمي موازنة وسأذكره في باب المقابلة ان شاء الله هكذا جرت العادة فى هذه التسمية. وأما قولنا ان الكلمتين غير متفاوتتين فظاهر لان الحلم ليس ضده فى الحقيقة الجهل وانما ضده السفه والطيش وضد الجهل العلم والمعرفة وما شاكلهما وكذلك المروح ليس ضده الغريب وانما ضده المغدو به أو المبكر به وما أشبههما ولما ثقل وزن المروح من هاتين اللفظتين وقل استعماله تسمحت فيهما وأما الغريب فهو البعيد والغائب ولا مضادة بينه وبين المروح الا بعيدة كأنه يقول ان هذا يأتى لوقته وذلك بعيد خفي لا يأتى ولا يعرف على أنا نجد أبا تمام إمام الصنعة قد قال

ولقد سلوتُ لو أن داراً لم تلحْ   وحلمتُ لو أن الهوى لم يجهلِ

.. وقال زهير وزعموا أنه لأوس بن حجر

اذا أنتَ لم تعرضْ عن الجهلِ والخنا   أصبتَ حليماً أو أصابك جاهلُ

لما وجده خلافاً له طابق بينهما كما يفعل بالضد وان كان الخلاف مقصراً عن رتبة الضد فى المباعدة والناس متفقون على أن جميع المخلوقات مخالف وموافق ومضاد فمتى وقع الخلاف فى باب المطابقة فانما هو على معنى المسامحة وطرح الكلفة والمشقة وأنشد غير واحد من العلماء لحسين بن مطير

بسودٍ نواصيها وحمرٍ أكفها   وصفرٍ تراقيها وبيضٍ خدودها

ورواه ابن الاعرابى فى نسق أبيات

بصفر تراقيها وحمر أكفها وسود نواصيها وبيض خدودها

وهذه الرواية أدخل في الصنعة وقال الرماني وغيره السواد والبياض ضدان وسائر الألوان يضاد كل واحد منها صاحبه الا أن البياض هو ضد السواد على الحقيقة اذ كان كل واحد منهما كلما قوي زاد بعداً من صاحبه وما بينهما من الألوان كلما قوي زاد قرباً من السواد فان ضعف زاد قرباً من البياض وأيضاً فلأن البياض منصبغ لا يصبغ والسواد صابغ لامنصبغ وليس سائر الألوان كذلك لانها كلها تصبغ وتنصبغ انقضى كلامهم وهو بين ظاهر لا يخفى علي أحد وانما أوردته ابطالا لزعم من زعم أن أفضل مطابقة وقعت قول عمرو بن كلثوم

بأنا نوردُ الراياتِ بيضاً ونصدرهنَّ حمراً قد روينا

ومن أخف الطباق روحاً وأقله كلفة وأرسخه في السمع وأعلقه في القلب قول السيد أبي الحسن في قصيدة

ألا ليت أياماً مضى لى نعيمُها تكرُّ علينا بالوصالِ فتنعم

وصفراء تحكي الشمسَ من عهد قيصر يتوقُ اليها كلُّ من يتكرم

اذا مزجت في الكاس خلت لآلئاً تنثر في حافاتها وتنظم

جمعنا بها الاشتات من كل لذة على أنه لم يغش في ذاك محرم

فطابق بين تنثر وتنظم و بين جمعنا والاشتات أسهل طباق وألطفه من غير تعمل ولا استكراه وأتى فى البيت الأول من قوله مضي وتكر بأخفى مطابقة وأظرف صنعة على مذهب من انتحله ٠٠ ومما يغلط فيه الناس كثيراً فى هذا الباب الجمال والقبح كقول بعض المحدثين

وجهه غايةُ الجمالِ ولكن فعله غايةٌ لكلِّ قبيح

وليس ضده وانما ضده الدمامة والقبح ضده الحسن ٠٠ وقال الصولى أبو بكر يصف قلما

ناحل الجسم ليس يعرف مذ كا ن نعيما وليس يعرفُ ضراً

وليس بينهما مضادة وانما ضد النعيم البؤس فأما قول أبي الطيب

فالسلم تكسرُ من جناحيْ ماله　　بنـواله ما تجـبرُ الهيجاءُ

فانه داخل فى الطباق المحض لان المراد بالهيجاء الحرب وهى اسم من أسمائها فكأنه قال الحرب فأتي بضد السلم حقيقة

باب مااختلط فيه التجنيس بالمطابقة

من ذلك أن يقع في الـكلام شيء مما يستعمل للضدين كقولهم جلل بمعنى صغير وجلل بمعنى عظيم فان باطنه مطابقـة وان كان ظاهره تجنيساً وكذلك الجون الأبيض والجون الاسود وما أشبه ذلك وكذلك ان دخل النفى كما قدمت .. قال البحترى

يقيض لى من حيث لاأعلمُ الهوى　　ويسرى الى الشوقُ من حيث أعلم

فهذا مجانس في ظاهره وهو فى باطنه مطابق لان قوله ـ لا أعلم ـ كقوله أجهل ومثل ذلك قول الآخر

لعمري لئن طال الفضيلُ بنُ ربسم　　مع الظل ما ان رأيه بطويل

كأنه قال ان رأيه قصير وقد جاء فى القرآن ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ فأما قول الفرزدق

لعمرى لان قلّ الحصى فى عديدِكم　　بني نهشلٍ ما لؤمكم بقليل

ظاهره تجنيس بالقلة و باطنه تطبيق بالكثرة اذ كان معنى ـ قلّ الحصى فى عديدكم ـ انكم كثير ومعنى ـ ما لؤمكم بقليل ـ انه كثير أيضاً فخالف الأول وقد قال جلهمة بن أد بن مالك وهو طيء لولده في وصية ولا تكونوا كالجراد أكل ماوجد وأكله ماوجده فهذا مجانس الظاهر مطابق الباطن ومما أنشده ثعلب

أبى حبي سليمى أن يبيدا　　وأمسى حبلُها خلقاً جديداً

الجديد ههنا المجدود وهو المقطوع مثل قتيل وهزيل بمعنى مقتول كأنه قال مجدوداً أى مقطوعاً فليس بمطابق وان كان كذلك فى الظاهر عنـد من لا يميز فأما المميز فيعلم أنه

لايكون خلقاً جديداً فى حال وقال العتابى يعاتب المأمون وقد حجب عنه وكان به حفياً

تضربُ الناسَ بالمهندةِ البيــضِ على غدرهم وتنسى الوفاءَ

فأتى بالغدر والوفاء جميعا وهما ضدان فطابق بينهما فى الظاهر و باطن كلامه مجانس لان قوله ـ وتنسى الوفاء ـ كقوله تغدر •• وقال جرير أيضا

• اتصحو أم فؤادك غير صاح •

فقوله ـ غير صاح ـ نقيض أتصحو لولا أنه استفهام لم تعلم حقيقة محصوله بعد الا على مذهب من جعل أم بمعنى بل فكأنه قال لنفسه بل فؤادك غير صاح فناقض الصحو ودخل كلامه في المطابقة •• وقال قيس بن الخطيم و يروي لعدى

وانى لأغنى الناسِ عن متكلفٍ يرى الناسَ ضلالا وليس بمهتدى

كأنه قال وهو ضال فجانس فى الباطن وان كان قد طابق فى الظاهر •• ومن هذا الباب قولك فاعل ومفعول نحو خالق ومخلوق وطالب ومطلوب هما ضدان في المعنى وان تجانسا فى اللفظ وكذلك ما كان اسم الفاعل منه مفعول والمفعول مفعل نحو مكرم ومكرم ومعطي ومعطى وما جرى هذا المجرى أو زاد عليه في البناء وأما قولك قضيت واقتضيت فظاهره تجنيس وباطنه طباق الا أنه طباق غير محض وكذلك قولك أخذت وأعطيت لان الأخذ ضده الترك والاعطاء ضده المنع فهذا مما يظنه من لا يحسن طباقا وليس كما ظن ولكنه كثير جداً فى الكلام واستعمله الناس كما تقدم من قولنا فى الحلم والجهل والجمال والقبح •• ومما ظاهره تجنيس و باطنه طباق الوعد والوعيد كما قال الشاعر

وانى وان أوعدته أو وعدته لمخلفُ إيعادى ومنجز موعدي

وأول ما يعتد به فى هذا الباب قول امرئ القيس

فان تدفنوا الداءَ لا نخفه وان تبعثوا الحربَ لا نقعدُ

ويروى ـ فان تكتموا الداء لا نخفه ـ وقوله لا نخفه أي لا نبده من قوله تعالى ﴿ أكاد أخفيها ﴾ فكأن الشاعر قال ان تدفنوا الداء ندعه دفيناً أو قال ان تكتموا الداء نكتمه وكذلك قوله ـ لا نقعد ـ كانه قال ان تبعثوا الحرب نبعثها ومن كلام السيد أبى الحسن

واعلم أن المجد شيء مخلد وان الفتى والمال غير مخلد

والبيت من قصيدة شريفة أولها

صحا القلب عن سعدى وعن أم مسعد ولم يشجني نوح الحمام المغرد

باب المقابلة

المقابلة مواجهة اللفظ بما يستحقه فى الحكم هذا حد ما اتضح عندي(١) المقابلة بين التقسيم والطباق وهي تتصرف فى أنواع كثيرة وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب فيعطي أول الكلام ما يليق به أولا وآخره ما يليق به آخراً ويأتى فى الموافق بما يوافقه وفى المخالف بما يخالفه ٠٠ وأكثر ما تجيء المقابلة فى الاضداد فاذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة مثال ذلك ما أنشده قدامة لبعض الشعراء وهو

فيا عجباً كيف اتفقنا فناصح وفي ومطوي على الغل غادر

فقابل بين النصح والوفاء بالغل والغدر وهكذا يجب أن تكون المقابلة الصحيحة لكن قدامة لم يبال بالتقديم والتأخير فى هذا الباب وأنشد للطرماح

أسرناهم وأنعمنا عليهم وأسقينا دماءهم الترابا

فما صبروا لبأس عند حرب ولا أدوا لحسن يد ثوابا

فقدم ذكر الانعام على المأسورين وأخر ذكر القتل في البيت الأول وأتى في البيت الثانى فعكس الترتيب وذلك أنه قدم ذكر الصبر عند بأس الحرب وأخر ذكر الثواب على حسن اليد اللهم الا أن يريد بقوله ـ فما صبروا لبأس عند حرب ـ القوم المأسورين ان لم يقاتلوا حتى يقتلوا دون الأسر واعطاء اليد فان المقابلة حينئذ تصح وتترتب على ما شرطنا وهذه عندهم تسمى مقابلة الاستحقاق ويقرب منها قول أبي الطيب

* وفعله ما تريد الكف والقدم * لان الكف من اليد بمنزلة القدم من الرجل فبينهما

(١) ليس لهذه الجملة اثر فى بعض نسخ الكتاب

مناسبة وليست مضادة ولو طلبت المضادة لكان الرأس أو الناصية أولى كما قال تعالى ﴿ فيؤخذ بالنواصى والأقدام ﴾ ومن أناشيد المقابلة قول النابغة الجعدي

فتى تم فيه ما يسرُّ صديقه　　على أن فيه ما يسوء الأعاديا

فقابل يسر بيسوء وصديقه بالأعادي وهذا جيد ولو كان كل مقابل على وزن مقابله فى هذا البيت والبيت الذى أنشده قدامة أولا لكان أجود ٠٠ وقال عمرو بن معدى كرب الزبيدي

ويبقى بعدَ حلم القوم حلمي　　ويفنى قبل زادِ القومِ زادى

فقال ـ يبقى بعد ـ ثم قال ـ يفنى قبل ـ فهذا كما أردنا ٠٠ وقال الفرزدق

وانا لنمضى بالأكفِّ رماحنا　　اذا أرعشت أيديكم بالمعالِق

سأل أبو جعفر المنصور أبا دلامة فقال أي بيت قالتـه العرب أشعر قال بيت يلعب به الصبيان قال وما هو على ذلك ٠٠ قال قول الشاعر

ماأحسنَ الدينَ والدنيا اذا اجتمعا　　وأقبحَ الكفرَ والأفلاسَ بالرجل

٠٠ وقال يزيد بن محمد المهلبى يقوله لسليمان بن وهب

فمن كان للآثامِ والذلِّ أرضه　　فأرضكم للأجرِ والعزِّ معقـل

٠٠ وقال في التغزل

ان تغيبى عـنى فسقياً ورعيا　　أو تحلى فينا فأهلاً وسـهلا

والمعجز قول الله تعالى ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ولتبتغوا من فضله ﴾ فقابل الليل بالسكون والنهار بابتغاء الفضل وجعل بعض المفسرين الليـل والنهار بمعنى الزمان والأول أعجب الى وقال تعالى ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴾ ومن جيد المقابلة قول بكر بن النطاح الحنفى

أذكي وأوقد للعداوةِ والقرى　　نارين نار وغى ونار زناد

وكذلك قوله

لباسي حسامٌ أو ازارٌ معصفر　　　ودرعٌ حديدٌ أو قميصٌ محلق

الا أنه لو كان الازار رداء كان أجود لاسيما والسيف يسمى رداء ولكنا هكذا رويناه ..ومن خفي المقابلة والقسمة قول العباس بن الأحنف وأحسن ماشاء

اليومُ مثلُ الحول حتى أرى　　　وجهك والساعةُ كالشهر

وهذا مليح لأن الساعة من اليوم كالشهر من الحول جزء من اثني عشر .. وقال محمد ابن احمد العلوى

لا تؤخرْ عني الجوابَ فيومي　　　مثلُ دهرٍ وساعتي مثلُ شهر

فلم يصنع شيئاً وكان يمكنه أن يجعل مكان دهرٍ حولا فتكون قسمة مستوية ولكنا هكذا رويناه ..ومن جيد ما وقع في المنثور من المقابلة قول بعض الكتاب فان أهل الرأي والنصح لا يساويهم ذو الأفن والغش وليس من يجمع الى الكفاية الأمانة كمن أضاف الى العجز الخيانة ومن كلام ابراهيم بن هلال الصابي وأعد لمحسنهم جنة وثوابا ولمسيئهم ناراً وعقابا .. وقال أبو الفتح محمود بن حسين كشاجم

تريك الحسنَ والاحسانَ وقفا　　　اذا برزتْ لنا واذا تغيب

ومما عابه الجرجاني علي ابن المعتز قوله

بياضٌ في جوانبه احمرارٌ　　　كما حمرت من الخجلِ الخدود

لأن الخدود متوسطة وليست جوانب فهذا من سوء المقابلة وان عده الجرجاني غلطاً في التشبيه وانما العلة في كونه غلطاً ماذكرناه .. ومن المأخوذ المعيب عندي قول الكميت يخاطب قضاعة

رأيتكم من مالكٍ وادعائه　　　كرائمة الأولادِ من عدمِ النسل

فوقع تشبيه على الادعاء والرئمان خاصة لاعلى صحة المقابلة في الشبهين لان هؤلاء فيما زعم يدعون أبا والرائمة تدعي ولداً وهما ضدان والصواب قول الآخر يهجو كاتباً .. أنشده الجاحظ

حمارٌ في الكتابةِ يدعيها　　　كدعوى آلِ حربٍ في زياد

.. وقال أبونواس

أري الفضل للدنيا وللدين جامعاً كما السهمُ فيه الفُوق والريشُ والنصل

فزاد فى المقابلة قسما لأنه قابل اثنين بثلاثة .. وكذلك قول أبي قيس بن الأسلت

الحزم والقوة خير من الا إدهان والفكة والهاع

فقابل الحزم بالادهان والقوة بالفكة وهي الضعف ويروى الفهة - وهى العى وزاد الهاع وهو الجبن والخفة .. ومما سقط فيه عبد الكريم من جهة المقابلة وان كان تمثيلا وتشبيهاً قوله يمدح نزار بن معد صاحب مصر

الى ملك بين الملوك وبينه مسافةُ مابين الكواكب والترب

لانه لما أتى بالملوك أولا وبضمير الممدوح وهوالهاء التي في بينه بعد ذلك ثم أتى بالكواكب وهي جماعة تقابل الملوك وبالترب وهو واحد يقابل الضمير باتحاده أوجب له بهذا الترتيب أن يكون هو الترب وتكون الملوك هم الكواكب ولم يرد الاَّ أن يجعله موضع الكواكب ويجعلهم موضع الترب ولكن حكم عليه ما حكم على ابن المعتز الذى اليه انتهى التشبيه وسر صناعة الشعر .. ويدلك على صحة ما طلبته به قول امرئ القيس ابن حجر

كأن قلوبَ الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنابُ والحشف البالى

قابل الرطب أولا بالعناب مقدماً وقابل اليابس ثانياً بالحشف تالياً .. وكذلك قول الطرماح

يبدو وتضمره البلاد كأنه سيف على شرف يسل ويغمد

فقابل يبدو بيسل وقابل تضمره البلاد بيغمد على ترتيب وكذلك كان يجب لهؤلاء أن يصنعوا والا كانوا مخطئين أو مقصرين .. ومن المقابلة ماليس مخالفاً ولا موافقاً كما شرطوا الاَّ في الوزن والازدواج فقط فيسمى حينئذ موازنة نحو قول النابغة

أخلاق مجد تجلت ما لها خطر فى الناس والجودُ بين الحلم والخفر

وعلى هذا الشعر حشا النعمان بن المنذر فم النابغة دراً .. وينضاف الى هذا النوع قول أبي الطيب

نصيبك فى حياتك من حبيب   نصيبك فى منامك من خيال

فوازن قوله في حياتك بقوله في منامك وليس بضده ولاموافقه وكذلك صنع في الموازنة بين حبيب وخيال وان اختلف حرف اللين فيهما فان تقطيعه فى العروض واحد ٠٠ فأما قول أبي تمام

فكنت لناشيهم أباً ولكهلهم   أخاً ولذى التقويس والكبرة ابنما

فانه من أحكم المقابلة وأعدل القسمة ٠٠ وقد بينت في أول هذا الباب أن المقابلة بين التقسيم والطباق فكلما توفر حظها منهما كانت أفضل ٠٠ ومن أملح ما رويناه فى الموازنة وتعديل الاقسام مما يجب أن نختم به هذا الباب قول ذى الرمة

استحدثَ الركبُ عن أشياعهم خبراً   أم راجع القلبَ من أطرابه طربُ

لأن قوله ـ استحدث الركب ـ موازن لقوله ـ أم راجع القلب ـ وقوله ـ عن أشياعهم خبراً ـ موازن لقوله ـ من أطرابه طرب ـ وكذلك الركب موازن للقلب وعن موازن لمن وأشياعهم موازن لاطرابه وخبراً موازن لطرب ٠٠ وقال السيد أبو الحسن فى هذا النوع

لكفاك أندي من غيوم سواجم   وعزمك أمضى من حُسام مهند

فكل لفظة من هذا التقسيم الأول موازنة لاختها من القسم الآخر موازنة عدل وتحقيق

باب التقسيم

اختلف الناس فى التقسيم فبعضهم يرى أنه استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ به كقول بشار يصف هزيمة

بضرب يذوق الموتَ من ذاق طعمه   ويدرك من نجي الفرارُ مثالبه

فراح فريقٌ في الأسارى ومثله   قتيل ومثلٌ لاذ بالبحر هاربه

فالبيت الأول قسمان اما موت واما حياة تورث عاراً ومثلبة والبيت الثانى ثلاثة أقسام

أسير وقتيل وهارب فاستقصى جميع الاقسام ولا يوجد في ذكر الهزيمة زيادة على ما ذكر .. ومثل ذلك قول عمرو بن الأهتم الا أنه أكثر ايجازاً

اشربا ما شربتما فهذيل من قتيل وهارب وأسير

فجمع الوجوه كلها فى مصراع واحد .. ومن التقسيم الجيد قول نصيب

فقال فريق القوم لاوفريقهم نعم وفريق قال ويحك ما ندرى

فلم يبق جواب سائل الا أتى به فاستوفى جميع الأقسام وزعم قوم أنه أفضل بيت وقع فيه تقسيم .. ومن أناشيد قدامة فى هذا الباب قول الشماخ يصف حمار وحش

متى ما تقع أرساغه مطمئنة على حجر يرفض أو يتدحرج

فلم يبق الشماخ قسما ثالثاً الا أن يقول يغوص فى الأرض وذلك لا يلزم من جهة أن الحافر عند الجري وسرعة المشي يقذف الحجر الى وراء الا أنه لو أتى به لكان حسناً من أجل قوله مطمئنة .. ومن أشرف المنثور فى هذا الباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل لك يا بن آدم من مالك الاما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت فلم يبق عليه الصلاة والسلام قسما رابعاً لو طلب يوجد .. وقال نافع بن خليفة يابني اتقوا الله بطاعته واتقوا السلطان بحقه واتقوا الناس بالمعروف فقال رجل منهم مابقى شئ من أمر الدين والدنيا الا وقد أمرتنا به .. وقال أعرابى اذا كان الرأي عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه ضاعت الأمور وكان ثابت البنانى يقول الحمد لله وأستغفر الله فسئل لم خصهما فقال لانى بين نعمة وذنب فأحمد الله على النعمة وأستغفره من الذنوب .. ووقف اعرابى على حلقة الحسن البصرى فقال رحم الله من تصدق من فضل أو واسى من كفاف أو آثر من قوت فقال الحسن ماترك البدوي منكم أحداً الا وقدسأله .. ثم نعود الى الشعر قال عمر بن أبى ربيعة المخزومى

وهبها كشئ لم يكن أو كنازح به الدار أم من غيبته المقابر

فلم يبق مما يعبر به عن انسان مفقود قسما الا أتى به فى هذا البيت .. وقال آخر وأحسبه أبا دهبل الجمحي أو طريحاً

لو قلت للسيل دع طريقك والمو ج عليه كالهضب يعتلج

لارتد أوساخ أو لكان له في سائر الارض عنك منعرج

ولا يدع السيل طريقه الا باحد هذه الاشياء .. وقال أبو العتاهية

وعليَّ من كافى بكم قيد وجامعة وغلُّ

فأتى على جميع مايتخذ للمأسور أو المجنون ولم يبق قسما .. هذا وأمثاله مما قدمت هو الجيد من التقسيم وأما ما كان فى بيتين أو ثلاثة فغير عاجز عنه كثير من الناس .. وزعم الحاتمى أن أصح تقسيم وقع لشاعر قول الأشعر الجعفي يصف فرساً

أما اذا استقبلته فكأنه باز يكفكف أن يطير وقد رأى

أما اذا استدبرته فتسوقهُ ساقٌ قموص الوقع عارية النسا

أما اذا استعرضته متمطراً فتقول هذا مثل سرحان الغضي

واختاره أيضاً قدامة وليس عندى بأفضل من قول امرئ القيس الا بشرف الصفات

اذا أقبلت قلت دبَّاءة من الخضر مغموسة في الغدُر

وان أدبرت قلت أثفيَّة ململمة ليس فيها أثر

وان أعرضت قلت سرعوفة لها ذنب خلفها مسبطر

ولو لم يكن الا تنسيق هذا الكلام بعضه على بعض وانقطاع ذلك بعضه من بعض .. وقد صنعت على ضعف متنى وتأخر وقتى

اذا أقبلت أقعت وان أدبرت كبت وتعرض طولاً فى العنان فتستوي

وكلفت حاجاتى شبيهة طائر اذا انتشرت ظلت لها الأرض تنطوي

.. ومن التقسيم نوع هو هذا الأول الا أن فيه زيادةُ تدريجاً وترتيباً فصعب لذلك على متعاطيه وقل جداً .. فأحسنه قول زهير بن أبى سلمي

يطعنهم ما ارتموا حتى اذا طعنوا ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا

فأتى بجميع ما استعمل فى وقت الهياج وزاد ممدوحه رتبة وتقدم به خطوة على أقرانه ولا

أرى فى التقسيم عديل هذا البيت ويليه فى بابه قول عنترة

إن يلحقوا أكرر وان يستلحموا   أشدد وأن يلفوا بضنك أنزل

- ويروى- وان يقفوا ٠٠ومما ينضاف اليهما قول طريح بن اسماعيل الثقفي

إن يسمعوا الخير يخفوه وان سمعوا   شراً اذا عوا وان لم يسمعوا كذبوا

٠٠ وقال الحصين بن الحمام

دفعنا كمُ بالحلم حتى بطرتموا   وبالكف حتى كان رفع الأصابع

فلما رأينا جهلكم غيرَ منتهٍ   وماقدمضي من حلمكم غير راجع

مسسنا من الآباء شيئاً وكلنا   الى حسب فى قومه غير واضع

فلما بلغنا الأمهات وجدتم   بنى عمكم كانوا كرام المضاجع

كأنه يقول نحن أكرم منكم أمهات فهذا هو التدريج فى الشعر ٠٠ و بعضهم في التقسيم على خلاف ما قدمت زعم أبو العيناء أن خير تقسيم قيل قول ابن أبي ربيعة

تهيم الى نعمٍ فلا الشمل جامع   ولا الحبل موصول ولا أنت مقصر

ولا قربُ نعم إن دنت منك نافع   ولا نأيها يسلي ولا أنت تصبر

٠٠ واختار قوم آخرون قول الحاركي

فلا كمدي يفنى ولا لك رقة   ولا عنك إقصار ولا فيك مطمع

٠٠ وزعم الفرزدق أن أكمل بيت قالته العرب أو قال أجمع بيت قول امرئ القيس

له ايطلا ظبي وساقا نعامة   وأرخاء سرحان وتقريب تتفل

٠٠وقال الأعشى يصف فرساً   سلس مقلده أسـ   يل خده مرح جنابه

٠٠ وقال عمرو بن شاس

مدمجٌ سابغُ الضلوع طويل الـ   شخص عبل الشوى ممرٌ الأعالى

٠٠ وقال أبودؤاد الايادى

بعيدمدى الطرف خاطى البضع   ممر المطا سمهري القصب

هذا وما قبله يسمى جمع الاوصاف وسماه بعض الحذاق من أهل الصناعة التعقيب العين قبل القاف وأما التعتيب فمكروه في الكلام ٠٠ وكان محمد بن موسى المنجم يحب التقسيم في الشعر وكان معجباً بقول العباس بن الأحنف

وصالكم صرم وحبكم قلي ... وعطفكم صدٌّ وسلمكم حرب

ويقول أحسن والله فيما قسم حين جعل كل شيء ضده والله ان هذا التقسيم لاحسن من تقسيمات اقليدس حكي ذلك الصولى ٠٠ ومن مليح التقسيم قول داود بن مسلم

في باعه طول وفي وجهه ... نور وفي العرنين منه شمم

فوصف بعض أحواله وقسمها كما فعل الأولون ٠٠ ومن أنواع التقسيم التقطيع أنشد الجرجاني للنابغة الذبياني

ولله عينا من رأى أهل قبة ... أضرَّ لمن عادى وأكثر نافعا

وأعظمَ أحلاماً وأكبرَ سيداً ... وأفضل مشفوع اليه وشافعا

٠٠ وسماه قوم منهم عبدالكريم التفصيل وأنشد في ذلك

بيض مفارقنا تغلى مراجلنا ... نأسوا بأموالنا آثار أيدينا

٠٠ وقال البحتري

قف مشوقاً أو مسعداً أو حزينا ... أو معيناً أو عاذراً أو عذولا

فقطع وفصل كما تراه ٠٠ وقال أبو الطيب

فيا شوقُ ما أبقي ويالي من النوى ... ويادمع ما أجرى وياقلب ما أصبا

ففصل كما فعل أصحابه وجاءه على تقطيع الوزن كل لفظتين ربع بيت ٠٠ وقال أيضاً

للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا ... والنهب ما جمعوا والنار مازرعوا

واذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعاً أو شبيها بالمسجوع فذلك هو الترصيع عند قدامة وقد فضله وأطنب في وصفه إطناباً عظيماً ٠٠ وأنشد أبيات ابى المثلم يرثى صخر الغي

لو كان للدهر مال عند متلده ... لكان للدهر صخر مال قنيان

آبى الهضيمة ناب بالعظيمة مت ... لاف الكريمة لاسقط ولاوان

حامى الحقيقة نسّال الوريقة معتـــاق الوسيقة جلد غـير ثنيان
رباء مرقبـة منّـاع مغلبـة ركاب سهلبـة قطاع أقران
هبـاط أودية حمـال ألوية شهاد أندية سرحان فتيان
يعطيك، الا نكاد النفس تسلمه من التلاد وهوب غير منان

والقدماء من هذا النوع الا أنهم لا يكثرون منـه كراهة التكلف .. قال أبو دؤاد يصف فرسا وقيل بل رجل من الانصار

فالعين قادحة والرجل ضارحة واليد سائحة واللون غربيب
والشـد منهمر والماء منحدر والقصب مضطمر والمتن ملحوب

.. وقال الكميت بن زيد فى ذلك

كالنـاطقات الصادقا ت الواسقات من الذخائر

والى هذا ذهب أبو الطيب بقوله

الناعمـات القـاتلات المحيا ت المبديات من الدلال غرائبا

.. وقال توبة بن الحمير وفيه التقسيم والترصيع

لطيفات أقدام نبيلات أسوق لفيفات أفخاذ دقاق خصورها

.. وقال مسلم بن الوليد صريع الغوانى

كأنه قمـر أو ضـيغم هصر أو حية ذكر أو عارض هطل

.. وقال أيضاً

يورى بزندك أو يسعى بجدك أو يفري بحدك كلٌّ غـير محدود

..ومن كلام أبى تمام وكان يجيد باب التصنيع

تجلى به رشدى وأثرت به يدي وفاض به ثمدي وأورى به زندى

وقال أيضاً وأحسن ما شاء

تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتقب فى الله مرتغب

وقال أيضاً فى غير هذا النمط

عن ثامرٍ ضافٍ ونبتٍ قرارةٍ ... وافٍ ونور كالمراجل خافى

-المراجل- ثياب .. وقال كشاجم

هلال فى اضاءته ٭ حياء فى سماحته ٭ شهاب فى اتقاده

ومن جيد ما للمحدثين قول ديك الجن

حر الإهاب وسيمه ٭ بر الإياب كريمه ٭ محض النصاب صميما

فأ كثر البيت ترصيع كيف ما أردته .. وكان المذهب الأول وهو المحمود أن يؤتى ببيت من هذا أو بعض بيت كما قال امرؤ القيس

وأوتاده ماذية وعماده ... ردينية فيها أسنة قعضب

وكما قال امرؤ القيس

كحلاء فى برج صفراء فى نعج ... كأنها فضة قد مسها ذهب

وأما ما هو شبيه بالمسجوع فقول امرئ القيس

فتور القيام قطوع الكلام ... تفتر عن ذى غروب أشر

وقوله ٭ ألص الضروس حنى الضلوع ٭ فجاء فتور فى وزن قطوع وكذلك الضروس والضلوع وألص وحنى ثم أدخل المولدون فى هذا الباب أشياء عدوها تقطيعاً وتقسيما وذلك نحو قول أبي العميثل الاعرابى

فاصدق وعف وجد وأنصف واحتمل ... واصفح ودار وكاف واحلم واشجع

والطف ولن وتأن وارفق واتئد ... واحزم وجد وحام واحمل وادفع

وكقول ديك الجن

أحل وامرر وضر وانفع ولن ... واخشن ورش وابر وانتدب للمعالى

وقول أبى الطيب

اقل انل اقطع احمل عل سل أعد ... زد هش بش تفضل ادن سر صل

ثم زاد فى هذا وتباغض حتي صنع

عش ابق اسم سد قد جد　　مر انه ره فه اسر نل

غظ أرم صب احم أغز اسب　　رع زع دل اثن بـل

فهذه رقية العقرب كما قال ابن وكيع ولا بدمن شرحها ٠٠ قوله ـ عش ابق ـ دعاء له بالعيش والبقاء ـ واسم ـ من السمو ـ وسد ـ من السيادة أي دم هكذا ـ وقد ـ من قود الخيل ـ وجد ـ من الجود والسماح أومن الجَود وهو المطر الغزير ـ مر انه ـ من الأمر والنهي ـ ره ـ من الوري تثبت الهاء فيه أظنه فى الخط دون اللفظ على انه ليس موضع وقف ولا يجب أن يكتب بلا هاء لئلا يخالف العادة وتقع كلمة على حرف واحد والورى داء فى الجوف أي إصنع ذلك بأعدائك وحسادك ـ فه ـ من الوفاء ـ واسر ـ من سري الليل يصفه بالعزم والغارات ـ ونل ـ من النيل والادراك أي نل ماتحب وروي نل اعط من النوال ويقال نلته اذا أعطيته ـ وغظ ـ من غيظ الحسود. ويروى عظ من الوعظ ـ وارم ـ من رمي العدو بالمكايد وغيرها ـ وصب ـ من صاب المطر والسهم ـ واحم ـ من حميت المكان ـ واغز ـ من الغزو ـ واسب ـ من السبي ـ ورع ـ من الروع ـ وزع ـ من وزعت أي كففت ـ ود ـ من الدية ـ ول ـ من الولاية للامور وقد يكون من المطر الولى ـ واثن ـ من ثنى اضداده اذاردهم ـ وبل ـ من الوابل وهذه غاية المقت والبغاضة وان كان ولا بد فقوله أيضاً

دان بعيد محب مبغض بهج　　أغر حلو ممر لين شرس

ندٍ أبي غرٍ وافٍ أخي ثقة　　جعد سري نهٍ ندب رضا ندس

ـ ند ـ من الندي ـ وغر ـ من غري به ـ ونه ـ من النهي وأصل هـذا كله من قول امرئ القيس

أفاد فجاد وشاد فزاد　　وقاد فذاد وعاد فأفضل

باب التسهيم

وقدامة يسميه التوشيح ٠٠ وقيل ان الذى سماه تسهيما علي بن هارون المنجم وأما ابن وكيع فسماه المطمع وهو أنواع منه ما يشبه المقابلة وهو الذى اختاره الحاتمي نحو قول جنوب أخت عمرو ذى الكلب

فاقسم ياعمرو لونبها ك أذاً نبها منك داء عضالا
أذاً نبها ليث عريسة مفيتاً مفيداً نفوساً ومالا
وخرق تجاوزت مجهوله بوجناء حرف تشكي الكلالا
فكنت النهارَ به شمسه وكنت دجى الليل فيه الهلالا

أرادت قولها مفيتاً نفوسا ومفيداً مالا فقابلت مفيتا بالنفوس ومفيداً بالمال وكذلك قولها فى البيت الأخير لما ذكرت النهار جعلته شمسا ولماذ كرت الليل جعلته هلالا لمكان القافية ولو كانت رائية لجعلته قمراً ٠٠ وسر الصنعة في هذا الباب أن يكون معنى البيت مقتفيا قافيته وشاهدا بها دالا عليها كالذى اختاره قدامة للراعى وهو قوله

وان وزن الحصى فوزنت قومى وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فهذا النوع الثانى هو أجود من الاول للطف موقعه والنوع الثالث شبيه بالتصدير وهو دون صاحبيه الا أن قدامة لم يجعل بينهما فرقا ٠٠ وأنشد للعباس بن مرداس

هم سودوا هجناً وكل قبيلة يبين عن أحسابها من يسودها

وقال نصيب الأكبر مولى بني مروان

وقد أيقنتُ أن ستبين ليلى وتحجب عنك إن نفع اليقين

وان تأملت قوافي ما هذه سبيله لم تجد له من لطف الموقع ما لقافية الراعى وانما اختير هذا النوع على ما ناسب المقابلة والتصدير لان كل واحد منهما مدلول عليه من جهة اللفظ إما بالترتيب واما باشتراك المجانسة والقافية فى بيت الراعى دالة على نفسها بالمعنى وحده

فصار استخراجها أعجب وأغرب وتمكنها أشد وأوكد وقد حكي أن ابن أبي ربيعة جلس الى ابن عباس رضي الله عنه فابتدأ ينشده

* تشط غداً دار جيراننا *

فقال ابن عباس * وللدار بعد غد أبعد *

فقال له عمر هكذا صنعت فأنت ترى كيف طبق المفصل وأصاب شاكلة الروي لما كان المعنى يقتضى زيادة البعد كلما طال العهد بأيام الموسم واجتنب أشط لانه لايتزن ولا يستعمل وعدى عن أن يقول أبرح وماشا كله رغبة في قرب المأخذ وسلوكا لطريق الفصاحة وإتياناً بالمتعارف المعتاد المتعاهد •• ويحكي عن عدي بن الرقاع أنه أنشد في صفة الظبية وولدها

* تزجى أغنّ كأن ابرة روقه *

فغفل الممدوح عنه فسكت فقال الفرزدق لجرير ما تراه يقول فقال يقول

* قلم أصاب من الدواة مدادها *

وأقبل عليه الممدوح فأنشد كما قال جرير لم يغادر حرفاً •• وقالت الخنساء

ببيض الصفاح وسمر الرماح بالبيض ضرباً وبالسمر وخزاً

وقالت أيضاً فى نحو ذلك

ونلبس في الحرب نسج الحديد ونلبس فى السلم خزاً وقزا

وقال حريث بن محصن

فان يك طعن بالرديني يطعنوا وان يك ضربٌ بالمهند يضربوا

وقال ابن الدمينة واسمه عبد الله بن عبيد الله بن عبد الخثعمي

وكونى على الواشين لدّاء شغبة كما أنا بالواشى ألدُّ شغوب

وكونى اذا مالوا عليك صليبة كما أنا إن مالوا عليّ صليب

فالبيتان جميعاً مسهمان •• وقال دعبل

واذا عاندنا ذو نخوة غضب الروح عليه فعرج
فعلى أيماننا يجرى الندى وعلى أسيافنا تجرى المهج

ليس يجهل أحد بعد معرفة البيت الأول من هذين البيتين قافية الآخر منهما .. ومن جيد التسهيم قول بعضهم

ولو أنني أعطيت من دهري المنى وما كل من يعطي المنى بمسدد
لقلت لأيام مضين الا ارجعي وقلت لأيامٍ أتين الا ابعدي

وكذلك قول الآخر وهو مليح

حبيبي غداً لاشك فيه مودعُ فوالله ما أدري به كيف أصنع
فيا يومُ لاأدبرت هل لك محبس ويا غدُ لا أقبلت هل لك مدفع
اذا لم أشيعه تقطعت حسرة ووا كبدا إن كنت ممن يشيع

أردت البيت الأخير .. وما أظن هذه التسمية الا من تسهيم البرود وهو أن ترى ترتيب الألوان فتعلم اذا أتى أحدها ما يكون بعده .. واما تسميته توشيحاً فمن تعطف اثناء الوشاح بعضها على بعض وجمع طرفيه ويمكن أن يكون من وشاح اللؤلؤ والخرز وله فواصل معروفة الأماكن فلعلهم شبهوا هذا به ولاشك أن الموشحات من ترسيل البديع وغيره انما هي من هذا و بعض الناس يقول إن التوشيح بالجيم فان صح ذلك فانما يجيء من وشجت العروق اذا اشتبكت فكأن الشاعر شبك بعض الكلام ببعض .. فأما تسميته المطمع فذلك لما فيه من سهولة الظاهر وقلة التكلف فاذا حُووِل امتنع و بعد مرامه

باب التفسير

وهو أن يستوفى الشاعر شرح ما اُبتدأ به مجملا وقلَّ ما يجيء هذا الا في أكثر من بيت واحد نحو قول الفرزدق واختاره قدامة

لقد جئت قوماً لو لجأت اليهم طريدَ دم أو حاملا ثقل مغرم

لألفيت منهم معطيا ومطاعنا وراءك شزراً بالوشيج المقوم

هذا جيد في معناه الا أنه غريب مريب لانه فسر الآخر أولا والأول آخراً فجاء فيه بعض التقصير والاشكال على أن من العلماء من يرى ان رد الأقرب على الاقرب والأبعد على الأبعد أصح فى الكلام ٠٠ وأكثر مافي التفسير عندي السلامة من سوء التضمين لأنه هو بعينه مالم يكن فى بيت واحد أو شبيه به كالذى أنشده سيبويه

خوي على مستويات خمس كركرة وثفنات ملس

لان هذا وان كان كالبيت المصرع فهو بيتان من مشطور الرجز ٠٠ ومن التفسير الجيد قول حاتم الطائى ويروى لعتيبة بن مرداس

متى ما يجيء يوماً الى المال وارثى يجد جمع كف غير ملأي ولا صفر

يجد فرساً مثل العنان وصارماً حساماً اذا ماهزلم يرض بالهبر

وأسمر خطيًا كأن كعوبه نوي القسب قدأربى ذراعا على العشر

فهذا هو التفسير الصحيح السالم من ضرورة التضمين لانه لم يعلق كلامه بلو كما فعل الفرزدق ولا بما يقتضى الجواب اقتضاء كليا فلهذا احسن عندى ٠٠ ومثله قول عروة بن الورد

وان امرءًا يرجو تراثى وان ما يصير له منه غداً لقليل

ومالى مال غير درع ومغفر وأبيض من ماء الحديد صقيل

واسمر خطى القناة مثقف وأجرد عريان السراة طويل

هكذا أنشدوه بالاقواء ويجوز أن يرفع على القطع والاضمار كأنه قال هو صقيل أوقال ولي أبيض من ماء الحديد يعنى سيفه ٠٠ وقال ذو الرمة في التفسير

وليل كجلباب العروس ادرعته بأربعة والشخص في العين واحد

أحم علافي وابيض صارم وأعيس مهري وأروع ماجد

فسر الأربعة ما هي ورفع على شرط ماقدمت من الاضمار كأنه قيل له ماالأربعة التي شخصها في العين واحد فقال كذا وكذا وكذا ٠٠ ومن التفسير مايفسر الأكثر فيه بالاقل وهومن باب الايجاز والاختصار وذلك ماأتت فيه الجملة بعد الشرح نحو قول أبى الطيب

من مبلغُ الاعراب أنيَ بعدها ، جالست رسطاليس والاسكندرا
وملت نحر عشارها فأضافني من ينحر البدرَ النضار لمن قرى
وسمعت بطليموس دارس كتبه متملكاً متبدياً متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الإله نفوسهم والاعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً واني فذلك اذ أتيت مؤخرا

فقوله - نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً وأنى فذلك اذ أتيت - تفسير مليح قليل النظير فى أشعار الناس .. وتعلقت به في بعض مدح السيد أبي الحسن فقلت

أني بعد أهل العلى كجملة شيءٍ شرح

وقد أتى به أبو الطيب فى بيت واحد فقال

اذا عد الكرام فتلك عجل كما الأنواء حين تعد عام

فهذا الذى كنا نرغب فيه لكون المفسر والمفسر به فى بيت واحد .. ونظيره قوله أيضاً

مضى وبنوه وانفردتَ بفضلهم وألف اذا ما جمعت واحد فرد

فجاء به أيضاً فى بيت واحد .. وكذلك قول امرئ القيس

فلو أن ماأسعى لادنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال

ومن قول عمرو بن معدى كرب الزبيدى

فأرسلنا ربيئتنا فأوفى فقال الا أولى خمس رتوع
رباعية وقارحها وجحش وثالثة وهادية زموع

ففسر ماهى وأنثها لغلبة التأنيث على اسم الدواب .. وقال مالك بن خريم وقيل حزيم

فان يك شاب الرأس منى فانني أبيتُ على نفسى مناقب أربعا
فواحدة أن لا أبيت بغرة اذا ماسوام الحى حولي تضوعا
وثانية أن لا تفزعَ جارني اذا كان جار القوم فيهم مفزعا
وثالثة أن لا أصمّت كلبنا اذ نزل الأضياف حرصاً لنودعا

ورابعة أن لا أحجلَ قدرنا على لحمها حين الشتاء لنشبعا

-أحجل- أستر أجعلها فى حجلة لتخفى عن الجار رغبة أن نشبع ولكن أبرزها .. وكتب احمد بن يوسف وفى رواية النحاس عمرو بن مسعدة عن المأمون أما بعد فقد أمر أمير المؤمنين من الاستكثار من المصابيح فى شهر رمضان فان فى ذلك انساً للسابلة وضياء للمجتهدين ونفيا لمكامن الريب وتنزيهاً لبيوت الله عز وجل عن وحشة الظلم .. ومن جيد التفسير فى بيت واحد قول أبى الطيب

فتى كالسحاب الجون يخشي ويرتجى يرجي الحيا منه وتخشى الصواعق

فانه قد أحكمه أشد احكام وجاء به أحسن مجئ حتى أربى على البحترى اذ يقول

بأروع من طي كأن قميصه يزر على الشيخين زيد وحاتم

سماحاً و بأساً كالصواعق والحيا اذا اجتمعا فى العارض المتراكم

وقد رد الكلام جميعاً آخره على أوله .. وأصل هذا من المعجز قال الله تعالى ﴿ وهوَ الذى يريكمُ البرقَ خوفاً وطمعاً ﴾ .. وقال أبو الطيب أيضا فى التفسير المستحسن

ان كوتبوا أولقوا أوحوربوا وجدوا في الخط واللفظ والهيجاء فرسانا

ففسر وقابل كل نوع بما يليق به من غير تقديم ولا تأخير كالذي وقع أولا فى بيتي الفرزدق .. ومن التفسير قول كشاجم واسمه محمود بن الحسين

فى فمها مسك ومشمولة صرف ومنظوم من الدر

فالمسك للنكهة والخمر للري قة واللؤلؤ للثغر

وهذا من مليح ما وقع للمحدثين .. وقال لقمانُ لابنه اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق

باب الاستطراد

وهو أن يري الشاعر أنه فى وصف شئ وهو انما يريد غيره فان قطع أو رجع الى

ما كان فيه فذلك استطراد وان تمادي فذلك خروج وأكثر الناس يسمى الجميع استطراداً والصواب ما بينته .. وأوضح الاستطراد قول السموأل وهو أول من نطق به حيث يقول

ونحن أناس لا نري القتل سبة … اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا … وتكرهه آجالهم فتطول

واتبعه الناس فقال الفرزدق وأجاد

كأن فقاح الاسد حول ابن مسمع … اذا اجتمعوا (١) أفواه بكر بن وائل

ثم أتي جرير فأربى وزاد بقوله

لما وضعت على الفرزدق ميسمي … وضغا البعيث جدعت أنف الاخطل

فهجا واحداً واستطرد باثنين .. وقال مخارق بن شهاب المازني يصف معزي

تري ضيفها فيها يبيت بغبطة … وضيف ابن قيس جائع يتحوب

فوفد ابن قيس هذا على النعمان بن المنذر فقال كيف المخارق بن شهاب فيكم فقال سيد شريف حسبك من رجل يمدح تيسه ويهجو ابن عمه .. ومن جيد الاستطراد قول دعبل بن على الخزاعى ويروي لبشار بن برد وهو أصح

خليلى من كلب أعينا أخاكما … على دهره ان الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه … مخافة أن يرجي نداه حزين
اذا جئته فى الفرط أغلق بابه … فلم تلقه الا وأنت كمين

ويروي — فى حاجة سد بابه — وأنشد البحترى أبو تمام لنفسه فى صفة فرس واستطرد يهجو عثمان بن ادريس الشامى

وسابح هطل التعداء هتان … على الجراء أمين غير خوان
أظمي الفصوص وما تظمى قوائمه … فخل عينيك في ظمآن ريان

(١) ن حول بيوتهم اذا حلبوا

فلو تراه مشيحا والحصى زيم · تحت السنابك من مثنى ووحدان
ايقنت ان لم تثبت ان حافره · من صخر تدمر أومن وجه عثمان

فقال له أتدرى ماهذا من الشعر قال لا أدري قال هذا الاستطراد أوقال المستطرد .. قال الحاتمى وقد يقع من هذا الاستطراد ما يخرج به من ذم الى مدح كقول زهير

إن البخيل ملوم حيث كان ولا · كن الجواد علي علاته هرم

فسمى الخروج استطراداً كما تراه

اتساعا وأنشد في الخروج بالاستطراد من مدح الى ذم قول بكر بن النطاح يمدح مالك ابن طوق

عرضتُ عليها ما أرادت من المنى · لترضى فقالت قم فجئنى بكوكبِ
فقلتُ لها هذا التعنتُ كله · كمن يتشهى لحم عنقاء مغربِ
سَلى كلَّ أمر يستقيم طلابه · ولا تسألى يادرّ فى كل مذهب
فاقسم لو أصبحتُ في عزّ مالك · وقدرتهِ أعيى بمارمتِ مطلبى
فتى شقيتْ أمواله بعفاته · كما شقيت قيسٌ بأرماح تغلب

فهذا مليح أوله خروج وآخره استطراد وملاحته أن مالكا من بنى تغلب فصار الاستطراد زيادة فى مدحه وزعم قوم أنه يمدح مالك بن علي الخزاعي .. ومما استطرد به أبو الطيب قوله في هجاء كافور

يموتُ به غيظاً على الدهرِ أهلهُ · كما مات غيظاً فاتكٌ وشبيبُ

على أن هذا البيت قد يقع موقع غيره من أبيات هذا الباب اذ ليس القصد فيه مدحاً ولا هجاء للرجلين المذكورين ولكن التشبيه والحكاية لاغير .. وقيل أصل الاستطراد أن يريك الفارس أنه فر ليكر وكذلك الشاعر يريد أنه فى شيء فعرض له شيء لم يقصد اليه فذكره ولم يقصد قصده حقيقة الا اليه .. ومن الاستطراد نوع يسمى الادماج وذلك نحو قول عبيد الله بن طاهر لعبد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد

أبى الدهر من إسعافنا فى نفوسنا · وأسعفنا فيمن نحب ونكره

فقلتُ له نعماك فيهم أتمها ودع أمرنا ان المهمَّ المقدم

وحكى احمد بن يوسف الكاتب أنه دخل على المأمون وفى يده كتاب من عمرو بن مسعدة يردد فيه النظر فقال لعلك فكرت في ترديدي النظر فى هذا الكتاب قال نعم يا أمير المومنين قال اني عجبت من بلاغته واحتياله لمراده كتبت كتابى الى أمير المؤمنين أعزه الله ومن قبلى من قواده وأجناده في الطاعة والانقياد على أحسن مايكون عليه طاعة جندتأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم ألاترى يااحمد ادماجه المسئلة فى الاخبار واعفاء سلطانه من الاكثار ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر وهذا النوع أقل في الكلام من الاستطراد المتعارف وأغرب

باب التفريع

وهو من الاستطراد كالتدريج من التقسيم وذلك أن يقصد الشاعر وصفاً ما ثم يفرع منه وصفاً آخر يزيد الموصوف توكيداً نحو قول الكميت

أحلامكم لسقام الجهل شافيةٌ كما دماؤ كم يشفى بها الكلبُ

فوصف شيئاً ثم فرع شيئاً آخر لتشبيه شفاء هذا بشفاء هذا .. وقال ابن المعتز

كلامه أخدعُ من لحظه ووعده أكذبُ من طيفه

فبينا هو يصف خدع كلامه فرع منه خدع لحظه ويصف كذب وعده فرع كذب طيفه .. وقال أيضاً يصف ساقي كأس

فكأن حمرةَ لونها من خده وكان طيبَ نسيمها من نشره

حتى اذا صبَّ المزاج تبسمت عن ثغرها فحسبته من ثغره .

ما زال ينجزنى مواعدَ عينه فمه وأحسبُ ريقه من خمره

البيتان الأولان من هذه الثلاثة تفريع والبيت الآخر ليس بتفريع جيد لان الخمرة نازلة عن رتبة الريق عند العاشق وحق التفريع أن يكون الآخر من الموصوفين زائداً

على الأول درجة فى الحسن ان قصد المدح وفى القبح ان قصد الذم وهو نوع خفي الا على الحاذق البصير بالصنعة .. ومثل بيت ابن المعتز قول البحترى

واذا تألقَ في الندى كلامه الـ ـمصقولُ خلتَ لسانه من عضبه

لان حق العضب فى باب المدح أن اللسان أمضى منه .. ومن التفريع الجيد قول الصنوبرى

ما أخطأت نوناته من صدغه شيئاً ولا ألفاته من قده
وكأنما أنفاسُه من شعره وكأنمـا قرطاسُه من جلده

فانظر اليه كيف يزيده رتبة في الجودة كلما فرع .. ووصف ابن شيرزاد جارية كاتبة فقال كأن خطها اشكالُ صورتها وكان بيانها سحر مقلتها وكأن سكينها غنج لحظتها وكان مدادها سواد شعرها وكان قرطاسها أديم وجهها وكأن قامتها بعض أناملها وكان مقطها قلب عاشقها وشتان ما بين هذا الوصف وقول الآخر يهجو كاتبا أنشده الصولي فى أبيات

كأن دواته من ريق فيه تلاقُ فنشرُها أبداً كريه

.. وقال كشاجم

شيخٌ لنا من مشايخ الكوفه نسبته للعليـلِ موصـوفه
لو بدلَ الله قمـله غنما ماطمعَ الناس منه في صوفه

ومن لطيف التفريع قول أبي الطيب يصف ليلا

أقلبُ فيه أجفاني كأني أعدُّ بهـا على الدهرِ الذنوبا

بينا هو يصف كثرة سهره وادارة لحظه شبهها بكثرة ذنوب الدهر عنده .. وقال فبرد

ولو نقصتُ كما قدزدتَ من شرف على الوري لرأوني مثل شانيكا

هذا التفريع الملعون .. وقال محمد بن وهب

طللان طالَ عليهما الأمدُ دثرا فلا علم ولا نضد
لبسا البلا فكأنمـا وجدا بعدَ الأحبة بعضَ ما أجد

ومن المستحسن قول الخوارزمي أبي بكر محمد بن العباس

سمحُ البديهةِ ليس يمسك لفظه فكأنما ألفاظهُ من ماله
وكأنما عزماته وسيوفهُ من حدّهن خلقن من إقباله
متبسمٌ في الخطبِ تحسب أنه تحت العجاج ملثمٌ بفعاله

وأخبث ماسمعته في هذا الباب قول ابن الرومي يهجو رجلا

له سائس ماهرٌ يجولُ على متنه
ويطعن في دبره أفانينَ من طعنه
بأطولَ من قرنه وأغاظَ من ذهنه

ومن التفريع أيضاً قول أبي الطيب على غير هذا النظام

أسير الى أقطاعه في ثيابه على طِرْفه من داره بحسامه
وما مطرتنيه من البيض والقنا وروم العبدّي هاطلاتُ غمامه

فهذا تفريع تناوله من قول أبي تمام

فقالوا فماأولاك صفْ بعضَ نيله فقلتُ لهم من عنده كلُّ ماعندي

وأصله من قول أبي نواس * فكلُّ خيرٍ عندهم من عنده *
يصف كلب صيد

باب الالتفات

وهو الاعتراض عند قوم وسماه آخرون الاستدراك حكاه قدامة وسبيله أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول الى الثاني فيأتي به ثم يعود الى الأول من غير أن يخل في شئ مما يشد الأول كقول كثير

لو أن الباخلين وأنتِ منهم رأوك تعلموا منكِ المطالا

فقوله ـ وأنت منهم ـ اعتراض كلام فى كلام قال ذلك ابن المعتز وجعله بابا على حدته بعد باب الالتفات وسائر الناس يجمع بينهما .. قال النابغة الذبيانى

ألا زعمتْ بنو عبسٍ بأني ـــ الا كذبوا كبيرُ السنّ فانى

فقوله ـ كذبوا ـ اعتراض ورواه آخرون للجعدى ـ ألا زعمت بنو كعب ـ وهو أشبه بالجعدى لانه أعلي سناً منه فقوله ـ ألا كذبوا ـ اعتراض وكذلك ما يجري مجراه وأنشدوا فى الالتفات لبعض العرب

فظلوا بيومٍ دع أخاك بمثله ـــ على مشرع يروى ولما يصرّد

فقوله ـ دع أخاك بمثله ـ التفات مليح .. وقال جرير يرثى امرأته أم حرزة

نعم القرينُ وكنتِ علقَ مضنة ـــ وارى بنعفِ بليةَ الأحجارُ

فقوله ـ وكنت علق مضنة ـ هو الالتفات .. وقال عوف بن محلم لعبد الله بن طاهر

ان الثمانينَ وبلغتها ـــ قدأحوجتْ سمعي الى ترجمان

فقوله ـ و بلغتها ـ التفات وقد عده جماعة من الناس تتميماً والالتفات أشكل وأولى بمعناه ومنزلة الالتفات فى وسط البيت كمنزلة الاستطراد فى آخر البيت وان كان ضده فى التحصيل لان الالتفات تأتى به عفواً وانتهازاً ولم يكن لك فى خلد فتقطع له كلامك ثم تصله بعدُ ان شئت والاستطراد تقصده فى نفسك وأنت تحيد عنه في لفظك حتى تصل به كلامك عند انقطاع آخره أو تلقيه إلقاء وتعود الى ما كنت فيه وقدجاء الالتفات فى آخر البيت نحو قول امرىء القيس

أبعدَ الحارثِ الملكِ بن عمرو ـــ له ملكُ العراقِ الى عمان

مجاورة بني شمجي بن جرم ـــ هواناً ما أتيح من الهوان

و يمنحها بنوشمجى بن جرمٍ ـــ معيزهم حنانك ذا الحنان

فقوله ـ ما أتيح من الهوان ـ وقوله ـ حنانك ذا الحنان ـ الالتفات وحكي عن اسحاق الموصلى أنه قال قال لى الاصمعي أتعرف التفات جرير قلت وما هو .. فأنشدنى

أتنسى اذ تودعنا سليمى   بعودِ بشامةٍ سقى البشام

ثم قال أما تراه مقبلا على شعره اذ التفت الى البشام فدعا له وأنشد له عبدالله بن المعتز

متى كان الخيامُ بذي طلوحٍ   سقيتِ الغيثَ أيتها الخيامُ

.. وأنشد له أيضاً ابن المعتز

طربَ الحمامُ بذى الأراكِ فهاجنى   لازلتَ فى غللٍ وأيكٍ ناضر

لم يعد ابن المعتز الا ما كان من هذا النوع والا فهو اعتراض كلامٍ فى كلام وقد أحسن ابن المعتز فى العبارة عن الالتفات بقوله هو انصراف المتكلم من الاخبار الى المخاطبة ومن المخاطبة الى الاخبار وتلا قوله تعالى ﴿ حتى اذا كنتم فى الفلكِ وجرينَ بهم بريحٍ طيبةٍ ﴾ وأنشده غيره لأبى عطاء السندي يرثى يزيد بن عمرو بن هبيرة

وانكَ لاتبعدْ على متعهدٍ   بلى كلُّ ماتحت التراب بعيدُ

وهذا هو الاستدراك ومثله قول زهير

حىِّ الديارَ التي لم يبلها القدم   بلى وغيرها الأرواحُ والديم

وكذلك قول جرير

غداً باجماعِ الحيِّ نقضي لبانة   فاقسم لا تقضي لباننا غداً

وأنشد ابن المعتز في هذا النوع وهو لبشار

نبئتُ فاضحَ قومه يغتابنى   عند الأميرِ وهل عليٌّ أمير

ومن مليح ما سمعته قول نصيب

وددتُ ولم أُخلق من الطيرِ أننى   أعارُ جناحيْ طائرٍ فأطير

فقوله ـ ولم أخلق من الطير ـ عجب ولما سمعتْ التى قيل فيها هذا البيت تنفست تنفساً شديداً فصاح ابن أبى عتيق أوه قد والله أجبته بأحسن من شعره والله لو سمعك لنعق وطار فجعله غراباً اسوداً.. وأنشد الصولى للعباس بن الاحنف

قدكنتُ أبكى وأنتِ راضيةٌ   حذارَ هذا الصدودِ والغضبِ

ان تمَّ ذا الهجرُ يا ظلومُ فلا   تم فما فى من العيشِ من أرب

وقال سمعت ثعلباً يقول ما رأيت أحداً الا وهو يستحسن هذا الشعر ٠٠ ومن المليح أيضاً قول النحيف بن سليمان العقيلي

أمنكم ياحنيفُ نعم لعمري لحا مخضوبةٌ ودمٌ سجال

يخاطب ابنه ٠٠ وقال عدي بن زيد العبادى وهو في حبس النعمان يخاطب ابنه زيداً ويحرضه

فلو كنتَ الأسيرَ ولاتكنه اذاً علمتْ معدٌّ ما أقول

باب الاستثناء

وابن المعتز يسميه توكيد المدح بما يشبه الذم وذلك نحو قول النابغة الذبيانى

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهن فلولٌ من قراعِ الكتائب

فجعل فلول السيف عيباً وهو أوكد فى المدح ٠٠ وقال النابغة الجعدى

فتى كملت أخلاقه غيرَ أنه جوادٌ فما يبقى من المال باقيا

فاستثنى جوده الذى يستأصل ماله بعد أن وصفه بالكمال وبهذا الاستثناء تم وزاد كمالا وتأكد حسنه ٠٠ وكذلك قوله

فتى تم فيه ما يسرُّ صديقه على أن فيه ما يسوءُ الأعاديا

فكأنه لما كان فيه ما يسوء أعاديه لم يطلق عليه أنه يسر فقط وذلك زيادة فى مدحه وليس هذا الاستثناء علي مارتبه النحويون فتطلبه بحروف الاستثناء المعروفة وانما سمى اصطلاحاً وتقريباً سماه هؤلاءِ المحدثون نحو الحاتمى وأصحابه ولم يسم حقيقة ٠٠ ومن مليح هذا النوع قول أبى هفان فقد تقدم به وجوّد غاية التجويد

ولا عيبَ فينا غير أن سماحنا أضرَّ بنا والبأس من كل جانب

فأفنى الردى أرواحنا غيرَ ظالم وأفني الندى أموالنا غيرَ عائب

فقوله ان السماح والبأس أضرابهم ليس بعيب على الحقيقة ولكن توكيد مدح والمليح

كل المليح قوله غير ظالم وغير عائب فهذا الثاني أعجب من الأول وألطف موقعاً ..
وقال آخر

ولا عيبَ فينا غير عرقٍ لمعشر كرام وانا لا نخطُّ على النمل

فقصر من جهة قوله -غير عرق لمعشر كرام- لان سبيل هذا الباب أن يؤثر فيه بما يظن أنه عيب أو تقصير وان كان على التحصيل فخراً وفضلا كالفلول في سيوف النابغة الذبياني واتلاف المال في شعر الجعدي وترك الخط على النمل في شعر الآخر وانهم لا يشفون صاحبها وهي داء واحدتها النملة وأما ذكر الكرم فلا وجه له ههنا .. ومن هذا الباب قول ابن الرومي

ليس له عيبٌ سوى أنه لا تقعُ العينُ على شبهه

فجعل انفراده في الدنيا بالحسن دون أن يكون له قرين يؤنسه عيباً فهو يزيد توكيد حسنه .. وقال حاتم الطائي

وما تشتكي جارتي غيرَ أنني اذا غابَ عنها بعلها لا أزورها

سيبلغها خيري ويرجعُ أهلها اليها ولم تقصر عليَّ ستورُها

لما كان في ترك الزيارة اشكال بين مراده .. ومن أصحاب التآليف من يعد في هذا الباب ما ناسب قول الشاعر

فأصبحتُ مما كان بيني وبينها سوى ذكرِها كالقابضِ الماءَ باليد

.. وقال الربيع بن ضبيع الفزاري

فنيتُ وما يفنى صنيعي ومنطقي وكلُّ امرئٍ الا أحاديثه فاني

وليس من هذا الباب عندي وانما هو من باب الاحتراس والاحتياط فلو أدخلنا في هذا الباب كل ماوقع فيه استثناء لطال وخرجنا فيه عن قصده وغرضه ولكل نوع موضع

باب التتميم

وهو التمام أيضا و بعضهم يسمي ضرباً منه احتراساً واحتياطاً ٠٠ ومعنى التتميم أن يحاول الشاعر معني فلايدع شيئاً يتمم به حسنه الا أورده وأتى به اما مبالغة واما احتياطاً واحتراساً من التقصير وينشدون بيت طرفة

فسقى ديارَكَ غيرَ مفسدِها ‏ ‏ ‏ ‏ صوبُ الربيعِ وديمةٌ تهمي

لان قوله ـ غير مفسدها ـ تتميم للمعنى واحتراس للديار من الفساد بكثرة المطر ٠٠ ومثله قول جرير

فسقاكِ حيث حللتِ غيرَ فقيدة ‏ ‏ ‏ ‏ هزجُ الرواح وديمةٌ لاتقلع

فقوله ـ غير فقيدة ـ تتميم لما أراد من دنوها وسقياها غير راحلة ولا ميتة اذ كانت العادة أن يدعى للغائب الميت بالسقي فاحترس من ذلك ٠٠ وقد عاب قدامة على ذى الرمة قوله

ألا يا اسلمي يادارميّ على البلى ‏ ‏ ‏ ‏ ولا زال منهلاً بجرعائكِ القطر

فانه لم يحترس كما احترس طرفة فرد ذلك عليه بأن الشاعر قدم الدعاء بالسلامة للدار فى أول البيت وهذا هو الصواب ٠٠ وقال زهير

من يلقَ يوماً على عِلاّته هرما ‏ ‏ ‏ ‏ يلق السماحةَ منه والندى خلقا

قوله ـ على علاته ـ مبالغة وتتميم عجيب ٠٠ والأصل فى هذا قول الله عز وجل ﴿ ويطعمونَ الطعامَ على حبهِ مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾ فقوله ـ على حبه ـ هو التتميم والمبالغة في قول من قال ان الهاء ضمير الطعام وان كان كناية عن الله تعالى خرج المعنى عن هذا الباب وقال الله جل اسمه ﴿ مَن عملَ صالحاً من ذَكرٍ أوْ أُنثي وهوَ مؤمنٌ فأولئكَ يدخلونَ الجنةَ ﴾ فتمم بقوله ـ وهو مؤمن ـ ٠٠ ومن أناشيد قدامة والحاتمى وغيرهما قول نافع بن خليفة الغنوى

رجالٌ اذا لم يقبلِ الحقُّ منهم ‏ ‏ ‏ ‏ ويعطوه عادوا بالسيوفِ القواضبِ

قال الحاتمى فان المعنى تم بقوله ـ ويعطوه ـ والا كان ناقصاً ٠٠ ويجرى مجراه عندى قول

عنترة العبسي

أثنى علي كما علمت فانني سهل مخالقتي اذا لم أظلم

فقوله - اذا لم أظلم - تتميم حسن .. وقال آخر

فلا يبعدن الا من السوء انني اليك وان شطت بك الدار نازع

فاستثناؤه - السوء - تتميم واحتراس جيد .. وقال أبو الطيب بن الوشا

لئن كان باقي عيشنا مثل مامضي فللموت ان لم ندخل النار أروح

وقال سراقة البارقي يهجو رهط جرير

صغار مقاريهم عظام جعورهم بطاء عن الداعي اذا لم يكن أكلا

كأنه قال اذا لم يكن المدعو اليه أكلا .. وقال مربع بن وعوعة الكلابي وقد قتل رجلا نهشلياً

وقلت لاصحابي النجاء فانما مع الصبح ان لم تسبقوا جمع نهشل

ويجري على هذه الأناشيد قول ابن محكان السعدى حين قدم للقتل

ولست وان كانت الي حبيبة بباك على الدنيا اذا ما تولت

فاستثنى - وان كانت الى حبيبة - استثناء مليحاً ونوى التقديم والتأخير فلذلك جاز له أن يأتي بالضمير مقدماً على مظهره هكذا قال فيه أبو العباس المبرد . ومن التتميم الحسن قول امرئ القيس

على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جرى غير كز ولاواني

فقوله - قبل سؤاله - تتميم حسن لقوله أفانين جرى .. وقول أعشى باهلة

* وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر * يقول هو يدبر كل شئ سوى الفحشاء فانه لا يدبرها

باب المبالغة

وهي ضروب كثيرة .. والناس فيها مختلفون منهم من يؤثرها ويقول بتفضيلها ويراها الغاية القصوى فى الجودة وذلك مشهور من مذهب نابغة بنى ذبيان وهو القائل أشعر الناس من استجيد كذبه وضحك من رديئه هكذا أعرفه ورأيت بخط جماعة منهم عبد الكريم الباغانى من استجيد جيده ومطابقة وضحك من رديئه يوجب ذلك .. وروى قوم من حديث النابغة ومطالبته حسان بن ثابت بالمبالغة ونسبته اياه الى التقصير فى قوله

لنا الجفنات ُ الغرُّ يلمعن بالضحى　　　وأسيافنا يقطرنَ من نجدة دما

ماهو مشهور عندهم مشهور في كتبهم .. ومنهم من يعيبها وينكرها ويراها عيبا وهجنة فى الكلام قال بعض الحذاق بنقد الشعر المبالغة ربما أحالت المعنى ولبسته على السامع فليست لذلك من أحسن الكلام ولا أفخره لانها لاتقع موقع القبول كما يقع الاقتصاد وما قاربه لانه ينبغى أن يكون من أهم اغراض الشاعر والمتكلم أيضا الابانة والافصاح وتقريب المعنى على السامع فان العرب انما فضلت بالبيان والفصاحة وحلا منطقها فى الصدور وقبلته النفوس لأساليب حسنة واشارات لطيفة تكسبه بيانا وتصوره فى القلوب تصويراً ولو كان الشعر هو المبالغة لكانت الحاضرة والمحدثون أشعر من القدماء وقد رأيناهم احتالوا للكلام حتى قربوه من فهم السامع بالاستعارات والمجازات التي استعملوها وبالتشكك فى الشبهين كما قال ذو الرمة

فيا ظبيةَ الوعساء بين جلاجلٍ　　　وبين النقا آأنت أم أمُّ سالم

فلو أنه قال ـ أنت أُم سالم ـ على نفي الشك بل لو قال أنت أحسن من الظبية لماحل من القلوب محل التشكك .. وكما قال جرير

فانك لو رأيت عبيد تيم　　　وتيما قلت أيهم العبيد

فلو قال ـ عبيدهم ـ أو خير منهم لماظن به الصدق فاحتال فى تقريب المشابهة لان فى قربها لطافة تقع فى القلوب وتدعو الى التصديق .. وكذلك قول أبى النجم يصف عرق الخيل

كأنه من عرق يسربله ككُرسفِ النداف لولا بلله

فانه لو قال انه الكرسف لم يكن فى حسن هذا لانه يشهد بتقارب الشبهين الى أن أوقع فى الشك .. والمبالغة فى صناعة الشعر كالاستراحة من الشاعر اذا أعياه ايراد معنى حسن بالغ فيشغل الاسماع بما هو محال ويهول مع ذلك على السامعين وانما يقصدها من ليس بمتمكن من محاسن الكلام اذ يمكنه ولا يتعذر عليه وينجذب كلما أرادها اليه انقضي كلامه وفيه كفاية وبلاغ الا أنه فيما يظهر من فحواه لم يرد الا ما كان فيه بعد وليس كل مبالغة كذلك ألا ترى أن التتميم اذا طلبت حقيقته كان ضرباً من المبالغة وان ظهر أنه من أنواع الحشو المستحسن وقد مرَّ ذكره وكذلك ماناسب قول ابن المعتز يصف خيلا

صببنا عليها ظالمينَ سياطنا وطارتْ بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ

وهذا عند جميع الناس من باب الحشو وهو عندي مبالغة وكذلك الايغال وسيرد في بابه ان شاء الله .. فمن أحسن المبالغة واغربها عند الحذاق التقصي وهو بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء كقول عمرو بن الأيهم التغلبي

ونكرمُ جارَنا ما دام فينا ونتبعه الكرامةَ حيث كانا

فتقصى بما يمكن أن يقدر عليه فتعاطاه ووصف به قومه .. ومن أغربها أيضاً ترادف الصفات وفى ذلك تهويل مع صحة لفظ لا تحيل معنى كقول الله تعالى ﴿ أو كظلمات فى بحر لجيٍّ يغشاهُ موجٌ من فوقهِ موجٌ من فوقه سحابٌ ظلمات بعضها فوقَ بعض ﴾ .. فأما الغلو فهو الذى ينكره من ينكر المبالغة من سائر أنواعها ويقع فيه الاختلاف لا ماسواه مما بينت ولو بطلت المبالغة كلها وعيبت لبطل التشبيه وعيبت الاستعارة الى كثير من محاسن الكلام .. فمن أبيات المبالغة قول امرىء القيس

كأن المدامَ وصوبَ الغمام وريحَ الخزامي ونشرَ العطر

يُعلُّ به بردُ أنيابها اذا غرَّد الطائرُ المستحر

فوصف فاها بهذه الصفة سحراً عند تغير الأفواه بعد النوم فكيف تظنها فى أول الليل .. ومثل ذلك قوله يصف ناراً وان كان فيه إغراق

نظرتُ اليها والنجومُ كأنها مصابيحُ رهبانٍ تشبُّ لقُفال

يقول نظرت الى نار هذه المرأة تشب لقفال والنجوم كأنها مصابيح رهبان وقد قال

تنورتها من اذرعات وأهلُها بيثربَ أدنى دارِها نظرٌ عالى

وبين المكانين بعد أيام وانما يرجع القفال من الغزو والغارات وجه الصباح فاذا رأوها من مسافة أيام وجه الصباح وقد خمد سناها وكل موقدها فكيف كانت أول الليل وشبه النجوم بمصابيح الرهبان لانها في السحر يضعف نورها كما يضعف نور المصابيح الموقدة ليلها أجمع لاسيما مصابيح الرهبان لأنهم يكلون من سهر الليل فربما نعسوا ذلك الوقت وهذا مما أورده شيخنا أبو عبد الله .. وقال امرؤ القيس يصف فرسا

لها ذنبٌ مثلُ ذيلِ العروس تسدُّ به فرجَها من دُبُرْ

أراد طوله لأن العروس تجر ذيلها إما من الحياء واما من الخيلاء .. وزعم الجاحظ أن قول غيلان ذى الرمة

وليلٍ كجلبابِ العروسِ ادَّرعته بأربعةٍ والشخصُ فى العين واحد

أراد به سبوغه لا لونه وأكثر الناس على خلاف قوله وأنا أرى أن هذا كقول عوف ابن عطية بن الجزع التيمي من تيم الرباب يصف خيلا

وجلّلن دمخا قناعَ العروس تُدنى على حاجبيها الخمارا

ـ دمخ ـ جبل بعينه فأراد أن الخيل كسونه قناعاً من الغبار هذه صفته .. ومن معجز المبالغة قول الله عز وجل ﴿ سواءٌ منكم مَن أسرَّ القولَ ومن جَهرَ بهِ ومَن هو مستخفٍ بالليل وساربٌ بالنهار ﴾ فجعل من يسر القول كمن يجهر به و المستخفي بالليل كالسارب بالنهار وكل واحد منها أشد مبالغة فى معناه وأتم صفة

باب الايغال

وهو ضرب من المبالغة كما قدمت الا أنه فى القوافي خاصة لايعدوها والحاتمى

وأصحابه يسمونه التبليغ وهو تفعيل من بلوغ الغاية وذلك يشهد بصحة ما قلته ويدل على مارتبته ٠٠ وحكى الحاتمي عن عبد الله بن جعفر عن محمد بن يزيد المبرد قال حدثني التوزي قال قلت للأصمعي من أشعر الناس قال الذي يجعل المعنى الخسيس بلفظه كبيراً أو يأتي الى المعنى الكبير فيجعله خسيسا أو ينقضي كلامه قبل القافية فاذا احتاج اليها أفاد بها معنى قال قلت نحو من قال نحو الأعشى اذ يقول

كناطحٍ صخرةً يوما ليفلقها فلم يضرْها وأوهى قرنه الوعلُ

فقد تم -المثل بقوله- وأوهى قرنه فلما احتاج الى القافية قال الوعل قال قلت وكيف صار الوعل مفضلا على كل ما ينطح قال لانه ينحط من قنة الجبل على قرنه فلا يضيره قال قلت ثم نحو من قال ذو الرمة بقوله

قف العيسَ في اطلالِ ميةَ واسأل رسوما كأخلاقِ الرداء المسلسل

فتمم كلامه ثم احتاج الى القافية فقال -المسلسل- فزاد شيئاً وقوله

أظنُّ الذى يجدى عليك سؤالها دموعا كتبديدِ الجمانِ المفصل

فتمم كلامه ثم احتاج الى القافية فقال- المفصل- فزاد شيئاً أيضاً ٠٠ وليس بين الناس اختلاف أن امرأ القيس أول من ابتكر هذا المعنى بقوله يصف الفرس

اذا ما جرى شأوينِ وابتلَّ عطفه تقـول هزيز الريح مرت بأثاب

فبالغ في صفته وجعله على هذه الصفة بعد أن يجري شأوين ويبتل عطفه بالعرق ثم زاد إيغالاً في صفته بذكر الأثاب وهو شجر للريح في أضعاف أغصانه حفيف عظيم وشدة صوت ومثل ذلك قوله

كأن عيونَ الطيرِ حولَ خبائنا وأرحلنا الجزعُ الذي لم يثقب

فقوله- لم يثقب- ايغال في التشبيه واتبعه زهير فقال

كأن فتاتَ العهنِ في كلِّ منزل نزلنَ به حبُّ الفنـا لم يحطم

فأوغل في التشبيه إيغالا بتشبيهه ما يتناثر من فتات الأرجوان بحب الفنا الذي لم يحطم لأنه أحمر الظاهر أبيض الباطن فاذا لم يحطم لم يظهر فيه بياض البتة وكان خالص الحمرة

وتبعهما الأعشى فقال يصف امرأة

غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينا كما يمشي الوجى الوجل

فأوغل بقوله -الوجل- بعد أن قال الوجى وكذلك قوله الوعل .. وكان الرشيد كثير العجب بقول صريع الغواني

اذا ما علت منا ذؤابة شارب تمشت به مشي المقيد في الوحل

ويقول قاتله الله ما كفاه أن جعله مقيداً حتى جعله فى وحل وأنا أقول انه بيت الأعشى بعينه .. ومن الايغال قول الطرماح العقيلي يصف فرساً بسعة المنخر

لا يكتم الربو الاريث يخرجه من منخر كوجار الثعلب الخرب

فكونه كوجار الثعلب غاية فى المبالغة فكيف اذا كان خربا .. ومن الايغال الحسن قول الخنساء

وان صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

فبالغت فى الوصف أشد مبالغة وأوغلت ايغالا شديداً بقولها - في رأسه نار - بعد أن جعلته علماً وهو الجبل العظيم .. وأنشد الجاحظ

ألوى حيازيم بهن صبابة كما تتلوى الحية المتشرق

فقوله -الحية المتشرق - ايغال لانه أشد لتلويه وكذلك قول جرير

بات الفرزدق عائراً وكأنه قعو تعاوره السقاة معار

واذا كان معاراً كان أشد لاستعماله وأقل للتحفظ عليه .. وقال النجاشي يذكر عبد الرحمن بن حسان

لما أتانى ما يقول ودونه مسيرة شهر للمطى المفرد

فأوغل بقوله -المفرد- ايغالا عجيباً لأنه أسير من المحمل .. وقال جميل

اني لأكتم حبها اذ بعضهم فيمن يحب كناشد الأغفال

-الناشد- طالب الضالة واذا كانت غفلا ليس فيها سمة كان أشد للبحث عليها وأكثر

للسؤال والذكر . . ومن أحسن ايغال المحدثين قول مروان بن أبي حفصة

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دُعوا أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا

فقوله ـ وأجزلوا ـ قد أتى به في نهاية الحسن . . وكذلك قول بشار بن برد

وغير ان من دون النساء كأنه أسامة (١) ذو الشبلين حين يجوع .

فقوله ـ حين يجوع ـ ايغال حسن . . وقال ابن المعتز

وداعٍ دعا والليلُ بيني وبينه فكنتُ مكان الظن منه وأعجلا

فقوله ـ وأعجل ـ زيادة وصف وايغال ظاهر . . وقال أبو الطيب في رثاء أم سيف الدولة

مشى الأمراء حوليها حفاة كأن المروَ من زِفِ الرئال

ـ فالزف ـ أصغر الريش وألينه ولا سيما ريش النعام ولم يرض بذلك حتى جعله زف الرئال شبه به المرو وهو ما صغر من الحصي وحد فهذا فوق كل مبالغة وايغال . . ومن هذا نوع يسمى الاستظهار وهو قول ابن المعتز لابن طباطبا العلوى أو غيره

فأنتم بنو بنته دوننا ونحنُ بنو عمه المسلم

فقوله ـ المسلم ـ استظهار لأن العلوية من بني عم النبي عليه الصلاة والسلام أيضاً أعنى أبا طالب ومات جاهلياً فكان ابن المعتز أشار بحذقه الى ميراث الخلافة وليس بين الايغال والتتميم كبير فرق الا أن هذا في القافية لا يعدوها وذلك في حشو البيت . . واشتقاق الايغال من الابعاد يقال أوغل في الأرض اذا أبعد فيما حكاه ابن دريد وقال وكل داخل في شيء دخول مستعجل فقد أوغل فيه . . وقال الأصمعي في شرح قول ذي الرمة

كأن أصواتَ من ايغالهن بنا أواخرَ الميس أصواتُ الفراريج

الايغال سرعة الدخول في الشيء يقال أوغل في الأمر اذا دخل فيه بسرعة فعلى القول الأول كان الشاعر أبعد في المبالغة وذهب فيها كل الذهاب وعلى القول الثاني كأنه أسرع الدخول في المبالغة بمبادرته هذه القافية وكما كثرت من الشواهد في باب فانما أريد

(١) ن عليهن

بذلك تأنيس المتعلم وتجسيره على الأشياء الرائعة ولاريه كيف تصرف الناس فى ذلك الفن وقلبوا تلك المعانى والألفاظ

باب الغلو

ومن أسمائه أيضاً الاغراق والافراط ومن الناس من يرى أن فضيلة الشاعر انما هي فى معرفته بوجوه الاغراق والغلو ولا أرى ذلك الا محالا لمخالفته الحقيقة وخروجه عن الواجب والمتعارف .. وقدقال الحذاق خير الكلام الحقائق فان لم تكن فما قاربها وناسبها وأنشد المبرد قول الأعشى

فلو أنَّ ما أبقينَ منى معلقٌ بعودِ ثُمامٍ ما تأوّد عودُها

فقال هذا متجاوز وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبه وأحسن منه ما أصاب الحقيقة فيه اقتضى كلامه .. وأصح الكلام عندى ما قام عليه الدليل وثبت فيه الشاهد من كتاب الله تعالى ونحن نجده قد قرن الغلو فيه بالخروج عن الحق فقال جل من قائل ﴿ يا أهلَ الكتابِ لا تغلوا فى دينكم غيرَ الحقِّ ﴾ والغلو عند قدامة تجاوز فى نعت ماللشئ أن يكون عليه وليس خارجاً عن طباعه كقول النمر بن تولب فى صفة سيف شبه به نفسه

تظلُّ تحفرُ عنه ان ضربتَ به بعد الذراعين والساقينِ والهادي

اذ ليس خارجاً عن طباع السيف أن يقطع الشئ العظيم ثم يغوص بعد ذلك فى الأرض ولان مخارج الغلو عنده على تكاد وعلى هذا تأول أصحاب التفسير قول الله تعالى ﴿ و بلغت القلوبُ الحناجرَ ﴾ أي كادت .. وقال الجرجانى فى كتاب الوساطة والافراطُ مذهب عام في المحدثين وموجود كثير فى الاوائل والناس فيه مختلفون من مستحسن قابل ومستقبح راد وله رسوم متى وقف الشاعر عندها ولم يتجاوز بالوصف حدها سلم ومتى تجاوزها اتسعت له الغاية وأدته الحال الى الاحالة وانما الاحالة نتيجة الافراط وشعبة من

الاغراق ٠٠ وقال الحاتمي وجدت العلماء بالشعر يعيبون على الشاعر أبيات الغلو والاغراق ويختلفون في استحسانها واستهجانها و يعجب بعض منهم بها وذلك على حسب مايوافق طباعه واختياره ويرى أنها من ابداع الشاعر الذي يوجب الفضيلة له فيقولون أحسن الشعر أكذبه وان الغلو انما يراد به المبالغة والافراط وقالوا اذا أتى الشاعر من الغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل فى باب المعدوم فانما يريد به المثل و بلوغ الغاية في النعت واحتجوا بقول النابغة وقد سئل مَن أشعر الناس فقال من استجيد كذبه وأضحك رديئه وقد طعن قوم على هذا المذهب بمنافاته الحقيقة وأنه لا يصح عند التأمل والفكرة انقضى كلامه ٠٠ ومن أبيات الغلو للقدماء قول مهلهل

فلولا الريحُ أسمع من بحجرٍ صليلَ البيض تقرعُ بالذكورِ

وقد قيل إنه أكذب بيت قالته العرب و بين حجر وهى قصبة اليمامة و بين مكان الوقعة عشرة أيام وهذا أشد غلواً من امرئ القيس فى النار لان حاسة البصر أقوى من حاسة السمع وأشد ادراكا ٠٠ ومنها قول النابغة فى صفة السيوف

تقدُّ السلوقيَّ المضاعفَ نسجه وتوقدن بالصفاح نار الحباحب

وهو دون بيت امرئ القيس في تنور صاحبة النار افراطاً ودون بيت النابغة قول النمر ابن تولب فى صفة السيف أيضاً وقد أنشدته فيما مضى من هذا الباب واختار قوم على بيتي النابغة والنمر قول أبى تمام

ويهتزُّ مثلَ السيفِ لولم تسله يدان لسلته ظُباه من الغمدِ

٠٠ ومن الغلو قول جرير

فلو وضعت فقاحُ بني نميرٍ على خبثِ الحديدِ اذاً لذابا

لأنه شئ لا يذوب أبداً ٠٠ وقد نعي على أبى نواس قوله

وأخفتَ أهلَ الشركِ حتى أنه لتخافك النطفُ التي لم تخلق

اذ جعل ما لم يخلق يخافه ٠٠ وكذلك قوله

حتى الذي في الرحمِ لم يك صورةً لفؤاده من خوفهِ خفقانُ

وزعم بعض المتعقبين أن الذى كثر هذا الباب أبو تمام وتبعه الناس بعد وأين أبو تمام مما نحن فيه فاذا صرت الى أبى الطيب صرت الى أكثر الناس غلواً وأبعدهم فيه همة حتى لوقدر ما أخلى منه بيتاً واحداً وحتى تبلغ به الحال الى ما هو عنه غنى وله فى غيره مندوحة كقوله

يترشفنَ من فمى رشفاتٍ هنّ فيه أحلى من التوحيدِ

وان كان له فى هذا تأويل ومخرج بجعله التوحيد غاية المثل في الحلاوة بفيه .. وقوله

لو كان ذو القرنينِ أعملَ رأيه لما أتى الظلماتِ صِرنَ شموسا
أو كان صادف رأسَ عازرَ سيفُهُ فى يومِ معركةٍ لأعيي عيسى
أو كان لجُّ البحر مثلَ يمينه ما انشقَّ حتى جاز فيه موسى

فما دعاه الى هذا وفى الكلام عوض منه بلا تعلق عليه فكيف اذا قال

كأنى دحوتُ الأرضَ من خبرتى بها كأنى بنى الاسكندرُ السدَّ من عزمى

فشبه نفسه بالخالق تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ثم انحط الى الاسكندر وربما أفسد أبو الطيب اغراقه هكذا ونقص منه بما بظنه اصلاحاً له وزيادة فيه نحو قوله يصف شعره

اذا قلته لم يمتنعْ من وصولهِ جدارٌ معلى أو خباءٌ مطنب

فما وجه الخباء المطنب بعد الجدار المنيف بينا هو فى الثريا صار فى الثرى وانما أراد الحاضرة والبادية وكذلك قوله

تصدُّ الرياحُ الهوجُ عنها مخافةً ويفزعُ منها الطيرُ أن يلقطَ الحبا

فكم بين خوف الرياح الهوج وصدودها وبين فزع الطير أن تلقط الحب ولا سيما وأفزعُ الطير بهائمه التى تلقط الحب لضعفها وعدمها السلاح وأقل خيال أو تمثال يحمى مزدرعات جمة وقد رجح صاحب الوساطة هذا البيت على قول أبى تمام

فقد بثَّ عبدَ الله خوفَ انتقامه على الليلِ حتى ما تدبُّ عقاربه

فاعتبروا ياأولى الأبصار.. ومما يشا كل قول أبي الطيب في ألفاظه قول نصر الخابز أرزي

ذبتُ من الشوقِ فلو زجَّ بي في مقلةِ النائمِ لم ينتبه
وكانَ لى فيما مضى خاتمٌ فالآن لو شئتُ تمنطقتُ به

فبين الاغراق والاغراق بون بعيد واختلاف شديد .. واذا لم يجد الشاعر بداً من الاغراق لحبه ذلك ونزوع طبعه اليه فليكن ذلك منه في الندرة وبيتاً في القصيدة ان أفرط ولايجعله هجِّيراه كما يفعل أبو الطيب ..وأحسن الاغراق مانطق فيه الشاعر أو المتكلم بكاد أوما شاكلها نحو كان ولو ولولا وما أشبه ذلك ممالم يناسب أبيات أبى الطيب المتقدم ذكرها فى البشاعة ألا ترى ما أعجب قول زهير

لو كان يقعدُ فوقَ الشمسِ من كرمٍ قومٌ باحسابهم أو مجدهم قعدوا

فبلغ ما أراد من الافراط وبني كلامه على صحة .. ومما استحسنه الرواة ونص عليه العلماء قول امرىء القيس يصف سناناً

حملتُ ردينياً كأنَّ شباته سنالهبٍ لم يتصلْ بدخان

واذا نظرت الى قول أبى صخر

تكاد يدى تندي اذا مالمستها وينبتُ فى أطرافها الورقُ النضر

.. وقول أبى الطيب

وعجبتُ من أرضٍ سحابُ أكفهم من فوقها وصخورُها لا تورق

لم يخف عنك وجه الحكم فيهما على أن فى قول أبى الطيب بعض الملاحة والمخالفة لطبعه فى حب الافراط وقلة المبالاة فيه اذ كان ممكناً أن يقول ان الصخور أورقت ولغة القرآن أفصح اللغات وأنت تسمع قول الله تعالى ﴿ يكادُ البرقُ يخطفُ أبصارَهم ﴾ وقوله ﴿ اذا أخرجَ يدَه لم يكدْ يراها ﴾ وقوله ﴿ يكادُ زيتها يضيءُ ولولم تمسسه نارٌ ﴾ .. واشتقاق الغلو المغالاة ومن غلوة السهم وهى مدي رميته يقال غاليت فلاناً مغالاة وغلاء اذا اختبرتما أيكما أبعدغلوة سهم ومنه قول النبى عليه الصلاة والسلام جرى المذكيات غلاء وقدجاء فى حديث داحس غلاء وغلاب بالباء أيضاً واذا قلت غلا السعر غلاء فانما تريد أنه ارتفع وزاد على ما كان وكذلك غلت القدر غلياً أوغلياناً انما هو أن

يجيش ماؤها ويرتفع والاغراق أيضاً أصله في الرمي وذلك أن تجذب السهم في الوتر عند النزع حتى تستغرق جميعه بينك و بين حنية القوس وانما تفعل ذلك لبعد الغرض الذى ترميه وهذه التسمية تدل على مانحوت اليه وأشرت نحوه

باب التشكك

وهو من ملح الشعر وطرف الكلام وله فى النفس حلاوة وحسن موقع بخلاف ما للغلو والاغراق وفائدته الدلالة على قرب الشبهين حتى لا يفرق بينهما ولا يميز أحدهما من الآخر وذلك نحو قول زهير

وما أدري وسوف أخالُ أدري أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساء

فان تكن النساءُ مخبآت فحقٌ لكلِّ محصنةٍ هداء

فقد أظهر أنه لم يعلم أنهم رجال أم نساء وهذا أملح من أن يقول هم نساء وأقرب الى التصديق ولهذه العلة اختاروه كما تقدم القول فى بيت ذي الرمة

أيا ظبيةَ الوعساء بين جلاجل وبين النقا آأنت أم أمُّ سالم

وبيت جرير * فانك لو رأيتَ عبيد تيم *

وبيت أبي النجم في صفة عرق الخيل .. وقال العرجى

بالله يا ظبياتِ القاعِ قلن لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر

وانما سلك طريق ذى الرمة .. وقال سلم بن عمرو الخاسر

تبدتْ فقلتُ الشمسُ عندَ طلوعها بجلدٍ غنيٍّ اللونِ عن أثرِ الورس

فلما كررتُ الطرفَ قلتُ لصاحبي على مريةٍ ما ههنا مطلع الشمس

فأنت ترى كيف موقع هذا الشك من اليقين وكيف حلاوته فى الصدر وقبوله فانه لو كان

يقيناً مابلغ هذا المبلغ وتناول هذا المعنى أبو زيد الوضاح بن محمد الثقفي (١) فقال يمدح المستعين بالله

وقائلةٍ والليلُ قد نشر الدجى ... فغطىً بها مابين سهلٍ وقردد
أرى بارقاً يبدو من الجوسقِ الذى ... به حلَّ ميراث النبيِّ محمد
فظلَّ عذاري الحيِّ ينظمن تحته ... ظفاريةَ الجزعِ الذى لم يسرد
أضاءتْ به الآفاقُ حتى كأنما ... رأينا بنصف الليل نور ضحى الغد
فقلتُ هو البدرُ الذى تعرفينهُ ... والاَّ يكنْ فالنورُ من وجهِ أحمد

وأما قول أبي تمام حين قصد عبد الله بن طاهر الى خراسان يذكر شك رفقائه واستبعادهم الطريق

يقولُ في قومسٍ صحبي وقد أخذتْ ... منا السرى وخطا المهريةِ القُودِ
أمطلعَ الشمسِ تبغى أن تؤمَّ بنا ... فقلت كلا ولكن مطلعَ الجود

فقد صرف المعنى فيه عن وجهه وخالف فيه قصده ونسب الشك الى غيره وهو بعيد من قول سلم وليس ذكرهما جميعاً مطلع الشمس قدوة ولا عليه معول .. وقال ابن ميادة

وأشفقُ من وشك الفراقِ وانني ... أظنُّ لمحمولٌ عليه فراكبه
فواللهِ ما أدرى أيغلبنى الهوى ... اذا جدَّ جدُّ البينِ أمْ أنا غالبه

فقوله فى البيت الأول ـ أظن ـ مليح جداً وكذلك قوله فى البيت الثانى ما أدرى أيغلبنى الهوى أم أنا غالبه .. وأخذ هذا المعنى ابن أبي مية وزاده ملاحة فقال

فديتكَ لم تشبع ولم تروَ من هجرى ... أيستحسنُ الهجرانُ أكثرَ من شهر
أراني سأسلو عنك ان دام ما أرى ... بلا ثقةٍ لكن أظن ولا أدرى

وقد أحسن أبو الطيب فى قوله

أريقك أم ماء الغمامةِ أم خمر ... بفيَّ بَرودٌ وهو فى كبدي جمر

(١) ن التميمي

لولا أنه كدر صفوه ومرر حلوه بما أضاف اليه من قوله

أذا الغصن أم ذا الدعص أم أنت فتنة وهذا الذى قبلته البرق أم ثغر

ولله در أبو نواس اذ يقول

ألا لا أرى مثلي امترى اليوم في رسم نغص به عيني ويلفظه وهمي
أتت صور الأشياء بيني وبينه فظني كلا ظن وعلمي كلا علم

وبروى -وجهلي كلا جهل- وأول من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس

لمن طلل دارس آيه أضر به سالف الأحرس
تنكره العين من جانب ويعرفه شغف الأنفس

وقال اعرابى في معنى أبيات الوضاح بن محمد

أقول والنجم قد مالت مباسره الى الغروب تأمل نظرة حار
المحة من سنا برق رأى بصرى ووجه نعم بدالى أم سنا نار
بل وجه نعم بدا والليل معتكر فلاح من بين حجاب واستار

باب الحشو وفضول الكلام

وسماه قوم الاتكاء، وذلك أن يكون فى داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى وانما أدخله الشاعر لاقامة الوزن فان كان ذاك فى القافية فهو استدعاء، وقد يأتى فى حشو البيت ماهو زيادة فى حسنه وتقوية لمعناه كالذى تقدم من التتميم والالتفات والاستثناء وغير ذلك مما أنا ذاكره آنفاً .. من ذلك قول عبد الله بن المعتز يصف خيلا

صببنا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها أيد سراع وأرجل

وقد مر ذكره في باب المبالغة فقوله -ظالمين- حشو أقام به الوزن وبالغ في المعني أشد مبالغة من جهته حتى علمنا ضرورة أن اتيانه بهذه اللفظة التى هي حشو فى ظاهر الأمر

أفضل من تركها وهذا شبيه بالتتميم ٠٠ وقال الفرزدق

ستأتيك مني إن بقيتُ قصائدٌ يقصرُ عن تحبيرها كلُّ قائل

فقوله - ان بقيت - حشو فى ظاهر لفظه وقد أفاد به معنى زائداً وهو شبيه بالالتفات من جهة وبالاحتراس من جهة أخرى فما كان هكذا فهو الجيد وليس بحشو الاَّ على المجاز أو بعد أن ينعت بالجودة والحسن أو يضافا اليه وانما يطلق اسم الحشو على ما قدمت ذكره مما لا فائدة فيه ٠٠ وقد أتى العتابى بما فيه كفاية حيث يقول

ان حشو الكلام من لكنة المر ء وايجازه من التقويم

فجعل الحشو لكنة وليس كل ما يحشى به الكلام لزيادة فائدة لكنة وانما أراد مالا حاجة اليه ولا منفعة كقول أبى صفوان الاسدي يذكر بازيا

ترى الطيرَ والوحشَ من خوفه حواجرَ منه اذا ما اغتدى

فقوله - منه - بعد قوله - من خوفه - حشو لا فائدة فيه ولا معنى له وكذلك قول أبى تمام يصف قصيدة

خذها ابنةُ الفكرِ المهذبِ في الدجى والليلُ اسودُ حالكُ الجلباب

فقوله - الدجى - حشو لان فى القسم الثانى ما يدل عليه من زيادة استعارتين مليحتين فان لم يكن فى القسم الاول حشو كان القسم الثانى بأثره فضلة ٠٠ وقال أبو الطيب فى نحو من ذلك

اذا اعتلَّ سيفُ الدولةِ اعتلتِ الارضُ ومنْ فوقها والبأسُ والكرَمُ المحض

فقوله - والباس - حشو لأن قوله ومن فوقها دال على الانس والجن جميعا والبأس والكرم جميعاً اللهم الا أن يحمله على تأويلهم فى قول الله تعالى ﴿ فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورمان ﴾ فأعاد ذكرهما وهما من الفاكهة لفضلهما وقوله ﴿ مَن كانَ عدواً للهِ وملائكتهِ ورُسله وجبريلَ وميكالَ ﴾ فان هذا سائغ وليس بحشو حينئذ ٠٠ ومن الحشو قول الكلحبة اليربوعي

اذا المرء لم يغشَ الكريهةَ أوشكت حبالُ الهوينا بالفتى أن تقطعا

قوله -بالفتى- حشو وكان الواجب أن يقول به لان ذكر المرء قد تقدم الا أن يريد في قوله بالفتى الزراية والاطنوزة فانه يحتمل ٠٠ وقال زيد الخيل يخاطب كعب بن زهير

يقولُ أرى زيدا وقد كان معدماً ... أراه لعمري قد تموّل واقتنى

فقوله -أراه لعمري- حشو واستراحة يستغنى عنها بقوله أرى زيداً ٠٠ ومما يكثر به حشو الكلام أضحى وبات وظل وغدا وقد ويوماً واشباهها وكان أبو تمام كثيراً ما يأتى بها ويكره للشاعر استعمال ذا وذي والذي وهو وهذا وهذي وكان أبو الطيب مولعاً بها مكثراً منها فى شعره حتي حمله حبه فيها علي استعمال الشاذ وركوب الضرورة فى قوله

لولم تكن من ذا الورى اللذ منك هو ... عقمتْ بمولدِ نسلها حواء

وكذلك يكره للشاعر قوله في شعره حقاً الا أن تقع له موقعها فى قول الاخطل

فاقسمَ المجدُ حقا لا يخالفهم ... حتى يخالفَ بطنَ الراحةِ الشعر

فان قوله هنا -حقاً- زاد المعنى حسناً وتوكيداً ظاهراً ٠٠ ولقد أحسن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فى قوله لابن المعتز

ولو قبلتْ فى حادث الدهر فديةٌ ... لقلنا على التحقيقِ نحنُ فداؤه

فقوله -علي التحقيق- حشو مليح فيه زيادة فائدة ٠٠ ومن الناس من يسمى هذا النوع من الكلام ارتفاداً وأنشد بعض العلماء قول قيس بن الخطيم

قضى لها اللهُ حينَ صورها الـ ... خالقُ أن لا يكنها سدف

والاتكاء عنده والارتفاد هو قول الشاعر -صورها الخالق- لان اسم الله تعالى قد تقدم ووجدت الحذاق يعيبون قول ابن الحدادية وهي أمه واسمه قيس بن منقذ

ان الفؤاد قد أُمسى هائماً كلفا ... قد شفه ذكرُ سلمى اليومَ فانتكسا

لحشوه -بقد- في موضعين من البيت ثم -بأمسى وباليوم- على تناقضهما ٠٠ وعاب الحاتمي على الاعشى قوله

فرميتَ غفلةَ قلبه عن شاته ... فأصبتَ حبةَ قلبها وطحالها

لان تكرير -القلب- عنده حشو لافائدة فيه وهذا تعسف من الحاتمى لأن قلبه غير قلبها

فانما كرر اللفظ دون المعنى ورأيت روايته فى أكثر النسخ حبة قلبه وطحالها وهو غلط ومن ههنا عابه فيما أظن ومن الناس من روى - فرميت غفلة عينه عن شاته - وهي رواية مشهورة صحيحة ونعوا علي أبي العيال الهذلى قوله

ذكرتُ أخى فعاودنى   صداعُ الرأسِ والوصبُ

لأن -الصداع- من أدواء الرأس خاصة فليس لذكر الرأس معه معنى وعلي جميل قوله

وما ذكرتكِ النفسُ يابثنَ مرة   من الدهرِ الا كادتِ النفس تتلفُ

فتكرير -النفس- ليس له وجه ههنا وللتكرير موضع يحسن فيه وسيرد ان شاء الله فى بابه ومن الحشو نوع سماه قدامة التفصيل بالفاء وزعم قوم أنه بالعين كأنهم يجعلونه اعوجاجاً من قولهم ناب أعصل وجعله آخرون بالعين وضاد معجمة كأنه عندهم من تعضل الولد اذا عسر خروجه واعترض فى الرحم وظاهر البيت الذى أنشده قدامة يدل على أنه التفصيل بالفاء وهو قول دريد بن الصمة

وبلغ نميراً ان عرضت ابن عامر   وأيّ أخ فى النائبات وطالب

ويجري هذا المجرى قول أبى الطيب بل هو أقبح منه

حملتُ اليه من لسانى حديقةً   سقاها الحجاسى الرياضِ السحائبُ

لان التفرقة بين النعت والمنعوت أسهل من التفرقة بين المضاف والمضاف اليه وهما بمنزلة اسم واحد فاذا شئت أن تجعل بيت ابن الخطيم حين صورها الخالق من هذا النوع جاز لك فيكون التقدير قضى لها الله الخالق حين صورها

باب الاستدعاء

وهو أن لايكون للقافية فائدة الا كونها قافية فقط فتخلو حينئذ من المعنى كقول عدى القرشي أنشده قدامة

ووقيتَ الحتوفَ من وارثٍ وا ... لٍ وأبقاك صالحاً ربُّ هود

فانه لم يأت لهود النبي عليه السلام هنا معنى الا كونه قافية وما أعجب السيد الحميري فى قوله

أقسمُ بالفجرِ وبالعشرِ ... والشفعِ ووترٍ ورب لقمان

في منزلٍ محكمٍ ناطقٍ ... بنورِ آياتٍ وبرهان

فالفجرُ فجرُ الصبح والعشرُ عشـرُ النحر والشفعُ نجيان

محمد وابن أبي طالب ... والوتر رب العزة الباني

باني سموات بناها بلا ... تقدير إنس ولا جان

فانظر الى قوله ـ رب لقمان ـ ما أكثر قلقه واشد ركاكته وأما قوله ـ الباني ـ فقد خرج فيه من حد اللين والبرد وتجاوز فيه الغاية في ثقل الروح والله حسبه .. ومن أناشيد قدامة قول علي بن محمد صاحب البصرة

وسابغة الاذيال زغف مفاضةٍ ... تكنفها مني نجادٌ مخطط

فلا أدري معنى هذا الشاعر في تخطيط النجاد وهذا أقل ما في تكلف القوافي الشاردة اذا ركبها غير فارسها وراضها غير سائسها

باب التكرار

وللتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها فأكثر ما يقع التكرار فى الالفاظ دون المعانى وهو فى المعاني دون الالفاظ وأقل فاذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً الاَّ على جهة التشوق والاستعذاب اذا كان فى تغزل أو نسيب .. كقول امرئ القيس ولم يتخلص أحد تخلصه فيما ذكر عبد الكريم وغيره ولا سلم سلامته في هذا الباب

ديارٌ لسلمى عافياتٌ بذى الحال ... ألحَّ عليها كلُّ أسحمَ هطالِ

وتحسب سلمى لا تزال كعهدنا بوادى الخزامي أو على رأس أوعال
وتحسب سلمى لا تزال ترى طلا من الوحش أو بيضا بميثاء محلال
ليالى سلمى إذ تريك منضداً وجيداً كجيد الريم ليس بمعطال

وكقول قيس بن ذريح

ألا ليت لبنى لم تكن لى خلة ولم تلقني لبنى ولم أدر ماهيا

أو على سبيل التنويه به والاشارة اليه بذكر إن كان في مدح كقول أبى الاسد

ولائمة لامتك يا فيض فى الندى فقلت لها هل يقدح اللوم فى البحر
أرادت لتثنى الفيض عن عادة الندي ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر
كأن وفود الفيض يوم تحملوا الى الفيض لاقوا عنده ليلة القدر
مواقع جود الفيض فى كل بلدة مواقع ماء المزن فى البلد القفر

فتكرير اسم الممدوح ههنا تنويه به واشارة بذكره وتفخيم له فى القلوب والاسماع .. وكذلك قول الخنساء

وان صخرا لمولانا وسيدنا وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

أو على سبيل التقرير والتوبيخ .. كقول بعضهم

الى كم وكم أشياء منكم تريبني أغمض عنها لست عنها بذى عمي

فأما قول محمد بن مناذر البصيري فى معنى التكثير

كم وكم كم كم وكم كم وكم قال لى انجز حر ما وعد

فقد زاد على الواجب وتجاوز الحد .. ولما أنشدوا للصاحب أبى القاسم اسماعيل بن عباد قول أبى الطيب

عظمت فلما لم تكلم مهابة تواضعت وهو العظم عظما عن العظم

قال ما أكثر عظام هذا البيت مع أنه من قول الطائي

تعظمت عن ذاك التعظم فيهم وأوصاك عظم القدر أن تتنبلا

ومن المعجز فى هذا النوع قول الله تعالى في سورة الرحمن ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ كلما عدد نعمة أو ذكر بنعمة كرر هذا .. وقد كرر أبو كبير الهذلى قوله

فاذا وذلك ليس الأ ذكره وإذا مضى شيء كأن لم يفعل

على بعض الروايات فى سبعة مواضع من قصيدته التي أولها

أزهير هل عن شيبة من معدل أم لاسبيل الى الشباب الأول

كلما وصف فصلا وأتمه كرر هذا البيت .. أو على سبيل التعظيم للمحكي عنه أنشد سيبويه

لاأرى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

أو على جهة الوعيد والتهديد ان كان عتاب موجع كقول الأعشى ليزيد بن مسهر الشيبانى

أبا ثابت لا تعلقنك رماحنا أبا ثابت أقصر وعرضك سالم

وذرنا وقوما ان هم عمدوا لنا أبا ثابت واقعد فانك طاعم

أو على وجه التوجع ان كان رثاء وتأبينا نحو قول متمم بن نويرة

وقالوا أتبكي كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت لهم إن الاسى يبعث الاسى دعونى فهذا كله قبر مالك

وأولى ماتكرر فيه الكلام باب الرثاء لمكان الفجيعة وشدة القرحة التي يجدها المتفجع وهو كثير حيث التمس من الشعر وجد .. أو على سبيل الاستغاثة وهي في باب المديح نحو قول العديل بن الفرخ

بنى مسمع لولا الاله وأنتم بنى مسمع لم ينكر الناس منكرا

ويقع التكرار في الهجاء على سبيل الشهرة وشدة التوضيع بالمهجو .. كقول ذى الرمة يهجو المرى

نسمى امرأ القيس بن سعد اذا اعتزت وتأبى السبال الصهب والأنف الحمر

ولكنما اصل امرئ القيس معشر يحل لهم لحم الخنازير والخمر

نصابُ امرئ القيس العبيد وأرضهم ... بمر المساحى لا فلاةٌ ولا مصر
تخلى الى الفقر امرؤ القيس انه ... سواء على الضيف امرؤ القيس والقفر
تحب امرؤ القيس القرى أن تناله ... وتأبي مقاريها اذا طلع الفجر(١)
هـل الناسُ ألا يا امرأ القيسِ غادر ... وواف وما فيـكم وفاء ولا غـدر

وكذلك صنع جرير فى قصيدته الدماغة التي هجا بها راعي الابل فانه كرر بنى نمير في كثير من أبياتها .. ويقع أيضاً على سبيل الازدراء والتهكم والتنقيص كقول حماد عجرد لابن نوح وكان يتعرب

يا بن نوح يا أخا الحـ ... ـلس ويا ابن القتب
ومن نشا والده ... بين الربا والـكثب

• ياعربى ياعربي ياعربى ياعربى •

ومن المعيب في التكرار قول ابن الزيات

أتعزفُ أم تقيم على التصابى ... فقد كثرتْ مناقلةُ العتاب
اذا ذكر السلوُّ عن التصابى ... نفرت من اسمه نفر الصعاب
وكيف يلام مثلكَ فى التصابى ... وأنتَ فتى المجانةِ والشباب
سأعزف ان عزفت عن التصابى ... اذا ما لاح شيب بالغراب
ألم ترنى عدلتُ عن التصابى ... فأغرتـنى الملامةُ بالتصـابي

فملأ الدنيا بالتصابى على التصابي لعنة الله من أجله فقد برد به الشعر ولا سيما وقد جاء به كله على معنى واحد من الوزن لم يعدُ به عروض البيت وأين هذا من تكريره على جهة التفخيم فى قوله للحسن بن سهل من قصيدة

الى الأمير الحسنِ استجدتُها ... أى مزارٍ ومناخٍ ومحـل
أى مزار ومناخ ومحـل ... لخائف ومستريش ذى أمل

وهذا كقول أمرئ القيس

تقطعَ أسبابُ اللبانة والهوى ... عشية جاوزنا حماة وشيزرا

(١) ن النسر

عشية جاوزنا حماة وشيزرا　　أخو الجهد لا يلوي على من تعذرا

ومن تكرير المعانى قول امرئ القيس وما رأيت أحداً نبه عليه

فيالك من ليل كأن نجومه　　بكل مغار الفتل شدت بيذبل

كأن الثريا علقت فى مصامها　　بأمراس كتان الى صم جندل

فالبيت الأول يغنى عن الثانى والثانى يغنى عن الأول ومعناهما واحد لان النجوم تشتمل علي الثريا كما أن يذبل يشتمل على صم الجندل وقوله ـ شدت بكل مغار الفتل ـ مثل قوله ـ علقت بأمراس كتان ـ ويقرب من ذلك وليس به قول كثير

واني وتهيامي بعزة بعد ما　　تخليت مما بيننا وتخلت

لكالمرتجى ظل الغمامة كلما　　تبوأ منها للمقيل اضمحلت

كأنى وإياها سحابة ممحل　　رجاها فلما جاوزته استهلت

الا أن كثيراً تصرف فجعل رجاء الأول ظل الغمامة ليقيل تحتها من حرارة الشمس فاضمحلت وتركته ضاحياً وجعل الممحل فى البيت الثانى يرجو سحابة ذات ماء فأمطر بعد ما جاوزته ٠٠ ومن مليح هذا الباب ما أنشدنيه شيخنا أبو عبد الله محمد بن جعفر لابن المعتز وهو قوله

لساني لسرى كتوم كتوم　　ودمعي بحبى نموم نموم

ولى مالك شفنى حبه　　بديع الجمال وسيم وسيم

له مقلتا شادن أحور　　ولفظ سحور رخيم رخيم

فدمعي عليه سجوم سجوم　　وجسمي عليه سقيم سقيم

باب منه

ذكر ابن المعتز أن الجاحظ سمي هذا النوع المذهب الكلامى ٠٠ قال ابن المعتز

وهذا باب ما علمت أني وجدت منه في القرآن شيئاً وهو ينسب الى التكلف تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً قال صاحب الكتاب غير أن ابن المعتز قد ختم بهذا الباب أبواب البديع الخمسة التي خصها بهذه التسمية وقدمها على غيرها وأنشد للفرزدق

لكل امرئٍ نفسان نفسٌ كريمة ... وأخرى يعاصيها الفتى ويطيعها

ونفسك من نفسيك تشفعُ للندى ... اذا قل من احرارهن شفيعها

وأنشد الآخر ولا أظنه الا ابراهيم بن العباس

وعلمتني كيفَ الهوى وجهلته ... وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي

فاعلم مالى عندكم فيميل بي ... هواي الى جهلي وأعرض عن علمي

وعاب علي أبي تمام قوله

فالمجدُ لايرضى بأن ترضى بأن ... يرضى المؤمل منك الا بالرضى

وحكي أن اسحاق الموصلي سمع الطائي ينشد ويكثر من هذا الباب وأمثاله عند الحسن ابن وهب فقال يا هذا لقد شددت علي نفسك وأنشد ابن المعتز لنفسه

أسرفتُ في الكتمان ... وذاك مني دهاني

كتمتُ حبك حتى ... كتمته كتماني

فلم يكن لي بد ... من ذكره بلساني

وهذه الملاحة نفسها والظرف بعينه ٠ ومن هذا الباب نوع آخر هو أولي بهذه التسمية من كثير مما ذكره المؤلفون نحو قول ابراهيم بن المهدى يعتذر الى المأمون من وثوبه على الخلافة

البر منك وطاء العذرِ عندكَ لى ... فيما فعلتُ فلم تعذل ولم تلم

وقام علمك بى فاحتجَّ عندكَ لى ... مقامَ شاهدِ عدلٍ غيرِ متهم

وكذلك قول أبي عبد الرحمن العطوى

فوحق البيانِ يعضده البر ... هان في مأقط ألدّ الخصام

ما رأينا سوي الحبيبةِ شيئاً جمعَ الحسنَ كله فى نظام
هي تجرى مجري الاصابةِ في الرأ ي وتجرى الأرواحِ في الاجسام

وقد نقلت هذا الباب نقلا من كتاب عبد الله بن المعتز الا ما لاخفاء به عن أحد من أهل التميز واضطرنى الى ذلك قلة الشواهد فيه الاً ماناسب قول أبي نواس

سخنتَ من شدة البرودةِ حتى صرتَ عندى كأنكَ النارُ
لا يعجبُ السامعون من صفتى كذلكَ الثلجُ باردٌ حار

فهذا مذهب كلامي فلسفي .. وقوله أيضاً

فيك خلافٌ لخلافِ الذى فيه خلافٌ لخلافِ الجميلِ

واشباه ذلك مما فى هذا غنى عنه ودال عليه

باب نفي الشيء بإيجابه

وهذا الباب من المبالغة وليس بها مختصاً الا أنه من محاسن الكلام فاذا تأملته وجدت باطنه نفياً وظاهره إيجاباً .. قال امرؤ القيس

على لاحبٍ لا يهتدَى بمناره اذا سافه العودالنباطي جرجرا

فقوله - لا يهتدى بمناره - لم يرد أن له مناراً لا يهتدى به ولكن أراد أنه لامنار له فيهتدى بذلك المنار .. وكذلك قول زهير

بأرض خلاء لا يُسدُّ وصيدُها عليَّ ومعروفى بها غـير منكرِ

فأثبت لها فى اللفظ وصيداً وانما أراد ليس لها وصيد فيسد عليّ ويتصل بهذا قول الزبير ابن عبد المطلب يذكر عميلة بن السباق بن عبد الدار وكان نديماً له وصاحباً

صبحتُ بهم طلقا يراحُ الى الندى اذا ما انتشى لم تحتضره مفاقره

ضعيفاً بحث الكأس قبض بنانه كليلا على وجه النديم أظافره

فظاهر كلامه أنه يخمش وجه النديم الا أن أظفاره كايلة وانما أراد بالحقيقة أنه لا يظفر وجه النديم ولا يفعل شيئاً من ذلك وكذلك قوله ـ لم تحتضره مفاقره ـ أى ليس له مفاقر فتحتضره .. وقال أبو كبير الهذلى يصف هضبة

وعلوت مرتقباً على مرهوبة حصاء ليس رقيبها فى مثمل

عيطاء معنقة يكون أنيسها ورق الحمام جميمها لم يؤكل

يريد أنه ليس بها جميم فيؤكل يدل على ذلك قوله في البيت الاول ـ حصاء ـ وهي التي لا نبت فيها .. وقال أبو زيد يصف فرساً

متفلق انساؤها عن قانئ كالقرط صاو غبره لا يرضع

فلم يرد أن هناك بقية لبن لا يرضع لكن أراد أنها لا لبن لها فيرضع والشاهد على جميع ما قلته فى شرح هذه الاشياء ما جاء فى تفسير قول الله عز وجل ﴿ لا يسألون الناس إلحافاً ﴾ قالوا ليس يقع منهم سؤال فيقع الحافا أي هم لا يسألون البتة .. والمعيب من هذا الباب قول كثير يرثى عزة صاحبته

فهلا وقاك الموت من أنت زينه ومن هو أسوا منك دلاً وأقبح

لانه قد أوهم السامع أن لها دلا سيئاً ولكن غيره أسوأ منه وأقبح فكيف ان كان القبح راجعاً عليها لا على دلها

باب الاطراد

ومن حسن الصنعة أن تطرد الاسماء من غير كلفة ولا حشو فارغ فانها اذا اطردت دلت على قوة الشاعر وقلة كلفته ومبالاته بالشعر .. وذلك نحو قول الأعشى

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد وأنت امرؤ ترجو شبابك وائل

فأتى كالماء الجاري اطراداً وقلة كلفة وبين النسب حتى أخرجه عن مواضع اللبس والشبهة .. ولما سمع عبد الملك بن مروان قول دريد بن الصمة

قتلنا بعبدِ الله خيرَ لِداته ذؤابَ بن أسماء بن زيد بن قارب

قال كالمتعجب لولا القافية لبلغ به آدم ورواه قوم أبات بعبد الله .. وقال أبو تمام

عبد الملك بن صالح بن علي ابن قسيم النبي فى نسبه

فهذا سهل العنان خفيف على اللسان وان كان الياء فى الملك ضرورة وتكلفاً .. وقال الحارث بن دوس الايادي

وشبابٌ حسنٌ أوجههم من إيادِ بن نزارِ بن مَعَد

فاطرد ثلاثة أسماء لا كلفة فيها .. وقال أبو تمام فى قالب بيت الاعشى وان نقص عنه اسما واحداً

بنصرِ بنِ منصور بن بسام انفري لناشظفُ الايامُ عن عيشة رغد

فأما من أتى بأكثر من هذا ومن الاول فقد قال بعضهم

من يكنْ رامَ حاجةً بَعدتْ عنه وأعيتْ عليه كلَّ العياء

فلها احمد المرجى بنُ يحيى بنِ معاذِ بنِ سلمِ بن رجاء

فجاء كلامه نسقاً واحداً الا أنه قد شغل البيت وفصل بين الكلام بقوله -المرجى- غير أن مجانسة رجاء هونت خطيئته وغفرت ذنبه .. وقال الطائى

عمرُ بنُ كلثوم بنِ مالك بن عتاب بن سهم سهمكم لا يسهم

فخاطب بذلك بنى عمرو بن غنم التغلبيين وهم بنو عم مالك بن طوق فانتظم له ما أراد من الاسماء الا أنه ظاهر التكلف وقال فأتى بستة

مناسبُ تحسب من ضوئها منازلا للقمر الطالع

كالدلو والحوتِ واشراطه والبطنِ والنجم الى البالع

نوح بن عمرو بن حوىّ بن عمرو بن حوىّ بن الفتى مانع

فأحكم التصنيع وقابل ستة بستة لان الاشراط منزلة وان جمعها الا أن الفتى ههنا مع

بردلفظ وركاكتها أحسن ابا هؤلاء كلهم يقال له الفتى وان كنا نعلم أنه لم يرد فتاء السن ولكن الفتوة ٠٠ وجاء أبو الطيب بخلاف بالتعسف فى قوله لسيف الدولة

فأنت أبو الهيجا ابن حمدان يابنه تشابه مولودٌ كريم ووالدُ
وحمدانُ حمدونٌ وحمدونُ حارثٌ وحارث لقمانٌ ولقمان راشد

ففي هذا المعنى من التقصير أنه جاء به فى بيتين وأنه جعلهم أنياب الخلافة بقوله

أولئك أنيابُ الخلافةِ كلها وسائرُ أملاك البلاد الزوائدُ

وهم سبعة بالممدوح والانياب فى المتعارف أربعة الا أن تكون الخلافة تمساح نيل أو كلب بحر فان أنياب كل واحد منهما ثمانية اللهم الاَّ أن يريد أن كل واحد منهم ناب الخلافة فى زمانه خاصة فانه يصح وفيه من الزيادة على ما قبله أنه زاد واحداً فى العدد فانه جعل كل ابن هو أبوه فى الخلافة الى أن بلغ راشداً ولم يقصد الى ذلك أحد من أصحابه وانما مقت شعره هذا تكريره كل اسم مرتين فى بيت واحد وهي أربعة أسماء

باب التضمين والاجازة

وهذا باب يختلط على كثير من الشعراء ممن ليس له تقوب في العلم ولا حذق بالصناعة كجماعة ممن وسم فى بلدنا بالمعرفة وينسب اليها مكذوباً عليه فيها كاذباً فيما ادعاه منها ولتعرفتهم فى لحن القول ٠٠ فأما التضمين فهو قصدك الى البيت من الشعر أوالقسيم فتأتى به فى آخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل نحو قول محمود بن الحسين كشاجم الكاتب

ياخاضبَ الشيبِ والأيام تظهره هـذا شبابٌ لعمرُ الله مصنوع
أذكرتـني قول ذي لبٍّ وتجربةٍ فى مثـله لك تأديبٌ وتقريع
أن الجديدَ اذا ما زيد فى خَلَقٍ تبين الناسُ أن الثوبَ مرقوعُ

فهذا جيد فى بابه وأجود منه أن لولم يكن بين البيت الأول والآخر واسطة لان الشاعر قد دل بذلك على أنه متهم بالسرق أو على أن هذا البيت غير مشهور وليس كذلك بل هو كالشمس اشتهاراً ولو أسقط البيت الأوسط لكان تضميناً عجيباً لان ذكر الثوب قد أخرج الثانى من باب الاول الا فى المعنى وهذا عند الحذاق أفضل التضمين فاما احتذى كشاجم قول ابن المعتز فى أبيات له

ولا ذنبَ لى ان ساءَ ظنك بعد ما   وفيتُ لكم ربى بذلك عالم
وها أنا ذا مستعتبٌ متنصلٌ   كما قال عباسٌ وأنفيَ راغم
تحملْ عظيمَ الذنب ممن تحبه   وان كنتَ مظلوماً فقل أنا ظالم

وأبيات العباس بن الاحنف التي منها البيت المضمن هي قوله

وصبٍّ أصابَ الحبُّ سوداءَ قلبه   فأنحله والحبُّ داءٌ ملازم
فقلتُ له اذ مات وجداً بحبه   مقالة نصحٍ جانبتها المآثم
تحمل عظيم الذنب ممن تحبه   وان كنتَ مظلوما فقد أنا ظالم
فانك ان لم تحمل الذنبَ فى الهوى   يفارقك من تهوى وأنفك راغم

غير أن شيخنا أبا عبدالله روى هذه الابيات أيضا لابن المعتز فهذا النوع من التضمين جيد وهو الذى أردنا من قبل وأجود منه أن يصرف الشاعر المضمنُ وجهَ البيت المضمَّنِ عن معنى قائله الى معناه نحو قول بعض المحدثين ونسبه قوم الى ابن الرومي

ياسائلي عن خالد عهدى به   رطبُ العجانِ وكفه كالجلمدِ
كالاقحوانِ غداةَ غبِّ سمائه   جفت أعاليه وأسفله ندِى

هكذا أعرفه وروى عن جعفر فصرف الشاعر قول النابغة فى صفة الثغر

تجلو بقادمتىْ حمامة أيكة   بَرَداً أسف لثاته بالاثمد
كالاقحوانِ غداة غب سمائه   جفت أعاليه وأسفله ندِى

الى معناه الذى أراده .. ومن هذا المعنى أيضا قول ابن الرومى بلا محالة

وسائلةٍ عن الحسن بن وهبٍ ... وعما فيه من كرمٍ وخيرِ
فقلتُ هو المهذبُ غير أني ... أراه كثير إرخاء الستور
وأكثر ما يغنيه فتاه ... حسين حين يخلو بالسرير
فلو الريح أسمع من بحجر ... صليلَ البيضِ تقرعُ بالذكور

فالبيت الآخر لمهلهل فجاء قرع البيض بالذكور ههنا عجيبا وان كانت اللفظتان فى المعنى غير اللفظتين .. ومن الشعراء من يضمن قسيما نحو قول بعضهم أظنه الصولى

خلقت على باب الامير كانني ... قفانبك من ذكري حبيب ومنزلِ
اذا جئت أشكو طول ضيقٍ وفاقة ... يقولون لا تهلكْ أسى وتجمل
ففاضت دموعُ العينِ من سوءِ ردهم ... على النحر حتى بل دمعيَ محملي
لقد طال ترداديِ وقصدي اليكم ... فهل عند رسم دارسٍ من معوّل

ومنهم من يقلب البيت فيضمنه معكوسا نحو قول العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان لمسلمة بن عبد الملك

لقد أنكرتني انكارَ خوفٍ ... يضم حشاك عن شتمي وذحلي
كقولِ المرء عمرو فى القوافى ... لقيسٍ حين خالف كل عذل
عذيرَكَ من خليلكَ من مراد ... أريدُ حياته ويريد قتلي

والبيت المضمن لعمرو بن معدي كرب الزبيدي يقوله لابن أخته قيس بن زهير بن مكشوح المرادى وكان بينهما بعد شديد وعداوة عظيمة وحقيقته فى شعر عمرو

أريدُ حياته ويريدُ قتلي ... عذيرك من خليلكَ من مراد

وكان عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه اذا رأى ابن ملجم تمثل بهذا البيت .. ومن التضمين ما يجمع فيه الشاعر قسمين من وزنين كقول علي بن الجهم يعرض بفضل الشاعرة جارية المتوكل وبنان المغنى وكانا يتعاشقان فاذا غنى

اسمعي أو خبرينا ... يا ديار الظاعنينا

غنت هى كالمجاوبة له عما يقول

ألاَ حييتِ عنا يا مدينا وهل بأسٌ بقول مسلمينا

فقال عليٌّ منبهاً عليهما فى ذلك

كلما غنىَّ بنانٌ اسمى أو خبرينا
أنشدتُ فصلٌ ألاَ حييتِ عنا يامدينا
عارضتُ معنى بمعنى والندامى غافلونا
أحسنتُ اذ لم نجبا وبهم ديارُ الظاعنينا
لوْ أجابهم لصرنا آية للسائلينا
واستعاد الصوتَ مولا ها وحثَّ الشاربينا
قلتُ للمولى وقد كادت حميا الكاس فينا
رب صوتٍ حسنٍ ينبتُ فى الرأسِ قرونا

وأنشد ابن المعتز فى باب التضمين للأخطل

ولقد سما للخرمى فلم يقل يوم الوغي لكن تضايق مقدمي

إشارة الى قول عنترة العبسي

اذ يتقون بيَ الاسنةَ لم أخم عنها ولكني تضايق مقدمي

وهذا تضمين أنت ترى كيف هو وأنشد.. الآخر

عوذ لما بتُّ ضيفاً له أقراصه مني بياسين ٭
فبتُّ والارض فراشي وقد غنت قفا نبك مصاريني

ومن التضمين ما يحيل الشاعر فيه احالة ويشير به اشارة فيأتى به كانه نظم الأخبار أو شبيه به وذلك نحو قول بعضهم فى معنى قول ابن المعتز ـ كما قال عباس وأنفي راغم ـ انه لم يرد الأبيات المقدم ذكرها وانما أراد قوله للرشيد حين هجرته ماردة

لابدَّ للعاشقِ من وقفةٍ يكونُ بين الوصلِ والصرم
حتى اذا الهجرُ تمادى به راجعَ من يهوى على رغم

فهذا النوع أبعد التضمينات كلها وأقلها وجوداً وذلك نحو قول أبي تمام

لعمرٌو مع الرمضاء والنارُ تلتظى أرقُّ وأحمى منك في ساعة الكرب

أراد البيت المضروب به المثل

المستجيرُ بعمرو عند كربته كالمستجيرِ من الرمضاء بالنار

وقد صنعت أنا في معنى الهجاء

عرسهُ من غير ضيرِ عرسُ زيدبن عمير
أبداً تزنى فان حاضت تقـد حبا لاير
ولها رجلان من ناقة كعب بن زهير
هكذا تبني المعالى ليس الأ كل خير

ـزيد بن عميرـهو الذى يقول فى زوجته

تقود اذا حاضت وان طهرت زنت فهي أبداً يزنى بهـا وتقـود

ـوكعب بن زهيرـ يقول فى وصف ناقته

تهوى على يسرات وهي لاهية ذوابل وقعهن الأرض تحليل

فكانت هذه المرأة فى حاليها لاتقع رجلاها بالارض اما لكثرة مباضعة أو شدة مشى فى فساد ٠٠ ومن أنواع التضمين تعليق القافية بأول البيت الذى بعدها وقد تقدم ذكره ٠٠ وأما الاجازة فانها بناء الشاعر بيتاً أو قسيما يزيده على ماقبله وربما أجاز بيتاً أوقسيما بأبيات كثيرة فأما ما أجيز فيه قسيم بقسيم فقول بعضهم لأبى العتاهية أجزـ برد الماء وطابا ـ فقال ـ حبذا الماء شرابا ـ وأما ما أُجيز فيه بيت ببيت ٠٠ فقول حسان بن ثابت وقد أرق ذات ليلة فقال

متاريك أذنابِ الأمور اذا أعترت أخذنا الفروع واجتنبنا أصولها

وأجبل فقالت ابنته يا أبت ألا أجيز عنك فقال أوعندك ذاك قالت بلى قال فافعلى فقالت

مقاويل للمعروف خرسٌ عن الخنا كرامٌ يعاطون العشيرة سولها

قال فحمي الشيخ عند ذاك فقال

وقافية مثلِ السنانِ ردفتها تناولتُ من جوِّ السماء نزولها

.. فقالت ابنته

براها الذى لاينطقُ الشعرُ عنده ويعجز عن أمثالها أن يقولها

وذكر أن العباس بن الأحنف دخل على الدلفاء فقال أجيزى عنى هذا البيت

أهــدى له أحبــابهُ أترجّةً فبكي وأشفق من عيافة زاجرِ

فقالت غير مفكرة

خافَ التلونَ اذ أتته لأنها لونان باطنهاخلاف الظاهرِ

فخلف لهـا بكل الايمان وكانت تعزه لئن ظهر البيت ان دخلت منزلكم أبداً وأضافه الى بيته ..وأما ما أجيز فيه قسيم ببيت ونصف فقول الرشيد للشعراء أجيزوا

* الملكُ للهِ وحده *

.. فقال الجماز * وللخليفة بعدهْ *

وللمحب اذا ما حبيبه بات عنده

واستجاز سيف الدولة أبا الطيب قول عباس بن الأحنف

أمنى تخافُ انتشارَ الحديث وحظيَ فى سترِه أوفرُ

فصنع القصيدة المشهورة

هواكَ هوايَ الذي أضمرُ وسرُّك سري فمــا أظهر

إلا أنه خرج فيها عن المقصد..والاجازة فيهذا الموضع مشتقة المعنى من الاجازة فى السقى يقال أجازفلان فلاناً اذا سقى له أوسقاه الشك مني وأما اللفظة فصيحة فصيحة.. وقال ابن السكيت يقال للذى يرد على أهل الماء فيستقى مستجيز.. قال القطامي

وقالوا فُقيم قيمُ الماء فاستجز عبادةَ أن المستجيز على قتر

ويجوز أن يكون من أجزت عن فلان الكأس اذا تركته وسقيت غيره فجازت عنه

دون أن يشربها .. قال أبو نواس

وقلتُ لساقينا أجزنا فلم أكن ليأبى أميرُ المؤمنين وأشربا

فجوزها عني عقاراً ترى لها الى الشرفِ الأعلى شعاعا مُطنبا

وقد تقدم ذكر الاجازة التى فيها عيوب القوافى وذكرت اشتقاقها .. ومن هذا الباب نوع يسمي التمليط وهو أن يتساجل الشاعران فيصنع هذا قسيما وهذا قسيما لينظر أيهما ينقطع قبل صاحبه وفى الحكاية أن امرأ القيس قال للتوءم اليشكري ان كنت شاعراً كما تقول فملط انصاف ما أقول فأجزها قال نعم .. قال امرؤ القيس

* أحار ترى بُريقاً هبَّ وهنا *

فقال التوءم * كنار مجوسَ تستعر استعارا *

فقال امرؤ القيس * أرقتُ له ونام أبو شريح *

فقال التوءم * اذا ما قلتُ قد هدأ استطارا *

ولم يزالا هكذا يصنع هذا قسيما وهذا قسيما الى آخر الأبيات.. وقد تقدم انشادها فى باب أدب الشاعر من هذا الكتاب .. وربما ملط الابيات شعراء جماعة كما يحكي أن أبا نواس والعباس بن الأحنف والحسين بن الضحاك الخليع ومسلم بن الوليد الصريع خرجوا فى متنزه لهم ومعهم يحيي بن المعلي فقام يصلي بهم فنسى الحمدُ وقرأ ﴿ قل هوَ الله أحدٌ ﴾ فارتج عليه فى نصفها فقال أبونواس أجيزوا

أكثرَ يحيي غلطاً في قل هو الله أحد

فقال عباس

قام طويلا ساهيا حتى اذا أعيي سجدْ

فقال مسلم بن الوليد

يزحر فى محرابه زحيرَ حبلى بولدْ

فقال الخليع

كأنما لسانه شد بحبل من مسدْ

وأنشدني بعض أصحابنا هذه الأبيات على طريق الاستملاح لها والاستظراف بها وقال هذا الذي يعجز الناس عنه فقلت فما بال عباس وأبي نواس لم يقولا بعد البيت الاول

ونسيَ الحمدَ فما مرتْ له على خلد

ولا سيما وقد كان ذلك حقيقة وكذلك جرت الحكاية فقال ولمن البيت فقلت لابن وقنه .. واشتقاق التمليط من أحد شيئين أولهما أن يكون من الملاطين وهما جانبا السنام في مرد الكتفين .. قال جرير

ظلان حوالىْ خدرِ أسماءَ وانتحى بأسماءَ موارُ الملاطين أروَحُ

فكأن كل قسيم ملاط أي جانب من البيت وهما عند ابن السكيت العضدان .. والآخر وهو الأجود أن يكون اشتقاقه من الملاط وهو الطين يدخل فى البناء يملط به الحائط ملطاً أى يدخل بين اللبن حتى يصير شيئاً واحداً .. وأما الملط وهو الذى لا يبالى ما صنع والأملط الذى لا شعر عليه فى جسده فليس لاشتقاقه منهما وجه

باب الاتساع

وذلك أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل فيأتى كل واحد بمعنى وانما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى .. من ذلك قول امرئ القيس

مكرٍّ مفرٍ مقبلٍ مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من على

فانما أراد أنه يصلح للكر والفر ويحسن مقبلا ومدبراً ثم قال ـ معاً ـ أى جميع ذلك فيه وشبهه فى سرعته وشدة جريه بجلمود صخر حطه السيل من أعلى الجبل فاذا انحط من عال كان شديد السرعة فكيف اذا أعانته قوة السيل من ورائه .. وذهب قوم منهم عبد الكريم الى أن معنى قوله ـ كجلمود صخر حطه السيل من على ـ انما هو الصلابة لان الصخر عندهم كلما كان أظهر للشمس والريح كان أصلب .. وقال بعض من فسره من

المحدثين انما أراد الافراط فزعم أنه يرى مقبلا ومدبراً فى حال واحدة عند الكر والفر لشدة سرعته واعترض على نفسه واحتج بما يوجد عياناً فمثله بالجلمود المنحدر من قنة الجبل فانك ترى ظهره فى النصبة على الحال التي يرى فيها بطنه وهو مقبل اليك ولعل هذا مامر قط ببال امرئ القيس ولا خطر فى وهمه ولا وقع فى خلده ولا روعه ومثله قول أبي نواس

ألا فاسقنى خمراً وقل لى هي الخمر

فزعم من فسره أنه انما قال -وقل لى هي الخمر- ليلتذ السمع بذكرها كما التذت العين برؤيتها والأنف بشمها واليد بلمسها والفم بذوقها وأبونواس ماأظنه ذهب هذا المذهب ولاسلك هذا الشعب ولا أراه أراد الا الخلاعة والعبث الذى بنى عليه القصيدة ودليل ذلك أنه قال فى تمام البيت ولاتسقنى سرا اذا أمكن الجهر

ويروي -فقد أمكن الجهر- فذهب الى المجاهرة وقلة المبالاة بالناس والمداراة لهم في شرب الخمر بعينها التي لااختلاف بين المسلمين فيها . وقد ثبت أن المأمون ذم أخاه الأمين على المنابر وذكر فى مذامه أنه صحب شاعراً من أمره ومن قصته انه يجاهر بالمعاصى ويقول في قصيدة أولها كذا وأنشد البيت

فبتنا يرانا الله شرّ عصابة نجرر أذيالَ الفسوقِ ولا فخرُ

ومثل ذلك قول المفضل الضبي بين يدى الرشيد والكسائي حاضر فى معنى قول الفرزدق

أخذنا بآفاقِ السماء عليكم لنا قمراها والنجومُ الطوالع

وقد سال الأمين والمأمون مامعناه فقالا معناه في قوله قمراها تغليب المستعمل عندهم لان القمر أكثر استعمالا عند العرب من الشمس وكذلك قولهم العمران لما كان عمر أطول أياماً وأكثر تأثيراً فقال الرشيد هكذا أخبرنا هذا الشيخ وأشار الى الكسائي فقال المفضل بل مراده بالقمرين جداك ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وبالنجوم الطوالع أنت وآباؤك الطيبون فأعجب الرشيد بذلك ووصله والفرزدق ما قصد الى شيء من ذلك ولا أراده ولا علم أن الرشيد بعده يكون أمير المؤمنين وانما أراد أن كل مشهور فاضل فهولنا عليكم ومنالا منكم فنحن أشرف بيتاً وأظهر فضلا وأبعد صوتاً الا أن التى جاء بها المفضل ملحة

أفادت مالا ·· ويتعلق بهذا قول أبي الطيب يذكر الروم

وقد بردت فوقَ اللقانِ دماؤهم ونحن أناسٌ نتبعُ الباردَ السخنا

أراد أنا نتبع البارد من الدماء سخناً كأنه يتوعدهم بقتل آخر فيكون قد أخذه من قول سويد بن كراع وهي أمه يصف كلاباً وثورا

فهز عليه الموتُ والموتُ دونه على رَوقه منه مذابٌ وجامد

قال الأصمعي يعني بالمذاب الحار وبالجامد البارد ويجوز أن يكون أبو الطيب أراد ونحن أناس نتبع البارد من الطعام سخنا وكذلك أيضاً عادتنا في الدماء فيكون قد فرع ·· وزعم قوم في قوله يشفع لبني كلاب الى سيف الدولة

وتملكُ أنفسَ الثقلينِ طراً فكيف تحوزُ أنفسَها كلابُ

أنه لم يرد القبيلة وانما أراد أن يجعلهم كلاباً على باب التحقير لقدرهم والتلطف لهم كما جعلهم في البيت الأول ذئاباً سراقاً ولا أظن ذلك بل لا أحققه لأنه في القصيدة

ولو غيرُ الأميرِ غزا كلابا ثناه عن شموسهم ضبابُ

ولاقى دون ثايهم طعانا يلاقي عندَها الذئبَ الغرابُ

الا أن يحملوا على الشاعر التناقض وينسبوه الى قلة التحصيل فذلك اليهم على أن هذه القصيدة قليلة النظير في شعره تناسباً وطبعاً وصنعة ومثلها الرائية في وزنها وذكر القصة بعينها

باب الاشتراك

وهو أنواع منها ما يكون في اللفظ ومنها ما يكون في المعنى ·· فالذي يكون في اللفظ ثلاثة أشياء فأحدها أن يكون اللفظان راجعين الى حد واحد ومأخوذين من حد واحد فذلك اشتراك محمود وهو التجنيس وقد تقدم القول فيه ·· والنوع الثاني أن يكون

اللفظ يحتمل تأويلين أحدهما يلائم المعنى الذى أنت فيه والآخر لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد .. كقول الفرزدق

وما مثله فى الناس الا مملكا ... أبو أمه حىٌّ أبوه يقاربه

فقوله ـ حي ـ يحتمل القبيلة ويحتمل الواحد الحي وهذا الاشتراك مذموم قبيح والمليح يحفظ كثير فى قوله يشبب

لعمرى لقد حببت كلَّ قصيرةٍ ... الىَّ وما يدرى بذاكَ القصائر

عنيتُ قصيرات الحجال ولم أرد ... قصارَ الخطا شرُّ النساء البحاتر

فأنت ترى فطنته لما أحسَّ بالاشتراك كيف نفاه وأعرب عن معناه الذي نحا اليه .. ومن نوع قول الفرزدق قول كشاجم يذكر الميدان

عمرته بفتية صباح ... سمح باعراضهم شحاح

فنحن نعلم أنه أراد سمح شحاح باعراضهم ولكن فيه من اللبس ماهو أولى من التأويل .. والنوع الثالث ليس من هذا فى شئ وهو سائر الألفاظ المبتذلة للتكلم بها لا يسمى تناولها سرقة ولا تداولها اتباعا لانها مشتركة لا أحد من الناس أولى بها من الآخر فهي مباحة غير محظورة الاَّ أن تدخلها استعارة أو تصحبها قرينة تحدث فيها معنى أو تفيد فائدة فهناك يتميز الناس ويسقط اسم الاشتراك الذى يقوم به العذر ولو غيرت اللفظة وأتى بما يقوم مقامها كقول ابن أحمر

بمقلَّص دركٍ الطريدةَ متنه ... كصفا الخليقة بالفضاء الملبد

فقوله ـ درك الطريدةَ ـ وقول الاسود بن يعفر

بمقلص عتد جهير شده ... قيدِ الأوابد والرهان جواد

جميعاً كقول امرئ القيس • بمنجرد قيد الأوابد هيكل •

وكذلك قول أبى الطيب • أجل الظليم وربقة السرحان •

فأما ماناسب قول الأبيرد اليربوعي يرثى أخاه

وقد كنتُ أستعفي الالهَ اذا اشتكي ... من الاجر لى فيه وان عظم الاجرُ

وقول أبي نواس في صفة الخمر

ترى العينَ تستعفيك من لمعانها ونحسر حتي ما تقلُّ جفونَها

فهو من المشترك الذي لا يعد سرقة .. وقد نص عليه القاضي الجرجاني أنه من المنقول المتداول المبتذل .. وأما الاشتراك في المعاني فنوعان .. أحدهما أن يشترك المعنيان وتختلف العبارة عنهما فيتباعد اللفظان وذلك هو الجيد المستحسن نحو قول امرئ القيس

كبكرِ المقاناة البياضَ بصفرةٍ غذاها نميرُ الماء غيرَ محلل

وقول غيلان ذي الرمة

نجلاء في برج صفراء في نعج كأنها فضة قد مسها ذهبُ

فوصفها جميعاً لوناً بعينه فشبه الأول بلون بيضة النعام وشبه الثاني بلون الفضة قد خالطها الذهب يسيراً ولذلك قال قد مسها ونحو قول عبدة بن الطبيب يصف ثوراً وحشيا

مجتاب نصع جديد فوق نقبته وفي القوائم من خالٍ سراويلُ

وقال الطرماح يصف ظليما

مجتاب شملة برجد لسراته قدرا فأسلم ما سواه البرجد

فوصف الأول بياض الثور وسواد قوائمه وتخطيطها فشبه ظهره كأن عليه نصعا جديداً وهو الثوب الأبيض وشبه مافي قوائمه من السواد والتخطيط بسراويل من الخال وهو ضرب من الوشي .. وقال الثاني انه مجتاب شملة برجد يريد ما على الظليم من قرونه -والبرجد- كساء اسود مخمل وجعل الشملة قدراً لسراته دون رجليه وعنقه فدل على بياضهن .. وقال عنترة

صَعلٍ يعودُ بذي العشيرةِ بيضه كالعبدِ ذي الفروِ الطويلِ الأصلم

فشبهه بعبد طويل عليه فرو أصلم أي قصير الذيول وانما خص الفرو لانهم كانوا يلبسونه مقلوبا وجعله عبداً لبياض ساقيه وعنقه واشرابهما الحمرة يعني صفات الروم ولم تكن العبيد في ذلك الوقت الا بيضاً فهذا اشتراك في وصف الظهر والقوائم واختلاف في اللفظ والعبارة .. والنوع الثاني على ضربين .. أحدهما ما يوجد في الطباع من تشبيه الجاهل

بالثور والحمار والحسن بالشمس والقمر والشجاع بالاسد وما شابهه والسخي بالغيث والبحر والعزيمة بالسيف والسيل ونحو ذلك لان الناس كلهم الفصيح والاعجم والناطق والابكم فيه سواء لانا نجده مركبا فى الخليقة أولا .. والآخر ضرب كان مخترعا ثم كثر حتى استوى فيه الناس وتواطأ عليه الشعراء آخراً عن أول نحو قولهم فى صفة الخد كالورد وفي القد كالغصن وفي العين كعين المهاة من الوحش وفى العنق كعنق الظبي وكابريق الفضة أو الذهب فهذا النوع وما ناسبه قد كان مخترعاً ثم تساوى الناس فيه الا أن يولد أحد منهم فيه زيادة أو يخصه بقرينة فيستوجب بها الانفراد من بينهم ومثل ذلك تشبيه العزم بهبوب الريح والذكاء بشواظ النار وسيرد عليك من قوافى باب السرقات وما ناسبها كثير ان شاء الله تعالى

باب التغاير

وهو أن يتضاد المذهبان فى المعنى حتى يتقاوما ثم يصحا جميعاً وذلك من افتنان الشعراء وتصرفهم وغوص أفكارهم .. من ذلك قول بعض العرب المتقدمين يذكر قوماً بأنهم لا يأخذون الا القود دون الدية

لا يشربون دماءهم بأكفهم ان الدماء الشافيات تكال

وقال آخر وقد أخذ بثاره الا أنه فيما زعم قتل دون من قُتل له ويروى لامرأة حارثية

فيقتل خير بامرئ لم يكن له بواء ولكن لا تكايل بالدم

ويروي — فى فتى لم يكن له وفاء — فالأول يقول لا آخذ بالدم لبناً لكن آخذ دما بقدره فكان ذلك مكايلة والثانى يزعم أن قتيله قليل المثل والنظير فمتى لم يقتل به الا نظيره بعد انتقامه وعسر ادراكه الثأر فقال ان الدماء ليست مما يكايل به فى الحقيقة وقيل انما يعنى بذلك أن الاسلام لما جاء ازال المكايلة بالدم فكانوا لا يقتلون بالرئيس الا رئيساً مثله .. ومن هذا الباب قول أبى تمام فى التكرم يفضله على الكرم المطبوع

قدْ بَلونا أبا سعيدٍ حديثاً وبَلونا أبا سعيدٍ قديما
ووردناه سائحاً وقليباً ورعيناه بارضاً وجميما
فعلمنا أنْ ليس الاَّ بشق النفس صارَ الكريم يُدعي كريما

وقال أبو الطيب فى خلافه

لو كفرَ العالمونَ نعمته لما عدتْ نفسُهُ سجاياها
كالشمسِ لاتبتغي بما صنعت تكرمةً عندهم ولاجاها

والى هذا المذهب نحا السيد أبو الحسن فى قوله

جبرُ الكسيرِ اذا يهاضُ جناحُه لجأ المطرَّد مستغاثُ المملقِ
جمعَ الفضائلَ والمحامدَ والعلى خُلُق لعمرُ أبيكَ غيرُ تخلقِ

وأصل معنى قول أبى الطيب من قول بشار

ليسَ يعطيكَ للرجاء وللخو ف ولكن يلذُّ طعمَ العطاء

وقال البحترى فى نحو ذلك

لا يتعبُ النائلُ المبذولُ همته وكيف يتعبُ عينَ الناظرِ النظرُ

وكان أبو الطيب لقدرته واتساعه في المعانى كثيراً ما يخالف الشعراء ويغاير مذاهبهم ألا ترى الى قول على بن العباس النوبختي وهو فى رواية الجرجانى لابن الرومى يصف القلم ويفضله على السيف وكتب بذلك الى علي بن مقلة في قصيدة

إنْ يخدمِ القلمُ السيفَ الذي خضعتْ له الرقابُ ودانتْ خوفه الأممُ
كذا قضى اللهُ للاقلامِ مذ بريت أنَّ السيوفَ لهامذ أرهفتْ خدمُ
فالموتُ والموتُ لا شيءٌ يعادلهُ ما زال يتبعُ ما يجرى به القلم

وهذا كلام متقن البنية صحيح المعنى لامطعن فيه فجاء أبو الطيب فخالفه وذهب مذهباً آخر يشهد بصحته العيان ويصححه البرهان فقال

حتى رجعتُ وأقلامي قوائلُ لى المجدُ للسيفِ ليسَ المجدُ للقلمِ

اكتب بذا أبداً قبل الكتاب بها فانما نحن للأسياف كالخدم

ومن التغاير قول الفرزدق يصف إبله ويفخر

ألم تسمعا يابني حكيم حنينَها الى السيفِ تستبكي اذالم تعقر

فجعلها اذا لم تعقر حنت الى السيف واستبكت لكثرة عادتها وهذا غلو مفرط وكان فى مكان آخر يصفها بالجزع اذا رأت الضيف لعلمها أنها تنحر له

ترى النيبَ من ضيفي اذا ما رأينه ضموراً على جراتهـا ما تجيزها

فزعم أنها تخفى حسها حتى أنها لاتجتر خوفاً من النحر وهذا المعنى مأخوذ من بيتين مُدح بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهما

وأبيكَ حقاً إنَّ ابلَ محمـد عزلٌ نوائحُ أنْ تهبَّ شمالُ

واذا رأينَ لدى الفناء غريبةً فدموعهنَّ على الخدودِ سجالُ

يقول اذا هبت الشمال وهى من رياح الشتاء وعلامات المحل أيقنَّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرهن للضيفان والجيران فهى نوائح لذلك وقوله. واذا رأينَ لدي الفناء غريبةً ـ أي يعرفن بذلك أنها ناقة ضيف فتذرى كل واحدة دمعها لاتدرى هل هي المنحورة وهذا من ملح الشعر ولطيف المدح وقلَّ كل مديح لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. ومن مليح التغاير قول أبى الشيص

أجدُ الملامـةَ في هواكِ لذيذةً حباً لذكرك فليلمـنى اللوّم

وقول أبى الطيب في عكس هذا

أأحبه وأحبُّ فيه مـلامةً ان الملامةَ فيه من أعدائه

وهذا عند الجرجاني هو النظر والملاحظة وهو يعده فى باب السرقات قال وأصله من قول أبي نواس

اذا غاديتنى بصبوح عذلٍ فممزوجاً بتسمية الحبيبِ

ولأبي العلاء المعرى مثله من غير التزام

لم يبق غيرُ العذلِ من أسبابهم فأحبُّ من يدنو الى عذولُ
يغدو فلا مستخبرٌ عن حالهم غيرى ولا مستخبرٌ مسؤل

باب في التصرف ونقد الشعر

يجب للشاعر أن يكون متصرفاً في أنواع الشعر من جد وهزل وحلو وجزل وأن لا يكون فى النسيب أبرع منه فى الرثاء ولا في المديح أنفذ منه في الهجاء ولا في الافتخار أبلغ منه في الاعتذار ولا فى واحد مما ذكرت أبعد منه صوتاً في سائرها فانه متى كان كذلك حكم له بالتقدم وحاز قصب السبق كما حازها بشار بن برد وأبو نواس بعده .. حكي الصاحب بن عباد فى صدر رسالة صنعها على أبي الطيب قال حدثني محمد بن يوسف الحمادي قال حضرت بمجلس عبيد الله بن عبدالله بن طاهر وقد حضره البحتري فقال ياأبا عبادة أمسلم أشعر أم أبونواس فقال بل أبو نواس لانه يتصرف فى كل طريق ويبرع فى كل مذهب ان شاء جد وان شاء هزل ومسلم يلزم طريقا واحداً لا يتعداه ويتحقق بمذهب لا يتخطاه فقال له عبيد الله ان أحمد بن يحيي ثعلبا لايوافقك على هذا فقال أيها الامير ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ممن يحفظ الشعر ولايقوله فانما يعرف الشعر من دفع الى مضايقه فقال وريت بك زنادي يا أبا عبادة إن حكمك فى عميك أبي نواس ومسلم وافق حكم أبي نواس فى عميه جرير والفرزدق فانه سئل عنهما ففضل جريراً فقيل إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا فقال ليس هذا من علم أبي عبيدة فانما يعرفه من دفع الى مضايق الشعر وقد خالف البحترى أبا نواس فى الحكم بين جرير والفرزدق فقدم الفرزدق قيل له كيف تقدمه وجرير أشبه طبعاً بك منه فقال انما يزعم هذا من لاعلم له بالشعر جرير لايعدو فى هجائه الفرزدق ذكر القين وجعثن وقتل الزبير والفرزدق يرميه في كل قصيدة بآبدة حكي ذلك غير واحد من المؤلفين .. فاذا كان هذا فقد حكم له بالتصرف وبهذا أقول أنا وإياه أعتقد فيهما واذا لم يكن شعر الشاعر نمطا واحداً لم يمله السامع

حتى أن حبيبا ادعي ذلك لنفسه في القصيدة الواحدة فقال

الجدُّ والهزلُ في توشيع لحمتها والنبلُ والسخفُ والأشجان والطربُ

وقد قال اسماعيل بن القاسم أبو العتاهية

لا يصلح النفسَ اذ كانت مصرفةً الاَّ التصرفُ من حالٍ الى حالِ

وأنشد الصاحب لأبي احمد يحيي بن علي المنجم في نقد الشعر

ربَّ شعرٍ نقدته مثل ما ينقد رأس الصيارف الدينارا
ثم أرسلته فكانت معانيه وألفاظه معا ابكارا
لو تأتى لقالة الشعر ما أسقطُ منه حلوا به الأشعارا
ان خيرَ الكلام مايستعيرُ النا س منه ولم يكن مستعارا

وقال الجاحظ طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن الا غريبه فرجعت الى الأخفش فوجدته لا يتقن الا اعرابه فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل الا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والانساب فلم أظفر بما أردت الا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات .. قال الصاحب على أثر هذه الحكاية فلله أبو عثمان فلقد غاص على سر الشعر واستخرج أرق من السحر وسأذكر بعد هذا الباب قطعة من أشعار الكتاب يظهر فيها مرماهم ويستدل بها على مغزاهم ويعرف حسن اختيار الجاحظ فيما ذهب اليه من تفضيلهم ويشهد لي بجودة الميز وفرط التثبت والانصاف ان شاء الله تعالى

باب في أشعار الكتّاب

والكتاب أرق الناس في الشعر طبعاً وأملحهم تصنيعاً وأحلاهم ألفاظاً والطفهم معاني وأقدرهم على تصرف وأبعدهم من تكلف .. وقد قيل الكتاب دهاقين

الكلام وما نزيدك على قول ابراهيم بن العباس الصولى بين يدي المتوكل حين أحضر لمناظرته احمد بن المدبر فقال ارتجالا

صدّ عنى وصدقَ الأقوالاَ وأطاعَ الوشاةَ والعذّالاَ
أتراه يكونُ شهرَ صدودٍ وعلى وجهه رأيتُ الهلالاَ

فطرب له المتوكل واهتز ووصله وخلع عليه وحمله وجدد له ولاية .. وقيل له في التلطف والاستعطاف أكثر من هذا وأى مدح أبرع وأبدع من قوله في الفضل بن سهل

لفضلِ بن سهلٍ يدٌ تقاصرَ عنها المثلْ
فباطنها للندى وظاهرُها للقُبلْ
وَنائلها للغنى وَسطوتُها للأجلْ

أليس هذا الماء الزلال والسحر الحلال .. ولقد أجاد ابن الرومى في تناوله هذا المعنى حين قال

مُقبّلُ ظهرِ الكفِ وهابُ بطنها له راحةٌ فيها الحطيمُ وزمزمُ
فظاهرُها للناسِ ركنٌ مُقبّلٌ وباطنها عينٌ من الجود عيلمُ

إلاَّ أن الأول أخف وزناً وأرشق لفظاً ومعنى وهذان البيتان وان كانت فيهما زيادة فانما هما بإزاء البيت الأوسط من أبيات ابراهيم فقط .. ومن تغزل ابراهيم قوله

أراكَ فلا أردُّ الطرفَ كِلاَ يكونَ حجابَ رؤيتكَ الجفونُ
ولو أنى نظرتُ بكل عينٍ لما استقصتْ محاسنَكَ العيونُ

فهذا وأبيك البيان والخبر الذى كأنه العيان .. وما أجد كل حلاوة وحسن طلاوة الاَّ دون قوله

ابتداءٌ بالتجنى واقتضاءٌ بالتظنى
واشتفاءٌ بتجنيك لأعدائك منى
بأبى قل لى لكيْ أعلمَ لِمْ أعرضتَ عنى

قدنعى ذاكَ أعدا ئى فقدنا لوا التمنى

وأما الهجاء فقد بلغ فيه أبعد الغايات بقوله فى محمد بن عبد الملك الزيات

فكنْ كيفَ شئتَ وقلْ ماتشا ۰ وارعد يميناً وأبرقْ شمالاً

نجا بكَ لؤمكَ منجا الذباب حمته مقاذيره أن ينالاَ

ومن شعر محمد بن عبد الملك الزيات قوله لاحمد بن أبي دؤاد وقدأمر الواثق أن يقوم جميع الناس لابن الزيات ولم يجمل فى ذلك رخصة لاحد وكان ابن أبى دؤاد يشتغل بصلاةالضحى اذا أحس بقدومه أنفة من القيام اليه فى دار السلطان وامتثالا للأمر فصنع ابن الزيات

صلى الضحى لما استفادَ عداوتى وأراه ينسكُ بعدها ويصومُ

لا تعدمنَّ عداوةً مشؤمةً تركتكَ تقعدُ تارةً وتقومُ

ومن تغزله قوله وهو فى غاية العذوبة

قامَ بقلبى وقعدْ لما نفى عني الجلدْ

ياصاحبَ القصر الذى أسهر عيني ورقدْ

واعطشى الى فمٍ يمجُّ خمراً من بَرَدْ

ان قسمَ الناسُ فحسبي بكَ من كلِّ أحد

وقال يرثي جاريته سلوانة وهي أم ولده عمر الاصغر

يقولُ لى الخلانُ لوزرتَ قبرها فقلتُ وهل غير الفؤاد لها قبرُ

على حين لم أحدث فاجهلَ قدرها ولم أبلغِ السنَّ التى معها الصبرُ

وقال أيضاً وأحسن ماشاء

مالى اذا غبتُ لم أذكرْ بواحدةٍ وان مرضتُ فطالَ السقمُ لم أعدِ

ما أعجب الشئَ ترجوه فتحرمهُ قد كنتُ أحسبُ أني قدملأتُ يدِى

ومن شعره في هذا الباب مقطعات متفرقة تغني عن الا كثار منه ههنا ۰۰ وأما الحسن بن

وهب فمن قوله

لم تنم مقلتي لطول بكاها ... ولما جال فوقها من قذاها
فالقذى كحلها الى أن ترى ... وجه سليمى وكيف لي أن تراها
أسعدت مقلتي بادمانها الدم ... ع وهجرانها الكري مقلتاها
فلعيني في كل حين دموع ... انما تستدرها عيناها

وقدم اليه كانون ومعه قينة كان يهواها فأمرت بابعاد الكانون فصنع

بأبي كرهت النار حتى أبعدت ... فعرفت ما معناك في ابعادها
هي ضرة لك بالتماع شعاعها ... وبحسن صورتها لدى ايقادها
وأرى صنيعك بالقلوب صنيعها ... بأراكها وسيالها وعرادها
شركتك في كل الجهات بحسنها ... وضيائها وصلاحها وفسادها

ومن مليح الشعر قوله يمدح محمد بن عبد الله بن طاهر غب مطر

هطلتنا السماء هطلاً دراكا ... جاوز المرزبان فيه السماكا
قلت للبرق اذ تألق فيه ... يا زناد السماء من أوراكا
أحبيباً أحببته فجفاكا ... فهي ذاك أن يعود كذاكا
أم تشبهت بالأمير أبي العبا ... س في جوده فلست هناكا

وهذا هو الكلام الكتابي السهل المرسل الحسن الطلاوة والظاهر الحلاوة .. ومن قوله يرثي حبيباً الطائي وكان صديقاً له جداً

سقى بالموصل القبر الغريبا ... سحائب ينتحبن به نحيبا
اذا أظللنه أطلقن فيه ... شعيب المزن يتبعها شعيبا
ولطمت البروق له خدودا ... وشققت الرعود له جيوبا
فان تراب ذاك القبر يحوى ... حبيباً كان يدعى لي حبيبا

وهي قصيدة كاملة أتيت بهذا منها معرضاً .. ومن شعراء الكتاب سعيد بن حميد الكاتب

وهو القائل في طول الليل

يا ليلُ بل يا أبدُ   أنائمٌ عنكَ غدُ

يا ليلُ لو تلقى الذي   ألقى بها أو أجدُ

قصر من طولك أو   أضعف منك الجلد

ورواه قوم ـ أنحل منك الجسد ـ والأول عندي أصوب وعلى كل حال فمنه أخذ أبو الطيب قوله

ألم ترَ هذا الليل عينيك رؤيتي   فتظهرَ فيه رقةٌ ونحولُ

وليس يلزم الكاتب أن يجارى الشاعر فى إحكام صنعة الشعر لرغبة الكتاب فى حلاوة الألفاظ وطيرانها وقلة الكلفة والاتيان بما يخف على النفس منها وأيضاً فان أكثر أشعارهم انما يأتى تطرفاً لا عن رغبة ولا رهبة فهم مطلقون مخلون فى شهواتهم مسامحون فى مذهبهم اذ كانوا انما يصنعون الشعر تخيراً واستظرافاً كما قال كشاجم الكاتب

ولئن شعرتُ فما تعمدت الهجاءَ ولا المديحهْ

لكنْ رأيتُ الشعر للآ   داب ترجمةً فصيحهْ

وعلى هذا النمط يجرى الحكم فى أشعار الخلفاء والامراء والمترفين من أهل الاقدار لا يحاسبون فيها محاسبة الشاعر المبرز الذي الشعر صناعته والمديح بضاعته . . وقد أعرب أبو الفتح بن أبى الفتح بن العميد وأغرب فى قوله

فان كان مرضياً فقل شعر كاتبٍ   وان كان مسخوطاً فقل شعر كاتبِ

ولو حاولت أن أذكر من علمت من شعراء الكتاب سوى من ذكرت لبعد الأمد وطالت الشقة واحتجت الى أن أقيم لهذا الفن ديوانا مفرداً لكنى عولت على ابن الزيات وابن وهب لاحالة الجاحظ في الفضل عليهما وآنستهما باثنين ليسا بدونهما ولو لم آت بهذا الباب الا لما بنيته عليه من ذكر أشعار السيد الرئيس أبى الحسن أيده الله لكان ذلك فوق الرضا والكفاية فمن ذلك قوله

باكر الراح ودعْ عنك العذلْ   واسع فى الصحة من قبل العلل

واغنم لذة يوم زائل   فالمنايا ضاحكاتٌ بالأمل
ما ترى الساقي كشمسٍ طلعتْ   تحمل المريخ فى برج الحمل
مائساً كالغصنِ فى دعصٍ نقي   فاتن المقلة زينت بالكحل

وقوله أيضا يتغزل

مرَّ بنا يهتزُّ فى مشيهِ   مثل اهتزازِ الغصنِ الرطبِ
فمقلتى ترتعُ في حسنه   ومقلتاهُ أحرقت قلبى

قوله ـ أحرقت ـ وهما مقلتان كقول بعضهم ٠٠ وأنشده أبو الجراح في طبقات الشعراء

أشركتْ عيناه ظالمةً   فى دمي ياعظمِ ماجنت

فقال ـ ظالمة ـ وقال ـ جنت ـ لأن التثنية جمع فى الحقيقة والجماعة تخبرعنها كما تخبر عن الواحد لمكان التأنيث والشاهد من قول القدماء قول أحدهم

لمن زحلوقة زلُّ   بها العينانِ تنهلُّ

فقال ـ تنهل ـ وكان حقه أن يقول تنهلان لكن العلة ما قدمت ٠٠ ومن الموعظة الحسنة البالغة قوله

أمنُ الزمان زمانةُ العقلِ   فاخشَ الاله وحُل عن الجهلِ
واعلم بأنكَ فى الحساب غداً   تجزَى بما قدمتَ منْ فعلِ

ومن تشكى أحوال الناس وقلة ثقتهم وانصافهم ٠٠ قوله

أيا ربِّ ان الناسَ لاينصفوننى   ولم يُحسنوا قرضى على حسناتى
اذا ما رأونى فى رخاء تردَّدُوا   الىَّ وأعدائى لدي الأزَمات
ومهما أكن فى نعمةٍ حزنوا لها   ذوو أنفسٍ فى شدةٍ جذلات
ثقاتىَ ما دامتْ صِلاتى لديهم   وان عنهم أخرتُها فعداتى
سأمنعُ قلبي أنْ يحنَّ اليهمُ   وأصرفُ عنهم قاليـاً لحظاتى
والزمُ نفسى الصبرَ دأباً لعلني   أعاينُ ما أملتُ قبلَ مماتى

ألا انما الدنيا كفافٌ وصحةٌ وأمنٌ ثلاثٌ هنَّ طيب حياتي

قوله -ثلاث- يعني ثلاث خصال أو ثلاث أحوال كما قال طرفة

فلولا ثلاثٌ هنَّ من لذة الفتى * ثم فسرهن فقال-فمنهن سبق العاذلات بشربة -وكري اذا نادى المضاف مجنباً- وتقصير يوم الدجن - والسبق والتقصير والكر كلها مذكرة لكن أراد ماقدمت ومن أحسن الاشعار قوله

خليليَّ إنْ لم تسعداني فاقصرا فليسَ يداوى بالعتاب المتيم

تريدان مني النسكَ في غير حينهِ وغصنيَ ريانٌ ورأسي أسحم

وقوله في قصيدة طويلة

غراء واضحةٌ ينوسُ بقرطها جيدٌ حكي جيدَ الغزالِ الأعنق

صدتْ فأغرتْ بالسجوم مدامعي والعينُ تذرفُ بالدموع السبَّق

تشكو البعادَ اذا بعدتُ تصبراً وان ارتجمتُ الى الزيارةِ تفرق

ولقد يبيتُ أخو المودةِ لائمي في حبها لومَ الشفيقِ المشفق

حتى اذا طلعتْ فأبصرَ شخصَها أخزى جهالةَ لائمي المستحمق

كم قد قطعتُ بوصلها من ليلةٍ وبشرب صافيةٍ كلونِ الزئبق

يسعى بها كالبدر ليلةَ تمه سحارُ ألحاظٍ رخيمُ المنطقِ

آليتُ أتركُ ذا وتلكَ وهذه حتى يفارقني سوادُ المفرقِ

فلله سلامة هذا الطبع واندفاعه وقرب هذا اللفظ واتساعه ولله رقة معانيه وارهافها وظهورها مع ذلك وانكشافها ولطف مواقعها من القلوب وسرعة تأثيرها في النفوس وسيرد من شعره فيما بعد مالاق بالمواضع التي يذكر فيها ان شاء الله تعالى

باب فى اعراض الشعر وصنوفه

وهو بسط لما بعده من الابواب وقد فرط البسط له وفرغ من مقدمته فى باب حد الشعر وتبيينه وأنا ذاكر هنا مالابد منه .. تكلم قوم فى الشعر عند أبى الصقر اسماعيل بن بلبل من حيث لايعلمون .. فكتب اليه أبو العباس الناشئ

لعنَ اللهُ صنعةَ الشعرِ ماذا من صنوفِ الجهالِ فيها لقينا
يؤثرونَ الغريبَ منه على ما كان سهلاً للسامعين مبينا
ويرونَ المحالَ شيئاً صحيحاً وخسيسَ المقالِ شيئاً ثمينا
يجهلونَ الصوابَ منه ولا يد رون للجهلِ أنهم يجهلونا
فهم عند من سوانا يلامو ن وفى الحق عندنا يعذرونا
أنما الشعرُ ما تناسبَ فى النظـ ـمِ وان كان في الصفاتِ فنونا
فأتي بعضُه يشاكلُ بعضا قد أقامتْ له الصدورُ المتونا
كلُّ معنى أتاكَ منه على ما تتمنى لو لم يكنْ أن يكونا
فتناهي عن البيانِ الى انْ كاد حسناً يبينُ للناظرينا
فكأنَّ الألفاظَ فيه وجوهٌ والمعانى رُكبنَ فيه عيونا
فائتا فى المرام حسب الأمانى فيجلي بحسنه المنشدينا
فاذا ما مدحتَ بالشعرِ حرا رمتَ فيه مذاهبَ المسهبينا
فجعلتَ النسيبَ سهلاً قريباً وجعلتَ المديحَ صدقاً مبينا
وتنكبتَ ما تهجَّنَ فى السمـ ـع وان كان لفظه موزونا
واذا ما قرضته بهجاء عفتَ فيه مذاهبَ المرفثينا
فجعلتَ التصريحَ منه دواءً وجعلتَ التعريضَ داءً دفينا
واذا ما بكيتَ فيه على الغا دينَ يوما للبين والظاعنينا

حلت دون الأسى وذلت ما كا ... ن من الدمع في العيون مصونا
ثم ان كنت عاتبا شبت في الوعـد وعيداً وبالصعوبة لينا
فتركت الذى عتبت عليه ... حذراً آمنا عزيزاً مهينا
وأصح القريض مافات في النظـم وان كان واضحا مستبينا
واذا قيل أطمع الناس طراً ... واذا ريم أعجز المعجزينا

قال أبو عبادة الوليد بن عبيد البحترى كنت في حداثتي أروم الشعر وكنت أرجع فيه الى طبع ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضائه حتى قصدت أبا تمام فانقطعت فيه اليه واتكلت في تعريفه عليه فكان أول ما قال لى يا أبا عبادة تخير الأوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد الانسان لتأليف شئ أو حفظه في وقت السحر وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم فان أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً وأكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الأشواق ولوعة الفراق واذا أخذت في مدح سيد ذى أياد فاشهر مناقبه وأظهر مناسبه وابن معالمه وشرف مقامه وتقاض المعاني واحذر المجهول منها واياك أن تشين شعرك بالالفاظ الزرية وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجسام واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وأنت فارغ القلب واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين فما استحسنته العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى .. قال صاحب الكتاب قد كنت أردت ذكر هذا الفصل فيما تقدم من باب عمل الشعر وشحذ القريحة له فلم أثق بحفظي فيه حتى صححته فأثبته بمكانه من هذ الباب .. ومن قول الناشئ في معنى شعره الأول

الشعر ما قومت زيغ صدوره ... وشددت بالتهذيب أسر متونه
ورأبت بالإطناب شعب صدوعه ... وفتحت بالايجاز عور عيونه
وجمعت بين قريبه وبعيده ... ووصلت بين مجمه ومعينه

فاذا بكيت به الديارَ وأهلها أجريتَ للمحزون ماءَ شؤونه
واذا مدحتَ به جواداً ماجداً وفيتهُ بالشكر حقَّ ديونه
أصفيته بنفيسه ورصينه وخصصته بخطيره وثمينه
فيكونُ جزلاً في اتساق صنوفهِ ويكونُ سهلاً في اتفاقِ فنونه
فاذا أردتَ كنايةً عن ريبةٍ باينت بين ظهوره وبطونه
فجعلتَ سامعه يشوبُ شكوكهُ ببيانه وظنونهُ بيقينه
واذا عتبتَ على أخٍ في زلةٍ أدمجتَ شدته له في لينه
فتركته مستأنساً بدماثةٍ مستيئساً لوعوثه وحزونه
واذا نبذتَ الى التي علقتها ان صارمتك بفاتنات شؤونه
تيمتها بلطيفه ودقيقه وشغفتها بخبيه وكمينه
واذا اعتذرتَ الى أخٍ من زلةٍ واشكت بين محيلهِ ومبينه

وهذا حين أبدأ بالكلام على هذه الاعراض والصنوف واحداً فواحداً ان شاء الله سبحانه وتعالى

باب النسيب

حق النسيب أن يكون حلو الألفاظ رسلها قريب المعانى سهلها غير كز ولا غامض وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى لين الايثار رطب المكسر شفاف الجوهر يطرب الحزين ويستخف الرصين.. روي أبو عليّ اسماعيل بن القاسم عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي عن أبيَ عمرو بن العلاء عن رواته عن كثير قال كنت مع جرير وهو يريد الشام فطرب وقال أنشدني لأخي بني مليح يعني كثيراً فأنشدته حتى انتهيت الى قوله

وأدنيتنى حتى اذا ما سبيتنى ... بقول يحلّ العصمَ سهلَ الاباطح
تجافيتِ عنى حين لالي حيلة ... وخلّفتِ ما خلفتِ بين الجوانح

فقال لولا أنه لا يحسن بشيخ مثلى النخير لنخرت حتى يسمع هشام على سريره ٠٠ وقيل لابى السائب المخزومى أترى أحداً لا يشتهى النسيب فقال أما من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا والنسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد ٠٠ وأما الغزل فهو إلف النساء والتخلق بما يوافقهن وليس مما ذكرته فى شئ فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ وقد نبه على ذلك قدامة وأوضحه فى كتابه نقد الشعر ٠٠ وقال الحاتمي من حكم النسيب الذى يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجاً بما بعده من مدح أوذم متصلا به غير منفصل منه فان القصيدة مثلها مثل خلق الانسان فى اتصال بعض أعضائه ببعض فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه فى صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه وتعفي معالم جماله ووجدت حذاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون فى مثل هذه الحال احتراساً يجميهم من شوائب النقصان ويقف بهم على محجة الاحسان ٠٠ ومن مختار ما قيل فى النسيب قول المرار العدوى

وهي هيفاء هضيمٌ كشحُها ... فخمةٌ حيثُ يشدُّ المؤتزرْ
صلتةُ الخدِّ طويلٌ جيدُها ... ضخمةُ الثدى ولما ينكسرْ
يضربُ السبعونَ فى خلخالها ... فاذا ما أكرهته ينكسرْ
لا تمسُّ الأرضَ الاَّ دونها ... عن بلاط الأرض ثوب منعفر
تطأ الخزَّ ولا تكرمه ... وتطيلُ الذيلَ منه وتجر
ثم ينهدُّ على أنماطها ... مثل ما مال كثيب منقعرْ
عبقُ العنبرِ والمسكِ بها ... فهى صفراء كعرجونِ القمر
أملحُ الناسِ اذا جردتها ... غيرَ سمطين عليها وسوز

قال عبد الكريم هذه أملح وأشرف ما وقع فيه الوصف وهي أشبه بنساء الملوك ٠٠ وأنشد لغيره

قليلةُ لحمِ الناظرينِ يزينها ... شبابٌ ومخفوضٌ من العيشِ باردُ
أرادتْ لتنتاشَ الرواقَ فلم أقم ... اليه ولكنْ طأطأته الولائدُ
تناهي الى لهوِ الحديثِ كأنها ... أخو سقطةٍ قد أسلمته العوائدُ

وأنواع النسيب كثيرة وهذا الذى أنشدته أفضلها فى مذاهب المتقدمين ٠٠ وللمحدثين طريق غير هذه كثيرة الأنواع أيضاً فما اختار من ذلك ما ناسب قول أبى نواس

حلتْ سعاد وأهلها سرفا ... قوماً عداً ومحلةً قذفا
وكأن سُعدى اذ تودعنا ... وقد اشرأبَّ الدمعُ أن يكفا
رشأٌ تواصينَ القيانُ به ... حتى عقدنَ باذنه شنفا

فان هذا فى غاية الجودة ونهاية الاحسان وما ناسب قول مسلمة بن الوليد

أحبُّ التي صدَّتْ وقالت لتربها ... دعيه الثريا منه أقربُ من وصلي
أماتتْ وأحيتْ مهجتي فهي عندها ... معلقةٌ بين المواعيدِ والمطلِ
وما نلتُ منها نائلاً غيرَ أنني ... بشجوِ المحبين الالى سلفوا قبلي
بلى ربما وكلتُ عيني بنظرة ... اليها تزيدُ القلبَ خبلاً على خبل

ومن الجيد قول الوليد بن عبيد البحتري

رددنَ ماخففتْ منه الخصورُ الى ... مافى المآزرِ فاستثقلن اردافا
اذا نضينَ شفوفَ الرَّيط آونة ... قشرنَ عن لؤلؤ البحرينِ اصدافا

والبحتري أرق الناس نسيباً وأملحهم طريقة ألا تسمع قوله

انى وان جانبتُ بعضَ بطالتى ... وتوهمَ الواشونَ أنى مقصرُ
ليشوقُنى سحرُ العيون المجتلى ... و بروقنى وردُ الخدودِ الأحمر

وشعره من هذا النمط لا سيما إن ذكر الطيف فانه الباب الذى شهر به ولم يكن لأبي تمام حلاوة توجب له حسن التغزل وانما يقع له من ذلك التافه اليسير فى خلال القصائد مثل قوله

بتُّ أرعى الخدودَ حتى اذا ما فارقوني فبتُّ أرعى النجوما

وقوله أول قصيدة

أرامة كنت مألف كل ريم لو استمتعت بالانس المقيم
أدارَ البؤس حسَّنك التصابي الىَّ فصرت جنات النعيم
ومما ضرم البرحاء أني شكوتُ فما شكوتُ الى رحيم

وأما أبو الطيب فمن مليح ما سمعت له قوله

كثيباً توقاني العواذلُ في الهوى كما يتوقى ريضَ الخيلِ حازمه
قفي تغرم الأولى من اللحظِ مهجتي بثانيةٍ والمتلفُ الشئَ غارمه
سقاك وحيانا بك الله انما على العيسِ نورٌ والخدود كمائمه

فقد جاء بأملح شيء وأوفاه من الظرفة والغرابة .. وقوله يذكر ربع أحبابه

نزلنا عن الاكوارِ نمشي كرامة لمن بان عنه ان نلمَّ به ركبا
نذمُّ السحابَ الغرَّ في فعلها به ونعرضُ عنها كلما طلعت عتبا

وقال في ذكر الديار أيضاً

ودسنا باخفافِ المطيِّ ترابها فلازلتُ أستشفي بلثم المناسم
ديارُ اللواتي دارهنَّ عزيزةٌ بسمر القنا يحفظن لا بالتمائم
حسان التثني ينقش الوشي مثله اذا مسن في أجسامهن النواعم
ويبسمن عن در تقلدن مثله كأنَّ التراقي وشحت بالمباسم

ورد جماعة من الكتاب على العتابي وهو بحلب وفي يده رقعة وقد أطال فيها النظر والتأمل فقال أرأيتم الرقعة التي كانت في يدي قالوا نعم قال لقد سلك صاحبها وادياً ما سلكه غيره فلله دره وكان في الرقعة قول أبي نواس

رسمُ الكرى بينَ الجفونِ محيل عفي عليه بكا عليك طويل
يا ناظراً ما أقلعتْ لحظاته حتى تشحط بينهن قتيل

الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال أغزل بيت قالته العرب قول عمر بن أبي ربيعة

فتضاحكنَ وقد قلنَ لها حسنٌ في كل عين من تود

وكان الاصمعي يقول أغزل بيت قالته العرب قول امرىء القيس

وما ذرفت عيناكِ الاَّ لتضربي بسهميكِ في اعشارِ قلبٍ مقتل

وحكي عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك أنه قال لم تقل العرب بيتاً أغزل من قول جميل بن معمر

لكل حديثٍ بينهن بشاشةٌ وكلُّ قتيلٍ عندهن شهيد

وفضلته بهذا البيت سكينة بنت الحسين بن عليّ رضوان الله عليهم وأثابته به دون جماعة من حضر من الشعراء .. وقال بعضهم الأحوص من أغزل الناس بقوله

اذا قلتُ إني مشتفٍ بلقائها وحمَّ التلاقي بيننا زادني سقما

وقال غيره بل جميل بقوله

يموتُ الهوى مني اذا مالقيتُها ويحيي اذا فارقتُها فيعودُ

وقال آخر بل جرير بقوله

فلما التقى الحيانِ ألقيتِ العصى ومات الهوي لما أصيبت مقاتلهْ

والأحوص عندهم أغزلهم في هذه الأبيات الثلاثة لزيادته سقماً اذا التقي بالمحبوب .. وقال الحاتمي أغزل ماقالته العرب قول أبي صخر

فيا حبها زدني جوىً كلَّ ليلةٍ ويا سلوةَ الأيامِ موعدك الحشر

وقال أبو عبيدة ما حفظت شعراً لمحدث الا قول أبي نواس

كأن ثيابه أطلعــن من أزراره قمرا

يزيدكَ وجههُ حسناً اذا ما زدته نظرا

بعينٍ خالطَ التفتيرُ من أجفانها الحورا

وخدٍّ سابرى لو تصوب ماؤه قطرا

٠٠ وللشعراء أسماء تخف على ألسنتهم وتحلو في أفواههم فهم كثيراً ما يأتون بها زوراً نحو ليلى وهند وسلمى ودعد ولبنى وعفرى وأروى وريا وفاطمة ومية وعلوة وعائشة والرباب وجمل وزينب ونعم وأشباههن ٠٠ ولذلك قال مالك بن زغبة الباهلى أنشده الأصمعي

وما كان طبي حبها غيرَ أنه　　يقام بسلمي للقوافى صدورُها

وأما عزة وبثينة فقد حماها كثير وجميل حتى كأنما حُرِّما على الشعراء ٠٠ وربما أتى الشعراء بالاسماء الكثيرة فى القصيدة اقامة للوزن وتحلية للنسيب كما قال جرير

أجدَّ رواحُ القوم بل لات روَّحوا　　نعم كلُّ من يعنى بجملٍ مبرَّح

ثم قال بعد بيت واحد

اذا سايرتْ أسماء يوماً ظعائناً　　فأسماء من تلكَ الظعائنِ أملح
ظللن حوالىْ خدرِ أسماء فانتحي　　بأسماء موَّارُ الملاطين أروح
صحا القلبُ عن أسما وقد برَّحتْ به　　وما كان يلقى من تماضرَ أبرحُ

وأما قول السيد الحميرى

ولقد تكونُ بها أوانسُ كالدُّما　　هندٌ وعبدة والرباب وبوزع

فانه ثقيل من أجل بوزع ٠٠ وأنكر هذه اللفظة عبد الملك بن مروان على جرير فما ظنك بالسيد الحميري وكلما كانت اللفظة أحلى كان ذكرها فى الشعر اشهى اللهم الا أن يكون الشاعر لم يزور الاسم وانما قصد الحقيقة لا اقامة الوزن فحينئذ لا ملامة عليه مالم يجد في الكنية مندوحة ٠٠ وقال يزيد بن أم الحكم

أمسى بأسماء هذا القلبُ معمودا　　اذا أقولُ صحا يعتاده عيدا
كأن أحورَ من غزلانِ ذى بقرٍ　　أهدى لعائشةَ العينين والجيدا

على أن بعضهم رواه ـ أهدى لها شبه العينين ـ وهو أجود لا محالة ومثل هذا كثير فى أشعار القدماء ولست أرى مثله من عمل المحدثين صوابا ولا علمته وقع لاحد منهم الا ما ناسب قول السيد المتقدم آنفاً وقول أبى تمام الطائى

وان رحلت في ظعنهم وحدوجهم زيانب من أحبابنا وعواتك

ومن عيوب هذا الباب أن يكثر التغزل و يقل المدح كما يحكي عن شاعر أتى نصر بن سيار بأرجوزة فيها مائة بيت نسيباً وعشرة أبيات مديحاً فقال له نصر والله ما أبقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفاً الا وقد شغلته عن مديحي بنسيبك فان أردت مديحي فاقتصد فى النسيب فغدا عليه فأنشده

هل تعرف الدار لأم عمرو دع ذا وحبر مدحة فى نصر

فقال نصر لا هذا ولا ذاك ولكن بين الأمرين ٠٠ فأما مذهبه الأول فى طول النسيب وقصر المدح فان نصيباً اتبعه فيه ولكن ذاك منه انما كان على اقتراح في القصيدة التى مدح بها بنى جبريل وأما المذهب الثاني فانتحله أبو الطيب فى قوله

وأحرّ قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالى عنده سقم

ثم خرج الى المدح فى البيت الثانى ٠٠ و يعاب على الشاعر أن يفتخر أو يتعاطى قدرة كما أخذ على عباس قوله

فان تقتلونى لا تفوتوا بمهجتى مصاليت قومى من حنيفة أو عجل

وعيب على الفرزدق وهو صميم بنى تميم قوله

يا أخت ناجية بن سامة إننى أخشى عليك بنىّ ان طلبوا دمي

اللهم الا أن يكون النسيب الذي يصنع مجازاً كالذى فى بسط القصائد فان ذلك لا بأس به ولا مكروه فيه ٠٠ وسمع ابن أبي عتيق قول ابن أبي ربيعة المخزومى

بينما ينعتننى أبصرننى دون قيد الميل يعدو بى الأغر

قالت الكبرى أتعرفن الفتى قالت الوسطى نعم هذا عمر

قالت الصغرى وقد تيمتها قد عرفناه وهل يخفى القمر

فقالوا له أنت لم تنسب بهن وانما نسبت بنفسك وانما كان ينبغي لك أن تقول قالت لى فقلت لها فوضعت خدى فوطئت عليه وكذلك قال له كثير لما سمع قوله

قالتْ لها أختها تعاتبها ... لاتفسدنَّ الطواف في عمر
قومي تصدي له لأبصره ... ثم اغمزيه يا أخت في خفر
قالت لها قد غمزته فأبى ... ثم اسبطرت تشتدُّ في أثري

أهكذا يقال للمرأة انما توصف بأنها مطلوبة ممتنعة .. قال بعضهم أظنه عبد الكريم العادة عند العرب أن الشاعر هو المتغزل المتماوت وعادة العجم أن يجعلوا المرأة هى الطالبة والراغبة المخاطبة وهنا دليل كرم النحيزة فى العرب وغيرتها على الحرم .. وعاب كثير على نصيب قوله

أهيمُ بدعدٍ ماحييت فانْ أمت ... فيا ليت شعرى من يهيم بها بعدي

حتى أنه قال له كأنك اغتممت لمن يفعل بها بعدك وهولا يكني .. ومثل هذه الحكاية ما قاله بعض الكتاب وقد دخل على علي بن عبدالله بن جعفر بن ابراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو محبوس فقال أين هذا الجعفرى الذي يتديث فى شعره قال عليّ فعلمت أنه يريدنى لقولى

ولما بدالى أنها لا تحبنى ... وأنَّ هواها ليس عنى بمنجلى
تمنيتُ أن تهوى سوايَ لعلها ... تذوق صبابات الهوى فترقُّ لى
فما كان الا عن قليل وأشغفت ... بحب غزال أدعج الطرف أكحل
وعذبها حتى أذاب فؤادها ... وذوقها طعم الهوى والتذلل
فقلت لها هذا بهذا فأطرقت ... حياءً وقالت كل من عايب ابتلى

فقلت أنا هو جعلت فداك وأنا الذى أقول فى الغيرة

ربما سرنى صدودك عنى ... وطلابيك وامتناعك منى
حذراً أن أكونَ مفتاحَ غيرى ... فاذا ما خلوتُ كنت التمنى

ويعاب ما ناسب قول الآخر وهو جميل

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها ... ولكن طلابيها لما فات من عقلي

لان الصواب قول عباس أو مسلم

أبكي وقد ذهبَ الفؤادُ وانما　　أبكي لفقدكَ لالفقدِ الذاهب

فأما طرد الخيال والمجاراة فى المحبة فهو مذهب مشهور وقدركبه جلة الشعراء ورواه رواة منهم طرفة ولبيد ثم جرير ثم جميل فقال طرفة وهو أول من طرقه

فقـل لخيالِ الحنظلية ينقلبْ　　اليهافاني واصلٌ حبلَ من وصل

وقال لبيد في مثل ذلك

فاقطعْ لبانةَ من تعرّضَ وصلُه　　ولشرٌّ واصل خلة صرّامها

يقول اقطع المزار ممن تعرض وصله للقطيعة ويقال تعرض الشئ اذافسد حكاه الخليل فان شر من وصلك من قطعك بلا ذنب يريد الذى تعرض وصله ومن الناس من رواه ـوالخير واصل خلة صرامها ـ يقول إن خير من وصل الخلة من قطعها باستحقاق يعنى نفسه .. وقال جرير

طرقتكَ صائدةُ القلوب وليس ذا　　وقتَ الزيارةِ فارجعى بسلامِ

على أن قوما زعموا أنه كان محرما فلذلك طرد الخيال كأنه تحرج وليس طرد عتب .. وقال جميل

ولستُ وان عزّتْ عليَّ بقائلٍ　　لها بعـدَ صرمٍ يابثينُ صلينى

وجرى على سنن هؤلاء جماعة من المولدين واعتقدوا هذا المذهب قولا وفعلا حتى تعداه بعضهم الى القتل مثل عبد السلام بن رغبان ونصر الخابزأرز ومن شا كلهما من الشطار الاَّ أن أصل هذا المذهب عند قدامة فاسد وعاب على نابغة بنى تغلب واسمه الحارث بن عدوان أحد بنى زيد بن عمرو بن غنم بن تغلب قوله

بخلنـا لبخلكِ لو تعلمـينَ　　وكيفَ يعيبُ بخيلٌ بخيلاَ

لان الواجب عنده في التغزل أن يكون على خلاف هذا وكل مالا يليق بالمحبوب فهو مكروه فى باب النسيب .. قالت عزة لـكثير يوماً ويقال بثينة ما أردت بنا حين قلت

وددتُ وبيتِ الله أنكِ بكرةٌ　　هجانٌ وانى مصعبٌ ثم يهربُ

كلانابه عرٌّ فمن يرنا يقـلْ　　على حسنهاجربادتعدىوأجربُ

نكونُ لذِي مالٍ كثيرٍ مغفلٍ فلا هو يرعانا ولا نحنُ نطلبُ
اذا ما وردنا منهلاً صاحَ أهلهُ علينا فلا ننفكُّ نرمى ونضرب

لقد أردت بنا الشقاء أما وجدت أمنية أوطأ من هذه فخرج من عندها خجلاً .. وانما اقتدى بالفرزدق حيث يقول وهذا من سوء الاتباع

ألاَ ليتنا كنا بعيرين لا نردُ على حاضرٍ الأَنشلُ ونقذفُ
كلانا به عرٌّ يخافُ قرافهُ على الناسِ مطليُّ الأشاعر أخشف
بأرضٍ خلاءٍ وحدنا وثيابُنا من الرّيطِ والديباجِ درعٌ وملحفُ
ولا زاد الاّ فضلتانِ سلافةٌ وأبيضُ من ماء الغمامةِ قرقفُ
وأشلاء لحم من حبارَي نصيدُها اذا نحنُ شئنا صاحبٌ متألفُ
لنا ما تمنينا من العيشِ ما دعا هديلاً بنعمانٍ حمائم هتف

واذا كان بعيراً فما هذه الأمنية التى كلها للحيوان الناطق لولا أنه ردها الى نفسه حقيقة والا فما أملح الجمل نشوان يصيد الحبارى بالبازى ومعايب هذا الباب كثيرة وفيما قدمت منها دليل على باقيها .. واشتقاق التشبيب يجوز أن يكون من ذكر الشبيبة وأصله الارتفاع كأن الشباب ارتفع عن حال الطفولية أو رفع صاحبه ويقال شب الفرس اذا رفع يديه وقام على رجليه .. قال الجاحظ يقال شبت النار شبوباً وشب الفرس بيديه فهو يشب شبيباً ويقال مالك عضاض ولاشباب انقضى كلامه .. ويجوز أن يكون من الجلاء يقال شب الخمار وجه الجارية اذا جلاه ووصف ما تحته من محاسنه فكان هذا الشاعر قد أبرز هذه الجارية فى صفته اياها وجلاها للعيون ومنه الشب الذى يجتلى به وجوه الدنانير ويستخرج غشها ومنهما شبيت النار اذا رفعت سناها وزدتها ضياء .. وأنشد الأصمعى لعكاشة بن أبى مسعدة

* يدفعُ عنها كلَّ مشبوب أغر *

وقال المشبوب الذى اذا رأيته فزعت لحسنه .. قال ابن دريد شببت فى الشعر شبيباً مثل نسبت نسيبا والنسيب أكثر ما يستعمل فى الشعر

باب في المديح

وسبيل الشاعر اذا مدح ملكا أن يسلك طريقة الايضاح والاشادة بذكره للممدوح وأن يجعل معانيه جزلة وألفاظه نقية غير مبتذلة سوقية ويجتنب مع ذلك التقصير والتجاوز والتطويل فان للملك سآمة وضجراً ربما عاب من أجلها مالا يعاب وحرم من لا يريد حرمانه ورأيت عمل البحترى اذا مدح الخليفة كيف يقل الأبيات ويبرز وجوه المعانى فاذا مدح الكتاب عمل طاقته وبلغ مراده .. وقد حكى عن عمارة أن جده جريراً قال يابني اذا مدحتم فلا تطيلوا الممادحة فانه ينسي أولها ولا يحفظ آخرها واذا هجوتم فخالفوا .. قال عبد الكريم وهذا ضد قول عقيل بن علفة المرادى وحكى غيره قال دخل الفرزدق على عبد الرحمن بن أم الحكم فقال له عبد الرحمن أبا فراس دعنى من شعرك الذى ليس يأتى آخره حتى ينسى أوله وقال قل فى بيتين يعلقان بالرواة وأنا أعطيك عطية لم يعطكها أحد قط قبلي فغدا عليه وهو يقول

وأنت ابنُ بطحاوى قريشٍ وان تشأ تكن من ثقيفٍ سيل ذى خدر غمر

وأنت ابنُ سوّار اليدينِ الى العلى تكفت بك الشمسُ المضيئةُ للبدرِ

فقال أحسنت وأمر له بعشرة آلاف درهم .. واذا كان الممدوح ملكا لم يبال الشاعر كيف قال فيه ولا كيف أطنب وذلك محمود وسواه المذموم وان كان سوقة فاياك والتجاوز به خطته فانه متي تجاوز به خطته كان كمن نقصه منها وكذلك لايجب أن يقصر عما يستحق ولا أن يعطيه صفة غيره فيصف الكاتب بالشجاعة والقاضى بالحمية والمهابة وكثيراً ما يقع هذا لشعراء وقتنا وهو خطأ الا أن تصحبه قرينة تدل على صواب الرأى فيه وكذلك لايجب أن يمدح الملك ببعض ما يتجه فى غيره من الرؤساء وان كان فضيلة وذلك مثل قول البحترى يمدح المعتز بالله

لا العذلُ يردعه ولا التـعنيف عن كرم يصده

فانه مما أنكر عليه أبو العباس احمد بن عبد الله وقال من ذا يعنف الخليفة على الكرم أو

يصده هذا بالهجاء أولى منه بالمدح وعيب علي الأخطل قوله فى عبد الملك بن مروان

وقد جعلَ اللهُ الخلافةَ منهم ... لابيض لاعارى الخوان ولا جدب

وقالوا لو مدح بها حرسيا لعبد الملك لكان قد قصر به قلت أنا وان كان فلا بد من ذكر الضيافة والقرى فقول ابن قيس الرقيات لمصعب بن الزبير

يلبسُ الجيشَ بالجيوشِ ويسقى ... لبنَ البختِ فى عساسِ الخلنج

لان هذا وان لم يعد به ممادحة العرب فى سقي اللبن فقد زاده رتبة عرف بها أنه ملك ٠٠وأجود منه فى معناه قول حسان في آل جفنة

يسقونَ من وردَ البريصَ عليهم ... بردى يصفقُ بالرحيقِ السلسلِ

ويروى ـمسكاـ وعابوا علي الاحوص قوله للملك

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم ... مذق الحديث يقول مالا يفعلُ

فقالوا ان الملوك لا تمدح بما يلزمها فعله كما تمدح العامة وانما تمدح بالاغراق والتفضيل بما لا يتسع غيرهم لبذله ٠٠ ومن هذا النوع قول كثير

رأيتُ ابن ليلى يعترى صلبَ ماله ... مسائلُ شتى من غنى ومصرم

مسائلُ ان توجد لديك تجد بها ... يداك وان تظلم بها تتظلم

لان هذا انما يقع لمن دون الخليفة والملك وانما أخذه من قول زهير فى هرم بن سنان وليس بملك ولذلك حسن قوله

هو الجواد الذى يعطيك نائله ... عفواً ويظلم أحيانا فيظلم

يريد أنه يسأل أحياناً ما ليس قبله فيحتمله هذا وقد قال الصولى فى شرح قول حبيب

لو يفاجى ركنُ المديح كثيرٌ ... بمعانيهن خالهنّ نسيبا

طاب فيه المديح والتذ حتى ... فاقَ وصفَ الديارِ والتشبيبا

سألت عون بن محمد الكندى لم خص كثيراً فقال سمعته يقول أمدح الناس زهير والأعشي ثم الأخطل وكثير٠٠وحكى غير الصولى أن مروان بن أبي حفصة كان يقدم كثيراً في المدح على جرير والفرزدق ومما قدم به زهير قوله

لو كان يقعد فوق النجم من كرم ... قومٌ بأولهم أو مجدهم قعدوا
قومٌ سنان أبوهم حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الأولاد ماولدوا
انسٌ اذا أمنوا جنٌ اذا فزعوا ... مرزؤن بهاليلٌ اذا جهدوا
محسّدون على ما كان من نعم ... لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا

ويروى ـ غرٌ بهاليل فى أعناقهم صيد ـ .. وقدمه قدامة بن جعفر الكاتب فقال فى كتابه نقد الشعر لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس لا من طريق ماهم مشتركون فيه مع سائر الحيوانات على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق فى ذلك انما هي العقل والعفة والعدل والشجاعة كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيباً وبما سواها مخطئاً .. فقال زهير

أخى ثقةٍ لا يهلك الخمرُ ماله ... ولكنه قد يهلك المال نائله

لأنه قد وصفه بالعفة لقلة امعانه فى اللذات وانه لا ينفد فيها ماله وبالسخاء لاهلاكه ماله فى النوال وانحرافه الى ذلك عن اللذات وذلك هو العقل ثم قال

تراه اذا ما جئته متهللا ... كأنك تعطيه الذى أنت سائله

أراد أن فرحه بما يعطى أكثر من فرحه بما يأخذ فزاد فى وصف السخاء منه بأن جعله يهش ولا يلحقه مضض ولا تكره لفعله .. ثم قال

فمن مثلُ حصن فى الحروب ومثله ... لانكار ضيم أو لخصم يجادله

فأتى فى هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل فاستوفى ضروب المدح الأربعة التي هي فضائل الانسان على الحقيقة وزادها ما هو وان كان داخلا فى الاربعة فكثير من الناس لا يعرف وجه دخوله فيها حيث قال ـ أخى ثقة ـ فوصفه بالوفاء والوفاء داخل فى هذه الفضائل التى قدمنا وقد تفنن الشعراء فيعدون أنواع الفضائل الاربع وأقسامها وكل داخل فى جملتها مثل أن يذكروا ثقابة المعرفة والحياء والبيان والسياسة والصدع بالحجة والعلم والحلم عن سفاهة الجهلة وغير ذلك مما يجرى هذا المجري وهي من أقسام العقل .. وكذكرهم القناعة وقلة الشهوة وطهارة الازار وغير ذلك وهي من أقسام العفة

وكذ كرهم الحماية والاخذ بالثأر والدفع عن الجار والنكاية في العدو وقتل الاقران والمهابة والسير فى المهامه والقفار الموحشة وما شا كل هذا وهو من أقسام الشجاعة وكذ كرهم السماحة والتغابن والانظلام والتبرع بالنائل والاجابة للسائل وقري الإضياف وما جانس هذه الاشياء وهي من أقسام العدل ٠٠ وأما تركيب بعضها من بعض فيحدث منها ستة أقسام يحدث من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر علي الملمات ونوازل الخطوب والوفاء بالايعاد وعن تركيب العقل مع السخاء البر وانجاز الوعد وما أشبه ذلك وعن تركيب العقل مع العفة التنزه والرغبة عن المسئلة والاقتصار على أدنى معيشة وما أشبه ذلك ٠٠ وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الاتلاف والاخلاف وما جانس ذلك وعن تركيب الشجاعة مع العفة انكار الفواحش والغيرة علي الحرم وعن تركيب السخاء مع العفة الاسعاف بالقوت والايثار على النفس وما شا كل ذلك ٠٠ قال وكل واحدة من هذه الفضائل الاربع المتقدم ذكرها وسط بين طرفين مذمومين مدح أبوالعتاهية عمرو بن العلاء فأعطاه سبعين ألفاً وخلع عليه حتى لم يستطع أن يقوم فغار الشعراء لذلك فجمعهم ثم قال عجباً لكم معشر الشعراء ما أشد حسد بعضكم لبعض أن أحدكم يأتينا ليمدحنا فينسب في قصيدته بصديقته بخمسين بيتاً فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره وقد أتي أبو العتاهية فنسب فى أبيات يسيرة ٠٠ ثم قال

أني أمنتُ من الزمانِ وريبه ... لما علقتُ منَ الاميرِ حبالا
لو يستطيعُ الناسُ من اجلاله ... لحذوا له حرَّ الخدودِ نعالا
ان المطايا تشتكيك لانها ... قطعتْ اليك سباسباً ورمالا
فاذا وردنَ بنا وردنَ خفائفاً ... واذا صدرنَ بنا صدرنَ ثقالا

ومن مليح ما لابى العتاهية فى المدح قوله

فتي ما استفاد المالَ الاَّ أفاده ... سواه كانَّ المالَ فى كفه حلم
اذا ابتسم المهدىُّ نادتْ يمينهُ ... ألاَ من أتانا زائراً فله الحكم

وله أيضاً فى معنى بيتى الفرزدق اللذين صنعهما لعبد الرحمن بن أم الحكم

فما مثلُ بيتيه في العالمين أعزُّ بناءً ولا أرفعُ
فبيتٌ بناهُ له هاشمٌ وبيتٌ بناه له تبعُ
ولو حاولَ الدهرُ ما في يديه لعادَ وعرنينه أجدعُ

ومن المديح المنصوص عليه قول زهير

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوهها وأنديةٌ ينتابها القولُ والفعلُ
وان جئتهم ألفيتَ حولَ بيوتهم مجالسَ قد يشفى بأحلامها الجهلُ
على مكثريهم حقٌّ من يعتريهم وعندَ المقلين السماحةُ والبذلُ
سعى بعدهم قومٌ لكيْ يدركوهم فلم يفعلوا أو لم يليموا ولم يألوا
فما كان من خيرٍ أتوهُ فانما توارثهُ آباءُ آبائهم قبلُ
وهل ينبتُ الخطيَّ الاَّ وشيجهُ وتغرسُ الاَّ في منابتها النخلُ

وكذلك أيضاً قوله

من يلقَ يوما على علاته هرماً يلقَ السماحةَ منه والندي خلقا
ليثٌ بعثرَ يصطادُ الرجالَ اذا ما كذَّب الليثُ عن أقرانه صدقا
يطعنهم ما ارتموا حتى اذا طعنوا ضاربَ حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا
فضلَ الجوادِ على الخيلِ البطاءِ فلا يعطى بذلك ممنوناً ولاَ نزقا
هذا وليس كمن يعيي بخطبته وسطَ الندي اذا ما ناطقٌ نطقا
لو نالَ حيٌّ من الدنيا بمكرُمةٍ أفقَ السماءِ لنالت كفهُ الأفقا

وينبغي أن يكون قصد الشاعر في مدح الكاتب والوزير ما اختاره قدامة وغيره وكذلك ما ناسب حسن الروية وسرعة الخاطر بالصواب وشدة الحزم وقلة الغفلة وجودة النظر للخليفة والنيابة عنه في المعضلات بالرأي أو بالذات كما قال أبو نواس

اذا نابه أمرٌ فاما كفيتهُ واما عليه بالكفيِّ تشير

وبأنه محمود السيرة حسن السياسة لطيف الحس فان أضاف الى ذلك البلاغة والخط

والتفنن فى العلم كان غاية ٠٠ وأفضل مامدح به القائد الجود والشجاعة وماتفرع منهما نحو التخرق فى الهبات والافراط فى النجدة وسرعة البطش وما شاكل ذلك ٠٠ ويمدح القاضى بما ناسب العدل والانصاف وتقريب البعيد فى الحق وتبعيد القريب والأخذ للضعيف من القوي والمساواة بين الفقير والغنى وانبساط الوجه ولين الجانب وقلة المبالاة فى اقامة الحدود واستخراج الحقوق فان زاد الى ذلك ذكر الورع والتحرج وما شاكلهما فقد بلغ النهاية ٠٠ وصفات القاضى كلها لائقة بصاحب المظالم ومن كان دون هذه الثلاث الطبقات سوي طبقة الملك فلا أري لمدحه وجهاً فان دعت الى ذلك ضرورة مدح كل انسان بالفضل في صناعته والمعرفة بطريقته التى هو فيها وأكثر ما يعول على الفضائل النفسية التى ذكرها قدامة فان أضيف اليها فضائل عرضية أو جسمية كالجمال والأبهة وبسطة الخلق وسعة الدنيا وكثرة العشير كان ذلك جيداً الاَّ أن قدامة قد أبى منه وأنكره جملة وليس ذلك صوابا وانما الواجب عليه أن يقول ان المدح بالفضائل النفسية أشرف وأصح فأما انكار ماسواها كرة واحدة فما أظن أحداً يساعده فيه ولا يوافقه عليه ٠٠ وقد كره الحذاق أن تمدح الملوك بما ناسب قول موسى شهوات وروى لغيره

ليسَ فيما بدا لنا منك عيبٌ عابه الناسُ غيرَ أنك فانى

أنتَ نعم المتاعُ لو كنتَ تبقي غيرَ ان لا بقاءَ للانسان

وذكر عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج من الحمام وهو الخليفة يريد الصلاة ونظر فى المرآة فأعجبه جماله وكان حسن الوجه فقال أنا الملك الشاب ويروى الفتي فتلقته احدى حظاياه فقال لها كيف ترينني فتمثلت بالبيتين المتقدم ذكرها فتطير بهما ورجع فحم فما بات الاميتاً تلك الليلة ٠٠ وروى عن بعض الملوك أنه قال ماهؤلاء الشعراء قاتلهم الله ربما ذكرونا شيئاً نحن أكثر ذكراً له منهم فينغصون به علينا أوقات لذتنا يعني بذلك الموت ٠٠ ومن أشنع مافى ذلك قول أبى تمام

فليطل عمره فلو ماتَ فى طو سَ مقيما لماتَ فيها غريبا

فما الذى دعاه الى ذكر الموت ههنا الا النكد والنفاصة ٠٠ أجمع الناس على تقديم قول كعب بن زهير يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

تحمله الناقة الادماء معتجراً   بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم
وفى عطافيه أو أثناء ريطته   مايعلم الله من دين ومن كرم

والجهال يروون البيت الأول لأبي دهبل الجمحي ويناسبه قول العجاج

يحملن كل سؤدد وفخر   يحملن ما ندري وما لاندري

قال الأصمعى وأصله قول الحارث بن حلزة

وفعلنا كما علم الله   وما أن للخائنين ذماء

قال ولم يقل قط شاعراً كما يعلم أحسن من هذه الثلاثة المعانى .. قال أبو العباس المبرد من الشعراء من يجمل المدح فيكون ذلك وجهاً حسناً لبلوغه الارادة مع خلوه من الاطالة وبعده من الاكثار ودخوله فى الاختصار .. وذلك نحو قول الحطيئة

تزور فتى يعطى على الحمد ماله   ومن يعط أثمان المكارم يحمد
تزور فتى يعطى على الحمد ماله   ويعلم أن المرء غير مخلد
يرى البخل لايبقى على المرء ماله   ويعلم أن المرء غير مخلد

ورواه غيره - أن المال غير مخلد -

كسوب ومتلاف اذا ماسألته   تهلل واهتز اهتزاز المهند
متى تأته تعشو الى ضوء ناره   تجد خير نار عندها خير موقد

تصرف في أبياته هذه فى أصناف المديح وأتى بجماع الوصف وجملة المدح على سبيل الاقتصار فى البيت الأخير .. ومثله قول الشماخ

رأيت عرابة الاوسي يسمو   الى العلياء منقطع القرين
اذا ماراية رفعت لمجد   تلقاها عرابة باليمين

انتهى كلامه .. ومن أفضل مامدح به الملوك وأكثره اصابة للغرض ماناسب قول ابن هرمة للمنصور

له لحظات عن خفا في سريره   اذا كرها فيها عقاب ونائل

فأما الذي أمنت آمنه الردى وأما الذي أوعدتَ بالثكل ثاكل

وقول أبي العتاهية في مدح الهادى

يضطربُ الخوفُ والرجاء اذا حركَ موسى القضيبَ أو فكرْ

وكذلك قول الجرمي الكناني فى عبدالله بن عبد الملك بن مروان وقد وفد عليه بمصر ويروي للفرزدق في علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب رضى الله عنهم وقيل بل قالها فيه اللعين المنقرى وقيل بل الأبيات لداود بن مسلم فى قثم بن العباس بن عبد الله ابن العباس

في كفه خيزرانٌ ريحهُ عبقٌ من كفِّ أروعَ فى عرنينه شممُ

يُغضى حياءً ويُغضى من مهابته فما يكلم الأ حينَ يبتسمُ

اجتمع الشعراء بباب المعتصم فبعث اليهم من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول منصور النميرى في أمير المؤمنين الرشيد

ان المكارمَ والمعروفَ أوديةٌ أحلكَ اللهُ منها حيثُ تجتمعُ

اذا رفعتَ أمرأً فاللهُ رافعه ومن وضعتَ من الأقوام متضعُ

من لم يكنْ بامين الله معتصما فليسَ بالصلواتِ الخمسِ ينتفعُ

ان أخلفَ الغيثُ لم تخلف أنامله أو ضاقَ أمرٌ ذكرناهُ فيتسع

فليدخل فقال محمد بن وهب فينا من يقول خيراً منه وأنشد

ثلاثةٌ تشرقُ الدنيا ببهجتهم شمسُ الضحى وأبو اسحاق والقمرُ

تحكي أفاعله فى كلِّ نائلةٍ الغيثُ والليثُ والصمصامةُ الذكر

فأمرَ بادخاله وأحسن صلته .. قالوا لما حضرت الحطيئة الوفاة قال أبلغوا الأنصار أن أخاهم أمدح الناس حيث يقول

يغشون حتى ما تهرُّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

قال ثعلب بل قول الأعشى

فتى لو يبارى الشمسَ ألقتْ قناعها أو القمرَ الساري لألقى المقالدا

أمدح منه .. وقال أبو عمرو بن العلاء بل بيت جرير

ألستم خيرَ من ركبَ المطايا وأندَي العالمينَ بطونَ راح

أسير ما قيل فى المدح وأسهله .. وقال غيره بل قول الأخطل

شمسُ العداوة حتي يستقاد لهم وأعظمُ الناس أحلاماً اذا قدروا

وقال دِعبل بل قول أبي الطمحان القينى

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجي الليلِ حتى نظم العقدَ ثاقبه

قال وقد تنازع فى هـذا البيت بعنى بيت أبى الطمحان قوم وفى بيت حسان فى آل جفنة وبيت النابغة

فانكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ اذا طلعت لم يبد منهنّ كوكب

وبيت أبي الطمحان أشعرها .. قال الحاتمي بل بيت زهير

تراه اذا ماجئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وحكي عليّ بن هارون عن أبيه انه قال أجمع أهل العلم على ان بيتى أبي نواس أجود ما للمولدين فى المدح وهما قوله

أنتَ الذي تأخذ الأيدي بحجزته اذا الزمانُ على أبنائه كلحا

وكلتَ بالدهر عيناً غيرَ غافلة من جودِ كفك تأسو كلما جرحا

الحاتمي عن محمد بن عبد الواحد عن أحمـد بن يحيي قال سمعت ابن الاعرابى يقول أمدح بيت قاله مولد قول أبى نواسْ

تغطيتُ من دهرى بظل جناحه فعينى ترى دهرى وليس يرانى

فلو تسألُ الاحداثُ عنى مادرت وأين مكاني ما عرفن مكانى

قال صاحب الكتاب نحن الى الانصاف أحوج منا الى المكابرة والخلاف وأبو نواس ذهب مذهباً لطيفاً يخرج له فيه العذر والتأويل والا فما في صفة الخمول أشد مما وصف

لاسيما علي رواية من روي ـ فلو تسأل الأيام عنى ـ ومن جيد ما سمعته لمحدث وأظنه لابن الرومي في عبيد الله بن سليمان بن وهب ورأيت من يرويه لأبى الحسين أحمد بن محمد الكاتب

اذا أبو قاسمٍ جادَت لنا يده ... لم يحمد الأجودانِ البحرُ والمطر
ولو أضاءت لنا أنوارُ غرته ... تضاءل النيران الشمسُ والقمر
وان مضى رأيه أو جدَّ عزمته ... تأخر الماضيان السيفُ والقدر
من لم يبت حذراً من خوفِ سطوته ... لم يدر ما المزعجان الخوفُ والحذر
ينال بالظن ما يعيي العيان به ... والشاهدان عليه العينُ والأثر
كأنه وزمامُ الدهرِ في يده ... يرى عواقبَ ما يأتى وما يذر

وقال خلف الأحمر أغلب المدح وأكثره ملقا قول زهير

تراه اذا ماجئته متهللاً ... كأنك تعطيه الذى أنت سائله
أخو ثقةٍ لا يهلك الخمر ماله ... ولكنه قد يهلك المالَ نائله
غدوتُ عليه غدوةً فوجدته ... قعوداً لديه بالصريم عواذله
يفدينه طوراً وطوراً يلمنه ... وأعيي فما يدرين أين مخاتله
فاعرضن منه عن كريم مرزَّء ... عزومٍ على الأمر الذى هو فاعله

وقال طفيل الغنوى

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت ... بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا ... تلاقى الذى لاقوه منا لملت

وقال الاصمعي أخلب الشعر قول حمزة بن بيض

تقول لى والعيون هاجعة ... أقم علينا يوماً فلم أقم
أي الوجوه انتجعت قلت لها ... لا أي وجه إلا الى الحكم
متى يقل حاجبا سرادقه ... هذا ابن بيض بالباب يبتسم

قد كنتُ أسلمتُ فيكَ مقتبلاً ... فهاتِ اذ حلَّ اعطني سلمي

وسأل الرشيد المفضل الضبي أي بيت قالته العرب أمدح فقال

أغرّ أبلجُ تأتمُّ الهداةُ به ... كأنه علمٌ في رأسه نارُ

هكذا روايته فيه قال شرحبيل بن معن بن زائدة كنت أسير تحت قبة يحيى بن خالد وقد حج مع الرشيد وعديله أبو يوسف القاضي اذ أتاه اعرابي من بني أسد كان يلقاه اذا حج فيمدحه فأنشده شعراً أنكر يحيى منه بيتاً فقال يا أخا بني أسد ألم أنهك عن مثل هذا الشعر ألاقلت كما قال الشاعر

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم ... أسودٌ لها في غيل خفان أشبلُ

هم يمنعونَ الجارَ حتى كأنما ... لجارهمُ بينَ السما كين منزل

بهاليلُ في الاسلام سادوا ولم يكن ... كأولهم في الجاهلية أول

هم القومُ ان قالوا أصابوا وان دعوا ... أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا

ولا يستطيعُ الفاعلون فعالهم ... وان أحسنوا في النائباتِ وأجملوا

فقال أبو يوسف لمن هذا الشعر أصلحك الله فما سمعت أحسن منه فقال يحيى يقوله ابن أبي حفصة في أبي هذا الفتى وأومأ اليَّ فكان قوله أسر الى من جليل الفوائد ثم التفت اليَّ وقال يا شرحبيل أنشدني أجود ماقاله ابن أبي حفصة في أبيك فأنشدته

نعمَ المناخُ لراغبٍ ولراهبٍ ... ممن تصيبُ جوائح الأزمان

معن بُن زائدةَ الذي زيدتْ به ... شرفاً على شرفٍ بنو شيبان

ان عدَّ أيامُ اللقاء فانما ... يوماه يوم ندى ويوم طعان

يكسو الاسرةَ والمنابرَ بهجةً ... ويزينها بجهارةٍ وبيان

تمضي أسنتهُ ويسفر وجهه ... في الحربِ عند تغير الالوان

نفسي فداك أبا الوليد اذا بدا ... رهجُ السنابك والرماحُ دواني

فقال يحيى أنت لا تدري جيد ما مدح به أبوك أجود من هذا قوله

تشابه يوماه علينا فأشكلا فلا نحن ندري أي يوميه أفضل
أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه وما منهما الا أغرّ محجل

ومما أخذ على الكميت قوله يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

فاعتب القول من فؤادي والشعـ ـر الى من اليه معتب
الى السراج المنير أحمد لا يعدلني رغبة ولا رهب
عنه الى غيره ولو رفع النا س الي العيون وارتقبوا
وقيل أفرطت بل قصدت ولو عنفني القائلون أو ثلبوا
اليك ياخير من تضمنت الأر ض ولو عاب قولي العيب
لج بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك الضجاج والصخب

قالوا من هذا الذى يقول في مدح النبي صلى الله عليه وسلم أفرطت أو يعنفه أو يثلبه أو يعيبه حتى يكثر الضجاج والصخب وهذا كله خطأ منه وجهل بمواقع المدح وقال من احتج له لم يرد النبى صلى الله عليه وسلم وانما أراد علياً رضي الله عنه فورى عنه بذكر النبي صلى الله عليه وسلم خوفاً من بنى أمية .. ومن الشعراء من ينقل المديح عن رجل الى رجل وكان ذلك دأب البحتري وفعله أبو تمام فى قصائد معدودة منها

* قدك أتئب أربيت فى الغلواء *

نقلها عن يحيي بن ثابت الى محمد بن حسان فأما الذى قال هن بنياتى أنكحهن من شئت فهو معذور ان لم يثب فاما ان اثيب فذلك منه قلة وفاء وفرط خيانة

باب الافتخار

والافتخار هو المدح نفسه الا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه وكل ما حسن فى

المدح حسن في الافتخار وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار .. فمن أبيات الافتخار قول الفرزدق

أن الذي سمكَ السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمهُ أعزُّ وأطولُ

قال احمد بن يحيي أعجز بيت قاله العرب قول امرئ القيس

ما ينكرُ الناسُ حين نملكهم ... كانوا عبيداً وكنا نحنُ أربابا

وقال دعبل بن عليّ أفخر الشعر قول كعب بن مالك

وببئرِ بدرٍ اذ يرد وجوههم ... جبريلُ تحتَ لوائنا ومحمدُ

وقال الحاتمي قول الفرزدق

ترى الناسَ ان سرنا يسيرُونَ خلفنا ... وان نحنُ أومأنا الى الناسِ وقفوا

قال ويتلوه قول جرير

اذا غضبتْ عليكَ بنو تميمٍ ... حسبتَ الناس كلهمُ غضابا

وقال آخرون بل بيت الفرزدق

ونحن اذا عدّت معدّ قديمها ... مكانَ النواصي من وجوهِ السوابق

وقال غيرهم بل قوله لجرير

واذا نظرتَ رأيتَ فوقك دارماً ... والشمسُ حيثُ تقطعُ الأبصارا

وقيل بل قول ابن ميادة واسمه الرماح بن أبرد

ولو أن قيساً قيسَ غيلانَ أقسمتْ ... علي الشمس لم يطلعْ عليكَ حجابها

وأفخر بيت صنعه محدث عندهم بشار

اذا ماغضبنا غضبةً مضريةً ... هتكنا حجابَ الشمسِ أوأمطرت دما

اذا ما أعرنا سيداً من قبيلةٍ ... ذرى منبرٍ صلى علينا وسلما

ويروي ٭ هتكنا سماء الله أو أمطرت دما ٭

ومن جيد الافتخار قول بكر بن النطاح الحنفي

ومن يفتقرْ منا يعشْ بحسامه ومن يفتقر من سائرِ الناسِ يسأل

ونحنُ وُصفنا دونَ كل قبيلةٍ ببأس شديدٍ في الكتاب المنزل

وانا لنلهو بالحروب كما لهتْ فتاةٌ بعقدٍ أو سخابِ قرنفل

يعنيْ قول الله عز وجل ﴿ قلْ للمخلفينَ منَ الأعرابِ ستدعونَ الى قومٍ أولي بأس شديدٍ ﴾ فدعوا في خلافة أبي بكر الى قتال أهل الردة من بني حنيفة و بسبب هذا الشعر وأشباههِ طلبه الرشيد أشد طلب وقال كيف يفتخر على مضر ومنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير البشر فهذا افتخار بالشجاعة خاصة .. وممن افتخر بالكثرة أوس ابن معزاء .. قال

ما تطلعُ الشمسُ الا عند أولنا ولا تغيبُ الاّ عند أخرانا

وقد أنكر قدامة أن يمدح الانسان بآبائه دون أن يكون ممدوحاً بنفسه لان كثيراً من الناس لايكونون كآبائهم والذى ذهب اليه حسنٌ وأنكر الجرجاني على أبي الطيب قوله

ما بقومى شرفتُ بل شرفوا بي وبنفسى فخرتُ لا بجدودى

وانما أخذه من قول عليّ بن جبلة حيث يقول

وما سوّدت عجلا مآثرُ غيرهمْ ولكن بهم سادتْ على غيرهم عجل

قال وهذا معنى سوء يقصر بالممدوح ويغض من حسبه ويحتقر من شأن سلفه وانما طريقة المدح أن يجعل الممدوح يشرف بآبائه والآباء تزداد شرفاً به فجعل لكل واحد منهم حظاً في الفخر وفي المدح نصيبا واذا حصلت الحقائق كان النصيبان مقسومين بل كان الكل خالصا لكل فريق منهم لان شرف الوالد جزء من ميراثه ومنتقل الى ولده كانتقال ماله فان رعى وحرس ثبت وازداد وان أهمل وضيع هلك و باد وكذلك شرف الوالد يعم القبيلة وللولد منه القسم الأوفر والحظ الاكبر .. قال صاحب الكتاب والذى يقع عليه الاختيار عندى ما ناسب قول المتوكل الليثي

انا وانْ احسابنا كرمت لسنا على الاحسابِ نتكل[1]

(١) ن لسنا وان احسابنا كرمت يوماً

نبني كما كانت أوائلنا تبنى ونفعل مثلَ ما فعلوا

وقول عامر بن الطفيل الجعفرى

فاني وان كنت ابنَ سيد عامر وفارسها المشهورِ فى كلّ موكب
فما سوّدتني عامر عن وراثةٍ أبي اللهُ ان أسمو بأم ولا أب

ومن أفخر ماقال المولدون قول ابراهيم الموصلى يفتخر بولائه من خزيمة بن حازم النهشلى

اذا مضرُ الحمراء كانت أرومتي وقامَ بمجدى حازمٌ وابن حازم
عطستُ بأنفي شامخا وتناولت يداي الثريا قاعداً غير قائم

ومن قول السيد أبى الحسن يفخر بقومه بنى شيبان

يا آل شيبانَ لاغارتْ نجومكمُ ولاخبتْ نارُكمْ من بعد توقيدِ
انتم دعائم هذا الملكِ مذركضت قبلُ الخيولِ لا برام وتوكيدِ
المنعمونَ اذا ما أزمة ازمتْ والواهبونَ عتيقاتِ المزاويدِ
سيوفكم أفقدت كسرى مرازبهُ فى يوم ذى قارَ اذ جاؤا لموعودِ

وهذا هو الفخر الحلال غير المدعى فيه ولا المتحل ومما عابه الاصمعي وغيره قول عامر ابن معشر بن اسحم يصف أسيرا أسروه

فظل يخالس المذقاتِ فينا يقاد كأنهُ جملٌ ربيقُ

وذلك بأنه وصف أسيرهم بأنه جائع يخالس القليل المذوق من اللبن وانما ذلك من الجهد ٠٠ ومن أجود قصيدة افتخر فيها شاعر قصيدة السموأل بن عاديا اليهودي فانها جمعت ضروب المادح وأنواع المفاخر وهي مشهورة ٠

باب الرثاء

وليس بين الرثاء والمدح فرق الا ان يخلط بالرثاء شيء يدل على ان المقصود بهِ ميت مثل كان اوعدمنا به كيت وكيت او ما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت ٠٠ وسبيل الرثاء أن

يكون ظاهر التفجع بين الحسرة مخلوطا بالتلهف والاسف والاستعظام ان كان الميت ملكا او رئيساً كبيراً كما قال النابغة في حصن بن حذيفة بن بدر

يقولون حصنٌ ثم تأبى نفوسهم وكيفَ بحصنٍ والجبالُ جنوحُ
ولم تلفظ الموتي القبورُ ولم تزل نجومُ السماء والاديم صحيح
فعما قليلٍ ثم جاء نعيهُ فظلَّ ندىُّ الحى وهو ينوحُ

فهذا وما شاكله رثاء الملوك والرؤساء الجلة والى هذا المعنى ذهب أبو العتاهية حين قال

مات الخليفةُ أيها الثقلان

فرفع الناس رؤسهم وفتحوا عيونهم وقالوا نعاه الى الجن والانس ثم ادركه اللين والفترة فقال

فكأنني أفطرتُ فى رمضان

يريد اني بمجاهرتى بهذا القول كأنما جاهرت بالافطار فى رمضان نهارا وكل أحد ينكر ذلك على ويستعظمه من فعلى وهذا معنى جيد غريب فى لفظ ردىء غير معرب عما فى النفس . ومن أفضل الرثاء قول حسين بن مطير يرثى معن بن زائدة ويروى لابن أبى حفصة

فياقبرَ معنٍ كنتَ أولَ حفرةٍ من الارضِ خطتْ للسماحةِ مضجعا
ويا قبرَ معنٍ كيف واريتَ جوده وقد كانَ منه البر والبحرُ مترعاً
بلى قدوسعتَ الجودَ والجودُ ميت ولو كان حياً ضقتَ حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

وما قصر أبو تمام في رثائه محمد بن حميد بالقصيدة التي يقول فيها

الا فى سبيل الله من عطلت له فجاجُ سبيلِ الثغر وانثغر الثغر
فتى كلما فاضتْ عيونُ قبيلة دما ضحكتْ عنه الاحاديثُ والنشر
وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضربِ واعتلت عليه القنا السمر

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة ... تقوم مقام النصر اذ فاته النصر
وقد كان فوت الموت سهلاً فرده ... اليه الحفاظ المر والخلق الوعر
ونفس تخاف العار حتى كأنما ... هو الكفر يوم الروع أودونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموت رجله ... وقال لها من تحت أخمصك الحشر

وقد أجاد أيضاً في القصيدة التي رثى بها ادريس بن بدر الشامي يقول فيها

ولم أنس سعي الجود خلف سريره ... بأكسف بال يستقل ويظلع
وتكبيره خمساً عليه معالناً ... وان كان تكبير المصلين أربع
وما كنت أدري يعلم الله قبلها ... بأن الندى في أهله يتشيع

وليس في ابتداآت المراثي المولدة مثل قوله

أصم بك الناعي وان كان أسمعا ... وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

رثى بها محمد بن حميد وجعل خاتمتها

فان ترم عن عمر تداني به المدى ... فخانك حتى لم تجد عنه منزعا
فما كنت الا السيف لاقي ضريبة ... فقطعها ثم انثنى فتقطعا

وأبو تمام من المعدودين في اجادة الرثاء ومثله عبد السلام بن زغبان ديك الجن هو أشهر في هذا من حبيب وله فيه طريق انفرد بها وذلك أنه قتل جاريته واتهم بها أخاه .. ثم قال يرثيها

يا مهجة جثم الحمام عليها ... وجنى لها ثمر الردي بيديها
رويت من دمها التراب وربما ... روى الهوى شفتي من شفتيها
حكمت سيفي في مجال خناقها ... ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها فما وطئ الحصي ... شيء أعز علي من نعليها
ما كان قتليها لاني لم أكن ... أخشى اذا سقط الغبار عليها
لكن بخلت على الانام بحسنها ... وأنفت من نظر العيون اليها

وقال أيضاً فيها على بعض الروايات

أشفقتُ أن يردَ الزمان بغدرهِ أو أبتلى بعـدَ الوصال بهجرهِ
فقتلتـه وله علـيَّ كرامـةٌ مِلءُ الحشى وله الفؤادُ بأسرهِ
قمرٌ أنا استخرجتـه من دجنهِ لبليـتى وزففتـه من خـدره
عهدى به ميتاً كأحسـنِ نائم والحزنُ ينحرُ دمعـتي في نحره

الذى أعرف ينحر مقلتي وهو أصح استعارة

لو كان يدرى الميتُ ماذا بعده بالحىّ منـه بكي له فى قـبرهِ
غصصٌ تكاد تفيض منها نفسه ويكادُ يخرجُ قلبه من صدره

والرواية الأخرى أن المتهم بالجارية غلام كان يهواه قتله أيضاً فصنع فيه هذه الأبيات فصنعت فيه أخت الغلام

يا ويحَ ديك الجن بل تبًّا له ماذا تضمنَ صدرُه من غدره
قتلَ الذي يهوى وعمر بعده يارب لا تمددْ له فى عمره

ويكون الرثاء مجملا كالمدح المجمل فيقع موقعاً حسنا لطيفاً كقول ابن المعتز فى المعتضد

قضوا ماقضوا من أمره ثم قدموا اماماً امام الخـير بـين يديهِ
وصلوا عليـه خاشـعين كأنهم صفوفٌ قيامٌ للسـلام عليـه

وقال في عبيد الله بن سليمان بن وهب

قد استوى الناسُ ومات الكمالَ وصاحَ صرفُ الدهر أين الرجال
هـذا أبو العباس فى نعشـه قوموا انظروا كيفَ تسيرُ الجبال
يا ناصرَ الملك بآرائه بعـدكَ للملك ليـالٍ طوال

وذكر غير واحد أن أرثى بيت قيل

أرادوا ليخفوا قبره عن عـدوه فطيبُ تراب القبر دلَّ على القبر

ومن عادة القدماء أن يضربوا الأمثال فى المراثي بالملوك الاعزة والأمم السالفة والوعول

الممتنعة فى قلل الجبال والاسود الخادرة فى الغياض وبحمر الوحش المتصرفة بين القفار والنسور والعقبان والحيات لبأسها وطول أعمارها وذلك في أشعارهم كثير موجود لايكاد يخلو منه شعر .. قال أبو عليّ فأما المحدثون فهم الى غير هذه الطريقة أميل ومذهبهم فى الرثاء أمثل فى وقتنا هذا وقبله وربما جروا على سنن من قبلهم اقتداء بهم وأخذا بسنتهم كالذى صنع أبو أيوب فى رثائه ابا البيداء الاعرابى وخلف بن جارة الأحمر ومراثيه فيهما فائيتان وقافية مشهورات احداهن قوله

لاتئل العصم فى الهضاب ولاَ　　شغواء تغـذو فرخين في لجف

والثانية قوله　　* لو كان حيا وائلاً من التلف *

والثالثة قوله فى أبى البيداء

هل مخطيءٌ يومه عفرٌ بشاهقةٍ　　ترعي بأخيافها شثاً وطباقا

وكما صنع ابن المعتز يرثى أباه بالقصيدة اللامية المقيدة في الرمل

رب حتف بين اثناء الأمل　　وحياةُ المرء ظلٌ منتقلْ

وهي أيضاً معروفة ولولا اشتهار هـذه القصائد ووجودها وخيفة التطويل بها لأثبتها فى هذا الموضع .. وليس من عادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسيباً كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء وقال ابن الـكلبي وكان علامة لا أعلم مرثية أولها نسيب الاَّ قصيدة دريد بن الصمة

أرث جديدُ الحبلِ من أمّ معبدِ　　بعافية وأخلفت كل موعـد

وعن عليّ بن سليمان عن أبى العباس الأحول أن القصيدة التى لأبى قحافة أعشى باهلة انما هى لابنة المنتشر واسمها الدعجاء .. قال وقال عليّ بن سليمان حدثنى أبى أن أولها

هاج الفؤادَ على عرفانه الذ كرُ　　وذ كرخودٍ على الأيامِ ما يذر

قدكنت أذ كرها والدار جامعةٌ　　والدهرفيه هلاكُ الناسِ والشجر

هكذا أنشده النحاس والذى أعرف ـ وذ كر ميت ـ وأعرف أيضاً ـ والدهرفيه هلاك الناس والغير ـ كذلك أنشدنيه الموصلى فى الاغانى ثم عطف النحاس فقال هذان البيتان

لا يعرفان في أول هـذه القصيدة •• ومما يزيد الاسترابة بهما أن المتعارف عند أهل اللغة أنه ليس للعرب فى الجاهلية مرثية اولها تشبيب الا قصيدة دريد وانا اقول انه الواجب فى الجاهلية والاسلام والى وقتنا هذا ومن بعده لأن الآخذ فى الرثاء يجب أن يكون مشغولا عن التشبيب بما هو فيه من الحسرة والاهتمام بالمصيبة وانما تغزل دريد بعد قتل أخيه بسنة وحين أخذ ثأره وأدرك طلبته وربما قال الشاعر فى مقدمة الرثاء تركت كذا أو كبرت عن كذا وشغلت عن كذا وهو فى ذلك كله يتغزل ويصف أحوال النساء وكان الكميت ركابا لهذه الطريقة فى أكثر شعره •• فأما ابن مقبل فمن جفا إعرابيته أنه رثى عثمان بن عفان رضى الله عنه بقصيدة حسنة أتى فيها على ما فى النفس ثم عطف وقال

فدعْ ذا ولكنْ علقتْ حبلَ عاشقٍ لاحدى شعاب الحين والقتل أريب
ولم تنسني قتلي قريشٍ ظعائناً تحملن حتى كادتِ الشمسُ تغرب
يطفنَ بغريدٍ يعللُ ذا الصبا اذا رام اركوب الغواية أركب
من الهيف ميدان ترى نطفاتها بمهلكة اخراصهنَّ تذبذب

والنسيب فى أول القصيدة على مذهب دريد خير مما ختم به هذا الجلف على تقدمه في الصناعة الاَّ أن تكون الرواية ظعائن بالرفع •• ومما عيب به الكميت فى الرثاء قوله فى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبوركَ قبرٌ أنت فيهِ وبوركتْ به ولهُ أهلٌ بذلك يثربُ
لقد غيبوا براً وحزماً ونائلاً عشيةَ واراهُ الضريحُ المنصبُ

حكاه الجاحظ وغيره وأظن ان المراد بما عيب الثانى من هذين البيتين فأما الاول فجيد •• ومن العجب ان يقول عبدة بن الطيب في تأبين قيس بن عاصم

عليكَ سلامُ الله قيسَ بن عاصمٍ ورحمتهُ ماشاء أنْ يترحما
تحيةَ من ألبسته منك نعمةً اذا زارَ عن شحطٍ بلادك سلما
فما كان قيسٌ هلكه هلكُ واحدٍ ولكنهُ بنيان قوم تهدما

ويقول الكميت فى تأبين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول فهلا قال مثل قول فاطمة رضى الله عنها

اغبر آفاقُ السماءِ وكورت   شمسُ النهارِ وأظلمَ العصرانِ
فالأرضُ من بعدالنبيّ كئيبةٌ   أسفاً عليهِ كثيرة الرجفانِ
فليبكهِ شرقُ البلادِ وغربها   وليبكهِ مضر وكل يمانى
وليبكهِ الطودُ المعظم جوُّه   والبيتُ ذو الاستارِ والأركانِ
ياخاتمَ الرسلِ المبارك صنوه   صليَّ عليكَ منزل القرآن

صلى الله عليه وسلم ورحم وكرم وعظم ٠٠ والنساء أشجى الناس قلوبا عند المصيبة وأشدهم جزعاً على هالك لما ركب الله عز وجل في طبعهن من الخور وضعف العزيمة ٠٠ وعلى شدة الجزع يبنى الرثاء كما قال ابو تمام

لولا التفجعُ لادعى هضبُ الحمي   وصفا المشقرِ أنه محزون

فانظر الى قول جليلة بنت مرة ترثى زوجها كليبا حين قتله أخوها جساس ما أشجي لفظها وأظهر الفجيعة فيه وكيف يثير كوامن الاشجان و يقدح شرر النيران وذلك

يا ابنة الاقوام ان لمتِ فلاَ   تعجلى باللوم حتى تسألى
فاذا أنتِ تبيتِ التى   عندها اللوم فلومي واعذلى
ان تكن اخت امريءٍ ليمتْ علىَ   جزعٍ منها عليها فافعلى
فعلُ جساسٍ على ضني بهِ   قاطعٌ ظهرى ومدنٍ أجلى
لو بعينٍ فديتْ عينى سوي   اختها وانفقأتْ لم أحفلِ
تحملُ العينُ قذى العينِ كماَ   تحملُ الامُّ قذىً ما تفتلى
أننى قاتلة مقتولة   فلعل الله ان يرتاحَ لىِ
يا قتيلاً قوّض الدهرُ بهِ   سقفَ بيتيَّ جميعاً من علِ
ورمانىِ فقده من كثبٍ   رميةَ المصمىَ بهِ المستأصلِ

هدمَ البيتَ الذى استحدثهُ وسعى فى هدمِ يبقى الاولِ
مسنى فقدُ كليبٍ بلظيً من ورائى ولظى مستقبلي
ليسَ من يبكي ليومين كمن انما يبكي ليوم ينجلى
دركَ الثائرِ شافيه وفى دركي ثاري ثكل المثكلِ
ليته كان دمي فاحتلبوا دركاً منه دمى من اكحلي

ومن اشد الرثاء صعوبة على الشاعر ان يرثى طفلا أو امرأة لضيق الكلام عليه فيهما وقلة الصفات الاترى ما صنعوا بابى الطيب وهو فحل مجود اذا ذكر المحدثون فى قوله يذكر أم سيف الدولة

صلاة الله خالقنا حنوط علي الوجه المكفن بالجمال

فقالوا ماله ولهذه العجوز يصف جمالها وقال الصاحب بن عباد استعارة حداد في عرس فان كان أراد الصاحب بالاستعارة الحنوط فقد والله ظلم وتعسف وان كان اراد استعارة الكفن بجمال العجوز فقد اعترض فى موضع اعتراض الى مواضع كثيرة فى هذه القصيدة على ان فيها مايمحو كل زلة ويعفى على كل اساءة قال الصاحب بن عباد ولقد مررت على مرثية له فى أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس على سوء ادب النفس وما ظنك بمن يخاطب ملكا في أمه بقوله

رواقُ العزِّ فوقك مسبطر وملك على ابنك في كمال

ولعل لفظة الاسبطرار فى مراثى النساء من الخذلان الصفيق الرقيق وأنا اقول ان اشد ما هجن هذا اللفظة وجعلها مقام قصيدة هجاء انه قرنها بفوقك فجاء عملاً تاماً لم يبق فيه الافضاء .. ومن صعب الرثاء أيضاً جمع تعزية وتهنئة فى موضع قالوا لما مات معاوية اجتمع الناس بباب يزيد فلم يقدر أحد على الجمع بين التهنئة والتعزية حتى اتى عبيد الله ابن همام السلولى فدخل فقال يا امير المؤمنين آجرك الله على الرزية وبارك لك فى العطية وأعانك على الرعية فقد رزئت عظيما واعطيت جسيما فاشكر الله على ما اعطيت واصبر علي ما رزئت فقد فقدت خليفة الله واعطيت خلافة الله ففارقت جليلا ووهبت جزيلا اذ قضى معاوية نحبه ووليت الرياسة واعطيت السياسة فاورده الله موارد السرور

ووفقك لصالح الامور

فاصبرْ يزيدُ فقد فارقتَ ذاثقة ... واشكر حباء الذى بالملك اصفا كا
لا رزء اصبح فى الاقوام نعلمهُ ... كا رزئت ولا عقبي كعقبا كا
اصبحتَ والىَ امر الناس كلهم ... فانتَ ترعاهم والله يرعا كا
وفى معاوية الباقى لنا خلفٌ ... اذا بقيتَ ولا نسمع بمنعا كا

ففتح للناس باب القول . . وعلى هذا السنن جرى الشعراء بعده فقال أبو نواس يعزى الفضل ابن الربيع عن الرشيد ويهنيه بالأمين

تعزّى ابا العباس عن خير هالك ... باكرم حى كان او هو كائن
حوادثُ ايام تدور صروفها ... لهن مساوٍ مرّة ومحاسن
وفي الحى بالميت الذى غيب الثرى ... فلا الملك مغبون ولا الموت غابن

ويروى - فلا انت مغبون - واتبعه ابو تمام بالقصيدة التي أولها

ما للدموع تروم كل مرام

يقولها للواثق بعد موت المعتصم صرف الكلام فيها كيف شاء واطنب كما اراد واحتج فيها فأسهب وتقدم فيها عل كل من سلك هذه الناحية على الشعراء وأراد ابن الزيات مجاراته فعلم من نفسه التقصير فاقتصر على قوله

قد قلتُ اذ غيبوكَ واصطفقت ... عليكَ أيدٍ بالترب والطينِ
اذهبْ فنعم المعينُ كنتَ على الد ... نيا ونعمَ الظهيرُ للدينَ
لن يجبرَ الله أمةً فقدتْ ... مثلكَ الاّ بمثلِ هارونِ

ومن جيد ما رثي به النساء وأشجاه وأشده تأثيراً في القلب واثارة للحزن قول محمد بن عبد الملك هذا في أم ولده

ألا من رأى الطفلَ المفارقَ أمه ... بعيدَ الكرى عيناه تبتدران
رأي كلَّ أمٍ وابنها غير أمه ... يبيتان تحتَ الليل ينتجيان

وباتَ وحيداً فى الفراش تحثه ... بلابلُ قلبٍ دائم الخفقان

يقول فيها بعد أبيات

ألا ان سجلا واحدا قد أرقته ... من الدمع أوسجلين قد شفيانى

فلا تلحيانى ان بكيت فانما ... أداوي بهذا الدمع ما تريانى

وان مكاناً في الثرى خطَّ لحده ... لمن كان فى قلبى بكل مكان

أحقُّ مكانٍ بالزيارة والهوى ... فهل أنتما ان عجتُ منتظران

ومن أشجي الشعر رثاء قوله فى هذه القصيدة

فهبنى عزمت الصبرَ عنها لانني ... جليدٌ فمنْ بالصبر لابن ثمان

ضعيفُ القوى لايعرفُ الاجرحسبة ... ولا يأتسى بالناسِ فى الحدثان

الا من أمنيه المنى فأعدّه ... لعثرة أيامى وصَرف زمانى

الا منْ اذا ماجئتُ أكرم مجلسي ... وان غبت عنه حاطنى ورعانى

فلم أر كالاقدار كيف تصيبنى ... ولامثلَ هذا الدهر كيف رمانى

فهذه الطريق هي الغاية التى يجرى حذاق الشعراء اليها و يعتمدون في الرثاء عليها ما لم تكن المرثية من نساء الملوك و بنات الأشراف وغير ذوات محارم الشاعر فانه يتجافى عن هذه الطريقة الى أرفع منها نحو قول أبى الطيب

ولوْ أنَّ النساءَ كمنْ فقدنا ... لفضلتِ النساء علي الرجال

وقوله في هذه القصيدة

مشي الأمراء حوليها حفاةً ... كأن المروَ من زفِّ الرئال

ونحو قوله لأخت سيف الدولة

يا أختَ خير أخ يا بنت خير أب ... كنايةً بهما عن أشرف النسب

أجل قدركِ ان تدعي مؤنثة ... ومَن يصفك فقد سماكِ للعرب

ورثاء الاطفال أن يذكر مخايلهم وما كانت الفراسة تعطيه فيهم مع تحزن لمصابهم وتفجع بهم كالذي صنع أبو تمام فى ابنى عبد الله بن طاهر

باب الاقتضاء والاستنجاز

حسب الشاعر أن يكون مدحه شريفاً واقتضاؤه لطيفاً وهجاؤه ان هجا عفيفاً فان الاقتضاء الخشن ربما كان سبب المنع والحرمان وداعية القطيعة والهجران وقوم يدرجون العتاب فى الاقتضاء والاقتضاء فى العتاب وأنا أرى غير هذا المذهب أصوب فالاقتضاء طلب حاجة وباب التلطيف فيه أجود فان بلغ الامر العتاب فانما هو طلب الابقاء على المودة والمراعاة وفيه توبيخ ومعاضة لايجوز معها بعد الاقتضاء الأن الناس خلطوا هذين البابين وساووا بينهما ٠٠ فمن أحسن الاقتضاء على ما تخيرته ونحوت اليه قول أمية بن أبى الصلت لعبد الله بن جدعان

أأذكر حاجتى ام قد كفانى حياؤك ان شيمتك الحياءُ
وعلمك بالحقوق وأنت فرعٌ لك الحسبُ المهذبُ والسناء
خليلٌ لا يغيره صباح عن الخلق الجميل ولامساء
فأرضكَ كلُّ مكرمةٍ بنتها بنو تيم وأنتَ لها سماء
اذا أثنى عليكَ المرءُ يوماً كفاهُ من تعرضه الثناء
تباري الريح مكرُمةً وجوداً اذاماالكلبُ أجحره الشتاءُ

فأنت ترى هذا الاقتضاء كيف يلين الصخر ويستنزل القطر ويحط العصم الى السهل ٠٠ ومثله قول الآخر

لاشكرنكَ معروفاً هممتَ به ان اهتمامكَ بالمعروف معروفُ
ولا ألومكَ ان لم يمضه قدرٌ فالشئُ بالقدرِ المحتومِ مصروفُ

وأما ما ناسب قول محمد بن يزيد الأموى لعيسى بن فرخان شاه اذ يقول له مستبطئاً

أبا موسى سقى أرضـ كَ دان مسبلُ القطرِ
وزادَ اللهُ في قدر كَ ماأخملت من قدرى

لقد كنتُ أرجيكَ لما أخشي من الدهر
فقد أصبحتَ من أو كد أسبابى الى الفقر
أترضي لى بأن أرضى بتقصيرك فى أمرى
وقد أفنيتُ ما أفنيتُ فى شكرك من عمرى
مواعيدُ كما أخبت سرابُ المهمهِ القفرِ
فمن يوم الى يوم ومن شهر الى شهر
فلم أحصلْ على قيمة ما قلمتُ من ظفرى
لعلَّ اللهَ أن يصنع لي من حيث لا أدرى
فألقاكَ بلا شكر وتلقانى بلا عذر
ولا أرجوكَ في الحالين لا العسر ولا اليسر

فهذا هو العتاب الممض والتو بيخ الذي دونه الجلد بالسوط بل بالسيف . ومما صنعته في العتاب على هذا الشكل بعد اليأس المستحكم على ما شرطته

رجوتك للأمر المهم وفي يدي بقايا أمنى النفسَ فيها الأمانيا
فساوفتَ بى الأيام حتي اذا انقضت أواخرُ ما عندى قطعتَ رجائيا
وكنتُ كأنى نازفُ البئر طالباً لأجمامها أو يرجعَ الماء صافيا
فلا هو أبقى ما أصابَ لنفسه ولاهيَ أعطته الذى كان راجيا

ومن أملح ما رأيته فى الاقتضاء والاستبطاء قول أبى العتاهية لعمرو بن العلاء وابن المعتز يسمى هذا النوع مزحاً يراد به الجد وهو

أصابتْ علينا جودكَ العينُ يا عمرُ فنحن لها نبغي التمائمَ والنشرْ
سنرقيكَ بالأشعار حتى تملها فان لم تفقْ منها رقيناك بالسورْ

وكنت أنا صنعت فى استبطاء

أحسنتُ فى تأخيرها منةً لو لم تؤخرْ لم تكن كاملهْ

وكيفَ لا يحسنُ تأخيرها بعد يقيني أنها حاصله
وجنةُ الفردوس يدعي بها آجلةً للمرء لا عاجله
لكنما أضعفَ من همتي أيامُ عمرٍ دونها زائله

والعتاب أوسع حداً من الاقتضاء لانه يكون مثله بسبب الحاجات وقد يكون بسبب غيرها كثيراً والاقتضاء لايكون الا في حاجة

باب العتاب

العتاب وان كان حياة المودة وشاهد الوفاء فانه باب من أبواب الخديعة يسرع الى الهجاء وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء فاذا قل كان داعية الالفة وقيد الصحبة واذا كثر خشن جانبه وثقل صاحبه .. وللعتاب طرائق كثيرة وللناس فيه ضروب مختلفة فنه مايمازجه الاستعطاف والاستئلاف ومنه مايدخله الاحتجاج والانتصاف وقد يعرض فيه المن والاجحاف مثل مايشركه الاعتذار والاعتراف وأحسن الناس طريقاً في عتاب الاشراف شيخ الصناعة وسيد الجماعة أبو عبادة البحتري الذي يقول

يريبني الشيءُ تأتي به وأكبرُ قدرَك أنْ أسترِيبا
وأكره أنْ أتمادى على سبيلِ اغترارٍ فألقى شعوبا
أكذب ظني بأنْ قد سخطتَ وما كنتَ أعهدُني كذوبا
ولو لم تكن ساخطاً لم أكن أذمُّ الزمانَ وأشكو الخطوبا
ولا بدَّ من لومةٍ أنتحي عليك بها مخطئاً أو مصيبا
أيصبحُ وردي في ساحتيـ ك طرقاً ومرعايَ محلاً جديبا
أبيعُ الاحبةَ بيعَ السوا م وآسى عليهم حبيبا حبيبا
ففي كل يومٍ لنا موقفٌ يشققُ فيه الوداعُ الجيوبا

وما كان سخطك الا الفراقُ أفاضَ الدموعَ وأشجي القلوبا
ولو كنتُ أعلم ذنباً لما تخالجنى الشكُّ في أن أتوبا
سأصبرُ حتى ألاقى رضا كَ إما بعيداً وإما قريبا
أراقبُ رأيكَ حتى يصحّ وانظر عطفَكَ حتى يؤوبا

والذي يقول أيضاً

وأصيدَ ان نازعتهُ اللحظَ ردَّه كليلاً وان راجعتهُ القولَ جمجما
ثناه العدى عنى فأصبح معرضاً وأوهمه الواشونَ حتى توهما
وقد كان سهلاً واضحاً فتوعرتْ رباه وطلقاً ضاحكا فتجهما
أمتخذٌ عندى الاساءةَ محسنٌ ومنتقمٌ منى امرؤٌ كان منعما
ومكتسب فيَّ الملامةَ ماجدٌ يرى الحمدَ غنماً والملامةَ مغرما
يخوفنى من سوءِ رأيكَ معشرٌ ولا خوف الاَّ أن تجورَ وتظلما
أعيذك أن أخشاك من غيرحادثٍ تبين أو جرم اليك تقدَّما
ألستُ الموالى فيك غرَّ قصائدٍ هي الأنجم اقتادتْ مع الليل أنجما
ثناءً كأنَّ الروضَ فيه منور ضحي وكأنَّ الوشيَ فيه منمنما
ولو أننى وقرتُ شعري وقارَهُ وأجللتُ مدحي فيك أن يتهضما
لا كبرتُ أن أومي اليك بأصبع تضرُّع أو أدني لمعذرة فما
وكان الذى يأتى به الدهر هينا عليَّ ولو كان الحمام المقدما
ولكننى أعلى محليَ أن أرى مذلاً وأستحييكَ أن أتعظما

فهذا عتاب كما قال

عتاب بأطراف القوافي كأنه طعان بأطراف القنا المتكسر ٥

وقد نحوت أنا هذا النحو فى كلمة عاتبت بها القاضى جعفر بن عبدالله الكوفى قلت فيها

وقد كنت لا آتي اليك مخاتلاً لديكَ ولا اثني عليكَ تصنعا
ولكنْ رأيتُ المدحَ فيكَ فريضةً عليَّ اذا كانَ المديحُ تطوعا
فقمتُ بما لم يخفَ عنكَ مكانهُ من القولِ حتى ضاقَ عما توسعا
ولو غيرُكَ الموسوم عنى بريبة لاعطيتُ منها مدعي القول ماادعي
فلا تتخالجكَ الظنونُ فانها مآثمُ واتركُ فيَّ للصنع موضعا
فوالله ما طولتُ باللومِ فيكم لساناً ولا عرّضتُ للذمِ مسمعا
ولا ملتُ عنكمْ بالودادِ ولا انطوتْ حبالى ولا ولى ثنائي مودّعا
بلىَ ربما أكرمتُ نفسي فلم تهنْ وأجللتها عنْ أن تذلَّ وتخضعا
ولم أرضَ بالحظّ الزهيدِ ولم أكنْ ثقيلا على الاخوانِ كلاً مدفعا
فباينتُ لا أنَّ العداوةَ باينتْ وقاطعتُ لا أن الوفاء تقطعا
الودُّ باكنافِ الرجاءِ واتقى شماتَ العدا إن لم أجدْ فيكَ مطمعا

ومن معاتبات أبي تمام قوله لابن عبد الملك الزيات

لئنْ همى أوجدنى فى تقلبي ما لاً لقدْ أفقدنى منكَ موئلا
وان رمتُ امرا مدبر الوجهِ اننى لا ترك حظاً فى فنائك مقبلا
وان كنتُ أخطو ساحة المحل اننى لاترك روضاً من جداكَ وجدولا
كذلك لا يلتقي المسافر رحلهُ الى منقل حتى يخلفَ منقلا
ولا صاحبُ التطوافِ يعمرُ منهلا وربعاً اذا لم يخل ربعاً ومنهلا
ومن ذايدانى أو يناثى وهل فتيً يحلُّ عرى الترحال أو يترحلا
فمرنى بأمر احوذيٍّ فاننى أرى الناس قد أمروا واصبحت مرملا
فسيان عندى صادفوا ليَ مطعناً أعابُ بهِ أو صادفوا ليَ مقتلا

ومن قصيدة أخرى لأبي تمام

تقطعتِ الاسبابُ انْ لمْ تغرِ لها قوىً أو يصلها من يمينكَ واصلُ

سوي مطلبٍ ينفي الرجاء بطولهِ ويخلقُ إخلاقَ الجفونِ الوسائلُ
وقد تألفُ العينُ الدجى وهو قيدها ويرجى شفاء السمّ والسمُّ قاتلُ
ولي عدةٌ تمضي العصورُ وانها كعهدك من أيام مصر لحائل
سنونَ قطعناهنَّ عشراً كأنما قطعنا لقربِ العهدِ منها مراحلُ
وان جزيلات الصنائع لامرىءٍ اذا ما الليالي ناكرته معاقلُ
وانَّ المعالي يُسترمُّ بناؤها سريعاً كما قد تسترم المنازلُ
ولو حاردت شول عذرتُ لقاحها ولكن حرمتُ الدرّ والضرعُ حافلُ
مَنحتكها تشفي الجوي وهو لاعجٌ وتبعث اشجان الفتى وهو ذاهلُ
تردُّ قوافيها اذا هي أرسلتْ هوامل مَجد القوم وهي هواملُ
وكيف اذا حلَّيتها بحليها تكون وهذا حسنها وهي عاطل
أ كابرَنا عطفاً علينا فاننا بنا ظمأ بَرْحٌ وأنتم مناهل

وقال ابن الرومي لابى الصقر اسماعيل بن بلبل يعاتبه فى قصيدة جيدة مختارة

عقيلَ الندي اطلق مديحٌ جمة خواسيَ حسري قدأبت أن تسرّحا
وكنتَ متى تنشد مديحاً ظلمته يكن لك أهجى كل ما كان أمدحا
عذرتك لو كانت سماء تقشعت سحائبها أو كان روضٌ تصوحا
ولكنها سقيا حرمت رويها وعارضها ملق كلا كلَ جنحا
وأكلاً معروف حميت مريعها وقد عادمنها الحزن والسهل مسرحا
فيالك بحراً لم أجد فيه مشربا وان كان غيرى واجداً فيه مسبحا
مديحي عصا موسى وذاك لانني ضربت به بحر الندي فتضحضحا
فياليت شعري إن ضربت به الصفا أيحدث لى فيه جداولَ سيحا
كتلك التى أبدت ثرى البحر يابسا وشقت عيونا فى الحجارة سفحا
سامدح بعض الباخلين لعله اذا أُطرد المقياس ان يتسمحا

فهذا هو الذي لا يبلغ جودة ولا يجاري سبقا على أن البحتري قد تقدم الى بعض المعنى في قوله للفتح بن خاقان

غمامٌ خطاني صوبهُ وهو مسبلٌ ... وبحر عداني فيضهُ وهو مفعمُ
وبدرٌ أضاءَ الارض شرقا ومغربا ... وموضعُ رجلي منهُ أسودُ مظلمُ
وما بخل الفتحُ بن خاقان بالندى ... ولكنها الاقدار تعطي وتحرم

وأما أبو الطيب فكان في طبعه غلظة وفي عتابه شدة وكان كثير التحامل ظاهر الكبر والأنفة وما ظنك بمن يقول لسيف الدولة

يا أعدل الناس الا في معاملتي ... فيكَ الخصام وأنت الخصم والحكم
أعيذها نظراتٍ منكَ صادقةً ... ان تحسبَ الشحم فيمن شحمهُ ورم
وما انتفاع أخي الدنيا بناظرهِ ... اذا استوت عنده الانوار والظلم
انا الذي نظر الاعمى الي أدبي ... وأسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملءَ جفوني عن شواردها ... ويسهر الناس جرّاها ويختصم
وجاهل مدّه في جهله ضحكي ... حتى أتتهُ يدٌ فرّاسة وفم
اذا رأيتَ نيوبَ الليث بارزةً ... فلا تظنن أن الليثَ مبتسم

فهذا الكلام في ذاته في نهاية الجودة غير انه من جهة الواجب والسياسة غاية في القبح والرداءة وانما عرض بقوم كانوا ينتقصونه عند سيف الدولة ويعارضونه في أشعاره والاشارة كلها الى سيف الدولة ثم قال بعد أبيات

يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم ... وجد اننا كل شيء بعدكم عدم
ما كان أخلقنا منكم بتكرمة ... لو أن أمركم من أمرنا أمم
ان كان سركم ما قال حاسدُنا ... فما لجرح اذا أرضاكمُ ألمُ
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة ... إن المعارف في أهل النهى ذمم
كم تطلبونَ لنا عيبا فيعجزكم ... ويكره الله ما تأتون والكرم

ما أبعد العيبَ والنقصانَ من شرفي — أنا الثريا وذان الشيب والهرم
ليتَ الغمامَ الذي عندي صواعقه — يزيلهنَّ الى من عنده الديم
أرى النوى يقتضيني كلَّ مرحلة — لا تستقل بها الوخّادةُ الرسم
لئن تركن ضميراً عن ميامننا — ليحدثن لمن ودعتهم ندم

وانما قال أولا ـ ليحدثن لسيف الدولة الندم ـ ثم بدله وليس هذا عتابا لكنه سباب وبسبب هذه القصيدة كاد يقتل عند انصرافه من مجلس انشادها وهذا الغرر بعينه ٠٠ فاما عتاب الأكفاء وأهل المودات والمتعشقين من الظرفاء فبابة أخرى جارية على طرقاتها ٠٠ قال ابراهيم بن العباس الصولي يعاتب محمد بن عبد الملك الزيات وقد تغير عليه لما وزر

وكنتَ أخي باخاء الزما — ن فلما نباصرت حربا عوانا
وكنتَ أذمُّ اليك الزمانَ — فأصبحت فيك أذمُّ الزمانا
وكنتُ أعدك للنائبات — فها أنا أطلب منكَ الأمانا

وهذا عندي من أشد العتاب وأوجعه ٠٠ ومن أكرم العتاب قول السيد أبي الحسن أدام الله سيادته وسعادته

وإني لاطري كل خل صحبته — وأنت ترى شتمي بغير حياء
ستعلم يوماً ما أسأت لصاحب — تكرمَ أخلاقي وحسنَ وفائي

٠٠ومن مليح ماسمعت قول سعيد بن حميد يعاتب صديقاً له

اقللْ عتابك فالبقاء قليل — والدهرُ يعدل تارةً ويميل
لم أبك من زمن ذممتُ صروفه — الا بكيتُ عليه حين يزول
ولكل نائبة ألمت مدةٌ — ولكل حال أقبلت تحويل
فالمنتمون الى الاخاء عصابة — ان حصلوا أفناهم التحصيل
ولعل احداثَ المنية والردى — يوماً ستصدع بيننا وتحول

ولئن سبقتُ لتبكين بحسرةٍ وليكثرنّ عليّ منك عويل
ولتفجعن بمخلصٍ لك وامقٍ حبلُ الوفاء بحبله موصول
ولئن سبقتَ ولا سبقتَ ليمضين من لا يشا كله لدىّ خليل
وليذهبن بهاءُ كل مروءة وليفقدنّ جمالها المأهول
وأراك تكلف بالعتاب وودُّنا صافٍ عليه من الوفاء دليل
ودٌّ بدا لذوى الاخاء جماله وبدت عليه بهجة وقبول
ولعل أيامَ الحياةِ قصيرة فعلام يكثر عتبنا ويطول

الى ههنا أومأ أبو الطيب بقوله

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها فمفترق جاران دارهما العمر

وأشار اليه أيضا بقوله وأردت البيت الأخير

زودينا بحسن وجهك ما دا م فحسن الوجوه حالٌ تحول
وصلينا نصلك في هذه الدنـيا فانّ المقام فيها قليل

والجميع من قول الاول

ولقد علمتَ فلا تكن متجنبا أن الصدود هو الفراقُ الاول
حسبُ الاحبة أن يفرق بينهم ريب المنون فما لنا نستعجل

الا أن ابن حميد قد فنن وبين وشرح ما أجمل غيره بقوله ـ لئن سبقت أنا ـ ولئن سبقت أنت ـ ولا سبقت أنت ـ فله بذلك فضل بين ورجحان ظاهر .. وما أحسن ايجاز الذى قال

العمر أقصر مدة من أن يمحقَ بالعتاب

وقال أبو المحدثين بشار

اذا كنت في كل الامور معاتبا صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعش واحداً أو صل أخاك فانه مقارف ذنبٍ مرة ومجانبه
اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

باب الوعيد والانذار

كان العقلاء من الشعراء وذوو الحزم يتوعدون بالهجاء ويحذرون من سوء الاحدوثة ولا يمضون القول الا لضرورة لا يحسن السكوت معها .. قال ابن مقبل

بنى عامر ما تأمرونَ بشاعرٍ تخيير آيات الكتاب هجانيا
أأعفو كما يعفو الكريمُ فانني أرى الشغبَ فيما بيننا متدانيا
أم اُغمض بين الجلد واللحم غمضة بمبرد روميّ يقط النواحيا
فأما سراقاتُ الهجاء فانها كلامٌ تهاداه اللئامُ تهاديا
أم اُخبط خبطَ الفيل هامةَ رأسه بحرد فلا يبقى من العظم باقيا
وعندى الدهيمُ لو أحلُّ عقالها فتصبح لم تعدم من الجن حاديا

شبه لسانه بمبرد رومي لمضائه وشبه القصيدة التي لوشاء هجاهم بها بالدهيم وهي الداهية وأصل ذلك أن الدهيم ناقة عمرو بن زبان الذهلى التي حملت رؤس بنيه معلقة فى عنقها فجاءت بها الحى فضرب بها المثل للداهية .. وقال جرير لبنى حنيفة وكان ميلهم مع الفرزدق عليه

أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم أنى أخاف عليكم أن أغضبا
أبنى حنيفة إننى ان أهجكم أدعِ اليمامةَ لا توارِى أرنبا

-أحكموا- كفوا من حكمة اللجام .. وقال أيضاً لتيم الرباب رهط عمر بن لجأ

يا تيم تيم عدىٍّ لا أبا لكمُ لا يلقينكمُ فى سوءةٍ عمرُ

وكان عليّ بن سليم الأخفش فى صباه يعبث بابن الرومي لما يعلم من طيرته فيجعل من يقرع الباب عليه بكرة ويتسمي له بأقبح الاسماء فيمنعه ذلك من التصرف فقال يتوعده

قولوا لنحوينا أبى حسنٍ انَّ حسامى متى ضربتُ مضى
وان نبلي متى هممتُ بأنْ أرمي نصلتها بجمر غضي

لا تحسبن الهجاء يحفل بالرفع ولا خفض خافض خفضا
ولا تخل عودتي كبادئتي سأسعط السم من عصي الحضضا
أعرف في الاشقياء لي رجلاً لا ينتهى أو يصير لي غرضا
يلبسُ لى صفحة السلامة والسلم ويخفي في قلبه المرضا
يضحى مغبطاً علي ان غضب ا لله عليه ونلت منه رضا
وليس تجدى عليه موعظتي إن قدر الله حينه فقضى
كأنني بالشقي معتذراً اذا القوافى أذقنه مضضا
ينشدنى العهد يوم ذلك والعهد خفار اذاله قبضا
لا يأمنن السفيه بادرتى فاننى عارض لمن عرضا
عندى له السوط ان تلوم في السير وعندى اللجام ان ركضا
أسمعت أنباء صيتي أبا حسن والنصح لاشك نصح من محضا
وهو معافى من السهاد فلا يجهل فيشرى فراشه قضضا
أقسمت بالله لاغفرت له ان واحد من عروقه نبضا

وكذلك قد فعل وقد مزقه بالهجاء كل ممزق وجعله مثلة بين أصحابه على أن الأخفش كان يتجلد عليه و يظهر قلة المبالاة به وهيهات وقد وسمه سمة الدهر وسامه سوم الخسف والقهر .. ومما قلته فى هذا الباب

ياموجعي شتماً على أنه لو فرك البرغوث ما أوجما
كل له من نفسه آفة وآفة النحلة أن تلسما

وقلت من قصيدة خاطبت بها بعض بنى مناد

من يصحب الناس مطوياً على دخل لا يصحبوه فخلوا كل تدخيل
لا تستطيلوا على ضعفى بقوتكم ان البعوضة قد تعدو على الفيل
وجانبوا المزح ان الجد يتبعه ورب موجعة فى اثر تقبيل

ومنها بعد أبيات لا تليق بالموضع خوف الحشو

يا قوم لا يلقيني منكمُ أحد في المهلكاتِ فاني غير مغلول

لا تدخلوا بالرضى منكم على غررٍ فتخرجوا الليث غضباناً من الغيل

الاّ تكن حملت خيراً ضمائركم أكن تأبط شراً ناكح الغول

باب الهجاء

يروي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال خير الهجاء ما تنشده العذراء فى خدرها فلا يقبح بمثلها نحو قول أوس

اذا ناقةٌ شدَّتْ برحلٍ ونمرقٍ الى حيكم بعدى فضلّ ضلالها

واختار أبو العباس قول جرير

لو أنّ تغلب جمعتْ أحسابها يوم التفاخرِ لم تزِنْ مثقالا

.. ومثل قوله

فغضّ الطرف انكَ من نميرٍ فلا كعبا بلغتَ ولا كلابا

و بين الاختيارين تناسب فى عفة المذهب غير أن بيت جرير الثاني أشد هجاء لما فيه من التفضيل فقد حكي محمد بن سلام الجمحى عن يونس بن حبيب أنه قال أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل وهو الاقذاع عندهم .. قال النبى صلى الله عليه وسلم من قال في الاسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر ولما أطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة من حبسه اياه بسبب هجائه الزبرقان بن بدر قال له اياك والهجاء المقذع قال وما المقذع يا أمير المؤمنين قال المقذع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف وتبنى شعراً على مدح لقوم وذم لمن تعاديهم فقال أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم مني بمذاهب الشعر ولكنى حبانى هؤلاء فمدحتهم وحرمنى هؤلاء فذكرت حرمانهم ولم أنل من اعراضهم شيئاً وصرفت

مدحي الى من أراده ورغبت به عمن كرهه وزهد فيه يريد بذلك قصيدته المهموزة التي يقول فيها

وآنيتُ العشاء الى سهيلٍ أوالشعرى فطال بي الأناء

وهي أخبث ماصنع ٠٠ وفيها أو من أجلها قال خلف الأحمر أشد الهجاء أعفه وأصدقه وقال مرة أخرى ما عف لفظه وصدق معناه ومن كلام صاحب الوساطة فأما الهجو فأبلغه ما خرج مخرج التهزل والتهافت وما اعترض بين التصريح والتعريض وماقربت معانيه وسهل حفظه وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس فأما القذف والافحاش فسباب محض وليس للشاعر فيه الا اقامة الوزن ومما يدل على صحة ماقاله صاحب الوساطة وحسن ما ذهب اليه اعجاب الحذاق من العلماء وفرسان الكلام بقول زهير في تشككه وتهزله وتجاهله فيما يعلم

وماأدري وسوفَ أخالُ أدري أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساءُ

فان تكن النساءُ مخبئات فحقٌ لكلِّ محصنةٍ هداءُ

وان هذا عندهم من أشد الهجاء وأمضه ٠٠ ولما قدم النابغة بعد وقعة حسي سأل بني ذبيان ما قلتم لعامر بن الطفيل وما قال لكم فأنشدوه فقال أفحشتم على الرجل وهو شريف لايقال له مثل ذلك ولكني سأقول ٠٠ ثم قال

فانْ يكُ عامرٌ قد قال جهلاً فانَّ مطيةَ الجهلِ السبابُ

فكنْ كأبيكَ أو كأبي براء تصادفكَ الحكومةُ والصوابُ

فلا يذهبْ بلبكَ طائشاتٌ من الخيلاء ليس لهنَّ بابُ

فانكَ سوف تحكم أو تناهي اذا ماشبتَ أوشاب الغرابُ

فان تكن الفوارسُ يوم حسي أصابوا من لقائكَ ما أصابوا

فما ان كان من سبب بعيد ولكن أدركوك وهم غضاب

فلما بلغ عامراً ما قال النابغة شق عليه وقال ماهجاني أحد حتى هجاني النابغة جعلني القوم رئيساً وجعلني النابغة سفيهاً جاهلا وتهكم بي ٠٠ وروى أن شاعراً مدح الحسين بن علي

رضى الله عنهما فأحسن عطيته فعوتب على ذلك فقال أترونى خفت أن يقول انى لست ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابن عليّ بن أبي طالب ولكن خفت أن يقول لست كرسول الله صلى الله عليه وسلم ولست كعليّ فيصدق ويحمل عنه ويبقى مخلداً فى الكتب ومحفوظاً على السنة الرواة فقال الشاعر أنت والله يا بن رسول الله أعلم بالمدح والذم مني وقد وقع الحسن بن زيد بن الحسين بن علي فى بعض ما قال جده قال فيه ابن عاصم المدني واسمه محمد بن حمزة الاسلمي

له حقٌّ وليس عليه حقٌّ ومهما قال فالحسنُ الجميل
وقد كان الرسولُ يرى حقوقا عليه لأهلها وهو الرسول

وجميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود وترك الفحش فيه أصوب الا جريراً فانه قال لبنيه اذا مدحتم فلا تطيلوا الممادحة واذا هجوتم فخالفوا .. وقال أيضا اذا هجوت فاضحك وسلك طريقته في الهجاء سواء على بن العباس بن الرومى فانه كان يطيل ويفحش وأنا أرى أن التعريض أهجي من التصريح لاتساع الظن فى التعريض وشدة تعلق النفس به والبحث عن معرفته وطلب حقيقته فاذا كان الهجاء تصريحا أحاطت به النفس علما وقبلته يقينا فى أول وهلة فكان كل يوم فى نقصان لنسيان أو ملل يعرض هذا هو المذهب الصحيح على أن يكون المهجو ذا قدر في نفسه وحسبه فأما ان كان لا يوقظه اللويح ولا يؤلمه الاّ التصريح فذلك ولهذه العلة اختلف هجاء أبى نواس وكذلك هجاء أبي الطيب فيه اختلاف لاختلاف مراتب المهجوين فمن التفضيل فى الهجاء قول ربيعة بن عبدالرحمن الرقى

لشتانَ ما بينَ اليزيدينِ فى الندى يزيدُ سليمٍ والاغرُّ ابنُ حاتمِ
فهمُّ الفتى الازديّ اتلافُ مالهِ وهمُّ الفتيَ القيسيّ جمعُ الدراهمِ
فلا يحسبِ التمتامُ أنى هجوتهُ ولكننى فضلتُ أهلَ المكارمِ

ومن الاستحقار والاستخفاف قول زياد الاعجم

فقمْ صاغراً ياشيخ جرمٍ فانما يقالُ لشيخ الصدق قمْ غير صاغرِ
فمنْ أنتمُ انا نسينا منَ انتمُ وريحكمُ من أي ريحِ الاعاصرِ

أأنتمْ أولى جئتمْ معَ النملِ والدبا ... فطارَ وهذا شبخكم غيرُ طائرِ
قضى الله خلقَ الناسِ ثم خلقتمْ ... بقيةَ خلقِ الله آخر آخرِ
فلمْ تسمعوا الا بمن كان قبلكمْ ... ولم تدركوا الا مدقَ الحوافرِ

وأخذ الطرماح منه هذا المعنى فقال

وما خلقت تيمٌ وعبدُ منانها ... وضبة الا بعدَ خلقِ القبائلِ

ومن الاحتقار أيضاً قول جرير فى التيم

ويقضي الامرُ حينَ تغيبُ تيمٌ ... ولا يستأذنونَ وهمْ شهودُ
فانكَ لو رأيتَ عبيد تيمٍ ... وتيماً قلتَ أيهمُ العبيدُ

ومن مليح التهكم والاستخفاف قول أبي هفان

سليمان ميمونُ النقيبةِ حازمٌ ... ولكنهُ وقفٌ عليهِ الهزائمُ
ألا عوذوه من تولى فتوحهِ ... عساهُ تردُّ العينَ عنهُ التمائمُ

وفيه يقول ابن الرومي

قرنُ سليمان قد أضرَّ بهِ ... شوقٌ الى وجههِ سيتلفهُ
كمْ يعدُ القرنَ باللقاء وكمْ ... يكذبُ فى وعدهِ ويخلفهُ
لا يعرفُ القرنُ وجههُ ويري ... قفاه من فرسخٍ فيعرفهُ

أخذ معنى البيت الاخير من قول الخارجي وقد قال له المنصور أى أصحابى كان أشد إقداماً فى مبارزتكم فقال ما أعرف وجوههم ولكن أعرف اقفاءهم فقل لهم يدبروا لاعرف وأجود ما فى الهجاء ان يسلب الانسان الفضائل النفسية وما تركب من بعضها مع بعض فاما ما كان فى الخلقة الجسمية من المعائب فالهجاء به دون ما تقدم وقدامة لايراه هجوا البتة وكذلك ما جاء من قبل الآباء والامهات من النقص والفساد لا يراه عيبا ولا يعد المهجو به صوابا والناس الا من لا يعد قلة على خلاف رأيه وكذلك يوجد فى الطباع ما أكد ذلك من أحكام الشريعة وقد جمع السيد أبو الحسن أنواع الفضائل وسلبها بعض من رأى ذلك فيه صوابا فقال

وخلٍ لا سبيلَ لصرم حبلهْ تعرضَ لي بحتفِ فرطَ جهلهْ
رديّ الظنّ لا يأوى لخلقٍ ولا يؤوي اليهِ لسوءِ فعلهْ
يصدقُ هاجساً يغرى ويغرىَ بتكذيبِ العيانِ لضعفِ عقلهْ
ويشنأ كلّ ذي دينٍ وعلمٍ واصل ثابت لفساد أصلهْ

وكان السيد أبو الحسن فى هذا الباب الذى سلكه من الهجاء كما قال ولى احسانه

اذا لم تجدْ بداً من القولِ فانتصف بحد لسان كالحسامِ المهندِ
فقد يدفعُ الانسانُ عن نفسهِ الاذي بقولهِ ان لم يدافعهُ باليدِ

ويقال ان أهجى بيت قاله شاعر قول الاخطل فى بنى يربوع رهط جرير

قوم اذا استنبحَ الاضيافَ كلبهمُ قالوا لامهمُ بولى على النارِ

لانه قد جمع فيه ضروبا من الهجاء فنسبهم الى البخل بوقود النار لئلا يهتدى بها الضيفان ثم البخل بايقادها الى السائرين والسابلة ورماهم بالبخل بالحطب واخبر عن قلتها وان بولة تطفئها وجعلها بولة عجوز وهي أقل من بولة الشابة ووصفهم بامتهان امهم وابتذالها فى مثل هذا الحال يدل بذلك على العقوق والاستخفاف وعلى ان لا خادم لهم وأخبر في أضعاف ذلك ببخلهم بالماء وقال محمد بن الحسين بن عبد الله الانصارى انه رماهم فى هذا البيت بالمجوسية لأن المجوس لا ترى اطفاء النار بالماء ولا أدري أنا كيف هذا والبول ماء غير أنه ماء نجس قذر وقيل لبنى كليب ما اشدما هجيتم به قالوا قول البعيث

الستَ كليبياً اذا سيمَ خطةً اقر كاقرارِ الحليلةِ للبعلِ
وكلّ كليبيٍ صحيفة وجههِ اذلُّ لاقدامِ الرجالِ من النعلِ

وكان النابغة الجعدى يقول انى واوسا لنبتدر باباً من الهجاء فمن سبق منا اليه غلب صاحبه فلما قال أوس بن مغراء

لعمركَ ما تبلى سرابيلُ عامرٍ من اللؤمِ مادامتْ عليها جلودُها

قال النابغة هذا والله البيت الذى كنا نبتدره والذى أراه أنا على كل حال أن اشد الهجاء ما أصاب الغرض ووقع على النكتة وهو الذى قال خلف الاحمر بعينه

باب الاعتذار

ويبنغى للشاعر أن لا يقول شيئاً يحتاج ان يعتذر منه فان اضطره المقدار الى ذلك واوقعه فيه القضاء فليذهب مذهبا لطيفا وليقصد مقصداً عجيبا وليعرف كيف ياخذ بقلب المعتذر اليه وكيف يمسح أعطافه ويستجلب رضاه فان اتيان المعتذر من باب الاحتجاج واقامة الدليل خطأ لا سيما مع الملوك وذوى السلطان وحقه أن يلطف برهانه مدمجا فى التضرع والدخول تحت عفو الملك واعادة النظر فى الكشف عن كذب الناقل ولا يعترف بما لم يجنه خوف تكذيب سلطانه أو رئيسه ويجعل الكذب على الناقل والحاسد فاما مع الاخوان فتلك طريقة أخرى وقد أحسن محمد بن علي الاصبهانى حيث يقول

العذرُ يلحقهُ التحريفُ والكذبُ ... وليسَ فى غير مايرضيكَ لى أربُ
وقد أسأتُ فبالنعمى التي سلفتْ ... الا مننتَ بعفوٍ مالهُ سببُ

وقال ابراهيم بن المهدي للمأمون فى أبيات يعتذر اليه

الله يعلمُ ما أقولُ فانها ... جهد الالية من مقرٍ خاضع
ما ان عصيتكَ والغواة تمدني ... أسبابها الا بنية طائعِ

وقد سلك أبو عليّ البصير مذهب الحجة واقامة الدليل بعد انكار الجناية .. فقال

لم أجنِ ذنباً فان زعمتَ بأنْ ... جنيت ذنباً فغيرُ معتمدِ
قد تطرفُ الكف عين صاحبها ... ولا يرى قطعها منَ الرشدِ

ونحوت انا هذا النحو فقلت

لا يبعدِ اللهُ أبا جعفرٍ ... دعابةً بتُّ على نارها
وان تأذيتُ فيا ربما ... تأذت العينُ بأشفارها

وأجل ما وقع فى الاعتذار من مشهورات العرب قصائد النابغة الثلاث احداهن

* يا دارمية بالعلياء فالسند *

يقول فيها

فلا لعمرُ الذى مسحتُ كعبتَهُ وماهريقَ على الأنصاب من جسد
والمؤمن العائذات الطير تمسحها ركبانُ مكةَ بين الغيل والسند
ما قلت من سيئ مما أتيتَ به اذا فلا رفعت سوطى الىّ يدى
اذاً فعاقبنى ربى معاقبة قرتْ بها عين من يأتيكَ بالحسد
الا مقالةَ أقوامٍ شقيتُ بها كانت مقالتهم قرعاً على الكبد
نبئتُ أنّ أبا قابوس أوعدنى ولا قرار على زأرٍ من الأسدِ

والثانية • أرسما جديداً من سعاد تجنب •

يقول فيها معتذراً من مدح آل جفنة ومحتجا باحسانهم اليه

حلفتُ فلم أتركْ لنفسكَ ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنتَ قدبلغتَ عنى خيانةً لمبلغكَ الواشى أغشُّ وأكذب
ولكننى كنت امرأ لى جانب من الأرض فيه مستراد ومهرب
ملوك وإخوان اذا ما لقيتهم أحكم فى أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم فى شكرهم لك أذنبوا
فلا تتركنى بالوعيدِ كأننى الى الناسِ مطليٌّ بهالقار أجرب
وذلك أن اللهَ أعطاكَ سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
وانك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ اذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكب

والثالثة • عفا ذو حسى من فرتنا فالفوارع •

يقول فيها بعد قسم قدمه على عادته

لكلفتني ذنبَ امرئ وتركته كذي العرِّ يكوى غيره وهو راتع
فان كنتَ لاذوالطعن عنى مكذبا ولا حلفي على البراءة نافع
ولا أنا مأمون بقول أقوله وأنت بأمرٍ لامحالةَ واقع

فانكَ كالليلِ الذى هو مدركي ... وان خلتُ ان المنتأى عنك واسع

وقد تعلق بهذا المعنى جماعة من الشعراء .. قال سلم الخاسر يعتذر الى المهدى

أنى أعوذُ بخيرِ الناسِ كلهم ... وأنتَ ذاك بما نأتى ونجتنب

وأنتَ كالدهرِ مبثوثا حبائله ... والدهرُ لاملجأ منه ولا هرب

ولو ملكتُ عنانَ الريح أصرفهُ ... فى كل ناحيةٍ مافاتك الطلب

فليس الا انتظارى منكَ عارفةً ... فيها من الخوفِ منجاةٌ ومنقلب

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

وانى وانْ حدثتُ نفسي بأننى ... أفوتكَ ان الرأىَ منى لعازب

لانك لى مثلَ المكان المحيط بى ... من الأرضِ أنى استنهضنى المذاهب

والى هذه الناحية أشار أبو الطيب بقوله

ولكنكَ الدنيا اليَّ حبيبة ... فما عنكَ لى الاَّ اليكَ ذهاب

الا أنه حرف الكلم عن مواضعه .. واختار العلماء لهذا الشأن قول علي بن جبلة

ومالامريءٍ حاولتهُ عنك مهربٌ ... ولو رفعته فى السماء المطالع

بلى هاربٌ لا يهتدى لمكانه ... ظلام ولاضوءٌ من الصبح ساطع

لانه قد أجاد مع معارضته النابغة وزاد عليه ذ كر الصبح وأظنه اقتدى بقول الاصمعي فى بيت النابغة ليس الليل أولى بهذا المثل من النهار وفي هذا الاعتراض كلام يأتى فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .. وأفضل من هذا كله قول الله تعالى ﴿ يا معشرَ الجنِّ والانسِ انِ استطعتمْ أنْ تنفذوا من أقطارِ السمواتِ والارض فانفذوا لاتنفذونَ الاَّ بسلطانٍ ﴾ ووجد الفضل بن يحيى على أبي الهول الحميري فدخل اليه فأنشده

كسانى وعيدُ الفضلِ ثوبا من البلى ... وايعاده الموتُ الذي ماله ردُّ

ومالى الى الفضلِ بنِ يحيى بن خالد ... من الجرم ما يخشى علي مثله الحقد

نجد بالرضي لا ابتغى منكَ غيرَه ورأيك فيما كنتَ عودتني بعدُ

فقال له الفضل على مذهب الكتاب فى تحرير الخطاب لا أحتمل والله قولك ورأيك فيما كنت عودتنى فقال أبو الهول لا تنظر أعزك الله الى قصر باعي وقلة تمييزي وافعل بى ما أنت أهله فأمر له بمال جسيم ورضى عنه وقربه .. وفى اشتقاق الاعتذار ثلاثة أقوال. أحدها أن يكون من المحو كانك محوت آثار الموجدة من قولهم اعتذرت المنازل اذا درست وأنشدوا قول ابن احمر

أو كنتَ تعرف آياتٍ فقدجعلتْ اطلالُ إلفكَ بالودْ كاء تعتذرُ

والثانى أن يكون من الانقطاع كأنك قطعت الرجل عما أمسك في قلبه من الموجدة ويقولون اعتذرت المياه اذا انقطعت ..وأنشدوا للبيد

شهورُ الصيف واعتذرت اليه نطاقُ الشيطين من السماك

والقول الثالث أن يكون من الحجر والمنع .. قال أبو جعفر يقال عذرت الدابة أي جعلت لها عذاراً يحجزها من الشراد فمعنى اعتذر الرجل احتجز وعذرته جعلت له بقبول ذلك منه حاجزاً بينه وبين العقوبة والعتب عليه ومنه تعذر الأمر احتجز أن يقضي ومنه جارية عذراء

باب سيرورة الشعر والحظوة في المدح

كان الأعشى أسير الناس شعراً وأعظمهم فيه حظاً حتى كاد ينسى الناس أصحابه المذكورين معه . ومثله زهير والنابغة وامرؤ القيس وكان جرير نابغة الشعر مظفراً قال الأخطل للفرزدق أنا والله أشعر من جرير غير أنه رزق من سيرورة الشعر مالم أرزقه وقد قلت بيتاً لا أحسب أن أحداً قال أهجي منه وهو

قومٌ اذا استنبحَ الأضياف كلبهمُ قالوا لأمهمُ بولِى على النار

٠٠ وقال هو

والتغلبيُّ اذا تنحنحَ للقرَي　　حكَّ أُستهُ وتمثلَ الامثالاَ

فلم يبق سقاء ولا أمة حتى روته ٠٠ قال الاصمعي فحكما له بسيرورة الشعر قال الحسين ابن الضحاك الخليع أنشدت أبا نواس قولى

وشاطريّ اللسان مختلقِ التـــكريه شابَ المجونَ بالنسكِ

الى أن بلغت الى قولى

كأنما نصب كأسه قمرٌ　　يكرعُ فى بعض أنجم الفلكِ

فنفر نفرة منكرة فقلت مالك فقد أفزعتنى فقال هذا معنى مليح وأنا أحقُّ به وسترى لمن يروى ثم أنشدنى بعد أيام

اذا عبَّ فيها شاربُ القوم خلتهُ　　يقبِّل فى داجٍ من الليل كوكبا

فقلت هذه مصالتة يا أبا عليّ فقال أتظن أنه يروى لك معنى مليح وأنا في الحياة وأنت ترى سيرورة بيت أبي نواس كيف نسى معها بيت الخليع على أن له فضل السبق وفيه زيادة ذكر القمر وقد أربى ابن الرومى عليهما جميعاً بقوله

أبصرتُه والكاسُ بينَ فمٍ　　منه وبين أناملٍ خمس

وكأنها وكأن شاربها　　قمرٌ يقبلُ عارضَ الشمس

ولكن بيت أبي نواس أملأ للفم والسمع وأعظم هيبة فى النفس والصدر ولذلك كان أسير ٠٠ وفى زماننا هذا قوم يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متمٌّ نوره ولو كره الكافرون ٠٠ وليس فى العرب قبيلة الا وقد نيل منها وهجيت وعيرت فحط الشعر بعضاً منهم بموافقة الحقيقة ومضى صفحاً عن الآخرين لما لم يوافق الحقيقة ولا صادف موضع الرمية فمن الذين لم يحك فيهم هجاء الا قليلا على كثرة ماقيل فيهم تميم بن مرة وبكر بن وائل وأسد بن خزيمة ونظراؤهم من قبائل اليمن ٠ ومن الذين شقوا بالهجاء ومزقوا كل ممزق على تقدمهم فى الشجاعة والفضل أحياء من قيس نحو غنى وباهلة بنى أعصر بن سعد بن قيس عيلان واسم غنى عمرة وكانوا موالى عامر بن صعصعة يحملون

عنهم الديات والنوائب ونحو محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان وحسى بن مخالف(١) حالفوا بنى عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة على لوم الحلف ومن ولد طابخة بن الياس ابن مضر تيم وعكل بنا عبد مناة بن أدصادف الشعر سباء كان وقع عليهم فى الجاهلية فاستهانت العرب بهم وانطبع الهجاء فيهم وعدى بن عبدمناة كانوا قطينا لحاجب بن زرارة وأراد أن يستملكهم ملك رق بسجل من قبل المنذر والحبطات وهم ولد الحارث ابن عمرو بن تميم وسمي الحارث الحبط لعظم بطنه شبهوه بالجمل الحبط وهو الذي انتفخ بطنه مما رعي الخلا . فأما سلول فقد قال فيهم أبو زياد الكلابى كرام من كرام من صعصعة لم يحالفوا ولم يدخلوا في صغار وانما كلمة عامر بن الطفيل التي حدثت هي التى شأمتهم يريد قوله أغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية فقلت أما عامر فقد قال هذه الكلمة حين دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فما يصنع بقول السموأل بن عاديا

ونحن أناسٌ لا نرى القتلَ سبةً اذا ما رأتهُ عامرٌ وسلول

والسموأل فى زمان امرئ القيس وبين امرئ القيس ومبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وأربع وخمسون سنة .. قال الجاحظ لم يمدح قبيلة قط في الجاهلية من قريش كما مدحت مخزوم قال وكان عبد العزيز بن مروان أحظى فى الشعر من كثير من خلفائهم قال ولم يكن من أصحابنا وخلفائنا أحظى في الشعر من الرشيد وقد كان يزيد بن مزيد وعمه معن بن زائدة ممن أحظاه الشعر ولا أعلم في الارض نعمة بعد ولاية الله تعالى أعظم من أن يكون الرجل ممدوحاً قلت أنا أما هذه النعمة فقد أحلها الله مضاعفة عند السيد أبي الحسن وقرنها منه بالاستحقاق فقرت مقرها ونزلت منزلها المختار لها وأحيي الله لبنى شيبان حمداً لم يشبه ذم وجوداً لم يعقبه فدم مما زاد علي يزيد ولم يدع لمعن معنى في الجود .. وقال غيره كان عمر بن العلاء ممدحاً وفيه يقول بشار بن برد

قـل للخليفـة إنْ جئتـه نصيحاً ولا خيرَ في المتهم

اذا أيقظتكَ حروبُ العدا فنبه لهـا عمـراً ثم نم

فـتي لايبيتُ على دمنـةٍ ولا يشربُ الماء الاّ بدم

(١) ن جسر بن محارب

دعاني الى عمر جوده ... وقول العشيرة بحرٌ خضم
ولولا الذى زعموا لم أكن ... لامدح ريحانة قبل شم

وله يقول أبو العتاهية

ان المطايا تشتكيك لأنها ... قطعت اليك سباسباً ورمالا

وقد مرت الأبيات فيما مضى من هذا الكتاب .. قال أبو عبيدة لم يمدح أحد قط بنى كليب غير الحطيئة بقوله

لعمرك ما المجاورُ في كليب ... بمقصى فى الجوارِ ولا مضاع
هم صنعوا لجارهم وليست ... يدُ الخرقاء مثلَ يد الصناعِ
ويحرم سر جارتهم عليهم ... ويأكل جارهم أنف القصاعِ

كانت قيس تفتخر على تميم لان شعراءهم تضرب المثل بقبائل قيس ورجالها فاقامت تميم دهراً لا ترفع رؤسها حتى قال لبيد

أبنى كليب كيف تنفى جعفرٌ ... و بنو ضبينة حاضرو الاجباب
قتلوا ابن عروة ثم لطوا دونهُ ... حتى بحاكمهم الى جوّابِ
يرعونَ منخرقَ اللديدِ كأنهم ... في العزأسرةُ حاجبٍ وشهاب
متظاهري حلقَ الحديدِ عليهمُ ... كبنى زرارةَ أو بنى عتابِ
قومٌ لهمْ عرفتْ معدٌ فضلها ... والفضلُ يعرفهُ ذوو الالبابِ

وقال زبان بن منصور الفزاري

فجاؤا بجمع مجزئلٍ كأنهمْ ... بنود ارم اذ كان في الناس دارم

فتكلمت تميم وافتخرت لمكان هذين الشاعرين العظيمي القدر فى قيس فدل هذا على أن قيسا أحظى بالمدح من تميم .. والا وابد من الشعر الابيات السائرة كالامثال وأكثر ما تستعمل الاوابد فى الهجاء يقال رماها بآبدة فتكون الآبدة هنا الداهية قال الجاحظ الاوابد الدواهي ومنه أوابد الشعر حكاه عن أبى زيد وحكي الاوابد الابل التي تتوحش

فلا يقدر عليها الا بالعقر والاوابد الطير التى تقيم صيفا وشتاء والاوابد الوحش فاذا حمات أبيات الشعر على ما قال الجاحظ كان المعانى السائرة كالابل الشاردة المتوحشة وان شئت المقيمة على من قيلت فيه لا تفارقه كاقامة الطير التى ليست بقواطع وان شئت قلت انها فى بعدها من الشعراء وامتناعها عليهم كالوحش فى نفارها من الناس وأما المجدودون فى الكسب بالشعر والحظوة عند الملوك فنهم سلم الخاسر مات عن مائة الف دينار ولم يترك وارثا وأبو العتاهية صنع

تعالى الله يا سلمَ بن عمروٍ اذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

وكان صديقه جدا فقال سلم ويلي من ابن الفاعلة جمع القناطير من الذهب ونسبني الى ما ترون من الحرص ولم يرد ذلك أبو العتاهية لكن دعاه يعجبه كما يفعل الصديق مع صديقه ومروان بن أبي حفصة أعطى مائة الف دينار غير مرات وكان لا يقابل الا بالكثير وهو لعمرى من ذوي البيوتات والمرقين فى الكسب بالشعر وكان أبو نواس محظوظا لا يدرى ماوصل اليه لكنه كان متلافا سمحا وكان يتساجل فى الانفاق هو وعباس بن الاحنف وصريع الغواني وكان البحترى مليأً قد فاض كسبه من الشعر وكان يركب في موكب من عبيده واما أبو تمام فما وفى حقه مع كثرة ما صار اليه من الاموال لانه تبذل وجاب الارض وكذلك أبو الطيب

باب ما أشكل من المدح والهجاء

أنشدنا أبو عبدالله محمد بن جعفر النحوي عن أبي علي الحسين بن ابرهيم الامدي لرجل من بني عبد شمس بن سعد بن تميم

تضيفنى وهنًا فقلت أسابقِ الى الزادشلتْ من يديَّ الاصابع

ولم تلق للسعديّ ضيفاً بقفرةٍ منَ الارض الاوهوعريان جائع

لم يرد انه يسبق ضيفه الى الزاد فيكون قد هجا نفسه ولكنه وصف ذئباً لقيه ليلا فقال

انسبقنى أنت الى الاكل أى تأكلنى شلت اذن أصابعي ان لم ارمك فاتتلك فآكل من لحمك ثم قال على جهة المثل لم تلق لاسعدى يعنى نفسه ضيفا بقفرة لا مستعتب فيها يعنى الذئب الا وهو جائع يقول فهو لا يبقى عليّ لأنى بغيته ومن أناشيدهم

أبوك الذى نبتت يحبس خيله   غداةَ الندي حتى يجفَّ لها البقل

قالوا اذا اخذ مطر الصيف الارض أنبتت بقلا فى أصول بقل قد يبس فذلك الاخضر هو النشر وهو الغمير فتأكله الابل فيأخذها السهام ولا سهام فى الخيل فمابه بالجهل بالخيل وقال الاصمعى هذا القول خطأ بل مدحه بمعرفة الخيل لأن النشر موذ لكل من يأكله وان لم يكن ثم سهام ٠٠ وقال سليمان بن قتة فى رثاء الحسين بن على رضى الله عنهما وذكر آل الرسول صلى الله عليه وسلم ويروى للفرزدق

أولئك قومٌ لم يشيموا سيوفهم   ولم تكثرِ القتلى بها حينَ سُلتِ

اراد لم يغمدوا سيوفهم الا بعد ان كثرت بها القتلى كما تقول لم أضربك ولم تجن على الا بعد ان جنيت على وقال آخرون اراد لم يسلوا سيوفهم الا وقد كثرت بها القتلى كما تقول لم القك ولم أحسن اليك الا وقد أحسنت اليك والقولان جميعاً صحيحان لانه من الاضداد وينشدون قول الآخر

هجمنا عليهِ وهو يكعم كلبهُ   دع الكلبَ ينبح انما الكلبُ نابح

ويروى

دُفعتُ اليهِ وهو يخنقُ كلبهُ   الا كلُّ كلبٍ لا أبالك نابح

قالوا فالمدح أن يكون انما يكعمه لئلا يعقر الضيوف ومن الذم أن يكون ذلك لئلا ينبح فيدل عليه الضيف وأنا أعرف هذا البيت فى هجاء محض للراعى هجا به الحطيئة وهو

ألا قبحَ الله الحطيئةَ انهُ   على كل من وافي من الناس سالحُ

ويروى * على كل ضيف ضافه فهو سالح *

هجمنا عليهِ وهو يكعمُ كلبهُ   دع الكلبَ ينبحْ انما الكلبُ نابح

بكيتَ على مذقٍ خبيث قرينهُ   الا كلّ عبسىّ على الزاد نابحُ

وأنشدنا أبو عبد الله

تجنبكَ الجيوشُ أبا خبيبٍ   وجاد على منازلكَ السحابُ

ويروى - أبا ربيب - قال ان دعا له فانما أراد ان يعافى من الجيوش وأن يجوده السحاب فتخصب أرضه وان دعا عليه قال لا يبقي لك خير تطمع فيه الجيوش فهى تتجنب ديارك لعلمهم بقلة الخير عندك ويدعو على محلته بان تدرسها الامطار وقال غيره معناه جاد على محلتك السحاب فاخصبت ولا ماشية لك فذلك أشد لهمك وغمك ويكون المعنى حينئذ كقول الآخر

وخيفاء التى الغيثُ فيها ذراعهُ   فسرَّتْ وساءَتْ كلَّ ماشٍ ومصرم

أى فسرت كل ماشية وساءت كل فقير وأنشد عبد الله أيضاً

اني على كل ايسارٍ ومعسرةٍ   ادعوا حبيشاً كما تدعى ابنةُ الجبلِ

وروي المبرد - أدعو حنيفاً - بريد أنه يجيب بسرعة كالصدى وهو ابنة الجبل وقيل ابنة الجبل الصخرة المنحدرة من أعلاه وزاد أبو زيد فى روايته بيتا وهو

ان تدعهُ موهناً يعجلْ بجابتهِ   عارِي الاشاجع يسعى غيرَ مشتمل

فهذا مدح لا محالة ومنهم من حمله على قول الآخر

كأنىَ اذ دعوتُ بنى حنيفٍ   دعوتُ بدعونى لهمُ الجبالاَ

ورواه قوم - بنى سليم - فمن مدح جعله كالاول في سرعة الاجابة ومن ذم نسبهم الى الثقل عن اجابته مثل الجبال ومن الدعاء الذى يدخل فى هذا الباب قول الآخر

تفرقتْ غنمي يوماً فقلتُ لها   يارب سلطْ عليها الذئبَ والضبعا

قيل انهما اذا اجتمعا لم يؤذيا وشغل كل واحد منهما الآخر واذا تفرقا آذيا وقيل ان معناه في الدعاء عليها قتل الذئب الاحياء عبثاً وأكلت الضبع الاموات فلم يبق منها بقية ومن لطيف ما وقع فى هذا الباب قول النابغة الذبيانى

يصدُّ الشاعرِ الثنيان عنى   صدودَ البكرِ عن قرمٍ هجانِ

لم يرد أنه يغلب الثنيان ولا يغلب الفحل لكن أراد التصغير بالذى هاجاه فجعله ثنياً وقال الآخر

ومن يفخر بمثل أبي وجدى   يجيء قبل السوابق وهو ثانى

أراد وهو ثان من عنانه لأنه يسبق متمهلا .. وقال ابن مقبل

اذا الرفاقُ أناخوا حول منزلهِ   حلوا بذي فجراتٍ زندهُ وارى

قال ابن السكيت -بذى فجرات- أي يتفجر بالسخاء والعطاء ويدل على ماقال ابن السكيت ان لصيق هذا البيت

جم المخارجِ أخلاق الكريمِ لهُ   صلت الجبين كريم الخال مغوارِ

ومما يمدح به ويذم قولهم هو بيضة البلد فمن مدح أراد بها أصل الطائر ومن ذم أراد أنها لا أصل لها قالت أخت عمرو بن عبدود في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لما قتل أخاها

لو كانَ قاتلُ عمروٍ غيرَ قاتله   لقد بكيتُ عليه آخر الأبد

لكنَّ قاتله من لايعابُ به   وكان يدعي قديماً بيضةَ البلدِ

فهذا مدح كما تراه .. وقال الراعى النميرى يهجو عدي بن الرقاع العاملى

لو كنتَ من أحدٍ يهجى هجوتكمُ   يابنَ الرقاعِ ولكنْ لستَ من أحد

تأبى قضاعةُ أن ترضي لكم نسباً   وابنا نزارٍ فأنتم بيضةُ البلدِ

وأنشد بعض العلماء

واني لظلامٌ لأشعثَ بائسٍ   عرانا ومقرورٍ برى ماله الدهرُ

وجار قريب الدار أوذي جنايةٍ   غريبٍ بعيد الدار ليس له وفرُ

يظنه السامع هجا نفسه بظلم هؤلاء الذين ذكر وانما مدحها بأنه يظلم الناقة فينحر فصيلها من غير علة ولا داء الا لضيافة هذا الأشعث والجار وأشباههما

باب فى أصول النسب وبيوتات العرب

أول النسب بعد آدم صلى الله عليه وسلم من نوح عليه السلام لان جميع من كان قبله قد هلك وانما بقى من ولده سام وحام و يافث فولد يافث الصقالبة و برجان والاشتان وكانت منازلهم أرض الروم من قبل أن تكون الروم ومن ولده الترك والخزر و يأجوج ومأجوج وولد حام كوش وكنعان وقوط فأما قوط فنزل أرض الهند والسند فأهلها من ولده وأما كوش وكنعان فأجناس السودان والنوبة والزنج والزعارة والحبشة والقبط و بربر من أولادهما وولد سام ارم وأرفخشذ فعاد بن عوص بن ارم وطسم بن سام وجديس ابنا لاوذ بن ارم ومنهم العماليق ومنهم فراعنة مصر والجبابرة ومنهم ملوك فارس وأجناس الفرس كلها ولده وثمود بن عابر بن سام وماش بن ارم نزل ببابل وولده نمرود الذى فرق الله الالسنة في زمانه وهو الذى بنى الصرح ببابل ويقال إن النبط من ولد ماش ويقال أيضا انهم من ولد شاروخ بن فالغ بن أرفخشذ والأنبياء كلها عربيها وعجميها والعرب كلها يمنيها ونزاريها من ولد سام بن نوح حكي جميع ذلك ابن قتيبة ومن ولد أرفخشذ قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ وكان مسكن قحطان اليمن فكل يمان من ولده فهم من العرب العاربة ويقطن بن عابر وهو أبو جرهم وكانت مساكن جرهم اليمن ثم نزلوا مكة فسكنوها وتزوج اسماعيل صلى الله عليه وسلم امرأة منهم فهم اخوال العرب المستعربة٠٠قال الزبير بن بكار العرب ست طبقات شعب وقبيلة وعمارة و بطن وفخذ وفصيلة فمضر شعب وربيعة شعب ومذحج شعب وحمير شعب وأشباههم وانما سميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها وسميت القبائل لان العمائر تقابلت عليها أسد قبيلة ودودان بن أسد عمارة والشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطون تجمع الأفخاذ والافخاذ تجمع الفصائل٠٠كنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة٠٠وزعم أبو أسامة فيما رأيت بخطه وقد عاصرته وكان علامة باللغة أن تأليف هذه الطبقات على تأليف خلق الانسان الارفع فالارفع فالشعب أعظمها مشتق من شعب الرأس ثم القبيلة من قبيلته ثم العمارة قال والعمارة الصدر ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة قال وهي الساق أوقال المفصل الشك منى أنا قال والحى أعظم من الجميع

لاشتمال هذا الاسم على جملة الانسان ·· وأما أبو عبيدة فجعل بعد الفخذ العشيرة قال وهم رهط الرجل دينا ثم الفصيلة قال دون ذلك بمنزلة المفصل من الجسد وهم أهل بيت الرجل فأما البيوتات فكل يدعي لنفسه سابقة ويمتّ بفضيلة غير أن الصحيح ما اتفق عليه العلماء وتداوله الرواة ·· قال ابن الكلبي كان أبي يقول العدد من تميم فى بنى سعد والبيت فى بنى دارم والفرسان فى بنى يربوع والبيت من قيس فى غطفان ثم فى بني فزارة والعدد في بنى عامر والفرسان في بنى سليم والعدد فى ربيعة والبيت والفرسان فى شيبان ·· قال ابن سلام الجمحي كان يقال اذا كنت من تميم ففاخر بحنظلة وكاثر بسعد وحارب بعمرو واذا كنت من قيس ففاخر بغطفان وكاثر بهوازن وحارب بسليم واذا كنت من بكر ففاخر بشيبان وكاثر بشيبان وحارب بشيبان ·· قال أبوعبيدة ليس فى العرب أربعة اخوة أنجب ولا أعد ولا أكثر فرساناً من بنى ثعلبة بن عكابة وكان يقال له الأغر والحصن و بنوه شيبان وذهل وقيس وتيم الله ·· قال ففارس غطفان الربيع بن زياد العبسى وفاتكها الحارث بن ظالم وحاكمها هرم بن قطبة وجوادها هرم ابن سنان المرى وشاعرها النابغة الذبيانى وفارس بنى تميم عتيب(١) بن الحارث بن شهاب أحد بنى يربوع وفارس عمرو بن تميم طريف بن تميم العنبرى وفارس دارم عمرو ابن عمرو بن عدس وفارس سعد فدكي بن أعبد المنقري وفارس الرباب زيد الفوارس ابن حصن الضبي وفارس قيس عامر بن الطفيل وفارس ربيعة بسطام بن قيس ·· قال أبو عبيدة بيوت العرب ثلاثة فبيت قيس فى الجاهلية بنو فزارة ومركزه بنو بدر و بيت ربيعة بنو شيبان ومركزه ذو الجدين و بيت تميم بنو عبدالله بن دارم ومركزه بنو زرارة ·· وقال أبو عمرو بن العلاء بيت بنى سعد اليوم الى الزبرقان بن بدر من بنى بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد و بيت بنى ضبة بنو ضرار بن عمرو الرديم و بيت بنى عدي ابن عبد مناة آل شهاب من بنى ملكان و بيت التيم آل النعمان بن جساس قال وليس فى العرب جساس غيره ·· قال الجمحي فارس اليمن فى بنى زبيد عمرو بن معدى كرب وشاعرها امرؤ القيس و بيتها فى كندة الأشعث بن قيس لا يختلف فى هذا وانما

(١) هكذا فى النسخ والمحفوظ عتيبة وشاهده قول الشاعر

ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم ... بعتيبة بن الحارث بن شهاب

اختلف في نزار قال وأما الشرف ما كان قبل النبي صلى الله عليه وسلم الى عهد النبي واتصل في الاسلام .. قال أبو اياس البصري كان بيت قيس في آل عمرو بن ظرب العدواني ثم في غني في آل عمرو بن يربوع ثم تحول الى بني بدر فجاء الاسلام وهو فيهم ..وقال الاخفش عليّ بن سليمان فرعا قريش هاشم وعبدشمس وفرعاغطفان بدر بن عمرو بن لوذان وسيار بن عمرو بن جابر وفرعا حنظلة رياح وثعلبة بنا يربوع وفرعا ربيعة بن عامر بن صعصعة جعفر وأبو بكر بنا كلاب وفرعاقضاعة عذرة والحارث ابن سعد

باب مما يتعلق بالانساب

قال أبو عبيدة قريش البطاح قبائل كعب بن لؤيّ بن عبد مناف وبنو عبد الدار وعبدالعزى بن قصي وبنو زهرة بن كلاب وبنومخزوم بن يقظة وبنو تيم بن مرةو بنو جمح وسهم بن هصيص بن كعب وبعض بني عامر بن لؤيّ وقريش الظواهر بنومحارب والحارث بن فهر وبنو الادرم بن غالب بن فهر وعامة بني عامر بن لؤيّ وغيره .. كان يقال مازن غسان أرباب الملوك وحمير أرباب العرب وكندة كندة الملك ومذحج مذحج الطعان وهمدان احلاس الخيل والأزد أسد البأس والذهلان أحدهما ذهل بن شيبان ابن ثعلبة ويشكر والآخر ضبيعة وذهل بن ثعلبة واللهزمتان احداهما عجل وتيم اللات والأخرى قيس بن ثعلبة وعنزةوكلهم من بكر بن وائل الاً عنزة بن أسد بن ربيعة الاحابيش حلفاء قريش .. قال ابن قتيبة هم بنو المصطلق والحياء بن سعد بن عمرو وبنو الهون بن خزيمة اجتمعوا بذنب حبشي وهو جبل بأسفل مكة فتحالفوا بالله انا ليد على غيرنا ماسجا ليل وأوضح نهار وما أرسي حبشي مكانه .. وقال حماد الراوية انما سموا بذلك لاجتماعهم والتحابش هو التجمع في كلام العرب .. المطيبون عبدمناف وزهرة وأسد بن عبد العزي وتيم والحارث بن فهر وعبد قصي .. الأحلاف مخزوم وعدي وسهم

وجمح وعبد الدار سموا أولئك المطيبين لخلوق صنعته لهم أم حكيم فغمسوا أيديهم فيه وسموا الآخرون أحلافا لجزور نحروه فداقوا دمه في جفنة فغمسوه بأيديهم ولعقوا منه وسموا الاحلاف ولعقة الدم ٠٠ والاراقم جشم ومالك وعمرو بن ثعلبة ومعاوية والحارث بنو بكر ابن حبيب بن غنم بن تغلب بن وائل ٠٠ قال أبو عليّ ليس في العرب نصراني غيره ٠٠ البراجم خمسة بطون من بني حنظلة قيس وغالب وعمرو وكلفة والظليم وهو مرة تبرجموا على أخوتهم يربوع وربيعة ومالك وكلهم أبوهم حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة ٠٠ الثعلبات ثعلبة بن سعد بن ضبة وثعلبة بن سعد بن ذبيان وثعلبة بن عديّ بن فزارة وأضاف اليهم قوم ثعلبة بن يربوع ٠٠ والرباب هم ضبة بن أد بن طابخة وتيم وعديّ وعوف وهو عكل وثورا طحل وعكل هؤلاء بنو عبد مناة بن أد بن طابخة ٠٠ الأجارب خمس قبائل من بني سعد وهم ربيعة ومالك والحارث وهو الاعرج وعبد العزى وبنو حمار ٠٠ والحرام بنو كعب بن سعد بن زيد مناة ٠٠ الضباب هم أربعة بطون من بني كلاب ضب وضبيب وحسل وحسيل بنو معاوية بن كلاب كذا زعم ابن قتيبة وغيره ٠٠ وقال أبو زيد الكلابي وهو أعلم بقومه هم بنو عمرو بن معاوية بن كلاب وانما ضبهم لانه سمي فيهم ضباً وحَسْلاً وحسيلاً فقال له الرجل وسمعه يهتف بهم والله ما بنوك هؤلاء الا الضباب فسموا الضباب الى اليوم قال ومن ولد عمرو بن معاوية بن كلاب ضب وحسل وحسيل وحصن وحصين وخالد وعبد الله وقاسط والاعرف وثواب وشقيق وخزيم والوليد وزهير فهؤلاء أربعة عشر لم تدرج منهم قبيلة وهم الضباب جميعاً ٠٠ الأكابر شيبان وعامر وجليحة والحارث بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل ٠٠ بنو أم البنين عامر والطفيل وربيعة وعبيدة ومعاوية بنو مالك بن جعفر بن كلاب هكذا عند أكثر الناس قالوا وانما اضطرت القافية لبيداً فجعلهم أربعة وهم خمسة ٠٠ وقال أبو زيد الكلابي وهو أعلم بقومه ان بني أم البنين أربعة كما قال لبيد ابتكرت عامراً ملاعب الاسنة وثنت بالطفيل ثم تزوج عليها مالك سلامة السليمة فغارت أم البنين وأسقطت له ثلاثة ذكوراً وجاءت السليمة بثلاثة وهم سلمى وعبيدة وعتبة فأدار مالك الحيلة على أم البنين وأخيها زهير بن خداش بن زهير حتى أخذ عليها حكما بأن لا تسقط ولداً وكانت حاملاً فولدت معاوية معوذ الحكماء ثم ثنت بربيعة ابا لبيد وزعم بعض

شيوخه الذين أخذ عنهم أنه سمي معوذ الحكماء من أجل أنه تولى حكما عن زهير بن عمرو على أخيه وروي أبيات معاوية التي من أجلها سمي معوذ الحكماء لزيد الخيل غير أنه لم ينشد البيت وزعم أنه ناقض بها طفيلا الغنوى . . قال وأم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضحياء . . الكملة بنو زياد العبسيون وهم انس الحفاظ ويقال له أيضاً انس الفوارس وعمارة الوهاب وربيع الكامل وقيس الجواد هكذا رويناه عن النحاس . . قال المبرد وغيره ربيع الحفاظ وعمارة الوهاب وانس الفوارس أمهم فاطمة بنت الخوشب الانمارية . . الحمس هم قريش وكنانة ومن دان بدينهم من بنى عامر بن صعصعة . . قال أبو عمرو ابن العلاء الحمس من بنى عامر كلاب وكعب وعامر بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة وأمهم مجد بنت التيم الادرم بن غالب بن فهر بن مالك وكانوا في الجاهلية يتحمسون فى أديانهم أى يتشددون لا يستظلون أيام منىً ولا يدخلون البيوت من أبوابها وقيل سموا حمساً لشدة بأسهم ويعدون في الحمس خزاعة . . العنابس حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو وبنو امية بن عبد شمس . . والاعياص العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص وبنوه ايضا . . أم القبائل هند بنت تميم بن مرّ ولدت لعمرو بن قاسط تيم الله واوس الله وعائذ الله وولدت لوائل بن قاسط بكرا وتغلبا وأعنز وقيل هو عنز بن وائل وولدت لعبد القيس بن قصى اللبوك عبد القيس وبعضهم يقول اللبوء بالهمز وبضم الباء وفيه اختلاف بين العلماء . . الجمرات جمرات العرب ضبة وعبس والحارث بن كعب سموا بذلك لأن أمهم الخشناء بنت برة فيما يقال رأت فى المنام كأن ثلاث جمرات خرجت منها قال أبو عبيدة فطفئت من الجمرات اثنتان الحارث ابن كعب حالفت فى غطفان وضبة حالفت الرباب وسعدا وبقيت عبس لم تطفأ لانها لم تحالف واما الجاحظ فجعلها عبساً وضبة ونميراً وأشار الى ان فى تميم جماراً أيضا وصرح بذلك المفضل فقال هم بنو يربوع وزعم الفرزدق أنهم بنو العدوية نسبوا الى أمهم وهم زيد وصدى وجشيش بنو مالك بن حنظلة وزعم آخرون أنهم بنو مالك بن خزيمة ابن تميم بن جل بن عبد مناة بن أدغير انهم جعلوا مكان جشيش يربوعا ومن الجمرات التي لم تطفأ عند بعضهم نمير بن عامر بن صعصعة لأنهم لم يحالفوا أحداً من العرب قال الجاحظ انما قيل لكل واحد منها جمرة لأنهم تجمعوا حتى قووا على عدوهم واشتدوا

قال ويجوز أن يكون اشتقاقه من تجمير المرأة شعرها اذا ضفرته قيل قد جمرته قال غيره ومنه خفٌ مجمر اذا كان مجتمعاً شديدا •• طبية بنت عبشمس بن سعد ولدت لمالك بن حنظلة عوفا وأبا سود وربيعة وآخر لم يعرفه ابن الكلبي فعرف أولادها بها •• والموالى ثلاثة موالى اليمين الحالف ومولى الدار المجاور ومولى النسب ابن العم والقرابة •• قال الشاعر

نبئت حياً على نعمانَ أفردهم مولىَ اليمين ومولىَ الدارِ والنسبِ

باب ذكر الوقائع والايام

قد أثبت فى هذا الباب ما تأدى الىّ من أيام العرب ووقائعهم مستخرجة من النقائض وغيرها ولم أشرط استقصاءها ولا ترتيبها اذ كان فى أقل مما جئت به غنى ومقنع ولان اباعبيدة ونظراءه قد فرغوا مما ذكرت فانما هذه القطعة تذكرة للعالم وذريعة المتعلم وزينة لهذا الكتاب ووفاء اشرطه وزيادة لحسنه اذ كان الشاعر كثيراً ما يؤتى عليه في هذا الباب وأنا أذكر ما علمته فى ذلك فى أقرب ما أقدر عليه من الاختصار ان شاء الله تعالى بعد أن اقدم فى صدره ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقائعه مع المشركين لانه أولى بالتقديم واحق بالتعظيم ولما ارجوه من بركة اسمه وافتتاح القصص بذكره •• غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة ودان على رأس الحول من الهجرة ثم غزا عيراً لقريش بعد شهر وثلاثة أيام ثم غزا فى طلب كرز بن حفص حتي بلغ بدرا بعد عشرين يوما ووجهت القبلة الي الكعبة ثم غزا بدراً فكان يوم بدر لستة عشر يوما خلت من شهر رمضان من سنة اثنين وكان المشركون يومئذ تسعمائة وخمسين رجلا والمسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فقتل من المشركين خمسون رجلا وأسر اربعة وأربعون واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا ﴿يوم أحد﴾ كان في شوال من سنة ثلاث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعمائة وقريش فى ثلاثة آلاف وفى هذه الغزوة استشهد حمزة رضي الله عنه ﴿يوم الخندق﴾ كان في سنة اربع يوم بنى المصطلق وبنى لحيان

فى شعبان سنة خمس ويوم خيبر فى سنة ست وكان يوم موئة فى سنة ثمان واستشهد فيه زيد بن حارثة أمير الجيش وجعفر بن أبى طالب أمير الجيش أيضاً بعده وعبد الله بن رواحة أمير الجيش بعدهما وقام بامر الناس خالد بن الوليد وكانوا فى ثلاثة آلاف وكان فتح مكة فى شهر رمضان سنة ثمان و بعده بخمس عشرة ليلة سار الى حنين فى شوال ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع هوازن فى شوال للنصف منه فانهزم المسلمون وكان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس بن عبد المطلب وأبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابنه وأيمن ابن عبد الله وهو ابن أم ايمن واستشهد ذلك اليوم وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وأسامة بن زيد بن حارثة وفى رواية أخرى ابو بكر وعمر وعلى والعباس وابنه وأبو سفيان بن الحارث وربيعة بن الحارث وايمن واسامة ثم رجع الناس من وقتهم وانهزم المشركون وكانت الكرة عليهم لله ولرسوله ثم سار بعد حنين الى الطائف فحاصرها شهراً ولم يفتتحها وغزا بلد الروم في رجب من تسع فبلغ تبوك وبنى بها مسجداً هو بها الى اليوم وفتح الله عليه فى سفره ذلك دومة الجندل على يدى خالد بن الوليد وكل هذا مختصر من كتاب ابن قتيبة واياه قلدت فيما رأيت من هذه الطريقة والله المستعان وعليه توكلت ﴿ وهذه أيام العرب ﴾ يوم ارب لبني ثعلبة بن بكر رئيسهم الهذيل بن حسان على بنى رياح بن يربوع وكان الهذيل سبى نساء بني رياح والتقى بهم على اراب وقد سبقه بنو رياح اليه ليمنعوهم الماء حتى يرد السبي فأقسم الهذيل لئن رددتم الينا اناء فارغاً لأتينكم فيه برأس انسان تعرفونه فاشتروا منه بعض السبي وأطلق البعض ٠٠ ﴿يوم نعف قشاوة﴾ لبسطام بن قيس رئيس بنى شيبان على بنى يربوع قتل فيه بجيراً وأسر أباه ابا مليل ثم من عليه من وقته وترك له مليلا ولده وكان أسيراً عنده بعد ان كساه وحمله ﴿يوم نجران﴾ للاقرع بن حابس فى قومه بنى تميم على اليمن هزمهم وكانوا اخلاطا وفيهم الاشعث بن قيس وأخوه وفيهم ابن باكور الكلاعى الذى أعتق فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أربعة الاف اهل بيت فى الجاهلية أسروا ٠٠ ﴿يوم الصمد﴾ وهو يوم طلح ويوم بلقاء ويوم اود ويوم ذى طلوح كلها يوم واحد لبنى يربوع علي بنى شيبان ورئيسهم الحوفزان ورئيس اللهازم ابجر بن بجير العجلى ﴿ يوم طخفة ﴾

وهو أيضا يوم ذات كهف ويوم خزاز في قول بعضهم لبنى يربوع والبراجم على المنذر ابن ماء السماء اسروا فيه اخاه حسان وابنه قابوس وجزت ناصية قابوس وكان ذلك بسبب ازالة الردافة عن عوف بن عتاب الرياحي ﴿ يوم المروت ﴾ وهو يوم إرم الكلبة نقا قريب من النباج لبنى حنظلة وبنى عمرو بن تميم على بنى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وكان الذكر فيه لبنى يربوع وانما أغارت قشير على بنى العنبر فاستنقذ بنو يربوع أموال بنى العنبر وسبيهم من بنى عامر ﴿ يوم مليحة ﴾ لبنى شيبان على بنى يربوع رئيسهم بسطام بن قيس وقتل ذلك اليوم عصمة بن النجار فلما رآه بسطام قال ما قتل هذا الا لتشكل رجلا أمه فقتل به يوم العظالى قاتله الهبش ابن المقعاس ﴿ يوم اللوى ﴾ لفزارة على هوازن وفيه قتل عبد الله بن الصمة وأثخن أخوه دريد ﴿ يوم الصليفاء ﴾ لهوازن على فزارة وعبس وأشجع وفيه قتل دريد بأخيه ذؤاب بن أسماء ﴿ يوم الهباءة ﴾ وهو يوم الجفر لعبس على ذبيان وفيه قتل حذيفة ابن بدر وأخوه حمل سيدا بني فزارة وكان يقال لحذيفة رب معدّ ﴿ يوم عراعر ﴾ لعبس على كلب وذبيان وفيه قتل مسعود بن مصاد الكلبي وكان شريفاً ﴿ يوم الفروق ﴾ بين عبس وبني سعد بن زيد مناة قاتلوهم فمنعت عبس أنفسها وحريمها وخابت غارة بني سعد وقيل لقيس بن زهير ويقال عنترة كم كنتم يوم الفروق قال مائة فارس كالذهب لم نكثر فنفشل ولم نقل فنذل ﴿ يوم شعب جبلة ﴾ قال أبوعبيدة كانت عظام أيام العرب ثلاثة يوم كلاب ربيعة ويوم شعب جبلة ويوم ذى قار وكان يوم الشعب لبني عامر بن صعصعة وعبس حلفائهم على الحليفين أسد وذبيان ورئيسهم حصن بن حذيفة يطلب عبساً بدم أبيه وتطلب عبس بن بغيض بدم أبيهم ومعهم معاوية بن الجون الكندى فى جمع من كندة وعلى بنى حنظلة بن مالك والرباب رئيسهم لقيط بن زرارة يطلب بدم معبد أخيه ويثربى بن عدىّ ومعهم حسان بن الجون أخو معاوية وقيل بل عمرو بن الجون وحسان بن مرة الكلبي أخو النعمان بن المنذر لامه .. وقال غير أبى عبيدة كان مع أسد وذبيان معاوية بن شرحبيل بن خصر بن الجون بن آكل المرار ومع بني حنظلة والرباب حسان بن عمرو بن الجون في جموع من كندة وغيرهم فأقبلوا اليهم بوضائع كانت تكون مع الملوك بالحيرة وغيرها وهم الرابطة وجاءت بنو تميم فيهم

لقيط وحاجب وعمرو بن عمرو ولم يتخلف منهم الا بنو سعد لزعمهم أن صعصعة هو ابن سعد ولم يتخلف من بني عامر الاهلال بن عامر وعامر بن ربيعة بن عامر وشهدت غنى وباهلة وناس من بنى سعد بن بكر وقبائل بجيلة الا قشيراً وشهدت بنو عبس بن رفاعة ابن بهثة بن سليم عليهم مرداس بن أبي عامر أبو العباس بن مرداس صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وشهد معهم نفر من عكل فانتهى جميع أهل الشعب يومئذ ثلاثين ألفاً وجاء الآخرون فى عدد لا يعلمه الا الله عز وجل ولم يجتمع قط فى الجاهلية جمع مثله فانهزمت تميم وذبيان وأسد وكندة ومن لف لفهم وقتل لقيط بن زرارة طعنه شريح بن الاخوص فحمل مرتثاً فمات بعد يوم أو يومين وأسر حسان بن الجون أسره طفيل بن مالك وأسر معاوية بن الحارث بن الجون أسره عوف بن الأخوص وجز ناصيته وأطلقه علي الثواب ولقيه قيس بن زهير فقتله وأسر حاجب بن زرارة أسره ذو الرقيبة مالك بن سلمة بن قشير وأسر عمرو بن عمرو بن عدس أسره قيس بن المنتفق فجز ناصيته وأطلقه على الثواب وكان يوم جبلة قبل الاسلام بسبع وخمسين سنة وقبل مولد النبي صلي الله عليه وسلم بسبع عشرة سنة وفي يوم الشعب ولد عامر بن الطفيل هكذا روى محمد بن حبيب عن أبي عبيدة وروي عنه غيره خلاف ذلك ﴿ يوم أقرن ﴾ لبنى عبس علي بنى تميم وبخاصة بنى مالك بن مالك بن حنظلة وفى هذا اليوم قتل عمرو بن عمرو بن عدس وابنه شريح وأخوه ربعي وكان عمرو بن عمرو خرج مراغماً للنعمان بن المنذر فسبي سبياً من عبس وغنم مالاً وابتني بجارية من السبي فأدركته عبس فكان من أمره ما كان ﴿ يوم زبالة ﴾ لبني بكر بن وائل وبخاصة بنى شيبان وبنى تيم الله رئيسهم بسطام علي بني تميم ورئيسهم الاقرع بن حابس أسر فيه الاقرع وأخوه فراس واستنقذهما بسطام بعد أن حكم عليه عمران بن مرة بمائة ناقة ﴿ يوم جدود ﴾ لبني سعد بن زيد مناة على بنى شيبان وكانت بنو شيبان أغارت مع الحوفزان على سعد فأدركهم قيس بن عاصم المنقري فقتلهم واستنقذ ما كان فى أيديهم وفاته الحوفزان لصلابة فرسه فلما يئس من أسره حفزه بالرمح في خزانة وركه فانتقضت عليه بعد حول فمات منها وسالمت في هذا اليوم بنو يربوع الجيش على تمر أخذوه منهم وفضل ثياب فعيرتهم بذلك منقر ﴿ يوم الكلاب ﴾ الاول لسلمة بن الحارث بن عمرو المقصور ومعه بنو تغلب والنمر بن

قاسط وسعد بن زيد مناة والصنائع على أخيه شرحبيل بن الحارث بن عمرو ومعه بكر
ابن وائل بن حنظلة بن مالك و بنو أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب ولم
يكونوا ذلك الوقت يدعون رباباً وانما تربيوا بعد ذلك حكاه أبو عبيدة فقتل شرحبيل
قتله أبو حيش عاصم بن النعمان الجشمي ويقال بل قتله ذو الثنية حبيب بن عتبة
الجشمي وكانت له سن زائدة وهو أخو أبي حنش لأمه وهي سلمى بنت عدي بن ربيعة
أخي مهلهل هكذا أثبتوا فى هذا الموضع ان عدياً أخو مهلهل ويسمي الكلاب الأول
أيضاً ﴿ يوم الشعيبة ﴾ يوم الكلاب الثانى لبنى تميم و بنى سعد والرباب رئيسهم قيس
ابن عاصم على قبائل مذحج فى نحو اثنى عشر ألفاً رئيسهم زيد بن المأمور وهم مذحج
وهمدان وكندة وفي هذا اليوم أسر عبد يغوث بن وقاص الحارثي وهتم فم سعي بن
سنان بعد ان أسر رئيس كندة هتمه قيس بن عاصم بقوسه وانتزع عبد يغوث من
يدى الأهتم بعد أن شرط المأمور لموصله اليه مائة ناقة من الابل انتزعته التيم فقتلوه
برئيسهم النعمان بن جساس وكان قد قتل ذلك اليوم وسمى الكلاب الثاني أيضاً
﴿ يوم حر الدوابر ﴾ قال أبو عبيدة لم يشهد من تيم الا الرباب وسعد خاصة وكان الفنا
من الرباب لتيم ومن سعد لمقاعس ﴿ يوم ذى بيض ﴾ أغار الحوفزان على بنى يربوع
فسبي نسوة منهم فأصرختهم بنو مالك بن حنظلة واستنقذوا النسوة وأسروا الحوفزان
أسره حنظلة بن بشر بن عمرو وزعم قوم ان هذا اليوم يوم الصمد ﴿ يوم عاقل ﴾ لبنى
حنظلة على هوازن وفيه أسر الصمة بن الحارث بن جشم وهزم جيشه وكان الذى أسره
الجعد بن الشماخ أحد بني عدى بن مالك بن حنظلة ثم أطلقه بعدسنة وجز ناصيته علي
أن يثيبه فأتاه علي الثواب فضرب الصمة عنقه ثم غزا بنى حنظلة ثانية فأسره الحارث بن
نبيه المجاشعي وأسر رجلا من بنى أسد وكان نزيلا عند ابن أخت له فى بنى يربوع ابنا
الصمة فافتدى الصمة نفسه ومضى مع ابن نبيه فى فداء ابنه الى الأسدي النازل فى بنى
يربوع فطعنه أبو مرحب بالسيف فقتله لشيء كان بينهما عند حرب بن أمية فبنو مجاشع
تعير بذلك ﴿ يوم عنين ﴾ لبنى نهشل على عبد القيس منعوا فيه بنى منقر وقد خرجوا
ممتارين من البحرين فعرضت لهم عبد القيس واستغاثوا ببنى نهشل فحموهم واستنقذوهم
﴿ يوم قلها ﴾ منعت بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان بنى عبس الماء وغلبتهم عليه بمداصلاح

فزارة ومرة حتى أخذوا دية عبد العزى يوم جدار ومالك بن سبيع ﴿ يوم بزاخة ﴾ لبنى ضبة على محرق الغسانى وأخيه فارس مودود أغاروا على بنى ضبة ببزاخة فى طوائف من العرب من إياد وتغلب وغيرهما فأدركتهم بنو ضبة فأسر زيد الفوارس محرقا وأسر أخاه حنش بن الدلف ثم قتلاهما بعد أن هزم من كان معهما وقتل معهما عدة ﴿ يوم اضم ﴾ لبنى عائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة على الحارث بن مزيقيا الملك الغساني وهو عمرو بن عامر وفيهم كان ملك غسان بالشام فى آل جفنة علبة بن عمرو ابن عامر قتل بنى عائذة قتلا ذريعاً وفى ذلك اليوم قتل الرديم وحمل رجل من بنى عائذة بن قيس يدعي عامر بن ضامر فقال والله لأطعنن طعنة كمنخر الثور النعر ثم قصد ابن مزيقيا فطعنه فقتله وانهزم أصحابه هزيمة فاحشة وزعم قوم أن هذا اليوم هو يوم بزاخة وقال آخرون بل كانت الواقعة مع عبد الحارث من ولد مزيقيا وزعم غيرهم أيضاً أنها مع مزيقيا نفسه لا مع ولده والله أعلم ﴿ يوم نقا الحسن ﴾ الحسن شجر سمى بذلك لحسنه وقيل هو جبل وهذا اليوم لبنى ثعلبة بن سعد بن ضبة على بكر بن وائل وفيه قتل بسطام بن قيس قتله عاصم بن خليفة أخو بنى صباح وكان رجلا أعسر فأصاب صدغه الأيسر حتي نجم السنان من الصدغ الأيمن ﴿ يوم اعيار ﴾ وهو أيضاً يوم النقيعة لبنى ضبة على بنى عبس وفيه قتل عمارة الوهاب قتله شرحاف بن المثلم بابن عم له يدعي مفضالا كان عمارة قد قتله وانطوى خبره ثم سمعه شرحاف ذكره على شراب وكان حينئذ غلاما فحين شب أخذ بثار ابن عمه يوم النقيعة واستنقذت بنو ضبة ابلها من عبس وقد كانوا ادركوهم فى المراعي ﴿ يوم رحرحان الاول ﴾ غزا يثربى بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بنى عامر بن صعصعة وعلى بني عامر قريط بن عبيد بن أبى بكر وقتل يثربى ﴿ يوم رحرحان الثانى ﴾ لبني عامر بن صعصعة ورئيسهم الاحوص على بني دارم وفى ذلك اليوم اسر معبد بن زرارة اسره عامر بن مالك وأخوه طفيل وشاركهما فى أسره رجل من غنى يقال له أبو عميرة عصمة بن وهب وكان اخا طفيل من الرضاعة وفى أسرهم مات معبد شدوا عليه القد و بعثوا به الى الطائف خوفا من بني تميم أن يستنقذوه كان هذا كله بسبب قتل الحارث ابن ظالم المرى من مرة بن سعد بن ذيبان خالد بن جعفر غدرا عند الاسود بن المنذر

وقيل عند النعمان والتجأته الي زرارة بن عدس فلما انقضت وقعة رحرحان جمع لقيط بن زرارة لبني عامر والرباب عليهم وكان بين يوم رحرحان وغزوة جبلة سنة واحدة ﴿يوم ضرية﴾ اختلفت سعد والرباب على بنى حنظلة وكان بنو عمرو بن تميم حالفوا بكر بن وائل فضاقت حنظلة بسعد والرباب فساروا الى عمرو بن تميم فردوهم وحالفوهم ثم جمعوا لسعد والرباب ورئيسهم يومئذ ناجية بن عقال ورئيس سعد والرباب قيس بن عاصم فقال ابن خفاف لسعد والرباب من لعيال عمرو وحنظلة ان قتلتم مقاتلتهم قالوا نحن قال فمن لعيالكم ان قتلوا مقاتلتكم قالوا هم قال فدعوهم لعيالهم وليدعوكم لعيالكم وتكلم الاهتم بمثل ذلك ورجال من أشراف سعد وساروا الى عمرو وحنظلة الي النسار من حاضرية فأجابهم ناجية بن عقال والقعقاع بن معبد بن زرارة وسنان بن علقمة بن زراة الى الصلح وأبى ذلك مالك بن نويرة ﴿يوم النسار﴾ وذلك ان عامر بن صعصعة ومن معهم من هوازن انتجعوا بلاد سعد والرباب وهم يمتون اليهم برحم لأنهم يزعمون ان صعصعة ابا عامر هو ولد سعد بن زيد مناة بن تميم وقال آخرون انما غضبوا على سعد لما انهب المعزا بعكاظ فلحق يبني أمه ولد معاوية بن بكر وهوازن وكان سعد قد فارقها بعد أن ولدت له صعصعة وتزوجها معاوية بن بكر فضمن سعد والرباب الاهتم واسمه سنان بن سمي بن سنان وقيل سمي بن سنان وضمن هوازن مرة بن هبيرة فسرقت خيل لذى الرقيبة ثم اعترفت بعد ذلك بيسير عند الحنيف بن المنتجف اعترفها بعض القشيريين فضرب به القشيرى على ساعده وضربه الحنيف فقتله فأرادت هوازن القود من الرباب فطلبهم بذلك ضامن سعد فأبت الرباب الا الدية ففارقتهم سعد وضافرت هوازن فاستمدت بنو ضبة أسدا وطيئاً والتقوا بالنسار فعبيت أسد لسعد والرباب لهوازن فانهزمت هوزان وسعد وكان حامى أدبار بنى عامر يومئذ قدامة بن عبد الله القشيرى فرماه ربيعة بن أبي وكان أرمي الناس فقتله فلما رأت ذلك بنو عامر منه وسائر هوازن سألوا أن يؤخذ منهم شطور أموالهم وسلاحهم وقبل ذلك منهم وهذا يوم المشاطرة ويوم النسار وهو من مذكورات أيام العرب فى الجاهلية وبنو ضبة تزعم أن هذا اليوم قبل يوم جبلة وأبو عبيدة لايشك أنه بعده ﴿يوم الصرائم﴾ وهو أيضاً يوم الجرف لبنى رياح بن يربوع على بني عبس وفى هذا اليوم أسر الحكم ابن مروان بن زنباع العبسي أسره أسيد بن حياة السليطي وأسر بنو حميرى بن رياح

زنباعا وفروة بني مروان وزنباع وأستنقذوا جميع ما أصابته عبس لربيعة بن مالك بن حنظلة وأسرفوا ذلك اليوم في قتل بني عبس ﴿ يوم الغبيط ﴾ لبني يربوع على بني شيبان وكان الشيبانيون قد غزوهم متساندين على ثلاثة ألوية الحوفزان بن شريك والأسود أخوه و بسطام بن قيس وفي هذا اليوم أسر الاسود بن الحوفزان وزيد بن الاسود ابن شريك وحمي بسطام آخر القوم حتى حسبوه قتل وأسر ورثاه بعضهم بمراث عدة وزعم سعد عن أبي عبيدة أن يوم الغبيط هو يوم الاياد ويوم العظالى سمي بذلك لان بسطام بن قيس وهانئ بن قبيصة ومقرون بن عمرو والحوفزان بن شريك تعاظلوا على الرياسة .. وقال مرة أخرى لم يشهد الحوفزان يوم العظالى قال وهو أيضاً يوم الافاقة ويوم اعشاش ويوم مليحة ﴿ يوم ذي نجب ﴾ لبني يربوع على بني عامر وفيه قتل حسان ابن معاوية بن آكل المرار الملك قتله حشيش بن نمران من بني رياح بن يربوع وقيل بل هو عمرو بن معاوية أعني المقتول وأما حسان فأسر أسره دريد بن المنذر وكانت بنو عامر أتت به تغزو بني حنظلة بن مالك بعد يوم جبلة بعام فتنحى لهم بنو مالك بن أبي عمرو بن عمرو بن عدس وتركوا في صدورهم بني يربوع فهزمت بنو عامر هزيمة عظيمة وأسر يومئذ يزيد بن الصعق وقتلت بنو نهشل خليف بن عبيد الله النميري وأسر زيد بن ثعلبة الهصان وهو عامر بن كعب بن أبي بكر بن كلاب وقتل خالد بن ربعي النهشلي عمرو بن الأحوص وكان رئيس بني عامر يومئذ ﴿ يوم خزازى ﴾ ويقال خزاز واختلف فيه فقال قوم كان رئيس نزار فيه كليب بن ربيعة .. وقال آخرون رئيسهم زرارة بن عدس وقال آخرون بل ربيعة الاحوص وقد انكر أبو عمرو بن العلاء جميع ذلك والذي ثبت عنده أنه قال هو يوم لنزار على ملك من ملوك اليمن قديم لا يعرف من هو منهم وأما ربيعة فيقول لاشك أنه يوم خزاز لكليب بن ربيعة على مذحج وغيرهم من اليمن وكان بعقب يوم السلاّن فجمع كليب جموع ربيعة فاقتتلوا فانهزمت مذحج والذين معهم من اليمن ﴿ يوم ملزق ﴾ وهو أيضا يوم السوبان كان لبني تميم على عبس وعامر بعد ان قاتلت تميم جميع من أتى بلادها من القبائل وهم إياد و بلحارث بن كعب وكلب وطيئ و بكر وتغلب وأسد كانوا يأتونهم حيا حيًّا فتقتلهم تميم وتنفيهم عن البلد وآخر من أتاهم بنو عبس و بنو عامر ﴿ يوم الونده ﴾ وهي بالدهناء أغارت بنو هلال على نعم

بنى نهشل فأنزلتهم بنو نهشل بالوندة وهى بالدهناء فما أفلت من بنى هلال الارجل واحد يقال له فراس طواف وقيل أواب ﴿ يوم فيف الريح ﴾ ورأيته بخط البصري فيفا مقصوراً فى مواضع من كتاب نوادر أبى زياد الكلابى ‥ وأنشد أبو زياد لعامر بن الطفيل

وبالفيفا من اليمن استثارت　　قبائل كان آلبهم خاروا

ـ ألفيفا ـ جبل طويل من جبال خثعم يقال له فيفا الريح وكان الصبر فيه والشرف لبنى عامر وقد اجتمعت كلها الى عامر بن الطفيل على قبائل مذحج وقد غزتهم مذحج فى عدد عظيم من بنى الحارث بن كعب وجعفى وزبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصدي ونهد ورئيسهم الحصين بن يزيد الحارثي واستغاثوا بخثعم فجاءت شهران وناهس وأكلب عليهم أنس بن مدرك وأسرع القتل فى الفريقين فافترقوا ولم تغنم طائفة منهم طائفة وفى هذا اليوم أصيبت عين عامر وزعم عبد الكريم وغيره أن يوم فيفا الريح هو يوم طلح ﴿ يوم ذي بهدى ﴾ لبنى يربوع على تغلب أسروا فيه الهذيل ‥ قال جرير للاخطل يعيره بذلك

هل تعرفون بذى بهدى فوارسنا　　يوم الهذيل ُ بأيدي القوم مقتسر

﴿ يوم البشر ﴾ لبنى كلاب على الاراقم ورئيس قيس يومئذ الجحاف بن حكيم الكلابى وكان سبب ذلك تعيير الاخطل اياه ﴿ يوم الرغام ﴾ لبني ثعلبة بن يربوع ورئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب اغار فيه على بنى كلاب فاطرد إبلهم وقتل يومئذ أخوه حنظلة قتله الحوثرة وأسر الحوثرة ذلك اليوم فدفع الى عتيبة فقتله صبراً بأخيه وانهزم الكلابيون بعد ان أسرع فيهم القتل والأسر ﴿ يوم المراميت ﴾ للضباب وهم معاوية بن كلاب على اخوته بن جعفر بن كلاب وكان هذا اليوم فى زمن عبد الملك بن مروان وكذلك يوم البشر ﴿ يوم الوقيظ ﴾ كان فى فتنة عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو للهازم رئيسهم ابجر بن بجير على بنى مالك بن حنظلة فاما بنو عمرو بن تميم فانذرهم ناشب بن بشامة العنبرى فدخلوا الدهناء فنجوا وفى هذا اليوم اسر ضرار بن القعقاع بن معبد اسره الفرز الشيبانى ورجل من تيم اللات فجزت تيم اللات ناصيته وخلته تحت الليل مضارة للفرز ويسمى أيضاً هذا اليوم يوم الحنو ﴿ يوم جزع طلال ﴾ لفزارة ورئيسهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر على التيم وعدى وعكل وثور أطحل بنى عبد مناة وأخذ يومئذ شريك بن مالك

ابن حذيفة من التيم وعكل أربعين امرأة ثم أطلقهن وأخذ خارجة بن حصن نفرا من التيم فاطلقهم بغير فداء ثم اغارت فزارة بعد ذلك عليهم ورئيسهم عيينة فقتلوا التيم قتلا ذريعاً وأخذوا منهم مائة امرأة فقسمهن عيينة في بني برد وجعلهن مع أزواجهن الاسارى ينقلن الخرا هونا لهم ثم أطلق الجميع بعد ذلك بغير فداء وأغارت عليهم بعد ذلك بنو غيظ بن مرة رئيسهم زيد بن شيبان بن أبى حارثة فقتلوا التيم وعدياً وسبو سبياً كثيراً لم يردوا منه شيئاً فنى هذا كله عليهم جرير ﴿يوم اوارة الاول﴾ لتغلب والنمر بن قاسط مع المنذر بن ماء السماء على بكر بن وائل مع سلمة بن الحارث واسم سلمة معدى كرب وهو أيضاً الغلفا بعد قتل أخيه شرحبيل والذي قتله سلمة الغلفا بن عمرو بن كلثوم عرفه فحمل عليه حتى قنعه السيف وكان سبب هزيمة بكر بن وائل وحلف المنذر يومئذ ليقتلن بكراً على رأس أوارة حتي يلحق الدم بالحضيض فشفع لهم مالك بن كعب العجلى وقال للمنذر انا أخرجك من يمينك فصب الماء على الدم فلحق الارض وبر بيمين المنذر فكف عن القتل وكان مالك هذا رضيع المنذر ﴿يوم اوارة الاخير﴾ كان لعمرو بن هند على بنى دارم وذلك ان ابنا له كان مسترضعا عند زرارة بن عدس اسمه أسعد وكان قد تبناه فعبث بناقة لأحد بنى دارم يقال له سويد فخرق ضرعها فشد عليه فقتله وأتى الخبر زرارة وهو عند عمرو وكان كالوزير له فلحق بقومه وادركه الموت على عقب ذلك فغزا عمرو بنى دارم وحلف ليقتلن منهم مائة فقتل منهم تسعة وتسعين وأتم المائة برجل من البراجم وفى حكاية أخرى انه احرقهم وبذلك تشهد مقصورة ابن دريد وشعر الطرماح وزعم أبو عبيدة ان من زعم انه احرقهم فقد أخطأ وذكر شعر الطرماح فقال لا علم له بهذا واستشهد بقول جرير

أينَ الذينَ بسيفِ عمروٍ قتلوا ام أين اسعدُ فيكمُ المسترضعُ

﴿يوم زرود الاول﴾ لشيبان مع الحوفزان على بنى عبس وأثخن ذلك اليوم عمارة الوهاب جراحا غير انه سلم فلم يمت منها ﴿يوم زرود الآخر﴾ أغار خزيمة بن طارق التغلبي على بنى يربوع فاستاق النعم فادركوه فاسره أسيد بن حناءة السليطي وانيف بن جبلة الضبي وكان ثقيلا فى بنى يربوع وردوا الغنيمة من ايدى التغلبيين ﴿يوم تثليث﴾ غزت سليم مع العباس بن مرداس مرادا فجمع لهم عمرو بن معدي كرب فالتقوا بتثليث فصبر الفريقان

ولم تظفر طائفة منهم بالاخرى وفي ذلك اليوم صنع العباس قصيدته السينية وهي احدى المنصفات ﴿ يوم ذى علق ﴾ كان بين بنى عامر و بني أسد وفى هذا اليوم قتل ربيعة أبو لبيد ﴿ يوم العذيب ﴾ كان لبنى سعد بن زيد مناة وعنزة على مذحج وحمير وكان رأس اليمن الاصهب الجعفي بعث اليه النعمان ينكر عليه بلوغ سعد وعنزة العذيب فحشد لهم ولقيهم فقتلوه قتله الاحمر بن جندل وانهزمت اليمانية هزيمة شديدة وأخذ منهم مال كثير وسبي ﴿ يوم الصفقة ﴾ وهو أيضا يوم المشقر كان على بني تميم بسبب عير كسرى التي كان يجيرها هوذة بن على السحيمي فلما سارت ببلاد بنى حنظلة اقتطعوها برأى صعصعة وناجية جد الفرزدق فكتب كسرى الى المكعبر عامله على هجر فاغتالهم واراهم انه يعرضهم للعطاء ويصطنعهم فكان أحدهم يدخل من باب المشقر فينزع سلاحه ويخرج من الباب الآخر فيقتل الى ان فطنوا واصفق الباب على من حصل منهم فلذلك سميت الصفقة وشفع هوذة فى مائة من اساراهم فتركوا له فكساهم واطلقهم يوم الفصح وكان نصرانيا ﴿ يوم ذى قار ﴾ كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لبنى بكر بن وائل وقادمة بنى شيبان و بعدهم بنو عجل على الاعاجم جنود كسرى ومن معهم من العرب رئيسهم اياس بن قبيصة الطائى وكان مكان النعمان بن المنذر بعد قتل كسري اياه وتحت يديه طيء واياد وبهرا وقضاعة والعباد وتغلب والنمر بن قاسط قد رأس عليهم النعمان بن زرعة اعنى النمر وتغلب وكان سبب يوم ذى قار طلب كسرى تركة النعمان بن المنذر وكان النعمان قد تركها وترك ابنا له و بنتا عندهانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود الشيبانى فمنع رسول كسري من الوصول الى ما طلب وكتب كسرى الى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد وكان عاملا له على الطف بان يعين اياسا فانفذ الى قومه ليلا وحرضهم على القتال وتواطأت العرب على العجم فطارت اياد عن العجم حين تشاجرت الرماح كأنهم منهزمون وقتل الهامرز وخلا بزر عامل كسرى واسر النعمان بن زرعة التغلبي وبسبب ماصنع قيس بن مسعود استدرجه كسرى حتى أتاه فقتله ﴿ يوم الفجار ﴾ الاول كان بين كنانة بن خزيمة و بين عجز هوازن بسوق عكاظ أول يوم من ذي القعدة و بذلك سمي فجارا لانهم فجروا فى الشهر الحرام وكان سبب ذلك ان بدر بن معسر الكنانى كان يستطيل على من ورد عكاظ فيمد رجله ويقول أنا أعز العرب فمن كان أعز منها

فليضربها بالسيف فضربهـا الاحمر بن هوازن من بنى نصر بن معاوية وكان بين القبيلتين تشاجر دون أن يقع بينهما دماء وليس هذا الفجار عند ابن قتيبة وقد ذكره أبو عبيدة ﴿يوم الفجار الثانى﴾ كان بسبب فتيان من غزية قريش وكنانة رأوا امرأة وضيئة من بني عامر بن صعصعة بسوق عكاظ فسألوها ان تسفر لهم فابت فخل أحدهم ذيلها الى ظهر درعها بشوكة فلما قامت انكشفت فقالوا منعتينا رؤية وجهك وأريتينا دبرك فصاحت يال عامر فتهـايجوا وجرت بين الفريقين دماء يسيرة حملها حارث بن امية وليس هذا الفجار أيضاً عند ابن قتيبة وقد ذكره ابو عبيدة ﴿يوم الفجار الثالث﴾ كان بسبب دين كان لأحد بنى نصر على أحد كنانة فاتى النصري بقرد فقال من يبيعنى مثل هذا بمالى على فلان فمر أحد بنى كنانة فقتل القرد فتصايح الفريقان ثم سكنوا وكان هذا سبب الامر العظيم من قتل البراض الكناني عروة الرجال بن عيينة بن جعفر بن كلاب واتبعت هوازن قريشاً وكانوا قد ادركوهم بنخلة حتي دخلوا الحرم وجنهم الليل ثم التقوا بعد حول فكانت الوقعة أيضاً عليهم وهو يوم شمطة ثم التقوا أيضاً بعد حول فكانت الكرة على هوازن وفى ذلك اليوم سموا بنى أمية العنابس لما فعل حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان من تقييدهم أنفسهم حتى يظفروا أو يقتلوا هذه رواية أبي عبيدة وأما ابن قتيبة فجعل ماجرى بين النصرى والكناني هو الفجار الأول وقال فى آخره ولم يكن بينهم قتال انما كان ذلك القتال فى الفجار الثانى وجعل سبب الفجار الثانى أن عيينة بن حصن بن حذيفة أتى سوق عكاظ فرأى الناس يتبايعون فقال أرى هؤلاء مجتمعين بلا عهد ولا عقد ولئن بقيت الى قابل ليعلمن فغزاهم من قابل وأغار عليهم قال فهذا الفجار الثانى والحرب فيه بين كنانة وقيس والدائرة على قيس بن عيلان ﴿يوم الجفار للأحاليف﴾ فى ضبة واخوتها الرباب وأسد وطيئ على بنى تميم واستحر القتل يومئذ فى بنى عمرو بن تميم فقتلوا قتلا ذريعاً ﴿يوم الصريف﴾ كانت هذه الوقعة فى أيام الرشيد وهي لبنى ضبة علي بني حنظلة وفى ذلك يقول شاعرهم وأظنه من ولد جرير

صَبرَتْ كليبٌ للطعانِ ومالكٌ   يومَ الصريفِ وفرَّتِ الأحمالُ

ـ والاحمال ـ بطون في بنى حنظلة .. وقد أوفيت بماعقدت به في صدر هذا الكتاب

من اثبات ما انتهى الى من أيام العرب مجتهداً فى اختصارها بريا مما وقع فيها من الاختلاف وانما عهدة ذلك على الرواة وسأذكر من مفاخر بنى شيبان لمعاً أختم بها هذا الباب كما بدأته لاني لو تقصيت ذلك لأفنيت العمر دون تقصي الجزء الذى لا يتجزأ منه قلة لكنى ذهبت فيهم وفى سيدهم أبى الحسن مذهب أبى الطيب في اخوتهم بنى تغلب وفي سيدهم عليّ بن حمدان حيث يقول

ليتَ المدائحَ تستوفى مـدائحهُ ... فما كليبٌ وأهلُ الأعصرِ الأول

خذْ ما تراه ودعْ شيئاً سمعتَ به ... فى طلعةِ الشمسِ مايغنيك عن زحل

قال أبو عبيدة قدم على النعمان بن المنذر وفود ربيعة ومضر بن نزار وكان فيمن قدم عليه من وفود ربيعة بسطام بن قيس والحوفزان بن شريك البكريان وفيمن قدم عليه من وفد مضر من قيس بن عيلان عامر بن مالك وعامر بن الطفيل ومن تميم قيس بن عاصم والاقرع بن حابس فلما انتهوا الى النعمان أكرمهم وحباهم وكان يتخذ للوفود عند انصرافهم مجلساً يطعمون فيه معه ويشربون وكان اذا وضع الشراب سقي النعمان فمن بدئ به على أثره فهو أفضل الوفد فلما شرب النعمان قامت القينة تنظر الى النعمان من الذى يأمرها أن تسقيه وتفضله من الوفد فنظر فى وجهها ساعة ثم أطرق ثم رفع رأسه وهو يقول

سـقى وفودكَ مما أنتِ ساقيتي ... فابدى بكأسِ ابنِ ذي الجدينِ بسطام

أغرّ ينميـه من شيبانَ ذو أنفٍ ... حامي الذمارِ وعن اعراضها رامى

قد كان قيسُ بنُ مسعودٍ ووالدُه ... تبـدا الملوكُ بهـم أيامْ أيامى

فارضوا بما فعلَ النعمانُ فى مضرٍ ... وفى ربيعـةَ في تعظيمِ أقـوام

همُ الجماجمُ والاذنابُ غيرهمُ ... فارضـوْا بذلك أو بوؤا بارغام

فقال عامر بن الطفيل

كان التتابعُ فى دهرٍ لهم سلفٌ ... وابنُ المرارِ واملاكٌ على الشامِ

حتى انتهى الملكُ من لخمٍ الى ملكٍ ... بادي السنانِ لمن لم يرمه رامي

أنحى علينا بأظفارٍ فطوّقنا طوقَ الحمام بانعاس وارغام
ان يمكنِ اللهُ من دهرٍ نساءُ به نترككَ وحدكَ تدعو رهط بسطام
فانظرْ الى الصيدلم يحموك من مضر هلْ في ربيعةَ ان لم تدعنا حامى

فأجابه بسطام بن قيس .. فقال

لعمرى لئنْ ضجتْ تميم وعامرٌ لقد كنتُ يوماً فى حلوقهم شجا
أروني كمسعودٍ وقيسٍ وخالدٍ وعمرو وعبدالله ذى الباع والندى
وكانوا على أفناء بكر بن وائل ربيعاً اذا ما سال سائلهم جدى
فسرتُ علي آثارهم غير تارك وصيتهم حتى انتهيتُ الى مدى

قال وافتخر رجلان بباب معاوية بن أبي سفيان أحدهما من بنى شيبان والآخر من بنى عامر بن صعصعة فقال العامرى انا أعد عليك عشرة من بنى عامر فعد علىّ عشرة من بنى شيبان فقال الشيبانى هات اذا شئت فقال العامرى خذ عامر بن مالك ملاعب الاسنة والطفيل بن مالك قائد هوازن وفارس قرزل ومعاوية بن مالك معوذ الحكماء وربيعة بن مالك فارس ذى علق وعامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة وعتبة بن سنان ويزيد بن الصعق وأربد بن قيس وهو أربد الحتوف فقال الشيبانى خذ قيس بن مسعود رهينة بكر بن وائل و بسطام بن قيس سيد فتيان ربيعة والحوفزان بن شريك فارس بكر بن وائل وهانئ بن قبيصة أمين النعمان بن المنذر وقبيصة بن مسعود وافد المنذر ومفروق بن عمرو حاضن الأيتام وسنان بن مفروق ضامن الدمن والأصم عمرو ابن قيس صاحب رؤس بني تميم وعمران بن مرة الذى أسر يزيد بن الصعق مرتين وعمر و بن النعمان فتلاحيا فخرج حاجب معاوية فصادفهما على تلك الحال فدخل على معاوية فأخبره بالقضية فدعا بهما فلما دخلا عليه نسبهما فانتسباله فقال معاوية عامر أفخر هوازن وشيبان أفخر بكر بن وائل وقد كفا كما الله المؤنة هذان رجلان من غير قومكما عندى يحكمان بينكما عديّ بن حاتم وشريك بن الأعور الحارثى احكما بينهما ثم قال معاوية للشيبانى من يعبى لعامر بن مالك قال أصم بن أبى ربيعة الذى قتل من تميم مائة رجل على دم فقال معاوية للرجلين ما تقولان قالا رجح الأصم على عامر بن مالك قال

معاوية فمن يعبي لعامر بن الطفيل قال الشيباني الحوفزان بن شريك قال الحكمان رجح الحوفزان قال فمن يعبي لعلقمة بن علاثة قال الشيباني بسطام بن قيس فقالا رجح بسطام قال معاوية فمن يعبي لعتبة بن سنان قال الشيباني مفروق بن عمرو فقالا رجح مفروق قال معاوية فمن يعبي للطفيل بن مالك فقال الشيباني عمران بن مرة فقالا رجح عمران بن مرة فقال معاوية فمن يعبي لمعاوية بن مالك قال الشيباني عوف بن النعمان فقالا رجح عوف بن النعمان قال معاوية فمن يعبي لعوف بن الاحوص قال الشيباني قبيصة بن مسعود فقالا رجح قبيصة قال فمن يعبي لربيعة بن مالك قال هانئ بن قبيصة فقالا رجح هانئ بن قبيصة قال معاوية فمن يعبي ليزيد بن الصعق قال سنان بن مفروق فقالا رجح سنان بن مفروق قال فمن يعبي لاربد بن قيس قال الاسود بن شريك فقال معاوية للشيباني فأين نسيت قيس بن مسعود قال أضحك الله قيس ليس من هذه الطائفة فانهم قيس مجداً طويلا

.. فقال العامري في ذلك

أعدُّ اذا عددتُ أبا براء ... فكانَ علا على الاقوامِ فضلا
وكان الجعفريُّ أبو عليّ ... اذا ما هاجتِ الهيجاءُ علا
ووالده الذى حدثتَ عنه ... طفيلٌ خيرنا يفعاً وطفلا
وكان معوذ الحكم المبارِي ... رياحَ الصيف أعلى القومِ فعلا
وقد أورثَ زنادُ أبي لبيدٍ ... ربيعةَ يوم ذى عَلَقٍ فابلى
وعلقمة بن احوص كان كهفاً ... كلابياً رحيبَ الباعِ سهلا
وعتبةُ والاغرُّ يزيدُ أني ... رأيتهما لكلّ الفخرِ أهلاً
وعوفاً ثم أربد ذا المعالى ... كفى بهما عليكَ نداً وبذلاً
أولئك من كلاب في ذراها ... وخير قرومها حسباً ونبلا

.. فقال الشيباني مجيباً له

أعدُّ اذا عددتُ أبا خفافٍ ... وعمرانَ بن مرةَ والاصماً
وهانئاً الذى حدثتَ عنه ... وكان قبيصةُ الانفَ الاشما

ومفروقاً وذا النجدات عوفاً وبسطاماً ووالده الخضما
واسود كان خير بنى شريك ولم يكُ قرنهُ كبشاً أجما
أولئك من عكابة خير بكر وأكرم من يليك أباً وأما
وأفضل من ينصُّ الى المعالى اذا ما حصّلوا خالاً وعما
وأكثر قومهم بالشر طوقاً وأبعد قومهم فى الخير هما

فقال معاوية للحكمين ما تقولان قالا شيبان أكرم الحيين فقال معاوية وذاك قولى فأكرمهما وحباهما وفضل الشيباني على العامري .. قال وكان من حديث ذى الجدين أن الملك النعمان قال لأعطين أفضل العرب مائة من الابل فلما أصبح الناس اجتمعوا لذلك فلم يكن قيس بن مسعود فيهم وأراده قومه على أن ينطلق قال لئن كان يريد بها غيرى لأشهد ذلك وان كان يريدنى بها لاعطينها فلما رأي النعمان اجتماع الناس قال لهم ليس صاحبها شاهداً فلما كان من الغداة قال له قومه انطلق فانطلق فدفعها اليه الملك فقال حاجب بن زرارة أبيت اللعن ماهو أحق بها منى فقال قيس بن مسعود أنافره عن اكرمنا قعيدة وأحسننا أدب ناقة وأكرمنا لئيم قوم فبعث معهما النعمان من ينظر ذلك فلما انتهوا الى بادية حاجب بن زرارة مرُّوا علي رجل من قومه فقال حاجب هذا ألأم قومى وهو فلان بن فلان والرجل عند حوضه ومورد ابله فأقبلوا اليه فقالوا ياعبد الله دعنا نستقي فانا قد هلكنا عطشاً وأهلكنا ظهورنا فتجهم وأبى عليهم فلما أعياهم قالوا لحاجب اسفر فسفر فقال أنا حاجب بن زرارة فدعنا فلنشرب قال أنت فلا مرحباً بك ولا أهلاً فأتوا بيته فقالوا لامرأته هل من منزل ياأمة الله قالت والله مارب المنزل شاهد وما عندنا من منزل وراودوها على ذلك فأبت ثم أتوا رجلا من بكر بن وائل على ماء يورد قال قيس هذا والله ألأم قومى فلما وقفوا عليه قالوا له مثل ما قالوا للآخر فأبى عليهم وهمّ أن يضربهم فقال له قيس بن مسعود ويلك أنا قيس بن مسعود فقال له مرحباً وأهلاً أورد ثم أتوا بيته فوجدوا فيه امرأته وقدرها يغط فلما رأت الركب من بعيد أنزلت القدر وبردت فلما انتهوا اليها قالوا هل عندك ياأمة الله منزل قالت نعم أنزلوا فى الرحب والسعة فلما نزلوا طعموا وارتحلوا فاخذوا ناقتيهما فأناخوهما علي قريتين للنمل فأما ناقة قيس بن

مسعود فتضورت وتقلبت ثم لم تنز وأما ناقة حاجب فمكثت وثبتت حتي اذا قالوا قد اطمأنت طفقت هاربة فأتوا الملك فأخبروه بذلك فقال له قد كنت ياقيس ذاجد فأنت اليوم ذو جدين فسمى بذلك ذا الجدين وقيل انما سمى بذلك لاسيرين أسرهما مرتين وقيل بل سبق سبقين هكذا جاءت الرواية والذى أعرف أنا أن ذا الجدين انما هو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام سمى بذلك لانه اشترى كعب بن مامة من أيدي قوم من عنزة أسروه فكتم نفسه وعرفه عبد الله أنه لم يشتره عن معرفة فوهبه كلما لقي فى طريقه من ابل أبيه بعبدانها وكانت سوداً وحمراً وصهباً و بلغ به الى أبيه فأجاز له ذلك وأعطاه قبته بما فيها فلما أتى الحيرة قال بعض من رآه اصاحبه أنه لذو جد قال الآخر بل هو ذو جدين فسمى بذلك

باب فى معرفة ملوك العرب

وأنا أذكر فى هذا الباب من ملوك النواحي من أخذه حفظى و بلغته روايتي على شريطة الاختصار والتلخيص بحسب الطاقة والاجتهاد ان شاء الله تعالى ﴿ملوك اليمن﴾ قال ابن قتيبة وغيره أول من حيي بتحية الملوك أبيت اللعن وأنعم صباحاً يعرب بن قحطان فولد له يشجب وولد ليشجب سبأ وقيل انه اول من سبي السبي من ولد قحطان واسمه عبد شمس وقيل عامر وأول الملوك المتوجين من ولده حمير بن سبأ ملك حتى مات هرماً ولم يزل الملك فى ولد حمير لا يعدو ملكهم اليمن حتى مضت قرون وصار الملك الى الحارث الرائش وبينه وبين حمير خمسة عشر أباً فخرج من اليمن وغزا وجلب الاموال فراش الناس و بذلك سمي الرائش وفى عصره مات لقمان صاحب النسور وهو لقمان الذي بعثه عاد ليستسقى لها بمكة وكان ملك الرائش مائة وخمسة وعشرين سنة وذكر نبينا صلي الله عليه وسلم وأنشد ابن قتيبة

وأحمدُ اسمهُ يالبتَ أني　　أعمرُ بعدَ مبعثه بعام

ثم أبرهة ذو المنار بن الرائش وكان ملكه مائة وثلاثاً وثمانين سنة ثم أفريقس بن ابرهة وهو الذى بنى أفريقية وبه سميت وكان ملكه مائة وستين سنة ثم العبد بن ابرهة وهو ذو الاذعار سمي بذلك لقوم سباهم منكرى الوجوه تزعم العرب انهم النسناس وكان ملكه خمساً وعشرين سنة ثم هدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن الرائش وهو أبو بلقيس ملك سنة واحدة ثم بلقيس الى أن أسلمت على يدي سليمان صلى الله عليه وسلم ثم ناشر بن عمرو بن يعفر بن شرحبيل وكان ملكه خمسا وثمانين سنة ثم شمر بن أفريقس وهو الذى أخرب مدينة سمرقند وبه سميت سمركند ومعني كند اخربها وهو الذى يسمي شمر يرعش لارتعاش كان به وكان ملكه مائة وسبعا وثلاثين سنة ثم ابنه الاقرن بن شمر يرعش وكان ملكه ثلاثا وخمسين سنة ثم تبع الاكبر بن الاقرن وكان ملكه مائة وثلاثا وستين سنة ثم ابنه كليكرب ولم يغز حتى مات وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة ثم تبع بن كليكرب وهو ابو كرب تبع الاوسط وكان يغزو بالنجوم ويعمل اعماله كلها باحكامها ويقال انه آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القائل فيه

شهدتُ على أحمدَ أنهُ　　رسولٌ من الله باری النسم
فلو مدَّ عمرى الى عمرهِ　　لكنت وزيراً لهُ وابنَ عم

ثم حسان بن تبع الاوسط وهو الذى غزا جديسا وقتل اليمامة التي سميت بها جو اليمامة ثم عمرو بن تبع أخو حسان وكان ملكه ثلاثا وستين سنة ثم عبد كلال بن مثوب وكان على دين عيسى يستر ايمانه وكان ملكه اربعا وسبعين سنة ثم تبع بن حسان وهو الاصغر وكان الحارث بن عمرو بن حجر جدامرئ القيس ابن أخيه وتبع هو الذى عقد الحلف بين ربيعة واليمن وهو الذى ادخل فى اليمن دين اليهود ثمانية وسبعين سنة ثم أخوه لامه مرثد بن عبد كلال وقيل مزيد وكان ملكه احدى وأربعين سنة ثم ابنه ربيعة بن مرثد ملك سبعا وثلاثين سنة ثم ابرهة بن الصباح ملك ثلاثا وسبعين سنة وكان يكرم معداً ويعلم ان الملك كائن في بني النضر بن كنانة ثم حسان بن عمرو

ابن تبع بن كليكرب ملك سبعا وثلاثين سنة ومدحه خالد بن جعفر بن كلاب لما شفعه فى أساري من قومه ثم ذو الشناتر واسمه نجيعة ينوف ولم يكن من أهل بيت المملكة لكنه من ابناء المقاول قتله ذو نواس وكان غلاما من أبناء الملوك حسن الوجه له ذؤابتان اراده ذو الشناتر على نفسه فوجأه بخنجر كان قد اعده له فقتله ورضيته حمير لنفسها لما اراحها من ذى الشناتر وذو نواس صاحب الاخدود الذى ذكره الله عز وجل وكان يهوديا فخد الاخدود لقوم من أهل نجران تنصروا على يد قيل من آل جفنة وعلى أيام ذى نواس دخلت الحبشة اليمن واقتحم البحر منهزما فغرق وكان ملكه ثمانيا وستين سنة وقام بعده ذو جدن فهزمته الحبشة فاقتحم البحر فهلك وملك اليمن ابرهة الاشرم وهو الذي زحف الى مكة بالفيل فهلك جيشه وابتلي بالاكلة فحمل الى اليمن فهلك بها وملك بعده ابنه يكسوم فساءت سيرته باليمن فاستجاش سيف بن ذى يزن كسرى فجيش له جيشا عظيما وقد مات يكسوم وولي بعده مسرق أخوه وهو أيضا أخو سيف لامه فقتلته الحبشة وسبيت نساؤهم فقام سيف ملكا من قبل كسري حتي غدره خدامه من الحبشة ولم يجتمع ملك اليمن لأحد بعده ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكشفت به الظلمة واهتدت بهديه الأمة واستقر الملك فى نصابه بعد الخلفاء الاربعة من أصحابه ممن وجبت طاعته وصحت بيعته وأنا واقف عند الشبهة قائل فى هذا بما قالت به الجماعة فقد تنازع اسم أمير المومنين من لا يصلح له ولا يسلم اليه فلذلك أعرضت عن ذكر من لم اذكره ولولا ذلك لذكرت كل واحد وزمانه ومنتهى عمره الى وقتنا هذا وما توفيقى الا بالله ﴿ ملوك الشام ﴾ كانت بالشام سليخ[1] وهم من غسان ويقال من قضاعة واول ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك ثم من بعده ابنه مالك ثم من بعد مالك ابنه عمرو الى خروج مزيقيا وهو عمرو بن عامر من اليمن في قومه من الأزد وسمي مزيقيا لانه كان يمزق كل يوم حلة لا يعود الى لباسها ثم يهبها ويسمي عامر ماء السماء لأنه كان يجيء فى المحل فينوب عن الغيث بالرفد والعطاء بن جارية[2] الغطريف بن امرئ القيس البطريق ابن ثعلبة البهلول بن مازن قاتل الجوع من الازد بن الازرد ومعه رجل يقال له جذع بن سنان فنزلوا بلاد عك فقتل جذع ملك بلاد عك فافترقت الازد والملك فيهم حينئذ

(١) ن سليح (٢) ن حارثة

ثعلبة بن عمرو بن عامر فانصرف عامله فحارب جرهم فاجلاهم عن مكة واستولوا عليها زمانا ثم أحدثوا الاحداث وجاء قصي بن كلاب فجمع معداً و بذلك سمى مجمعاً واستعان ملك الروم فاعانه وحارب الازد فغلبهم واستولى على مكة دونهم فلما رأت الأزد ضيق العيش بمكة ارتحلت وانخزعت خزاعة لولاية البيت و بذلك سميت فصار بعض الازد الى السواد فملكوا عليهم مالك بن فهم ابا جذيمة الابرش وصار قوم الى يثرب وهم الاوس والخزرج وصار قوم الى عمان وصار قوم الى الشام وفيهم جذع بن سنان فاتاه عامل الملك في خرج وجب عليه فدفع اليه سيفه رهنا فقال الرومي ادخله في كذا من أم الآخر فغضب جذع وقنعه فقتله فقيل خذ من جذع ما أعطاك وسارت مثلا وولوا الشام فكان أولهم الحارث بن عمرو محرق سمي بذلك لأنه اول من حرق العرب في ديارها وهو الحارث الاكبر ويكني أبا شمر ثم ابنه الحارث بن ابى شمر الغسانى وهو الحارث الاعرج وأمه مارية ذات القرطين وهى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث ابن معاوية الكندى واختها هند الهنود امرأة حجرآ كل المرار الكندى والى الحارث الاعرج زحف المنذر الاكبر فانهزم جيشه وقتل ثم الحارث الاصغر بن الحارث الاكبر وهو ولد الحارث الاعرج عمرو بن الحارث وكان يقال له ابو شمر الاصغر وله يقول نابغة بنى ذبيان

علىَّ لعمرٍو نعمةٌ بعدَ نعمةٍ   لوالدِهِ ليستْ بذاتِ عقاربِ

والنعمان بن الحارث هو أخو الحارث الاصغر وله يقول النابغة

هـذا غـلامٌ حسـنٌ وجهُهُ   مستقبلُ الخيرِ سريعُ التمام

وللنعمان هذا ثلاثة بنين عمرو وحجر والنعمان ومن ولد الاعرج أيضاً المنذر والأيهم أبو جبلة وجبلة آخر ملوك غسان كان طوله اثنى عشر شبراً وهو الذى تنصر فى أيام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ﴿ ملوك الحيرة ﴾ أولهم مالك بن فهم بن عمرو بن دوس بن الأزد ملك العرب بالعراق عشرين سنة ثم ابنه جذيمة بن مالك وهو الأبرش وهو الوضاح كان ملكه ستين سنة ثم عمرو بن عديّ بن نصر بن ربيعة اللخمى ويقال ان نصراً هو الساطرون صاحب الحضر وهو جرمقاني من أهل الموصل وقيل بل هو من

أشلاق قنص بن معد بن عدنان وعمرو هذا هو ابن أخت جذيمة الأبرش وفيه قيل شب عمرو عن الطوق ثم امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ويقال بل الحارث بن عمرو وانه الذي يدعي محرقاً ثم النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الأكبر الذي بنى الخورنق ثم المنذر بن امرئ القيس وهو المنذر الأكبر بن ماء السماء أخو النعمان الأكبر ثم المنذر بن المنذر وهو الأصغر ثم أخوه عمرو بن المنذر وهو عمرو بن هند ويسمى محرقاً لانه حرق بني تميم وقيل بل حرق نخل اليمامة ثم النعمان بن المنذر بن المنذر صاحب النابغة الذبياني وهو آخر ملوك لخم ثم ولي بعده إياس بن قبيصة الطائى ثم ابنه أشهر واضطرب ملك فارس وضعفوا وكانت ملوك الحيرة من تحت أيديهم وأتى الله عز وجل بالاسلام فعز أهله بالنبي صلى الله عليه وسلم

باب من النسبة

قال ابن دريد الابل الارحبية منسوبة الى أرحب بن همدان .. أسد خفية وأسدخفان وهما أجمتان من العذيب على ليلة .. الرماح اليزنية منسوبة الى ذى يزن الملك ويقال اليزانية .. قال ذو الرمة

أينَ الذى استودعن سوداءَ قلبهِ   هويً مثل شكّ الازاني النواجمِ

هكذا جاءت الرواية فى هذا البيت .. الدروع تنسب الى فرعون .. قال راشد بن كثير

بكلّ فرعونيةٍ لونها   مثلُ بصيص البغشة الغاديه

وتنسب الى داود وسليمان وتبّع ومحرق بر يدون بذلك القدم وجودة الصنعة .. الكنائن الزغرية منسوبة الى زغر وهو موضع بالشام تعمل فيه كنائن حمر مذهبة .. قال أبودؤاد يصف فرساً

ككنانةِ الزّغـريّ زيّـنها من الذهبِ الدلاصِ

السمهري الرمح الشديد يقال اسمهرَّ الامر اذا اشتد .. الأنحمية برود منسوبة الى أنحم باليمن .. القعضبية ضرب من الاسنة تنسب الى قعضب رجل قشيرى كان يعملها وكذلك الشرعبية أيضاً .. قال الاعشى

ولدن من الخطيّ فيها أسنة ذخائرُ مما سنَّ أبزى وشرعبُ

والشرعبية أيضاً من الثياب الحارية فى قول امرىء القيس

فلما دخلناها أضفنا ظهورَنا الى كلِّ حاريٍّ حديد مشطب

قال الاصمعى احتبوا بحمائل سيوفهم .. قال أبو عبيدة ما نسبت الى الحيرة سيوف قط وانما يريد الرحال كما قال الآخر

• مشدودة برحالِ الحيرةِ الجددِ •

قال ابن الكلبي أول من اتخذ الرحال علاف وهو زبان بن جرم فلذلك قيل للرحال علافية وأول من عمل الحديد من العرب الهالك بن مراد بن أسد بن خزيمة فلذلك قيل لبنى أسد القيون وقيل لكل حداد هالكي .. قال أبو عبيدة أجود السهام التي وضعتها العرب فى الجاهلية سهام بلام وسهام يثرب وهما بلدان قريبان من جحر اليمامة .. وأنشد الاعشي • بسهام يثرب أم سهام بلام •

سلوق قرية باليمن واليها تنسب الكلاب والدروع .. سيف مشرفى منسوب الى مشرف وهى قرية باليمن كانت السيوف تعمل بها وليس قول من قال أنها منسوبة الى مشارف الشام أو مشارف الريف بشىء عند العلماء وان قاله بعضهم .. والسيوف الشريجية منسوبة الى شريج رجل من بنى أسد .. قال محمد بن حبيب هو أحد بني معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة وكانوا قيونا .. الدروع الحطمية منسوبة الى حطمة بن محارب ابن عمرو بن وديعة بن بكير بن عبد القيس بن أفصى .. وقال ابن الكلبي هى منسوبة الى حطم وهو أحد بنى عمرو بن مرثد من بنى قيس بن ثعلبة وقال الاصمعي لا أعلم ما تنسب اليه .. الخط جزيرة بالبحرين تنسب اليها الرماح قال الاصمعى ليست تنبت الرماح لكن سفن الرماح ترفأ الى هذا الموضع فقيل للرماح خطية .. والمسك الداري

منسوب الى دارين يعنى عطاراً بالبحرين زعم ذلك أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادى والاكثر المشهور عند العلماء أن دارين وغزة موضعان بالشام ٠٠ عصفور وداغر وشاعر وذا الكلبتين فحول ابل النعمان بن المنذر ٠٠ عصافير النعمان أولاد عصفور الفحل وهو أكرم فحل للعرب فيما يزعمون ٠٠ والقسيّ العصفورية منسوبة الى رجل يسمى عصفوراً حكاه الجاحظ ٠٠ وأنشد لابن بشير

عطف السياتِ بوائمٌ فى بذلها　　تعزى اذا نسبتْ الى عصفورِ

يعنى قسىّ البندق دعا بها على حمام جاره ٠٠ ويقال للقسىّ أيضاً الماسخية منسوبة الى رجل من الازد واسمه ماسخة هو أول من عملها قال ٠٠ والابل المسجدية والعبدية والعمانية ابل ضربت فيها الوحوش ٠٠ والابل الشذقمية والجديلية عن غيره منسوبة الى شذقم وجديل وهما فحلان مشهوران ٠٠ الحمر الاخدرية منسوبة الى حمار يسمي أخدر وقيل هو فرس كان لبعض الملوك أظنه أزدشير بن بابك توحش فضرب فى عانة فنسبت أولاده اليه وهو أفره الحمر هكذا تزعم العرب والعادة أن يكون ما تناتج منه بغالا فأما الكداد فحمار معروف من الوحشية نتج ٠٠ قال الفرزدق

حمارٌ لهمْ من بناتِ الكدادِ　　يدهمجُ بالوطبِ والمزودِ

والبغال يزعمون أن قارون أول من أنتجها فهى تنسب اليه وقيل بل أنتجها قبله أفريدون

باب العتاق من الخيل ومذكوراتها

وأول ما اذكر منها خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومراكبه جريا على العادة فى التبرك باسمه ٠٠ فمنها السكب وهو فرسه يوم أحد حكاه ابن قتيبة ومنها المرتجز وكان له فرس يقال له لزاز وفرس يقال له الضرب وفرس يقال له اللحيف وفرس يقال له الورد وزاد غير ابن قتيبة فرساً يقال له سحة وكانت بغلته يقال لها دلدل وكان حماره يقال له يعفور وكانت ركائبه القصوى والجدعاء والعضباء وهذه خيل العرب ٠٠ قال ابن قتيبة عن

أبي عبيدة الغراب والوجيه ولاحق ومذهب ومكتوم كانت كلها لغني ٠٠ وقال أحمد بن سعد الكاتب كان أعوج اولا لكندة ثم اخذته سليم ثم صار لبني عامر ثم لبني هلال قال ابن حبيب ركب رطبا فاعوجت قوائمه وكان من أجود خيل العرب وأمه سبل كانت لغني وام سبل البشامة كانت لجعدة ولهم أيضا الفياض قال ابن سعد والوجيه ولاحق لبني أسعد قبل وحلاب لبني تغلب الصريح لبني نهشل وزعم غيره انه كان لآل المنذر جلوى لبني ثعلب بن يربوع وذو العقال لبني رياح بن يربوع وهو أبو داحس وكان داحس والغبراء لبني زهير وهي خالة داحس وأخته من أبيه ذي العقال قرزل والخطار والحفناء لحذيفة بن بدر وهي أخت داحس من أبيه وأمه قرزل آخر للطفيل ابن مالك حذفة لخالد بن جعفر بن كلاب وحذفة أيضا لصخر بن عمرو الشريد الشقراء لزهير بن جذيمة العبسي الزعفران لبسطام بن قيس الوديقة ونصاب وذو الخمار لمالك ابن نويرة الشقراء أخرى لاسيد بن حناءة السليطي الشيط لانيف بن جبلة الضبي الوجيف لعامر بن الطفيل الكلب والمزنوق والورد له أيضا الخنثي فرس لعمرو بن عمرو بن عدس الهداج فرس الريب بن شريق السعدى وجزة فرس يزيد بن سنان المري فارس غطفان والنعامة للحارث بن عباد ابن النعامة لعنترة النحام فرس السليك بن السلكة السعدي العصا فرس جذيمة بن مالك الازدى الهراوة لعبد القيس بن أفصى اليحموم فرس النعمان بن المنذر وكامل فرس زيد الخيل الربد فرس الحوفزان وهو أبو الزعفران فرس بسطام والجمالة فرس الكلحبة اليربوعى انتهى كلام أحمد بن سعد ٠٠ وعن ابن دريد القطيب فرس كان للعرب وكذلك البطين واللعاب والعباءة فرس حرى بن ضمرة النهشلي والمدعاس فرس النواس بن عامر المجاشعي صهباء فرس النمر بن تولب حافل فرس مشهور ذكره حرب بن ضرار فى قوله

كميت عنناة السراة نمى بها ... الى نسب الخيل الصريح وحافل

المسجدي لبني أسد والشموس فرس زيد بن حذاق العبدى والضيف لبنى تغلب هراوة الغراب فرس الريان بن حويص العنبرى يقال انها جاءت سابقة طول أربع عشرة سنة فتصدق بها على الغراب يتكسبون عليها فى السباق والغارات والحرون فرس تنسب اليه

الخيل وكان لمسلم بن عمرو بن أسيد الباهلى والزليف فرس مشهور وهو من نسل الحرون ومناهب فرس تنسب اليه الخيل أيضاً .. قال الشمردل

لأفحل ثلاثة سمينا مناهبا والصيف والحرونا

والعلهان فرس أبي مليك عبد الله بن الحارث اليربوعي .. ومن أقدم الخيل زاد الراكب وهبه سليمان عليه السلام لقوم من الازد كانوا أصهاره وكان اسماعيل عليه السلام أول من ذلل الخيل وركبها وكانت قبل من سائر الوحوش

باب من المعاني المحدثة

قال أبو الفتح عثمان بن جنى المولدون يستشهد بهم فى المعانى كما يستشهد بالقدماء فى الالفاظ والذى ذكره أبو الفتح صحيح بين لأن المعانى انما اتسعت لاتساع الناس فى الدنيا وانتشار العرب بالاسلام فى أقطار الارض فمصروا الامصار وحضروا الحواضر وتأنقوا في المطاعم والملابس وعرفوا بالعيان عاقبة ما دلتهم عليه بداهة العقول من فضل التشبيه وغيره وانما خصصت التشبيه لانه أصعب أنواع الشعر وأبعدها متعاطي وكل يصف الشيء بمقدار ما فى نفسه من ضعف أو قوة أو عجز أو قدرة وصفة الانسان ما رأى يكون لاشك أصوب من صفته مالم ير وتشبيهه ما عاين بما عاين أفضل من تشبيهه ما أبصر بما لم يبصر ومن هنا يحكي عن ابن الرومى أن لائماً لامه فقال لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه قال أنشدني شيئاً من قوله الذى استعجزتنى فى مثله .. فأنشده في صفة الهلال

فانظر اليه كزورقٍ من فضةٍ قد أثقلتهُ حمولةٌ من عنبرِ

.. فقال زدنى فأنشده

كأنَّ آذريونَها والشمسُ فيه كاليه

مَداهنٌ من ذهبٍ　فيها بقايا غاليهْ

فصاح واغوثاه يالله لا يكلفُ اللهُ نفساً إلاّ وُسعها ذلك انما يصف ماعون بيته لانه ابن الخلفاء وأنا أى شئ أصف ولكن انظروا اذا وصفت ماأعرف أين يقع الناس كلهم مني هل قال أحد قط أملح من قولى فى قوس الغمام

وقد نشرتْ أيدِى السحابِ مطارفاً　على الارضِ دكناوهي خضرٌ على الارض
يطرّزُها قوسُ الغمام بأصفر　على أحمرٍ فى أخضر وسط أبيض
كأذيالِ خودٍ أقبلت في غلائلٍ　مصبَّغة والبعض أقصرُ من بعض

وقولى فى قصيدة في صفة الرقاقة

ما أنسَ لا أنسَ خبازاً مررتُ به　يدحو الرقاقة وشكَ اللمح بالبصرِ
ما بينَ رؤيتها فى كفه كرةً　وبين رؤيتها زهراءَ كالقمر
إلاّ بمقدار ما تنداحُ دائرةٌ　فى صفحةِ الماء يرمي فيه بالحجر

وهذا كلام ان صح عن ابن الرومى فلا أظن ذلك أمراً لزمه فيه الدرك لأن جميع ما أراه ابن المعتز أبوه وجده في ديارهم كما ذكر أن ذلك علة للاجادة وعذراً فقد رآه ابن الرومى هنالك أيضاً اللهم الا أن يريدان ابن المعتز ملك قدشغل نفسه بالتشبيه فهو ينظر ماعون بيته وأثاثه فيشبه به ما أراد وأنا مشغول بالتصرف فى الشعر طالبابه الرزق أمدح هذا مرة وأهجو هذا كرة وأعاتب هذا تارة وأستعطف هذا طوراً ولا يمكن أن يقع أيضاً عندي تحت هذا وفى شعره أيضاً من مليح التشبيه ما دونه النهايات التي لا تبلغ وان لم يكن التشبيه غالباً عليه كابن المعتز ولم أدل بهذا البسط كله على أن العرب خلت من المعانى جملة ولا انها أفسدتها لكن دللت على أنها قليلة فى أشعارها تكاد تحصر لو حاول ذلك محاول وهى كثيرة فى أشعار هؤلاء وان كان الاولون قد نهجوا الطريق ونصبوا الاعلام للمتأخرين وان قال قائل ما بالكم معشر المتأخرين كلما تمادى بكم الزمان قلَّت فى أيديكم المعاني وضاق بكم المضطرب قلنا أما المعانى فما قلّت غير ان العلوم والآلات ضعفت وليس يدفع أحد أن الزمان كل يوم فى نقص وأن الدنيا على آخرها

ولم يبق من العلم الاً رمقه معلقاً بالقدرة ما يمسكها الاً الذى يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه واذا تأملت هذا تبين لك مافي أشعار الصدر الاول الاسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين ثم مافي أشعار طبقة جرير والفرزدق وأصحابهما من التوليدات والابداعات العجيبة التي لا يقع مثلها للقدماء الا فى الندرة القليلة والفلتة المفردة ثم اتي بشار بن برد وأصحابه فزادوا معاني مامرت قط بخاطر جاهلى ولا مخضرم ولا اسلامي والمعاني أبداً تتردد وتتولد والكلام يفتح بعضه بعضاً وكان ابن الرومي ضنيناً بالمعاني حريصاً عليها يأخذ المعنى الواحد ويولده فلايزال يقلبه ظهراً لبطن ويصرفه فى كل وجه والى كل ناحية حتى يميته ويعلم أنه لا مطمع فيه لاحد ثم نجد من بعده لاينتهبه فى الشعر بل لايعشره قد أخذ المعنى بعينه فولد فيه زيادة ووجهاً له وجهة حسنة لايشك البصير بالصناعة أن ابن الرومى مع شرهه لم يتركها عن قدرة ولكن الانسان مبنى على النقصان وسأورد عليك من معانى المتقدمين وأنظرها بأمثالها من أقوال المولدين لا أعدوها ليتبين البرهان هذا على أنى ذممت الى المحدثين أنفسهم فى أماكن من هذا الكتاب وكشفت لهم عوارهم ونعيت لهم اشعارهم ليس هذا جهلا بالحق ولا ميلا الي ثنيات الطرق لكن غضا من الجاهل المتعاطي والمتحامل الجافي الذى اذا أعطى حقه تعاطى فوقه وادعي علي الناس الحسد وقال انا ولا أحد والى كم أعيش لكم وأى علم بين جنبي لووجدت له مستودعاً فاذا عورض فى شعره بسؤال عن معنى فاسدأو منهم أو طولب بحجة فى لحنة أو شاذا و نوظر فى كلمة من ألفاظ العرب مصحفة أو نادرة قال هكذا أعرف وكأنما أعطي جوامع الكلم حاشَ لله وأستغفرُ الله بلي هو العمي الاكبر والموت الاصفر وبأي امام يرضى أو الي أي كتاب يرجع وعنده أن الناس أجمعين بضعة منه بل فضلة عنه فهو كما قال حماد عجرد في يونس بن فروة

أما ابنُ فروةَ يونسٌ فكأنه ... من كبرهِ أيرُ الحمارِ القائم
ماالناس عندكَ غيرنفسكَ وحدها ... والناسُ عندكَ ما خلاكَ بهائمُ

وأين من ذكر من بشار بن برد حين قيل له بم فقت أهل عصرك وسبقت أبناء عصرك في حسن معاني الشعر وتهذيب ألفاظه قال لاني لم أقبل كلما تورده عليَّ قريحتي ويناجيني

به طبعي ويمث فكري ونظرت الى مغارس الفطن ومعادن الحقائق ولطائف التشبيهات فسرت اليها بفكر جيد وغريزة قوية فأحكمت سبرها وانتقيت حرها وكشفت عن حقائقها واحترزت عن متكلفها ولا والله ماملك قيادي الاعجاب بشيء مما آتي به وكم في بلدنا هذا من الحفاث قد صاروا ثعابين ومن هذا البغاث قد صاروا شواهين - إن البغاث بأرضنا يستنسر - ولولا أن يعرفوا بعد اليوم بتخليد ذكرهم في هذا الكتاب ويدخلوا في جملة من يعد خطله ويحصى زلله لذكرت من لحن كل واحد منهم وتصحيفه وفساد معانيه وركاكة لفظه ما يدلك على مرتبته من هذه الصناعة التي ادعوها باطلا وانتسبوا اليها انتحالا وقد بلغني أن بعض من لايتورع عن كذب ولا يستحيي من فضيحة زعم أني أخذت عنه مسائل من هذا الكتاب لو سئل عنها الآن ما علمها والامتحان يقطع الدعوى .. كما قال بعض الشعراء

من تحلي بغير ما هو فيه فضحَ الامتحانُ ما يدعيه

وكنت غنياً عن تهجين هذا الكتاب بالاشارة الى من أشرت اليه أنفاً من ذكره وعزوفاً بهمتي عن الانحطاط الي مساواته ولكن رأيت السكوت عنه عجزاً وتقصيراً .. كما قال أبو تمام

تركُ اللئيمِ ولم يمزقْ عرضه نقصٌ على الرجلِ الكريمِ وعارُ

وكما قال أبو الطيب وقداستحق المعنى عليه

اذا أتتِ الاساءةُ من وضيعٍ ولمْ ألُمِ المسيءَ فمنْ ألومُ

ثم أعود الى الشطير فأطرح عن المحدث المولد ما كان من جنس تشبيه النعامة للطرماح وصفة الثور الوحشي له أيضاً وصفة مغارز ريش النعامة اذا أمرط للشماخ ومثل بيت العنكبوت فيما يمتد من لغام الناقة تحت لحيها في شعر الحطيئة وتشبيه الذباب بالاجذم ولحيي الغراب بالجلم لعنترة واشباه هذا مما انفردت به الاعراب والبادية كعادتها كانفرادها بصفات النيران والفلوات الموحشة وورود مياهها الآجنة وتعسف طرقاتها المجهولة الي غير ذلك مما لايعرف عياناً اذ كان المحدث غير مأخوذ به ولا محمول عليه ألا ترى الي

أبي نواس وهو مقدم في المحدثين لما وصف الأسد وليس من معارفه ولعله ماشاهده قط الامرة في العمر ان كان شاهده دخل عليه الوهم فجعل عينيه بارزة وشبههما بعيون المخنوق وقام عنده أن هذا أشنع وأشبه بشتامة وجه الاسد وذهب عنه من صفة أبي زبيد وغيره لغؤور عينيه لما هو أعلم به ممن أخذ عنه وأكثر ظني والله أعلم أن أبانواس انما رجع بالصفة الى الرجل المشبه بالاسد وجعل ازورار عينيه وبروز جفنيه من علامات الغيظ والحنق على أقرانه في الحرب وكذلك لما تعاطي الاعرابي أبو جبلة(١) مالا يعرف قال

* ولم تذق من البقول الفستقا *

فجعله بقلا على مافي نفسه من لعاع البقل على ان المحدثين قد شاركوا القدماء في كل ما ذكرته أيضاً الا ان اولئك أولى به واحق بالتقدمة فيه كما خالطوهم في صفات النجوم ومواقعها والسحب وما فيها من البروق والرعود والغيث وما ينبت عنه وبكاء الحمام وكثير مما لا يتسع له هذا الباب ولكني افرد له كتابا قائما بنفسه أذكر فيه ما انفرد به المحدثون وما شاركهم فيه المتقدمون وآتي هاهنا من هذين النوعين ما يسدخلة المفتقر الى سماعه من المبتدئين .. قال النابغة يذكر طول ليله

كليني لهمٍّ يا أميمةَ ناصبِ ... وليل اقاسيه بطيء الكواكب

تطاولَ حتى قلتُ ليسَ بمنقضٍ ... وليس الذي يرعى النجومَ بآيب

وقال أبو الطيب في وزنه ورويه

اعيدوا صباحي فهو عندَ الكواعبِ ... وردوا رقادي فهو لحظ الحبائب

فان نهاري ليلةٌ مدلهمةٌ ... على مقلةٍ من فقدكم في غياهب

فانت ترى مافيه من الزيادة وحسن المقصد على أن بيتي النابغة عندهم في غاية الجودة .. وقال يزيد بن الطثرية حين حلق أخوه نور جمته

فاصبح رأسي كالصخيرة أشرفت ... عليها عقابٌ ثم طارت عقابها

وهذا البيت من أفضل الاوصاف وأحسنها بياناً عند قدامة وغيره وقال بعض المتأخرين

(١) ن ابو نخيلة

وأحسبه الزيادي في غلام حلقت وفرته

حلقوا رأسهُ ليكسوهُ قبحاً غيرةً منهم عليهِ وشحا
كان صبحاً عليه ليلٌ بهيم فمحوا ليله وابقوهُ صبحا

وقال رؤبة بن العجاج

امستْ شواتي كالصفاة صفصفا فصارَ رأسي جبهةً الى القفا

فقال ابن الرومي واحسن ماشاء

يجذُبُ من نقرتهِ طرةً الى مدى يقصر عن نيله
فوجههُ يأخذُ من رأسهِ اخذَ نهارِ الصيفِ من ليلهِ

ولو تتبعت هذا لاطلت في غيرموضع الاطالة.. فاما ما أنفرد به المحدثون فمثل قول بشار

يا قوم اذني لبعض الحيِّ عاشقةٌ والاذنُ تعشقُ قبلَ العينِ أحياناً
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلتُ لهمْ الاذنُ كالعينِ توفى القلب ما كانا

وكرره فقال

قالت عقيل بن كعبٍ اذْ تعلقها قلبي وأمسى بهِ من حبها أثرُ
أنيّ ولم ترها تهذي فقلتُ لهمْ ان الفؤادَ يرى مالا يرىَ البصرُ

وقوله أيضاً

وكيفَ تناسى من كأنَّ حديثهُ باذني وانْ غيبتُ قرطٌ معلقُ

واختراعاته كثيرة واشتهاره بذلك يغني عن الانشاد له.. وكقول ابي نواس وقد ذكر المبرد أنه لم يسبق اليه وهو

أيها الرائحانِ باللومِ لوما لا أذوقُ المنامَ الاشميا
نالني بالملامِ فيها إمامٌ لا أرى لى خلافهُ مستقيما
فاصرفاها الى سوايَ فانيِّ لستُ الا على الحديث نديما
كبر حظي منها اذا هيَ دارتْ ان اراها او أن أشم النسيما

فكأني وما أزين منها قعدى يزين التحكيما

كل عن حمله السلاح الى الحر ب فاوصي المطيق ان لا يقيما

ـ القعدة ـ فرقة من الخوارج ترى الخروج وتأمر به وتقعد عنه .. وقوله أيضا

بنينا على كسرى سماء مدامة مكللة حافاتها بنجوم

فلو ردفي كسرى بن ساسان روحه اذاً لاصطفاني دون كل نديم

وهذا المعنى أيضا لم يتناوله أحد قبله .. وكذلك قوله

قد قلت للعباس معتذراً من ضعف شكريه ومعترفا

أنت امرؤ جللتني نعماً اوهت قوى شكرى فقد ضعفا

فاليك مني اليوم تقدمة تلقاك بالتصريح منكشفا

لا تسدين الى عارفة حتى أقوم بشكر ما سلفا

وقال أيضا في صفة النساء الخمارات ويروى لابن المعتز

وتحت زنانير شددن عقودها زنانير أعكان معاقدها السرر

فهذا تشبيه ماعلمت انه سبق اليه .. وقال أيضا

لست أدرى أطال ليلي أم لا كيف يدرى بذاك من يتقلى

لو تفرغت لاستطالة ليلي ولرعي النجوم كنت مخلا

ومعانى أبي نواس واختراعاته كثيرة .. وأ كثر المولدين معانى وتوليدا فيما ذكره العلماء أبو تمام غير ان القاسم بن مهرويه قد زعم ان جميع مالابي تمام من المعانى ثلاثة أحدها قوله

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

والثاني قوله

بني مالك قد نبهت خامل الثري قبور لكم مستشرفات المعالم

غوامض قيد الكف من متناولٍ وفيها علا لا يرتقي بالسلالم

والثالث قوله

يأبى على التصريد الا نائلاً ان لم يكن محضاً قراحاً يمذق
نزراً كما استكرهت عائر نفحة من فارة المسك التي لم تفتق

وأنا أقول ان أكثر الشعراء اختراعا ابن الرومي وسيأتي برهان ذلك في الكتاب الذي شرطت تأليفه ان شاء الله سبحانه .. ولا بد هاهنا من نبذ يسيرة أشغل بها الموضع منها قوله

عيني لعينك حين تنظر مقتلُ لكن لحظك سهم حتف مرسلُ
ومن العجائب ان معنى واحداً هو منك سهم وهو مني مقتلُ

وقوله في عتاب

توددت حتي لم أدع متوددا وافنيت أقلامي عتاباً مرددا
كأني استدعي بك ابن حنية اذا النزع أدناه من الصدر أبعدا

وقوله في أبيات يتغزل فيها وان كان قد كرر المعنى

نظرت فاقصدت الفؤاد بلحظها ثم انثنت عنه فظل يهيمُ
فالموت إن نظرت وان هي أعرضت وقع السهام ونزعهن أليمُ

وقوله ولم أسمع أحسن منه في معناه

وما يعتريها آفة بشرية من النوم الا أنها تتحتر
وغير عجيب طيب أنفاس روضة منورة باتت تراح وتمطرُ
كذلك انفاس الرياض بسحرة تطيب وأنفاس الورى تتغيرُ

باب فى أغاليط الشعراء والرواة

ولا بد أن يؤتى على الشاعر المفلق والعالم المتقن لما بنى عليه الانسان من النقص والتقصير وخير ما فى ذلك أن يرجع المرء الى الحق اذا سمعه ولا يتمادي على الباطل لجاجة وأنفة من الخطأ فان تماديه زيادة فى الخطأ الذي أنف منه أخبرنا أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوى عن أبى عليّ الآمدى عن عليّ بن سليمان الأخفش عن محمد ابن يزيد المبرد قال تلاحي مسلم بن الوليد وأبونواس فقال ما أعلم بيتاً لك يخلو عن سقط فقال أبو نواس اذكر شيئاً من ذلك فقال بل أنشد أنت أي بيت شئت فأنشد أبو نواس

ذكرَ الصبوحَ بسحرةٍ فارتاحا   وأملهُ ديكُ الصباح صياحا

فقال مسلم قف عند هذا لم أمله ديك الصباح وهو يبشره بالصبوح وهو الذى يرتاح اليه فقال أبو نواس فأنشدنى أنت فأنشده

عاصي الشبابَ فراحَ غيرَ مفنَّدٍ   وأقامَ بينَ عزيمةٍ وتجلدِ

فقال أبو نواس ناقضت ذكرت أنه راح والرواح لايكون الا بالانتقال من مكان الى مكان ثم قلت وأقام فجعلته منتقلاً مقيماً في حال وهذا متناقض .. قال أبو العباس وكلا البيتين صحيح ولكن من طلب عيباً وجده ومن طلب له مخرجاً لم يفته .. قال الاصمعى وأخطأ زهير فى قوله ـ كاحمر عاد ـ ولا أدرى لم خطأه وقد سمع قول الله عز وجل ﴿وانه أهلك عاداً الأولى﴾ فهل قال هذا إلا وثم عاد أخرى وهى هلكت بالنمل من ولد قحطان .. قال قيس بن سعد بن عبادة

* سراويل عادي نمته ثمود *

وكان يقال لثمود عاد الصغرى .. وخطأ الشماخ فى وصف ناقته

* رحي حيزومها كرحى الطحين *

ظنه يصفها بالكبر وهو عيب لا محالة وانما وصفها بالصلابة لاغير .. وأخذ ابن بشر الآمدي على البحترى قوله

هجرتنا يقظى وكادت على مذهبها فى الصدود تهجروسنا

قال هذا غلط لان خيالها يتمثل له فى كل أحوالها يقظى كانت أو وسنى أوميتة والجيدقوله

أردُّ دونكِ يقظاناً ويأذنُ لى عليكِ سكرُ الكرى ان جئت وسنانا

وأنا أقول ان مراده انها لشدة هجرها له ونحوّها عليه لا نراه في المنام الا مهجوراً ولا تراه جملة فالمعنى حينئذ صحيح لا فساد فيه ولا غلط ولعل الرواية وكادت هذا موجود فى كلام الناس اليوم ومثله يقولون فلان لا يرى لى مناماً صالحاً وليس بين بيتى البحتري تناسب من جهة المعنى جملة واحدة لانه أولا يحكي عنها وثانياً يحكي عن نفسه بلى إن فى اللفظ اشتراكاً ظاهراً .. وفى كتاب عبدالكريم من المأخوذ على أبي تمام قوله

مها الوحشِ الاَّ أنَّ هاتى أوانسٌ قنا الخطِّ الاَّ أنَّ تلكَ ذوابلُ

قال فيه غلط من أجل أن نفي عن النساء لين القنا وانما قيل للرماح ذوابل للينها وتثنيها فنفي ذلك أبو تمام عن قدود النساء التي من أكمل أوصافها اللين والتثنى والانعطاف قلت أنا أما أبو تمام فقوله الصواب لانهم يقولون رمح ذابل اذا كان شديد الكموب صلباً وهو الذي تعرف العرب ومنه قولهم ذبلت شفتاه اذايبستا من الكرب أو العطش أو نحوهما فأما كلام المعترض فغير معروف الاعند المولدين فانهم يقولون نوارة ذابلة وليسوا بقدوة على أن كلامهم راجع الى ما قلناه انما ذلك لقلة المائية وابتداء اليبس وانما نقل عبد الكريم كلام ابن بشر الآمدى .. قال الاصمعي قرأت على أبي محرز خلف بن حيان الأحمر شعر جرير فلما بلغت الى قوله

وليلٍ كابهام الحبارى محببٍ اليَّ هواه غالب لى باطلهْ

رزقنا به الصيد الغزيرَ ولم نكن كمنْ نبلهُ محرومةٌ وحبائلهْ

فيالكَ يوماً خيرهُ قبلَ شره تغيبَ واشيهِ وأقصر عاذله

قال خلف ويحه ما ينفعه خير يؤول الى شر فقلت هكذا قرأته على أبي عمرو بن العلاء قال صدقت وكذا قال جرير وكان قليل التنقيح لألفاظه وما كان أبو عمرو ليقرئك الا كما سمع قلت فكيف يجب أن يكون قال الأجود أن يكون خيره دون شره فاروه

كذلك وقد كانت الرواة قديماً تصلح أشعار الاوائل فقلت والله لا أرويه الا كذا ..قال أنا أما هذا الاصلاح فمليح الظاهر غير أنه خلاف الظاهر وذلك أن الشاعر أراد انه كان ليله في وصال ثم فارق حبيبه نهاراً وذلك هو الشر الذي ذكر والراوية جعله لم يفارق فغير عليه المعنى الا أن تكون الرواية ـ ويوم كابهام الحبارى ـ فحينئذ .. على أن دون تحتمل ما قصد وتحتمل معنى قبل فهي لفظة مشتركة وتكون أيضاً بمعنى بعد لانها من الاضداد ولكن في غير هذا الموضع .. وخطأ الاصمعي بشامة بن الغدير في قوله يصف راحلته

وصدرٍ لها مهيع كالخليف تخالُ بأنَّ عليه شليلا

لان من صفة النجائب قلة الوبر .. وخطأ أيضاً كعب بن زهير فى قوله يصف راحلته

• فعمٌ مقيدُها ضخمٌ مقلدُها •

لان النجائب دقيقات المذابح .. ونبه أبو الفضل بن العميد على البحترى في بيت كسره .. وهو قوله

ولما ذا تتبعُ النفسُ شيئاً جعلَ اللهُ الفردوسَ منهُ جزاء

قال ننشده • جعلَ اللهُ الخلدَ منه جزاءَ • ليستقيم حكي ذلك الصاحب بن عباد .. وأنشد له أيضاً

أبا غالب بالجود تذكروا حبي اذا ما غنيُّ الباخلين نسيهِ

وزعم أنه لحن ولست أرى به بأساً هذا الشاعر أسكن الياء لما يقتضيه بناه القافية فاذا أسكن الياء وما قبلها مكسور لم تكن الهاء الا مكسورة اتباعاً لما قبلها لاسيما وهى طرف وقد فعلوا مثل هذا فى وسط الكلمة .. وقال رؤبة

• كأنَّ أيديهنَّ بالقاع القرق •

ولم يقل أيديهنَّ بالضم استثقالاً وأيضا فكأنه أعنى البحتري نوى الوقوف ثم جر القافية كعادتهم فى تحريك الساكن أبداً الى الجر .. وأنشد الصاحب بن عباد قال أنشدني عليّ بن المنجم قال أنشدنى أبو الغوث لأبيه

وأحقُّ الأيام بالانس أنْ يؤثر فيه يوم المهرجان الكبيرِ

وأنا أقول إن أبا الغوث جاء من قبله الخذلان فى هذه الرواية فويل للآباء من أبناء السوء ودع المثل القديم ولا أظن البحتري قال إلا

وأحقُّ الايامِ بالانسِ أنْ تؤثره يومُ المهرجانِ الكبير

وأخذ الاحمر على المفضل روايته فى قول امرئ القيس

• نمس باعرافِ الجيادِ أكفَّنا •

وما هو الا نمش أي نمسح والمشوش المنديل •• وكذلك قول المفضل

واذا ألمَّ خيالها طرقتْ عيني فماءُ شجونها سجمُ

وانما هو طرفت بالفاء •• وأخذ عليه الاصمعي في قول أوس

• يصمت بالماء تولبا جذعا •

وانما هو جدعا بدال مكسورة غير معجمة ولأمرٍ ما قال ذو الرمة لموسى بن عمرو أكتب شعرى فالكتاب أعجب الى من الحفظ لأن الاعرابى ينسي الكلمة قد تعب في طلبها ليلة فيضع فى موضعها كلمة فى وزنها ثم ينشدها الناس والكتاب لا ينسى ولا يبدِّل كلاما بكلام •• قال الاخطل أخطأ الفرزدق حيث قال

أبنى غدانة اننى حررتكم فوهبتكم لعطيـة بن جعال

لولا عطيةُ لاجتدعتُ أنوفكم من بين ألأمِ أوجه وسبالِ

كيف يكون وهب له وهو يهجوهم هذا الهجاء فانبرى له فتى من بنى تميم فقال وأنت الذى قلت فى سويد بن منجوف

فماجذع سوء خرَّقَ السوسُ بطنه لمـا حملتـهُ وائـلٌ بمطيـقِ

أردت هجاءه فزعمت أن وائلا تعصب به الحاجات وقدر سويد لا يبلغ ذلك عندهم فأعطيته الكثير ومنعته القليل وأردت أن تهجو حاتم بن النعمان الباهلى وان تصغر شأنه وتضع من قدره فقلت

وسوَّدَ حاتماً أن ليس فيها اذا ما أوقدَ النيران نارُ

فأعطيته السؤدد من قيس الجزيرة ومنعته مالا يضر منعه وأردت أن تمدح سماكا الاسدي فقلت

نعمَ المجيرُ سماكٌ من بني أسد بالطفّ اذ قتلتْ جيرانها مضرُ

قد كنتُ أحسبهُ قينا فأنبؤه فالآن طير عن أثوابه الشررُ

فانصرف الاخطل خجلا .. قال الحسن لعليّ بن زيد أرأيت قول الشاعر

لولا جريرٌ هلكتْ بجيله نعم الفتى وبئست القبيله

مدحه أم هجاه قال مدحه وهجا قومه فقال الحسن مامدح من هجى قومه .. وقال من اعتذر للنابغة في قوله

فانك كالليلِ الذي هو مدركي وان خلتُ أن المنتأى عنك واسع

انما قدم الليل في كلامه لانه أهول ولأنه أول ولان أكثر أعمالهم انما كانت فيه لشدة حر بلدهم فصار ذلك عندهم متعارفاً .. وكذلك اعترفوا لزهير يصف الضفادع

يخرجنَ من شربات ماؤها طَحِلٌ على الجذوع يخفنَ الغمَّ والغرقا

فقال ولم يرد أنها تخاف الغرق على الحقيقة ولكنها عادة من هرب من الحيوان من الماء فكأنه مبالغة في التشبيه كما قال الله عز وجل ﴿ وانْ كانَ مكرُهم لتزولَ منه الجبال ﴾ وقال ﴿ و بلغتِ القلوبُ الحناجرَ ﴾ والقول فيهما محمول على كاد هكذا ذكر الحذاق من المفسرين مع أنا نجد الأماكن البعيدة القعر من البحار لا يقربها دابة خوفاً على نفسها من الهلكة فكأنه أراد المبالغة في كثرة ماء هذه الشربات وانما اقتدى فيه بقول أوس بن حجر

فما كُنَّ جونا للعلاجيمِ فوقهُ مجالسُ غرقى لا يحلأُ ناهله

وعند القاضي الجرجاني من غلط أبي نواس في الوزن قوله

رأيتُ كلَّ من كان أحمقاً معتوها في ذا الزمانِ صار المقدَّم الوجيها

يارب نذلٍ وضيعٍ نوهته تنويها هجوتهُ لكيما أزيدَه تشويها

ولم يقل أبو نواس فيما علمت - إلا رب وضيع نذل - وهذا أفرط في التعصب والحمية على أبي

نواس وغيره لمن لا يجري في حلبتهم ولا يشق غبارهم

باب ذكر منازل القمر

ولما رأيت العرب وهم أعلم الناس بهذه المنازل وأنوائها لانها سقف بيوتهم ومدبب معايشهم وانتجاعهم غلطوا فيها فقال أحدهم من الانجم العزل والرامحة .. وقال امرؤ القيس

اذا ما الثريا في السماء تعرضت

فأتى بتعرض الجوزاء ورأيت كل من عنى بالنجوم من المحدثين واستوفى جميع المنازل مخطئاً لاشك في خلافه لانه انما يصف نجوم ليلة سهرها والنجوم كلها لا تظهر في ليلة واحدة ولذلك قلت انا احتياطاً في ذلك الليل من نسيب قصيدة مدحت بها السيد أبا الحسن أدام الله عزه

قد طال حتى خلته ... من كل ناحية وسط

وتكررت فيه المناز ... ل منه لا مني الغلط

وجب أن أذكر هذه المنازل وانواءها واختلاف الناس فيها وعولت في ذلك على ما ذكره أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي مجتهداً فيما استطعت من البيان والاختصار ان شاء الله تعالى ﴿ السنة ﴾ أربعة أجزاء لكل جزء منها سبعة أنواء لكل نوء ثلاثة عشر يوماً الانوء الجبهة فانه أربعة عشر يوماً زيد فيه يوم لتكمل السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وهو المقدار الذي تقطع الشمس فيه بروج الفلك الاثنى عشر لكل برج منزلتان وثلث منزلة وكلما نزلت الشمس منزلة من هذه المنازل سترته لانها تستر ثلاثين درجة خمسة عشر من خلفها ومثلها من أمامها فاذا انتقلت عنها ظهرت .. هكذا قال الزجاجي واذا اتفق أن تطلع منزلة من هذه المنازل بالغداة و يغرب رقيبه فذلك النوء لا يتفق لكل منزلة الا مرة واحدة في السنة وهو مأخوذ من ناء ينوء اذا نهض متاقلا والعرب تجعل النوء للغارب لانه ينهض للغروب متاقلا وعلى ذلك أكثر أشعارها

وتفسير بعض العلماء في قوله تعالى ﴿ ما انَّ مفاتحهُ لتنوء بالعصبةِ أولى القوة ﴾ أي تميل بهم الى الارض وهذا التفسير أوجه من قول من جعل الكلمة من المقلوب قال وبعضهم يجعله للطالع وهذا هو مذهب المنجمين لان الطالع له التأثير والقوة والغارب ساقط لاقوة له ولا تأثير .. قال المبرد النوء على الحقيقة للطالع من الكوكبين لا الغارب وهذه المنازل كلها يطلع بها الفلك من المشرق ويغرب في المغرب كل يوم وليلة وتلك دورة من دوراته ﴿ الربع الاول ﴾ من السنة وابتداؤه من سبعة عشر يوما من آذار وبعضهم يجعله في عشرين يوما منه فيستوى حينئذ الليل والنهار منه ويطلع مع الغداة فرع الدلو الأسفل وهو المؤخر ويسقط العوّاء واليها ينسب النوء وهي تمد وتقصر وصفتها خمسة كواكب كأنها الف معطوفة الذنب الى اليسار وبذلك سميت وتقول العرب عويتُ الشيء اذا عطفته وقال آخرون بل هي كأنها خمسة اكلب تعوى خلف الاسد قال ابن دريد هي دبر الأسد والعواء في كلامهم الدبر ﴿ النوء الثاني ﴾ السماك وهما سما كان أحدهما السماك الاعزل نجم وقاد شبهوه بالاعزل من الرجال وهو الذي لا سلاح معه وهو منزل القمر والآخر كوكب تقدمه آخر شبهوه بالرمح وهما ساقا الاسد وسمى سما كا لعلوه ولا يقال لغيره اذا علا سماك هكذا قال سيبويه مما حكي الزجاجي عن أبي اسحاق الزجاج غير انه قال في الاعزل وقيل انما سمى أعزل لأن القمر لاينزل به وأنا أقول القول الآخر خلاف ما عليه جميع الناس ورؤية العين تدركه على غير ما يزعم الزاعم ﴿ النوء الثالث ﴾ الغفر وهو ثلاثة كواكب غير زهر وبذلك سميت من قولك غفرت الشيء اذا غطيته ومنه سميت الغفارة التى تلبس وقيل انما سمى غفراً من الغفرة وهي الشعر الذى في طرف ذنب الأسد وقال أبو عبيدة الغفر كل شعر صغير دون الكثير وكذلك هو في الريش وقال قوم هو من النكس في المرض يقال اغفر المريض اذا نكس كان النكس غطاء العافية ﴿ النوء الرابع ﴾ الزبانان كوكبان مفترقان وهما قرنا العقرب وقيل يداها وسميا زبانين لبعد كل واحد منهما عن صاحبه من قولهم زبنت كذا اذا دفعته لتبعده عن نفسك ومنه اشتقاق الزبانية لأنهم يدفعون أهل النار اليها ﴿ النوء الخامس ﴾ الاكليل ثلاثة كواكب على رأس العقرب وبذلك سميت اكليلا ﴿ النوء السادس ﴾ القلب كوكب أحمر وقاد جعلوه للعقرب قلبا على معنى التشبيه

﴿ النوء السابع ﴾ الشولة كوكبان أحدهما أخفى من الآخر وهما ذنبا العقرب وذنب العقرب شائل أبداً فشبه به هـذا قول بعضهم و بعضهم يجعل الشولة الابرة التى فى ذنب العقرب وهم أهل الحجاز وهو أصح على مذهب من زعم أنهما كوكبان فقط ﴿ الربع الثانى ﴾ الصيف أول أنوائه ﴿ النعائم ﴾ وهي ثمانيـة كواكب نيرة أربعة منها فى المجرة تسمى الواردة وأربعة خارجة منها تسمى الصادرة وشبهت بالخشبات التى تكون على البئر يعلق بها البكرة والدلاء ﴿ الثانى ﴾ من الصيف البلدة وهى فرجة لطيفة لاشىء فيها لكن بجوارها كواكب تسمي القلادة وانما قيل لتلك الفرجة البلدة تشبيها بالفرجة التى بين الحاجبين اذا لم يكونا مقرونين يقال منه رجل أبلد ويقال بل شبهت بالبلدة وهى باطن الراحة كلها وقيل باطن ما بين السبابة والابهام ﴿ الثالث ﴾ منه سعد الذابح وهما نجمان صغيران أحدهما مرتفع فى الشمال معه كوكب آخر يقال هو شاته التى تذبح والآخر هابط فى الجنوب ﴿ الرابع ﴾ منه سعد بلع وهما كوكبان صغيران مستويان فى المجرة شبها بفم مفتوح يريد أن يبتلع شيئاً وقيل انما قيل بلع كأنه بلع شاته وبلع غير مصروف لأنه معدول من بالع مثل زفر وقثم وسعد مضاف اليه ﴿ الخامس ﴾ منه سعد السعود وهما كوكبان احدهما أنور من الآخر سمى بذلك لأن وقت طلوعه ابتداء كمال الزرع وما يعيش به الحيوان من النبات ﴿ السادس ﴾ منه سعد الاخبية وهو كوكبـان عن شمال الخباء والاخبية أربعة كواكب واحد منها في وسطها يسمى الخباء لأنها على صورة الخباء وزعم ابن قتيبة أنه سمي بذلك لطلوعه وقت انتشـار الحيات والهوام وخروج ما كان مختبئاً ﴿ السابع ﴾ فرع الدلو الاعلى وهو المقدم وبعضهم يسميه العرقوة العليا تشبيها بعرقوة الدلو وهما كوكبان مفترقان نيران وقيل له دلو لأنه تأتى فيه الامطار المعظمة ويقال بل سميا بذلك لانهما مثل صليب الدلو الذى يفرغ منه الماء ﴿ الربع الثالث ﴾ الخريف اول انوائه ﴿ فرع الدلو ﴾ الاسفل وصورته كوكبان مضيئان بينهما بعد صالح يتبعان العرقوة العليا ﴿ ثم الحوت ﴾ وهو كوكب أزهر نير فى وسط السمكة ﴿ ثم الشرطان ﴾ وهما كوكبان مفترقان مع الشمال منهما كوكب دونه فى القدر وسميا شرطين لان سقوطهما علامة ابتداء المطر واتصاله وكل من جعل لنفسه علامة فقد شرطها ومنه سمى الشرط لأن لهم علامة عرفوا بها ﴿ ثم البطين ﴾ وهو ثلاثة كواكب طمس خفيات وهو بطن الحمل

الا أنه قد صغر ﴿ ثم الثريا ﴾ وهو النجم وصورتها ستة كواكب متقاربة حتي كادت تتلاصق وأكثر الناس يجملها سبعة وقد جاء الشعر بالقولين جميعا سميت بهذا لأن مطرها عنه تكون الثروة وكثرة العدد والغنى وهي تصغير ثروى ولم ينطق بها الامصغرة ﴿ ثم الدبران ﴾ كوكب وقاد على أثر نجوم تسمى القلاص وقيل له دبران لانه دبر الثريا أى جاء خلفها ويقال له أيضاً الراعى والتالي والتابع والحادى على التشبيه ﴿ ثم الهقعة ﴾ سميت بهذا تشبيها بالدائرة التي تكون عند عقب الفارس في جنب الفرس وصورتها ثلاثة أنجم صغار متقاربة كآثار روس أصابع ثلاث فى ثرى اذا جمعت الوسطى والسبابة والابهام وهي رأس الجوزاء ﴿ الرابع الشتاء ﴾ وهو آخر أرباع السنة اول أنوائه ﴿ الهنعة ﴾ سميت بذلك لأنها كوكبان مقترنان كل واحد منهما منعطف على صاحبه من قولك هنعه اذا عطف بعضه على بعض واقترانهما فى المجرة بين الجوزاء والذراع المقبوضة ﴿ ثم الذراعان ﴾ وهي ذراع الاسد المبسوطة والمقبوضة كوكبان نيران بينهما كواكب صغار تسمي الاظفار ﴿ ثم النثرة ﴾ وهى لطخة لطيفة بين كوكبين وهي عندهم ما بين فم الاسد وأنفه ومن الانسان فرجة ما بين الشاربين حيال وترة الانف وقيل انما سميت نثرة لأنها كقطعة سحاب نثرت ﴿ ثم الطرف ﴾ عينا الاسد وهما كوكبان صغيران بينهما نحو قامة فى مرأى العين ﴿ ثم الجبهة ﴾ أربعة كواكب معوجة في اليمانى منها بريق وهي جبهة الاسد عندهم ﴿ ثم الزبرة ﴾ نجمان يرى أحدهما أكبر من الآخر ويقال لهما الخرتان كأنهما نفذا الى جوف الاسد والعيان يبطل ذلك كما قال الزجاجي ﴿ ثم الصرفة ﴾ كوكب وقاد عنده كواكب طمس سمي بذلك لانصراف البرد لسقوطه فهذه عدة المنازل وصفاتها وانما أضيفت الى القمر دون الشمس وحظهما فيه واحد لظهورها معه وتسمى نجوم الاخذ كأن الارض تأخذ عنها بركات المطر وقيل لاخذ الشمس والقمر سمتهما فى سيرها

باب في معرفة الأماكن والبلدان

قال أبو عبيدة الحجاز هو ما بين الجحفة وجبل طيء وانما سمى حجازاً لانه حجز

ما بين نجد والغور وحكي ابن قتيبة عن الرياشي عن الاصمعي اذا خلفت حجراً مصعداً فقد أنجدت فلا تزال منجداً حتى تنحدر من ثنايا ذات عرق فاذا فعلت فقد اتهمت الى البحر فاذا عرضت لك الحرار وأنت منجد فتلك الحجاز واذا تصوبت من ثنايا العرج واستقبلك المرخ والأراك فقد اتهمت وسمى حجازاً لانه حجز ما بين نجد وتهامة فأما محمد بن عبد الله الاسدى فقال حد الحجاز الاول بطن نخلة وظهر حدة[1] والحد الثاني مما يلي الشام شعب وبدا والحد الثالث مما يلي تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ والحد الرابع ساية ودان ثم تنحدر الى الحد الاول بطن نخل ٠٠ وأما الجزيرة فانها ما بين دجلة والفرات والموصل والسوادان سواد البصرة والاهواز ودست ميسان وفارس وسواد الكوفة كسكر الى الزاب وحلوان الى القادسية ٠٠ وجزيرة العرب قال أبو عبيدة هي في الطول ما بين حفير أبي موسي الى أقصى اليمن وفي العرض ما بين يبرين الى السماوة ٠٠ وقال الاصمعي هي ما بين نجران والعذيب حكاه ابن قتيبة عن الرياشي قال وحكي عنه أبو عبيدة أنها في الطول من أقصى عدن الى ريف العراق وفي العرض من جدة وما والاها من طراز البحر الى طراز الشام وقيل سمي العراق تشبيهاً بعراق المزادة وهو موضع الخرز المستطيل في أسفلها ٠٠ وقال بعضهم هو جمع عرق لاشتباك عروق النخل والشجر في تلك الارض وقيل ان اسمه كان بالفارسية ايران شهر أي أسفل الارض فعربت وأما الشام واليمن فمن اليد اليمنى واليد الشؤمي وهي الشمال لان الذي يستقبل الشمس تكون اليمن عن يمينه والشام عن شماله ويقال شأم بالهمز والتخفيف ومنهم من جعل الشام جمع شامة وهي النكتة تكون في الجسم سوداء أو نحو ذلك وكذلك في الارض ٠٠ قال ذو الرمة

وان لم تكوني غير شام بقفرة تجرّ بها الاذيال صيفية كدرُ

---

(١) نسخة حرة ليلى

باب من الزجر والعيافة

وعنهما يكون الفأل والطيرة وبين الطيرة والفأل فرقان عند أهل النظر والمعرفة والحقائق وذلك أن الفأل تقوية للعزيمة وتحضيض على البغية واطماع فى النية والطيرة تكسر النية وتصد عن الوجهة وتثنى العزيمة وفى ذلك ما يعطل الاحالة على المقادير وقد تفاءل النبي صلى الله عليه وسلم ونهي عن الطيرة فى قوله لاعدوي ولا طيرة ولا هامة ولاصفر وقد تقدم ذكرها وقيل فى الهامة أنها هذه المعروفة ٠٠ والطيرة من احد شيئين مشتقة إما من الطيران كأن الذي يرى ما يكره أو يسمع يطير كما قال بعضهم

عوى الذئب فاستأنستُ للذئب إذ عوى وصوّت انسانٌ فكدتُ أطيرُ

وإما من الطير وهو الاصل والمختار من الوجهين هكذا ذكر الزجاجي ٠٠ وكانت العرب تزجر الطير والوحش فمن قال بالقول الاول احتج بأن لوحش يطير بها وزجرت مع الطير ومن قال بالقول الثانى قال انما كان الاصل فى الطير ثم صار فى الوحش وقد يجوز أن يغلب احد الشيئين على الآخر فيذكر دونه ويرادان جميعاً ٠٠ أنشد الجاحظ

ما يعيفُ اليومَ فى الطير الروَح من غرابِ البينِ أو تيسٍ برَح

قال فجعل التيس من الطير اذ قدم ذكر الطير وجمله من الطير فى معنى التطير والعرب تتطير بأشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه دابة يقال له العاطوس يكرهونها والغراب أعظم ما يتطيرون به والقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتماً لانه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الاعور على جهة التطير بذلك اذ كان أصح الطير بصراً ويقال سمى أعور لقولهم عورت الرجل عن حاجته اذا رددته عنها ٠ وقد اعتذر أبو الشيص للغراب وتطير بالابل وان كان غيره سبقه الى المعنى فقال

النـاسُ يلحونَ غرا بَ البينِ لما جهلوا
وما على ظهر غرا بِ البينِ تطوى الرحلُ
ولا اذا صاحَ غرا بٌ فى الديار احتملوا
ما فرّق الاحباب بعـد الله الأ الابلُ

وما غرابُ البينِ الا ناقةٌ أو جمل

هكذا رويته وبعضهم يجعل الشعر ـ ماقرب الاحباب ـ و بعده والناس يلحون بواو مكان الهمزة يعطف بها ٠٠ وقال آخر فلح وظرف

زعموا بأنَّ مطيَّهم عونُ النوي والمؤذنات بفرقةِ الاحباب

لو أنها حتفي لما أبغضتها ولهابهم سبب من الاسباب

ويتطيرون بالصرد ومن أسمائه الاخيل والاحطب ويقال الاخيل الشقراق ويقال بل طائر يشبهه والواق أيضاً الصرد قال زبان بن منظور الفزارى فى حديث له كان مع نابغة بنى ذبيان وقد تطير من جرادة سقطت عليه فرجع من الغزو ومضي زبان فظفر وغنم

تعلَّم أنهُ لا طيرَ إلاَّ على متطيرٍ وهى الثبورُ

بلى شيء يوافقُ بعض شيء أحايينـاً وباطلهُ كثيرُ

يقولها في أبيات لا أقف على جملتها. وقال شاعر قديم لزبان أيضاً

لا يمنعنكَ من بغا ءالخيرِ تعقادُ التمائمْ

لا والتشاؤمُ بالعطا س ولا التيامنُ بالمقاسمْ

ولقدْ عدوتُ وكنتُ لا أعدوُ على واقٍ وحاتمْ

واذا الاشائمُ كالأيا منِ والأيامنُ كالاشائمْ

قد خطَّ ذلك فى الزبو ر الاوليـاتِ القدائمْ

ويتشاءمون بالثور الاعضب وهو المكسور القرن ٠٠ وقال الكميت ينفى الطير ويدفعها عن نفسه

ولا أنا ممنْ يزجرُ الطيرَ همهُ أصاحَ غرابٌ أم تعرَّض ثعلبُ

ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيَّةً أمرَّ صحيحُ القرنِ أم مرَّ أعضبُ

والبيت الاول من هذين يشبه بيت الاعشى الذي أنشده الجاحظ ٠٠ ومن أمثال العرب فلان كبارح الاروى وفيه قولان أحدهما ان الاروى يتشاءم بها فاذا كانت بارحا فقد

عظم الأمر والآخر أنها انما تكون فى قرون الجبال ولا تكاد تكون سانحة ولا بارحة ..وفى السانح والبارح اختلاف قال عمرو بن العلاء سأل يونس رؤبة عن السانح والبارح فقال السانح ما ولاك ميامنه والبارح ما ولاك مياسره قال ابن دريد السانح يتيمن به أهل نجد ويتشاءمون بالبارح ويخالفهم أهل العالية فيتشاءمون بالسانح ويتيمنون بالبارح ..قال الشاعر الهذلى يذكر امرأته

زجرتُ لها طيرَ السنيحِ فان يكن ... هواك الذى تهوى يصبك اجتنابها

قال والسانح الذي يلقاك وميامنه عن ميامنك والبارح الذي يلقاك وشمائله عن شمائلك والجابه والناطح اللذان يستقبلانك والقعيد الذى يأتيك من ورائك ..قال صاحب الكتاب الكارس الذي ينزل عليك من الجبل حكاه الثعالبي قال أبو جعفر النحاس السنيح عند أهل الحجاز ما اتى عن اليمين الي اليسار والبارح عندهم ما أتى من اليسار الى اليمين وهم يتشاءمون بالسانح ويتيمنون بالبارح وأهل نجد بالضد من ذلك والسانح عندهم هو البارح عند أهل الحجاز..وقال المبرد السانح ما أراك مياسره فأمكن الصائد والبارح ما أراك ميامنه فلم يمكن الصائد الا أن ينحرف له .. وقد يتطيرون من البازى والغراب وأشياء كثيرة من جهة التسمية ويتيمن بها .. آخرون ومن مليح ما رأيت فى الزجر والعيافة قال الصولى كان لأبى نواس اخوان لا يفارقهما فاجتمعوا يوما فى موضع أخفوه عنه ووجهوا اليه برسول معه ظهر قرطاس لم يكتبوا فيه شيئاً وحزموه بزئر وختموه بقار وتقدموا الى رسولهم أن يرمي بالكتاب من وراء الباب فرماه به فلما رآه استعلم خبرهم فعلم أنه من فعلهم وتعرف موضعهم وأتاهم فانشدهم

زجرتُ كتابكم لما أتاني ... كزجرِ سوانحِ الطيرِ الجوارِى
نظرتُ اليه محزوماً بزئر ... على ظهرٍ ومختوماً بقارِ
فقلتُ الزئر ملهيةٌ وملهٍ ... وقلت القار من دنِّ العقارِ
وقلت الظهر أهيف ذو جمال ... تركب صدغه فوق العذارِ
فجئت اليكمُ طرباً وشوقاً ... فما أخطأتُ داركمُ بدارِى
فكيف ترونني وترونَ زجرى ... ألستُ من الفلاسفةِ الكبارِ

باب ذكر المعاظلة والتثبيج

العظال فى القوافي التضمين حكاه الخليل بن احمد وزعم قدامة أن المعاظلة سوء الاستعارة وهو عندهم مشتق من التداخل والتراكب ومنه تعاظلت الجراد والكلاب وأنشد قدامة بيت أوس بن حجر

وذاتِ هدمٍ عارٍ نواشرها   تصمت بالماء تولباً جذعا

لانه قد أساء الاستعارة عنده لجعله الطفل تولباً وهو ولد الحمار ٠٠ وأما التثبيج فهو طول الكلام واضطرابه ولا يقال كلام مثبج حتى يكون هكذا ويقال رجل مثبج الخلق اذا كان طويلا فى اضطراب والتثبيج عند الصولي فى الخط أن لايكون بيناً وكذلك هو فى الكلام ٠٠ وزعم قوم أن المعاظلة تداخل الحروف وتراكبها كما عيب على كعب بن زهير قوله

تجلو عوارضَ ذي ظلمٍ اذا ابتسمت   كأنه منهلٌ بالراحِ معلولُ

وعاب ابن العميد حبيباً لقوله

كريماً متى أمدحه أمدحه والورى   معي ومتى مالمته لمته وحدِي

بالتكرير فى أمدحه أمدحه مع الجمع بين الحاء والهاء فى كلمة وهما معاً من حروف الحلق وقال هو خارج عن حد الاعتدال نافر كل النفار حكي ذلك عنه الصاحب بن عباد ٠٠ وزعم آخرون انها تركيب الشئ فى غير موضعه كقول الكميت بن زيد

وقد رأينا بها حوراً منعمةً   بيضاً تكملَ فيها الدل والشنب

وهذا البيت مما عابه عليه نصيب ٠٠ ومثله عندي قول أبي الطيب

يحمل المسك عن غدائرها الريح ويفتر عن شنب برود

باب الوحشى المتكلف والركيك المستضعف

الوحشى من الكلام ما نفر عنه السمع والمتكلف ما بعد عن الطبع والركيك ما ضعفت بنيته وقلت فائدته واشتقاقه من الركة وهى المطر الضعيف وقيل من الرك وهو الماء القليل على وجه الأرض ٠٠ وأنشد النحاس

تهادي كعوم الركّ يقطعهُ الحيا بأبطحَ سهلٍ حين تمشى تأودا

وفلان ركيك أي ضعيف العقل ويقال للوحشي أيضاً حوشى كأنه منسوب الى الحوش وهى بقايا ابل وبار بارض قد غلبت عليها الجن فعمرتها ونفت عنها الانس لا يطؤها انسي الا خبلوه ٠٠ قال رؤبة

جرّتْ رجالاً من بلادِ الحوشِ

واذا كانت اللفظة خشنة مستغربة لا يعلمها العالم المبرز والاعرابى القح فتلك وحشية وكذلك ان وقعت غير موقعها وأتى بها مع ما ينافرها ولا يلائم شكلها ٠٠ وكان أبوتمام يأتى بالوحشى الخشن كثيراً ويتكلف ٠٠ وكذلك أبو الطيب كان يأتي بالمستغرب ليدل على معرفته نحو قوله

كل اخائه كرامُ بني الدنيا ولكنه كريم كرامِ

وهذا مع غرابته وتكلفه غير محمول على ضرورة يكون فيها عذر لان قوله كل اخوانه يقوم مقامه بلا بغاضة ٠٠ومن التكلف قول ابراهيم بن سيار للفضل بن الربيع ويروى أيضا لابراهيم بن شبابة

هبني ظلمتُ وما ظلمتُ بلى ظلمـ ـت أقرّ كي يزداد طولك طولا

ان كان جرمى قد أحاطَ بحرمتى فاحطْ بجرمى عفوك المأمولا

فتبارك الله كانهما لم يخرجا من ينبوع واحد ٠٠ قال ابراهيم بن المهدي لعبدالله بن صاعد كاتبه اياك وتتبع الوحشى من الكلام طمعا فى نيل البلاغة فان ذلك هو العى الاكبر عليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السفل ٠٠ وقال أبو تمام يمدح الحسن بن وهب بالبلاغة

لم ينبع شنع اللفات ولا مشى رسف المقيد في طريق المنطق
ينشق في ظلم المعاني ان دجت منه تباشير الكلام المغلق

وقال على بن بسام

ولا خير في اللفظ الكريه استماعه ولا في قبيح اللحن والقصد أزين

قال على بن عيسي الرماني أسباب الاشكال ثلاثة التغيير عن الأغلب كالتقديم والتأخير وما أشبهه وسلوك الطريق الابعد وايقاع المشترك وكل ذلك اجتمع في بيت الفرزدق

وما مثله في الناس الا مملكاً أبو أمه حي أبوه يقاربه

فالتغيير عن الاغلب سوء الترتيب لأن التقدير وما مثله في الناس حي يقاربه الا مملكا أبو امه أبوه بريد بالمملك هشام بن عبد الملك والممدوح هو ابراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك وأما سلوك الطريق الابعد فقوله أبو امه أبوه وكان يجزئه أن يقول خاله وأما المشترك فقوله حي يقاربه لأنها لفظة تشترك فيها القبيلة والحي من سائر الحيوان بالحياة قال واذا تفقدت أبيات المعاني رأيتها لاتخرج عن هذه الاسباب الثلاثة ..وحكي الصولى قال انشدني بعض الكتاب عن أحمد بن يحى ثعلب قول البحتري للحسن بن وهب

واذا دجت أقلامه ثم انتحت برقت مصابيح الدجى في كتبه
فاللفظ يقرب فهمه من بعده منا ويبعد نيله في قربه
حكم سحائبها خلال بنانه هطالة وقليبها في قلبه
كالروض مؤتلفاً بحمرة نوره وبياض زهرته وخضرة عشبه
وكأنها والسمع معقود بها وجه الحبيب بدا لعين محبه

واستعادها أبو العباس حتي فهمها ثم قال لو سمع الأوائل هذا الشعر لما فضلوا عليه شعراً

باب الاحالة والتغيير

وهذه لمح أتيت بها تدل من عرفها على رداءتها وتدعو الى كراهتها واجتنابها وقد وقعت في أشعار الجلة من المتقدمين والتمس لهم فيها العذر لأنهم أرباب اللغة واصحاب اللسان وليس المولد الحضرى منهم فى شئ فمن الاحالة قول ابن مقبل

اما الاداةُ ففينا ضمرٌ صنع جودٌ حواجز بالألبادِ والجمِ

ونسجُ داود من بيضٍ مضاعفةٍ من عهدِ عادٍ و بعدَ الحيِّ من ارم

فكيف يكون نسج داود من عهد عاد اللهم الا أن يريد فينا ضمر صنع من عهد عاد فذلك له على سبيل المبالغة مع أن الاحالة لم تفارقه وكم بين قيس عيلان و بين عاد فضلا عن بنى العجلان .. وقال عبد الرحمن بن حسان

وانْ مالَ الضجيعُ بها فدعصٌ من الكثبانِ ملتبد مهيل

قالوا وكيف يكون ملتبداً مهيلاً هذا مستحيل متناقض والذي عندي فيه أنه صواب لانه انما أراد بالتباده صلابة ملمس المجيزة وانها غير مسترخية وجعله مهيلاً لارتعاده واضطرابه من العظم .. كما قال ابن مقبل

يمشينَ هيلَ النقا سالتْ جوانبه ينهالُ طوراً وينهاهُ الثرى حينا

فقد جعله مرة ينهال ومرة ينهاه الثري والتثنى الذى فيه .. وقال جميل فى التغيير

لاحسنها حسنٌ ولا كدلالها دل ولا كوقارها توقيرُ

فحذف كاف التشبيه فصار المعنى كأنه ليس حسنها حسنا وقد يغيرون اللفظ .. كما قال النابغة ٭ ونسج سليم كل قضاء ذابل ٭

وهذا أسهل من قول الآخره من نسج داود أبى سلكان ٭ وهذا كثير يخرج منه فى هذا الموضع ما ذكرت

باب الرخص في الشعر

وأذ كر ههنا مايجوز للشاعر استعماله اذا اضطر اليه على أنه لا خير في الضرورة على أن بعضها أسهل من بعض ومنها ما يسمع عن العرب ولا يعمل به لانهم أتوا به على جبلتهم والمولد المحدث قد عرف أنه عيب ودخوله فى العيب يلزمه اياه ٠٠ فمن ذلك قصر الممدود على مذاهب أهل البصرة والكوفة جميعاً وله على ما أجاز الكوفيون وصل ألف القطع وهو قبيح ٠٠ قال حاتم طيئ

أبوهُ أبي والامهاتُ أُمهاتُنا فأنعمْ فداكَ اليومَ أهلي ومعشري

قال بعضهم انما الرواية والام من أمهاتنا وله تخفيف المشدد فى القافية وأما في حشو البيت فمكروه جداً وحذف التنوين لالتقاء الساكنين وربما حذفوا النون الساكنة ٠٠ كما قال

فلستُ بآتيهِ ولا أستطيعهُ ولاكِ اسقني ان كان ماؤكَ ذا فضل

وأن يحذف الألف واللام أو الاضافة وما يحذف التنوين مثل قول خفاف

كنواحِ ريشِ حمامةٍ نجدية ومسحتِ باللبتينِ عصفَ الأثمدِ

وأن يحذف حرفاً من الكلمة كقول العجاج

• قواطنا مكة من ورق الحمى •

وحرفين كقول علقمة بن عبدة

• مفدم بسبا الكتان ملثوم •

يريد بسبائب الكتان وأن يحذف من المكني فى الوصل ما يحذف منه في الوقف ٠٠

كقول الشاعر • سأجعلُ عينيهِ لنفسهِ مقنعاً •

وأقبح منه أن يحذف من المكنى المنفصل كقول الآخر

فبيناه يشرى رحلهُ قال قائل لمنْ جمل رخو الملاط نجيب

وأقبح من ذلك أن يحذف الألف من ضمير المؤنث ٠٠ أنشد قطرب

اما تقودُ به شاةً فتأكلها أو تبيعه فى بعضِ الأراكبِ

أراد تبيعها فحذف الالف قال ولا يجوز استعمال هذا المحدث لشذوذه وقبحه ويجوز له حذف الياء والواو من المضمر المذكر لكثرته واطراده وللشاعر أن يحذف اسم ليت اذا كان مضمراً .. أنشد المفضل لعديّ بن زيد

فليتَ دفعتَ الهمَّ عنيَ ساعةً   فبتنا على ماخيلتَ ناعميْ بال

يريد -ليتك- وله حذف الفاء من افتعله من التقوي وما تصرف منها .. أنشد المفضل لخداش بن زهير

تقوهُ أيها الفتيانُ عنى   رأيتُ اللهَ قد غلبَ الجدودا

وأنشد أبو زيد الانصارى

انَّ المنيةَ بالفتيانُ ذاهبةٌ   وإن تقوها بأرماحٍ وادراعِ

وحذف الفاء من جواب الجزاء كما قال

يا أقرعَ بن حابسٍ يا أقرعْ   إنك ان تصرعْ أخاكَ تصرع

قال سيبويه تقديره انك ان تصرع أخاك فتصرع .. ومثله أيضاً

مَن يفعل الحسناتِ اللهُ يشكرها   والشر بالشرّ عند الله مثلان

يريد فالله يشكرها وهذا أبين من الأول وحذف النون من تثنية الذى وجمعه .. قال الأخطل

ابنى كليبٍ إنَّ عميَّ اللذا   قتلا الملوكَ وفككا الاغلالا

وأنشد سيبويه

وانَّ الذى حانتْ بفلجٍ دماؤُهم   همُ القومُ كلُّ القوم يا أمَّ خالد

أراد الذين .. وعلى هذا قال أبو الطيب

ألستَ من القوم الذى من رماحهم   نداهمْ ومن قتلاهمُ مهجةُ البخل

ويجوز أن يكون جعل الذي للجماعة والواحد كما جعل من وقد حكي ذلك الزجاجي .. قال ابن قتيبة في قول الله عز وجل ﴿ كمثلِ الذي استوقدَ ناراً فلما أضاءتْ

ما حوله ذهبَ اللهُ بنورهمْ وتركهمْ في ظلمات لا يبصرُون ﴾ أن الذى ههنا بمعنى الذين والله أعلم وحذف الياء من الذى فمنهم من يسكن الذال بعد الحذف ومنهم من يدعها مكسورة على لفظها أنشد البصريون .. والكوفيون جميعاً

فظلتُ في شرٍ من اللذْ كيدَا كمن تزبيَّ زبيةً فاصطيدَا

ويروى ـ كاللذ تزبى زبيةً فاصطيدا ـ فجمع بين اللغتين .. ونظير هذا حذف الياء من التي واسكان التاء وأنشدوا

فقلْ للتْ تلومكَ انَّ نفسي أراها لا تعوَّذُ بالتميم

وحذف الياء والتاء من اللواتى .. أنشد الزجاجي

جمعتها من أينـق غزار من اللوا شرفنَ بالصرارِ

وحذف الموصول وترك الصلة .. كما قال يزيد بن مفرغ

عدسْ مالعباد عليكِ امارةٌ نجوتِ وهذا تحملينَ طليقُ

أراد وهذا الذي تحملين فحذف .. وحذف اسم ان ولكن كما قال

ولكنَّ من لا يلقَ أمراً ينوبهُ بعدته ينزلْ به وهو أعزلُ

فحذف الهاء من لكنه لانه قد جازى بمن ولو أعمل فيها لكن لم يجز أن يجازى بها .. ومثله قول الآخر

انَّ من يدخل الكنيسةَ يوماً يلق فيهـا جآذرا وظبـاء

أراد أنه .. ويبدلون من الحروف السالمة حروف المد واللين وأنشدوا

لها أشاريرُ من لحمٍ تتمره من الثعالى ووخز من أرانيها

أراد ـ من الثعالب ـ ومن ـ أرانبها ـ ويلينون الهمزة وذلك كثير جدا جائز في المنثور والفصيح وله حذف ألف الاستفهام كما قال الأخطل

كذبتكَ عينك أم رأيتَ بواسطٍ غلسَ الظلامِ من الرباب خيالا

وهذا ردىء في المنثور جداً .. ونقصان الجموع عن أوزانها لضرورة القافية كما قال رؤبة

• حتى اذا بلتْ حلاقيمُ الحلُقْ •

يريد الحلوق .. وترك صرف ما ينصرف لانه يحذف منه التنوين وهو يستحقه وهو غير جائز عند البصريين الا أنه قدجاء في الشعر .. قال عباس بن مرداس يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقانِ مرداسَ في مجمع

وعلى هذا المذهب قال أبو نواس

عباسُ عباسٌ اذا احتدمَ الوغا والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيع

ويروى - اذا حضر الوغا - والفراء يرى ترك الصرف لعلة واحدة وهي التعريف والبصريون يخالفونه في ذلك ويأبونه .. ومن أقبح الحذف حذف حركة الاعراب للضرورة وأنشدوا لامرئ القيس

فاليوم اشربْ غيرَ مستحقبٍ اثماً من اللهِ ولا واغل

.. ومثله للفرزدق

رحتِ وفي رجليكِ ما فيهما وقد بدا هَنْكِ من المئزر

وزعم قوم أن الرواية الصحيحة في قول امرئ القيس - اليوم أسقي - وبذلك كان المبرد يقول وقال آخرون بل خاطب نفسه كما يخاطب غيره فقال فاليوم فاشرب وفي بيت الفرزدق - وقد بدا ذاك من المئزر - كناية عن الهن وهذا مما يسمع ويحكى ولا يقاس عليه البتة هذا صدر جيد مما علمته يجوز للشاعر من الحذف والنقصان .. والذي يجوز له من الزيادات أنا ذاكر منه أيضاً ما وسعته قدرتي ان شاء الله تعالى فمن ذلك صرف مالا ينصرف وأجراء المعتل مجرى الصحيح فيعرب في حال الرفع والخفض تقول هذا القاضي ومررت بالقاضي وزيد يقضي ويغزو ولا يجوز في المنثور من الكلام وعلى هذا قول قيس بن زهير

ألم يأتيكَ والأنباءُ تنمي بما لاقتْ لبونُ بني زيادِ

كأنه يقول في الرفع يأتيك بضم الياء فلما جزمها أسكنها .. ومنهم من يبدل من الياء همزة وهو القليل فيقول القاضئ والغازئ وأنشدوا

يادارَ سلمى بدكاديكِ البرقْ سقياً وان هيجتِ شوقَ المشتئق

همز الياء وليس أصلها الهمزة .. وله اظهار التضعيف كقوله

يشكو الوجي من أظللٍ وأظللِ

وانما هو -الاظل- وهو باطن خف البعير.. وتثقيل المخفف فى وصل الكلام على نية من يقف على التثقيل وأنشدوا

يبازلٍ وجناء أو عيهلّ كأنَّ مهواها على الكلكلّ

موقع كفيْ راهبٍ يصليّ

فثقل- العيهل- وهي السريعة -والكلكل- فى صلة الشعر وهما مخففتان.. وله ادخال النون الخفيفة أو الثقيلة في الواجب وانما تدخل فيما ليس بواجب نحو الأمر والنهى والاستفهام ..قال القطامى

وهمُ الرجالُ وكلُّ ذلك منهمُ يجدنَّ فى رحبٍ وفى متضيقِ

وأنشدوا لآخر وهو جذيمة الابرش

ربما أوفيتُ فى علَمٍ ترفعنْ ثوبي شمالات

وله ادخال الفاء فى جواب الواجب والنصب بها على اضمار ان .. قال طرفة

لنا هضبةٌ لا ينزلُ الذلُّ وسطها ويأوى اليها المستجيرُ فيعصما

فنصب بالفاء على الجواب .. وقال آخر

سأتركُ منزلي لبنى تميمٍ والحقُ بالحجازِ فاستريحا

وقطع الف الوصل لأنه زيادة حركة.. والجزم بحرف وحرفين وأكثر من ذلك وقد مضى فيما تقدم من هذا الكتاب .. وزيادة حرف في المجموع نحو قول الشاعر

تنفى يداها الحصا فى كلّ هاجرةٍ نفيَ الدراهيمِ تنقادَ الصياريف

فزاد ياء فى الدراهم وياء فى الصيارف ان لم تكن الرواية تختلف على أن الدراهم لا يضطر فيها الى زيادة الياء اذ كان الوزن يقوم دونها وان قيل في بعض اللغات درهام

وله على مذاهب الكوفيين خاصة مد المقصور وقد الزم ابن ولاد البصريين مده على مذهب سيبويه فى امتناع الحركة .. ويجوز له التقديم والتأخير كما قال المجير السلولى

وما ذاكَ ان كانَ ابن عمي ولا أخي   ولكنْ متي ما أملكِ الضرَّ انفعُ

بالرفع أراد ولكن أنفع متى ما أملك الضر ولا أدرى ما الفرق بين هذا وبين -إن يصرع أخوك تصرع- حيث فرقوا بينهما غير انا نسلم لهم كما سلم من هو أثقب منا حسا واذ كي خاطرا .. وقال عمرو بن قمئة

لما رأت ساتيذما أستعبرتْ   لله درُّ اليوم من لامها

وهذه أشياء من القرآن وقعت فيه بلاغةً واحكاماً لا تصرفاً وضرورة واذا وقع مثلها فى الشعر لم ينسب الى قائله عجز ولا تقصير كما يظن من لا علم له ولا تفتيش عنده .. من ذلك ان يذكر شيئين ثم يخبر عن أحدهما دون صاحبه اتساعا كما قال الله عز وجل ﴿واذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها﴾ .. أو يجعل الفعل لأحدهما ويشرك الآخر معه أو يذكر شيئاً فيقرن به ما يقاربه ويناسبه ولم يذكره كقوله تعالى في أول سورة الرحمن ﴿ فباى آلاء ربكما تكذبان ﴾ وقد ذكر الانسان قبل هذه الآية دون الجان وذكر الجان بعدها .. وقال المثقب العبدى

فما أدرى اذا يممتُ أرضاً   أريدُ الخيرَ أيهما يلينى

أألخيرُ الذى انا أبتغيهِ   أم الشرُّ الذى هوَ يبتغينى

فقال أيهما قبل ان يذكر الشر لأن كلامه يقتضي ذلك .. وان يحذف جواب القسم وغيره نحو قوله عز وجل ﴿ ق والقرآنِ المجيدِ بلْ عجبوا أن جاءهمْ منذرٌ منهم ﴾ وقوله ﴿ والنازعاتِ غرقاً ﴾ الى قوله ﴿ يوم ترجفُ الراجفةُ ﴾ فلم يأت بجواب لدلالة الكلام عليه وقال جل وعز ﴿ ولولاَ فضلُ الله عليكم ورحمتهُ وأن الله رؤفٌ رحيمٌ ﴾ أراد لعذبكم أو نحوه .. ومن هذا قول امرئ القيس

ولو أنها نفسٌ تموتُ جميعةً   ولكنها نفسٌ تساقطُ أنفسا

وقد تقدم ذكره .. ومن ذلك اضمار مالم يذكر كقوله جل اسمه ﴿حتي توارت بالحجابِ﴾

يعنى الشمس وقوله ﴿ فأثرن به نقعاً ﴾ ولم يجر للوادى ذكر . . وقال حاتم طيء

اماوى ما يغنى الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

يعنى النفس . . وأنشد ابن قتيبة عن الفراء

اذا نهي السفيهُ جرى اليهِ وخالف فالسفيهُ الي خلافِ

يعنى جرى الى السفه . . وحذف لا من الكلام وأنت تريدها كقوله تعالى ﴿ كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم ﴾ . . وزيادة لا فى الكلام كقوله سبحانه ﴿ ومايشعركم أنها اذاجاءت لايؤمنون ﴾ فزاد لا لأنهم لايؤمنون هذا قول ابن قتيبة وقال جل اسمهُ ﴿ ما منعك أن لا تسجد ﴾ أى ما منعك ان تسجد قال وانما تزاد لا في الكلام لاباء أو جحد وقال ﴿ لئلاَّ يعلمُ أهلُ الكتابِ أن لا يقدرون على شيء من فضلِ الله ﴾ أي ليعلم . . وقال أبو النجم فما الوم النجم أن لا تسهرا

يريد ان تسهرا وحذف المنادى كقوله تعالى ﴿ ألاَّ يسجدوا لله ﴾ كأنه قال الا يا هؤلاء اسجدوا لله . . وقال ذو الرمة فى مثل ذلك

الا ياسلمي يا دار مي على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطرُ

وان يخاطب الواحد بخطاب الاثنين والجماعة أو يخبر عنه كقوله تعالى ﴿ إنَّ الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴾ وانما كان رجلاً واحداً وقوله ﴿ ألقيا فى جهنم ﴾ وانما يخاطب مالك خازن النار وقيل بل أراد ألق ألق فثنى الفعل وقوله ﴿ فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ فخاطب الاثنين بخطاب الواحد وقوله ﴿ فقد صغت قلوبكما ﴾ وقوله ﴿ والقى الالواح ﴾ وهما لوحان فيما زعم المفسرون حكاه ابن قتيبة وان يصف الجماعة بصفة الواحد كقوله ﴿ وان كنتم جنبا ﴾ . . ومن غرائب هذا الباب ان يأتى المفعول بلفظ الفاعل كقوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله أي لا معصوم وكذلك قوله من ماء دافق أي مدفوق وقوله ﴿ فى عيشة راضية ﴾ أى مرضى بها وقوله ﴿ وجعلنا آية النهارِ مبصرة ﴾ أى مبصر فيها وأن يأتي الفاعل بلفظ المفعول به كقوله تعالى ﴿ إنه كان وعدهُ مأتيا ﴾ أى آتيا . . وقد جاء الخصوص فى معنى العموم فى قوله تعالى ﴿ يا أيها النبيُّ اذا طلقتم النساء ﴾ وجاء العموم بمعنى الخصوص في قوله ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيباتِ واعملوا صالحاً ﴾ . . ومن الحمل

على المعنى قوله تعالى ﴿ وكذلك زَيَّنَ لكثيرٍ من المشركين قتلَ أولادهم شركاؤُهم ﴾ كأنه قيل من زينه فقيل شركاؤُهم ٠٠ والحمل على المعنى فى الشعر كثير ومن أنواعه التذكير والتأنيث ولا يجوز أن تؤنث مذكراً على الحقيقة من الحيوان ولا أن تذكر مؤنثاً ٠٠ قال ابن أبي ربيعة المخزومى

فكان مِجَنِّيْ دونَ من كنتُ اتقي ثلاث شخوصٍ كاعبانِ ومعصرُ

فأنث الشخوص على المعنى ٠٠ وكل جمع مكسر جائز تأنيثه وان كان واحده مذكراً حقيقياً ٠٠ ومما أنث من المذكر حملا على اللفظ قول الشاعر أنشده الكسائي

أبوكَ خليفةٌ ولدتهُ أخرى وأنتَ خليفةٌ ذاكَ الكمالُ

ومثل هذا فى الشعر كثير موجود

باب السرقات وما شاكلها

وهذا باب متسع جداً لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه وفيه أشياء غامضة الا عن البصير الحاذق بالصناعة وأخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل وقد أتى الحاتمي في حلية المحاضرة بالقاب محدثة تدبرتها ليس لها محصول اذا حققت كالاصطراف والاجتلاب والانتحال والاهتدام والاغارة والمرافدة والاستلحاق وكلها قريب من قريب قد استعمل بعضها فى مكان بعض غير أنى ذاكرها على ما خيلت فيما بعد ٠٠ وقال الجرجانى وهو أصح مذهباً وأكثر تحققاً من كثير ممن نظر فى هذا الشأن ولست تعد من جهابذة الكلام ولا من نقاد الشعر حتى تميز بين أصنافه وأقسامه وتحيط علماً برتبه ومنازله فتفصل بين السرق والغصب وبين الاغارة والاختلاس وتعرف الالمام من الملاحظة وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه والمبتذل الذى ليس واحد أحق به من الآخر وبين المختص الذى حازه المبتدى فملكه واجتباه السابق فاقتطعه قال عبد الكريم قالوا السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه وأبعد في أخذه على أن

من الناس من بعد ذهنه الا عن مثل بيت امرئ القيس وطرفة حين لم يختلفا الا فى القافية فقال أحدهما وتحمل وقال الآخر وتجلد ومنهم من يحتاج الى دليل من اللفظ مع المعنى ويكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر وهم قليل ٠٠ والسرق أيضاً انما هو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر لا فى المعانى المشتركة التي هى جارية فى عاداتهم ومستعملة فى أمثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع الظنة فيه عن الذى يورده أن يقال إنه أخذه من غيره قال واتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز وتركه كل معنى سبق اليه جهل ولكن المختار له عندى أوسط الحالات ٠٠ وقال بعض الحذاق من المتأخرين من أخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقاً فان غير بعض اللفظ كان سالخاً فان غير بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه ٠٠ وأما ابن وكيع فقد قدم فى صدر كتابه على أبى الطيب مقدمة لا يصح لاحد معها شعر الا الصدر الأول ان سلم ذلك لهم وسماه كتاب المنصف مثل ما سمي اللديغ سليما وما أبعد الانصاف منه ٠٠ والاصطراف أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه الى نفسه فان صرفه اليه على جهة المثل فهو اختلاب واستلحاق وان ادعاه جملة فهو انتحال ولا يقال منتحل الا لمن ادعي شعراً لغيره وهو يقول الشعر وأما ان كان لا يقول الشعر فهو مدع غير منتحل وان كان الشعر لشاعر أخذ منه غلبة فتلك الاغارة والغصب وبينهما فرق أذكره فى موضعه ان شاء الله تعالى فان أخذه هبة فتلك المرافدة ويقال الاسترفاد فان كانت السرقة فيما دون البيت فذلك هو الاهتدام ويسمي أيضا النسخ فان تساوى المعنيان دون اللفظ وخفي الاخذ فذلك النظر والملاحظة وكذلك ان تضادا ودل أحدهما على الآخر ومنهم من يجعل هذا هو الالمام فان حول المعني من نسيب الى مديح فذلك الاختلاس ويسمى أيضا نقل المعنى فان أخذ بنية الكلام فقط فتلك الموازنة فان جعل مكان كل لفظة ضدها فذلك هو العكس فان صح أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر وكانا فى عصر واحد فتلك المواردة وان ألف البيت من أبيات قد ركب بعضها من بعض فذلك هو الالتقاط والتلفيق وبعضهم يسميه الاجتذاب والتركيب ومن هذا الباب كشف المعنى والمجدود من الشعر وسوء الاتباع وتقصير الاخذ عن المأخوذ منه وسأورد عليك ما رويته أو تأدى الى فهمه لكل واحد من هذه الالقاب مثالاً يعرفه العالم ويقتدى به المتعلم ان شاء الله تعالى ٠٠ وأما الاصطراف فيقع

من الشعر على نوعين أحدهما الاختلاب وهو الاستلحاق أيضاً كما قدمت والآخر الانتحال.. فأما الاختلاب فنحو قول النابغة الذبياني

وصهباء لا تخفي القذى وهو دونها   تصفق في راووقها حين تقطب
تمززتها والديك يدعو صباحه   اذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

فاستلحق البيت الأخير فقال

وإجانة ريا السرور كأنها   اذا غمست فيها الزجاجة كوكب
تمززتها والديك يدعو صباحه   اذا مابنو نعش دنوا فتصوبوا

وربما اختلب الشاعر البيتين على الشريطة التي قدمت فلا يكون في ذلك بأس كما قال عمرو ذو الطوق

صددت الكأس عنا أم عمرو   وكان الكأس مجراه اليمينا
وما شر الثلاثة أم عمرو   بصاحبك الذي لا تصبحينا

فاستلحقهما عمرو بن كلثوم فهما في قصيدته وكان عمرو بن العلاء وغيره لا يرون ذلك عيباً وقد يصنع المحدثون مثل هذا .. قال زياد الأعجم

أشم اذا ما جئت للعرف طالباً   حباك بما تحوى عليه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير نفسه   لجاد بها فليتق الله سائله

ويروي هذا لأخت يزيد بن الطثرية واستلحق البيت الأخير أبو تمام فهو في شعره وأما قول جرير للفرزدق وكان يرميه بانتحال شعر أخيه الأخطل بن غالب

ستعلم من يكون أبوه قيناً   ومن كانت قصائده اجتلاباً

فانما وضع الاجتلاب موضع السرق والانتحال لضرورة القافية هكذا ذكر العلماء من هؤلاء المحدثين وأما الجمحي فقال من السرقات ما يأتي على سبيل المثل ليس اجتلابا مثل قول أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي

تلك المكارم لاقعبان من لبن   شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ثم قاله بعينه النابغة الجعدي لما أتى موضعه فبنو عامر تروية للجعدي والرواة مجمعون أنه

لأبي الصلت فقد ذهب الجمحى فى الاجتلاب مذهب جرير أنه انتحال ولم أر محدثا غيره يقول هذا القول والانتحال عندهم قول جرير

ان الذينَ غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينكَ لا يزالُ معينا
غيضنَ من عبراتهن وقلنَ لى ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا

فان الرواة مجمعون على ان البيتين للمعلوط السعدى انتحلهما جرير وانتحل أيضاً قول طفيل الغنوي

ولما التقى الجبان ألقيت العصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

ولذلك قال الفرزدق

ان تذكروا كرمى بلؤم أبيكمُ وأوابدي تتنحلوا الاشعارَا

وكانا يتقارضان الهجاء ويعكس كل واحد منهما المعنى على صاحبه وليس ذلك عيباً فى المناقضات ولما قال الفرزدق فى بني ربيع

تمنت ربيع أن يجئ صغارُها بخير وقد أعيى ربيعاً كبارَها

أخذه البعيث بعينه فى بني كليب رهط جرير فقال الفرزدق

اذا ما قلتُ قافيةً شروداً تنحلها ابنُ حمراء العجان

يعنى البعيث وكان ابن سرية واما قول البحترى

رمتنى غواةُ الشعرِ من بين مفحمٍ ومنتحلٍ ما لم يقلهُ ومدعي

فيشهد لك بما قدمت ذكره لأنه قسمهم ثلاثة أقسام مفحم قد عجز عن الكلام فضلا عن التحلى بالشعر غير أنه يذم الشعراء والآخر منتحل لأجودَ من شعره الثالث مدع جملة لايحسن شيئاً .. والاغارة أن يصنع الشاعر بيتاً ويخترع معنى مليحاً فيتناوله من هو أعظم منه ذكراً وأبعد صوتا فيروي له دون قائله كما فعل الفرزدق بجميل وقد سمعه ينشد

ترى الناسَ ما سرنا يسيرونَ خلفنا وأن نحن أومأنا الى الناسِ وقفوا

فقال متي كان الملك فى بنى عذرة انما هو في مضر وأنا شاعرها فغلب الفرزدق على البيت

ولم يتركه جميل ولا أسقطه من شعره ٠٠وقد زعم بعض الرواة أنه قال له تجاف لي عنه فتجافى جميل عنه والاول أصح فما كان هكذا فهو إغارة وقوم يرون ان الاغارة أخذ اللفظ باسره والمعنى بأسره والسرق أخذ بعض اللفظ أو بعض المعنى كان ذلك لمعاصر أوقديم ٠٠وأما الغصب فمثل صنيعه بالشمردل اليربوعي وقد أنشد في محفل

فما بينَ من لم يعطِ سمعاً وطاعةً ... وبين تميمٍ غيرُ حزّ الحلاقمِ

فقال الفرزدق والله لتدعنه او لتدعن عرضك فقال خذه لا بارك الله لك فيه وقال ذو الرمة بحضرته لقد قلت أبياتا ان لها لعروضا وان لها لمرادا ومعنى بعيدا قال وما قلت فقال قلت

أحينَ أعاذت بى تميمٌ نساءَها ... وجردتُ تجريدَ اليماني من الغمدِ

ومدتْ بضبعيَّ الرباب ومالكٌ ... وعمروٌ وسالت من ورائي بنوسعدِ

ومن آلِ يربوع زُهاءٌ كأنهُ ... دجى الليلِ محمود النكايةِ والرفدِ

فقال له الفرزدق اياك واياها لا تعودن اليها وأنا أحق بها منك قل والله لا أعود فيها ولا أنشدها أبداً الا لك٠٠وسمعت بعض المشايخ يقول الاصطراف في شعر الأموات كالاغارة على شعر الأحياء انما هو أن يرى الشاعر نفسه أولى بذلك الكلام من قائله وأما المرافدة فأن يعين الشاعر صاحبه بالابيات يهبها له كما قال جرير لذي الرمة انشدني ما قلت لهشام المرى فانشده قصيدته

نبت عيناك عن طلل بحزوى ... محتهُ الريح وامتنح القطارا

فقال ألا أعينك قال بلى بابى وأمي قال قل له

يعدُّ الناسبونَ الى تميمٍ ... بيوتَ المجدِ اربعةً كبارا

يعدون الربابَ وآلَ سعدٍ ... وعمراً ثم حنظلةَ الخيارَا

ويهلك بينها المريُّ لغواً ... كما الغيتَ فى الديةِ الحوارَا

فلقيه الفرزدق فاستنشده فلما بلغ هذه قال جيد أعده فأعاد فقال كلا والله لقد علكهن من هو أشد لحيين منك هذا شعر ابن المراغة٠٠واسترفد هشام المرى جريرا على ذي

الرمة فقال فى أبيات

يماشي عدياً لؤمها ما تجنه　　من الناس ماماشت عدياً ظلالها

فقل لعدي تستعن بنسائها　　علي فقد أعيي عدياً رجالها

اذا الرم قد قلدت قومك رمة　　بطيئاً بأيدي العاقدين انحلالها

ويروى -بايدى المطلقين- فقال ذو الرمة لما سمعها ياويلتا هذا والله شعر حنظلي وغلب هشام على ذى الرمة بعد ان كان ذو الرمة مستعلياً عليه وقد استرفد نابغة بنى ذبيان زهيراً فأمر ابنه كعبا فرفده والشاعر يستوهب البيت والبيتين والثلاثة وأكثر من ذلك اذا كانت شبيهة بطريقته ولا يعد ذلك عيبا لأنه يقدر على عمل مثلها ولا يجوز ذلك الا للحاذق المبرز.. والاهتدام نحو قول النجاشى

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة　　ورجل رمت فيها يد الحدثان

فاخذ كثير القسم الاول واهتدم باقى البيت فجاء بالمعنى فى غير اللفظ فقال -ورجل رمى فيها الزمان فشلت- وأما النظر والملاحظة فمثل قول مهلهل

أنبضوا معجس القسي وأبرقـ　　ـنا كما توعد الفحول الفحولا

نظر اليه زهير بقوله

يطعنهم ما ارتموا حتى اذا اطعنوا　　ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا

أوبو ذؤيب بقوله

ضروب لهامات الرجال بسيفه　　اذا حن نبع بينهم وشريج

والالمام ضرب من النظر وهو مثل قول أبى الشيص

* أجد الملامة فى هواك لذيذة *

وقول أبى الطيب　　* أأحبه وأحب فيه ملامة *

البيت وقد تقدم ذكرهما فى التغاير.. وأما الاختلاس فهو قول أبى نواس

ملك تصور فى القلوب مثاله　　فكأنه لم يخل منه مكان

اختلسه من قول كثير

أريدُ لأنسى ذكرها فكأنما　　تمثلُ لي ليلى بكلِّ سبيلِ

وقول عبد الله بن مصعب

كأنكَ كنتَ محتكماً عليهم　　تخيرُ في الأبوةِ ما تشاء

ويروى - كأنكَ جئتَ محتكما عليهم - اختلسه من قول أبي نواس

خليتْ والحسن تأخذه　　تنتـقي منـه وتنتخبُ

فاكتسبتْ منه طرائفه　　ثم زادت فضل ماتهبُ

أردت البيت الأول ومن هذا النوع قول امرئ القيس

اذا ما ركبنا قال ولدانُ حيّنا　　تعالوا الى أن يأتنا الصيدُ نحطب

نقله ابن مقبل الى القدح فقال

اذا امتحنته من معدٍّ عصابةٌ　　عدارية(1) قبل الافاضةِ يقدح

نقله ابن المعتز الى البازى فقال

قد وثقَ القومُ له بمـا طلب　　فهو اذا عرى لصيدٍ واضطرب

* عروا سكاكينهم من القرب *

نقلته أنا الى قوس البندق فقلت

طيرٌ أبابيلُ جاءتنا فما برحتْ　　الاَّ وأقواسُنا الطيرُ الأبابيلُ

ترميهمُ بحصي طينٍ مسوَّمـةٍ　　كأنَّ معدنهـا للرمي سجيلُ

تعدُو على ثقـة منـا بأطيبها　　فالنارُ تقدحُ والطنجيرُ مغسول

والموازنة مثل قول كثير

تقولُ مرضـنا فمـا عدتنا　　وكيفَ يعودُ مريضٌ مريضا

وازن في القسم الآخر قول نابغة بنى تغلب

(1) ن غدارية

بخلنا لبخلكِ قد تعلمينَ وكيفَ يعيبُ بخيلٌ بخيلا

والعكس قول ابن أبي قيس ويروى لابي حفص البصري

ذهبَ الزمانُ برهطِ حسانَ الأُلى كانت مناقبهم حديثَ الغابرِ

وبقيتُ في خلف بحلٌ ضيوفهم منهم بمنزلة اللئيم الغادر

سودِ الوجوه لئيمةٍ احسابهم فطسِ الانوف من الطراز الآخر

وقد عاب ابن وكيع هذا النوع بقلة تميز منه أو غفلة عظيمة .. وأما المواردة فقد ادعاها قوم في بيت امرئ القيس وطرفة ولا أظن هذا مما يصح لان طرفة في زمان عمرو بن هند شاب حول العشرين وكان امرؤ القيس في زمان المنذر الاكبر كهلا واسمه وشعره أشهر من الشمس فكيف يكون هذا مواردة الاّ أنهم ذكروا أن طرفة لم يثبت له البيت حتى استحلف أنه لم يسمعه قط فحلف واذا صحَّ هذا كان مواردة وان لم يكونا في عصر وسئل أبو عمرو بن العلاء أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ لم يلق واحد منهما صاحبه ولم يسمع شعره قال تلك عقول رجال توافت على ألسنتها وسئل أبو الطيب عن مثل ذلك فقال الشعر جادة وربما وقع الحافر على موضع الحافر وأما الالتقاط والتلفيق فمثل قول يزيد بن الطثرية

اذا ما رآني مقبلا غضَّ طرفه كأن شعاعَ الشمسِ دوني يقابله

فأوله من قول جميل

اذا ما رأوني طالعاً من ثنية يقولون من هذا وقد عرفوني

ووسطه من قول جرير

فغضَّ الطرفَ انك من نمير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

وعجزه من قول عنترة الطائي(١)

اذا أبصرتني أعرضتَ عني كأنَّ الشمسَ من حولي تدورُ

---

(١) هو عنترة بن عكبرة الطائي وهي أمه وأبوه الاخرس بن ثعلبة فارس شاعر ذكره الآمدي في المؤتلف والمختلف اه كتبه مصححه

فاما كشف المعنى فنحو قول امرىء القيس

نمشُّ باعراف الجيادِ أكفَّنا اذا نحنُ قمنا عن شواء مصهب

وقال عبدة بن الطيب بعده

ثمة قمنا الى جردٍ مسوَّمة اعرافهن لأيدينا مناديلُ

فكشف المعنى وأبرزه .. وأما المجدود من الشعر فنحو قول عنترة العبسي

* وكما علمتِ شمائلي وتكرمي *

رزق جداً واشتهاراً على قول امرىء القيس

وشمائلي ما قد علمتِ وما نبحتْ كلابك طارقاً مثلي

ومنه أخذ عنترة والمخترع معروف له فضله متروك له من درجته غير أن المتبع اذا تناول معنى فأجاده بأن يختصره ان كان طويلا أو يبسطه ان كان كزاً أو يبينه ان كان غامضاً أو يختار له حسن الكلام ان كان سفساقاً أو رشيق الوزن ان كان جافياً فهو أولى به من مبتدعه وكذلك ان قلبه أوصرفه عن وجهه الى وجه آخر فأما ان ساوى المبتدع فله فضيلة حسن الاقتداء لا غيرها فان قصر كان ذلك دليلا على سوء طبعه وسقوط همته وضعف قدرته فمما أجاد فيه المتبع على المبتدع قول الشماخ

اذا بلغتنى وحملتِ رحلي عرابةَ فاشرقي بدم الوتين

فقال أبو نواس

أقولُ لناقتي اذْ بلغتنى لقد أصبحتِ منى باليمين
فلم أجعلك للغربان نحلا ولاقلتُ اشرقي بدم الوتين

وكرره فقال

واذا المطيُّ بنا بلغنَ محمداً فظهورهن على الرجالِ حرام
قرَّبننا من خير من وطىءَ الحصى فلها علينا حرمةٌ وذمام

ومما يتساوى فيه السارق والمسروق منه قول امرىء القيس - فلو أنها نفسٌ - البيت

وقول عبدة بن الطيب - فما كان قيس - البيت . . وسوء الاتباع أن يعمل الشاعر معنى رديا ولفظا رديا مستهجنا ثم يأتي من بعده فيتبعه فيه على رداءته نحو قول أبي تمام

باشرتُ أسبابَ الغنى بمدائحٍ ضربتْ بأبوابِ الملوك طبولا

فقال أبو الطيب

اذا كان بعضُ الناسِ سيفاً لدولةٍ ففى الناسِ بوقات لها وطبول

فسرق هذه اللفظة لئلا تفوته ومما قصر فيه الآخذ عن المأخوذ منه . . قول أبي دهبل الجمحي في معنى بيت الشماخ

ياناقُ سيرى واشرقى بدمٍ اذا جئت المغيره

سيثيبني أخري سوا ك وتلك لى منه بسيره

فأنت ترى أين بلغت همته . . ومما يعد سرقا وليس بسرق اشتراك اللفظ المتعارف كقول عنترة

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ عليها الأسدُ تهتصرُ اهتصارا

وقول عمرو بن معدى كرب

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيل تحية بينهم ضربٌ وجيع

وقول خنساء ترثى أخاها صخراً

وخيلٍ قد دلفتَ لها بخيل فدارت بين كبشيها رحاها

. . ومثله

وخيلٍ قد دلفت لها بخيل ترى فرسانها مثلَ الأُسود

وأمثال هذا كثير وكانوا يقضون في السرقات أن الشاعرين اذا ركبا معنى كان أولاهما به أقدمهما موتا واعلاهما سنا فان جمعهما عصر واحد كان ملحقا باولاهما بالاحسان وإن كانا في مرتبة واحدة روي لهما جميعا وانما هذا فيما سوى المختص الذى حازه قائله واقتطعه صاحبه الا ترى ان الاعشي سبق الى قوله

وفي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مجداً وفي الاصل رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا

فاخذه النابغة فقال

شعب العلافيات بين فروجهم والمحصنات عوازب الاطهار

وبيت النابغة خير من بيت الأعشى باختصاره وبما فيه من المناسبة بذكر الشعب بين الفروج وذكر النساء بعد ذلك وأخذه الناس من بعده فلم يغلبه على معناه ولا شاركه فيه بل جعل مقتدياً تابعاً وان كان مقدماً عليه في حياته وسابقاً له بمماته .. وقال أوس ابن حجر

كأن هرا جنيباً عند غرضتها والتف ديك برجليها وخنزير

فلم يقر به أحد وكذلك سائر المعاني المفردة والتشبيهات العقم تجري هذا المجرى ..وأجل السرقات نظم النثر وحل الشعر وهذه لمحة منه ..قال نادب الاسكندر حركنا الملك بسكونه فتناوله أبو العتاهية فقال

قد لعمري حكيت لي غصص المو ت وحركتني لها وسكنتا

وقال ارسطاطاليس يندبه قد كان هذا الشخص واعظاً بليغاً وما وعظ بكلامه عظة قط أبلغ من موعظته بسكوته .. وقال أبو العتاهية في ذلك

وكانت في حياتك لي عظات فأنت اليوم أوعظ منك حياً

وقال عيسى عليه السلام تعملون السيئات وترجون أن تجازوا عليها بمثل ما يجازى به أهل الحسنات أجل لا يجنى الشوك من العنب ..فقال ابن عبد القدوس

اذا وترت امرأ فاحذر عداوته من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

وأخذ الكتاب قولهم ـ قدمت قبلك ـ من قول الاقرع بن حابس ويروى لحاتم

اذا ما أتى يوم يفرق بيننا بموت فكن انت الذى تتأخر

وقولهم ـ وأتم نعمته عليك ـ من قول عدي بن الرقاع العاملي

صلى الإله على امرئ ودعته وأتم نعمته عليه وزادها

فما جرى هذا المجري لم يكن على سارقه جناح عند الحذاق وفى أقل ما جئت به منه كفاية

باب الوصف

الشعر الأقله راجع الى باب الوصف ولا سبيل الى حصره واستقصائه وهو مناسب للتشبيه مشتمل عليه وليس به لانه كثيراً مايأتى في اضعافه والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا اخبار عن حقيقة الشيء وأن ذلك مجاز وتمثيل ٠٠ وأحسن الوصف مانعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا للسامع كما قال النابغة الجعدي يصف ذئبا افترس جؤذراً

فبات يذكيه بغير حديدة أخو قنص يمسى ويصبح مفطرا
اذا ما رأى منه كراعا تحركت أصاب مكان القلب منه وفرفرا

فأنت ترى كيف قام هذا الوصف بنفسه ومثل الموصوف في قلب سامعه ٠٠ قال قدامة الوصف انما هو ذكر الشيء بمافيه من الأحوال والهيئات ولما كان أكثر وصف الشعراء انما يقع على الاشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره أكثر المعانى التي الموصوف بها مركب فيها ثم بأظهرها فيه وأولاها به حتى يحكيه ويمثله للحس بنعته ٠٠ وقال بعض المتأخرين أبلغ الوصف ماقلب السمع بصراً ٠٠ وأصل الوصف الكشف والاظهار يقال قد وصف الثوب الجسم اذا نم عليه ولم يستره ٠٠ ومنه قول ابن الرومى

اذا وصفت ما فوق مجرى وشاحها غلائلها ردت شهادتها الأزر

الا أن من الشعراء والبلغاء من اذا وصف شيئاً بالغ في وصفه وطلب الغاية القصوى التي لا يعدوها شيء ان مدحا فمدحا وان ذما فذما ٠٠ والناس يتفاضلون فى الاوصاف كما يتفاضلون في سائر الاصناف فمنهم من يجيد وصف شيء ولا يجيد وصف آخر ومنهم من يجيد الاوصاف كلها وان غلبت عليها الاجادة فى بعضها كامرىء القيس قديما وأبى نواس فى

عصره والبحترى وابن الرومي في وقتهما وابن المعتز وكشاجم فان هؤلاء كانوا متصرفين بجيدين الاوصاف وليس بالمحدث من الحاجة الى أوصاف الابل ونعوتها والقفار ومياهها وحمر الوحش والبقر والظلمات والوعول مابالاعراب وأهل البادية لرغبةالناس في الوقت عن تلك الصفات وعلمهم أن الشاعر انما يتكلفها تكلفا ليجرى على سنن الشعراء قديما وقد صنع ابن المعتز وأبو نواس قبله ومن شا كلهما فى تلك الطرائق ماهو مشهور فى أشعارهم كرائية الحسن فى الخصب وجيمية ابن المعتز المردفة فى الضرب الثانى من الكامل .. والاولى بنا فى هذا الوقت صفات الخمر والقيان وماشا كلهما وما كان مناسبا لهما كالكؤس والقناني والاباريق وتفاح التحيات وباقات الزهر الى مالا بد منه من صفات الخدود والقدود والنهود والوجود والشعور والريق والثغور والارداف والخصور ثم صفات الرياض والبرك والقصور وما شاكل المولدين فان ارتفعت البضاعة فصفات الجيوش وما يتصل بها من ذكر الخيل والسيوف والرماح والدروع والقسى والنبل الى نحو ذلك من ذكر الطبول والبنود والمنحرفات والمنجنيقات وليس يتسع بنا هذا الموضع لاستقصاء ما فى النفس من هذه الاوصاف فحينئذ أدل على مظانها دلالة مجملة وأذكر مما قل شكله وعز نظيره شواهد وأمثلة يعرف بها المتعلم كيف العمل فيها ومن حيث المسلك اليهان شاء الله تعالى .. أما نعات الخيل فامرؤ القيس وأبو دؤاد وطفيل الغنوى والنابغة الجعدى وأما نعات الابل فطرفة في معلقته من أفضلهم وأوس بن حجر وكعب بن زهير والشماخ وأكثر القدماء يجيد وصفها لانها مراكبهم ألا ترى رؤبة لما غلط فى وصف الفرس كيف قال أدنى من ذنب البعير وكان عبيد بن حصين الراعى النميرى أوصف الناس للابل ولذلك سمي راعيا وأما الحمر الوحشية والقسي فأوصف الناس لها الشماخ شهد له بذلك الحطيئة والفرزدق وهذان يجيدان صفات الخيل والقسي أيضا والنبل وأما الخمر فمن أوصاف الاعشى والاخطل وأبى نواس وابن المعتز ولأبي نواس أيضا وابن المعتز الصيد والطرد فما شئت من هذه الاوصاف فالتمسها حيث ذكرت ومن الأوصاف القليلة المثل .. قول رؤبة يصف الفيل

أجردُ الخصرِ طويل النابين مشرفُ اللحى صغير الفقمين[1]

(١) نسخة أبيض كالحصن طويل النابين مشرف اللحى صغير العينين

• عليه أذنان كفضل الثوبين •

وقال آخر بصفه أنشده عبد الكريم

من يركب الفيل فهذا الفيل إن الذى يحمله محمول
على تهاويل لها تهويل كالطود الا أنه يجول
• وأذن كأنها منديل •

هكذا أنشده وبين البيتين الأخيرين أبيات كثيرة أسقطها وقد أنشدها غلام ثعلب عنه عن ابن الاعرابى .. وقال عبد الكريم فجمع ما فرقاه وزاد عليها

وأضخم هندي النجارى تعده ملوك بنى ساسان ان رابها أمر
من الورق لامن ضربه الورق ترتمى أضاخ ولامن ضربه الخمس والعشر
يجي كطود جائل فوق أربع مضبرة لمت كما لمت الصخر
له فخذان كالكثيبين ابدا وصدر كما أوفى من الهضبة الصدر
ووجه به أنف كراووق خمرة ينال به ما تدرك الأنمل العشر
واذن كنصف البرد يسمعه الندا خفيا وطرف ينفض الغيب مزور
ونابان شقا لا يريك سواهما قناتين سمراوين طعنها نثر
له لون ما بين الصباح وليله اذا نطق العصفور أو غلس الصقر

وصنعت أنا فى زرافة أتت فى الهدية من مصر الى مولانا خلد الله ملكه من قصيدة طويلة

وأتتك من كسب الملوك زرافة شتى الصفات لكونها اثناء
جمعت محاسن ماحكت فتناسبت فى خلقها وتنافت الاعضاء
تحتثها بين الخوافق مشية باد عليها الكبر والخيلاء
وتمد جيداً فى الهواء يزينها فكأنه تحت اللواء لواء
حطت مآخرها وأشرف صدرها حتى كأن وقوفها إقعاء
وكأن فهر الطيب ما رجمت به وجه الثرى لو لمت الاجزاء

وتخيرتْ دون الملابس حلة | عبتْ لصنعةِ مثلها صنعاء
لوناً كلون الزبل الا أنهُ | حلى وجزعَ بعضهُ الجلاء
او كالسحاب المكفهرةِ خيطت | فيهِ البروقُ وميضها إيماء
أو مثل ما صدئت صفائحُ جوشن | وجري على حافاتهن جلاء
نم التجافيف التى ادرعتْ به | منْ جلدها لو كان فيه وقاء

وصنعت أنا أيضاً

ومجنونة أبداً لم تكن | مذللةَ الظهر للراكب
قداً تصل الجيدمن ظهرها | بمثل السنام بلا غارب
ملمعة مثل ما لمتْ | بحناءوشي يد الكاعب
كأن الجوارى كنفنها | تخالخ من كل جانب

وقال كشاجم يصف اصطرلابا

ومستدير كجرم البدر مسطوح | عن كل رابعة الاشكال مصفوح
صلب يدارُ على قطب يلينهُ | تمثال طرف بشكم الحذق مشبوح
مثل البنانِ وقد أوفتْ صفائحهُ | على الأقاليم فى أقطارها الفيح
كأنما السبعة الافلاك محدقةٌ | بالماء والنار والارضين والريح
تنبيك عن طالع الابراج هيئتهُ | بالشمس طوراً وطورا بالمصابيح
وان مضتْ ساعةٌ أو بعضُ ثانيةٍ | عرفتْ ذاك بعلم منهُ مشروحِ
وان تعرضَ في وقت يقدرهُ | لك التشككُ جلاهُ بتصحيح
مميزٌ فى قياسات النجوم لنا | بين المشائيم منها والمناجيح
له على الظهر عينا حكمة بهما | يحوي الضياء ويجنبه من اللوح
وفى الدوائر من أشكاله حكمٌ | تلقح الفهم منا أىّ تلقيح
لا يستقلُّ لما فيها بمعرفةٍ | الا الحصيف اللطيف الحسّ والروح

حتى تري الغيب عنهُ وهو منغلق الا أبواب عمن سواه جد مفتوح
نتيجة الدهر والتفكير صوره ذوو العقول الصحيحات المراجيح

وقال أيضاً يصف تخت حساب الهندسة

وقلم مداده تراب في صحف سطورها حساب
يكثر فيه المحو والاضراب من غير أن يسوّد الكتاب
حتى يبين الحق والصواب وليس إعجام ولا إعراب
فيه ولا شك ولا ارتياب

وقال يستهدي بركارا

جدلى ببركارك الذى صنعت فيه يداقينة اعاجيبا
ملأم الشفرتين معتدل ماشين من جانب ولا عيبا
شخصان فى شكل واحدٍ قدرًا وركبا فى العقول تركيبا
أشبه شيئين في اشتباههما بصاحب لا يمل مصحوبا
أوثق مسماره وغيب عن نواظر الناقدين تغييبا
فمين من يجتليه نحسبه فى قالب الاعتدال مصبوبا
وضم شطريه محكم لهما ضم محب اليه محبوبا
يزداد حرصا عليه مبصره مازاده بالبنان تقليبا
فقوله كل ما تأمله طوبى لمن كان ذاله طوبي
ذو مقلة بصرته مذهبة لم يأله زينة وتذهيبا
ينظر منه الى الصواب به فلا يزال الصواب مطلوبا
لولاه ما صح شكل دائرة ولا وجدنا الحساب محسوبا
الحق فيه فان عدلت الى سواه كان الحساب تقريبا
لوعين اقليدس به بصرت خرّ له بالسجود مكبوبا

فابعثه واجنبه لى بمسطرة   تلق الهوى بالثناء مجنوبا
لا زلت تجدى وتجتدي حكما   مستوهبا للصديق موهوبا

وقال فى صفة البنكام

روح من الماء فى جسم من الصفر   مؤتلف بلطيف الحس والنظر
مستعبر لم يغب عن الفه سكن   ولم يبت قط من طعن على حذر
له على الظهر أجفان محجرة   ومقلة دمعها يجري على قدر
تنشا له حركات فى أسافله   كأنها حركات الماء في الشجر
وفى أعاليه حسبان يفصله   للناظرين بلا ذهن ولا فكر
اذا بكي دار فى أحشائه فلك   خافى المسير وان لم يبك لم يدر
مترجم عن مواقيت تخبرنا   عنها فيوجد فيها صادق الخبر
تقضى به الخمس في وقت الوجوب وان   غطى على الشمس ستر الغيم والمطر
وان سهرت لاسباب تؤرقنى   عرفت مقدار ما ألقى من السهر
محرر كل ميقات تخيره   ذوو التخير للاسفار والحضر
ومخرج لك بالاجراء ألطفها   من النهار وقوس الليل والسحر
نتيجة العلم والافكار صوره   ياحبذا بدع الافكار في الصور

وقال يصف زرمانج آبنوس

نعم المعين على الآداب والحكم   صحائف حلك الألوان كالظلم
لا تستمد مداداً غير صبغتها   فسر ذى اللب منها غير مكتتم
خفت وجفت فلم تدنس لحاملها   ثوبا ولم يخش منها نبوة القلم
وأمكن المحو فيها الكف فاتسعت   لما تضمن من نثر ومنتظم
حليتها بلجين وانتخبت لها   وقاية من ذكي العود لا الأدم
فالكم يعبق منها حين تودعه   عرفاً تنسم منها أطيب النسم

لو كن الواح موسى حين يغضبه هارون لم يلقها خوفا من الندم

وله من قصيدة ذكر فيها طاوساً مات له

رزئته روضة بروق ولم يسمع بروض يمشي على قدم
جثل الذنابى كأن سندسة زرت عليه موشية العلم
متوجاً خلقة حباه بها ذو الفطر المعجزات والحكم
كأنه يزدجرد منتصباً يبني فيعلى مآثر العجم
يطبق أجفانه ويحسر عن فصين يستصبحان فى الظلم
ادل بالحسن فاستذال له ذيلا من الكبر غير محتشم
ثم مشي مشية العروس فمن مستظرف معجب ومبتسم

فهذا طرف مما شرطته كاف يرى به المتعلم نهج هذه الطريقة ان شاء الله تعالى

باب الشطور وبقية الزحاف

القول فى الشطور على أحد وجهين اما أن يراد بالشطر نصف البيت واما أن يراد به القصد وذلك انهم اذا ذكروا الشطور فربما أنشدوا أبياتاً كاملة وليست أقسمة فيكون هذا من قوله تعالى ﴿ فولِّ وجهكَ شطرَ المسجدِ الحرام ﴾ وكذلك القسيم أيضا يجوز أن يكون نصف البيت ويجوز أن يكون بمعنى الحظ من الوزن لان الحظ يقال له قسيم وقسم .. قال جرير

أتاركةٌ أكلَ الخزير مجاشع وقد خسَّ الا فى الخزيرِ قسيمها

يريد حظها .. وقالت ابنة [1] المنذر بن ماء السماء

بعين أباغَ قاسمنا المنايا فكان قسيمها خيرَ القسيم

(١) نسخة ابن المنذر

وهذا حين أبدأ بذكر الشطور على مذهب الجوهرى لقلة حشوه ﴿ الطويل ﴾ مثمن قديم مسدس محدث أجزاؤه فعولن مفاعيلن ثمانى مرات وزحافه القبض الثلم الثرم الكف الحذف ومسدسه ان يحذف منه مفاعيلن الآخرة من كل قسيم ﴿ المديد ﴾ مثمن محدث مسدس قديم مربع قديم أجزاؤه فاعلاتن فاعلن ثماني مرات وعلى ذلك أتي محدثه وبيت مربعه السالم

بؤس للحرب التى غادرت قومي سدا

قال وهذا شعر قديم الا أن الخليل لم يذكره زحافه الخبن الكف الشكل القصر الحذف الصلم ﴿ البسيط ﴾ مثمن قديم مسدس قديم مربع محدث أجزاؤه مستفعلن فاعلن ثمانى مرات ومسدسه مستفعلن فاعلن مستفعلن مكررة قال وله مسدس آخر يسميه الخليل السريع وقد نقص منه فاعلن الأول والثالثة وبيته المربع المحدث

دارٌ عفاها القِدمْ بين البلى والعدمْ

زحافه الخبن الطى الخبل القطع الازالة التخليع ومعنى التخليع قطع مستفعلن في العروض والضرب جميعاً ﴿ الوافر ﴾ مسدس قديم مربع قديم أجزاؤه مفاعلتن ست مرات ولم يجيْ عن العرب فى مسدسه بيت صحيح زحافه العصب القطف النقص العقل العضب القصم العقص الجم ﴿ الكامل ﴾ مسدس قديم مربع قديم أجزاؤه متفاعلن ست مرات زحافه الاضمار الوقص الخزل القطع الحذذ الترفيل الاذالة ﴿ الهزج ﴾ مسدس محدث مربع قديم أجزاؤه مفاعيلن أربع مرات بيته المسدس المحدث

ألا هلْ هاجكَ الاظعانُ اذ بانوا واذ صاحتْ بشطِّ البينِ غربانُ

زحافه الخزم الكف القبض الخرب الشتر الحذف ﴿ الرجز ﴾ مسدس مربع مثلث مثنى كله قديم موحد محدث أجزاؤه مستفعلن ست مرات زحافه الخبن الطي الخبل القطع الفرق الوقف ومعنى قوله الفرق أن يفرق الوتد المجموع فى حشو مسدسه فيعود مستفعلن مستفعنل بتقديم النون فيكون وزنه مفعولات .. قال وهو الذي يسميه الخليل المنسرح ولم يجيْ ضربه الا مطوياً وفي صدر مربعه قال وهو الذى يسميه الخليل المقتضب وفي ضرب مثناه ومثلثه الا أنه ساكن اللام لان آخر البيت لايكون الا

متحركاً وذلك هو الوقف ﴿ الرمل ﴾ مسدس قديم مربع قديم أجزاؤه فاعلاتن ست مرات زحافه الخبن الكف الشكل الحذف القصر الاسباغ ﴿ الخفيف ﴾ مسدس قديم مربع قديم أجزاؤه فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مكرر ومربعه فاعلاتن مستفعلن ومثله قال وقد ركب منه مربع آخر وهوالذي يسميه الخليل مجتثاً وقد نقص منه فاعلاتن الأولى والرابعة زحافه الخبن الكف الشكل الحذف القطع التشميث الاسباغ الطي ﴿ المضارع ﴾ مربع قديم لاغير أجزاؤه مفاعلن فاعلاتن مكرر ولم يجيء عن العرب فيه بيت صحيح زحافه القبض الكف الخزب الشتر الخبن ﴿ المتقارب ﴾ مثمن قديم مسدس مربع محدث أجزاؤه فعولن ثماني مرات زحافه القبض الثلم الثرم القصر الحذف البتر و بيت مربعه المحدث

وقفنا هنيَّهْ باطلالِ ميَّهْ

﴿ المتدارك ﴾ مثمن قديم مسدس محدث أجزاؤه فاعلن ثمانى مرات و بيته السالم من مثمنه

لم يدعْ من مضي للذى قد غبرْ فضلَ علم سوى أخذه بالأثر

وشعر عمرو الجنى مخبون زحافه الخبن القطع الاذالة الترفيل ٠٠وهذا شرح الالقاب عن أبي زهرة النحوى وغيره كل ما حذف ثانيه الساكن فهو مخبون وكل ماحذف رابعه الساكن منه فهو مطوي وما حذف خامسه الساكن فهو مقبوض وما حذف سابعه الساكن فهو مكفوف وما حذف ثانيه ورابعه الساكنان فهو مخبول وما حذف ثانيه وسابعه الساكنان فهو مشكول وما حذف ثانيه المتحرك فهو موقوص وما حذف خامسه المتحرك فهو معقول وما حذف سابعه المتحرك فهو مكشوف عند الخليل ولم يعتد به الجوهرى وما حذف رابعه الساكن وأسكن ثانيه المتحرك فهو مخزول وما أسكن ثانيه المتحرك فهو مضمر وما أسكن خامسه المتحرك فهو معصوب وما أسكن سابعه المتحرك فهو موقوف وما حذف ساكن سببه وأسكن متحركه فهو مقصور وان كان هذا العمل فى وتد فهو مقطوع وكل سبب زيد عليه حرف ساكن ليس من الجزء الذى هو فيه فهومسبغ وان كان ذلك فى وتد فهو مزيل فان زيد على الوتد حرفان فهو مرفل وكل

ماحذف منه وتد مجموع فهو أجذ فان حذف وتد مفروق فهو أصلم واذاحذف من الجزء سبب وأسكن المتحرك الذى يليه فهو مقطوف وكل وتد مجموع كان فى مبتدأ البيت فحذف أول الوتد فهو مخروم وان كان ذلك فى فعولن فهو أثلم فان كان فيه مع الخرم قبض فهو أثرم وان كان الخرم فى مفاعلتن فهو أعصب وان كان مع ذلك عصب فهو أقصم وان كان فيه مع الخرم قبض فهو أعقص وان كان فيه مع الخرم عقل فهو أجم واذا خرمت مفاعيلن فهو أخرم واذا كففته مع ذلك فهو أخرب واذا خرمته وقبضته فهو أشتر وما ذهب منه جزآن من العروض والضرب فهو مجزو وما يذهب منه شطره فهو مشطور وما ذهب ثلثاه فهو منهوك وما سلم من الزحاف وهو يجوز فيه فهو سالم وما سلم من الخرم فهو موفور وما استوفى دائرته فهو تام وما استوفى أجزاء دائرته وكان في بعض الاجزاء نقص فهو واف ٠٠ وكل جزء كان فى ضرب أو عروض فكان بمنزلة الحشو فهو صحيح وان خالف الحشو فهو معتل ومخالفة الحشو أن يدخل فيه من النقص والزيادة مالا يدخل الحشو أو يمتنع من النقص الذي يدخل الحشو والمعتل على أربعة أوجه ابتداء وفصل وغاية واعتماد وقد شرحتها فيما تقدم

بيوتات الشعر والمعرقون فيه

منها فى الجاهلية بيت أبى سلمى كان شاعراً واسمه ربيعة وابنه زهير كان شاعراً وله خؤلة فى الشعر خاله بسامة بن العذير وكان كعب وبجير ابنا زهير شاعرين وجماعة من أبنائهما ٠٠ ومن المخضرمين حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام هو وأبوه وجده وأبو جده شعراء وابنه عبدالرحمن شاعر وسعيد بن عبدالرحمن شاعر ذكر ذلك المبرد ٠٠ و بعد هذين بيت النعمان بن بشير و بنوه أبان و بشير وشبيب وابنته حميدة ومن بنى بنيه عبد الخالق بن عبد الواحد وعبد القدوس بن عبد الواحد بن النعمان وأم النعمان عمرة بنت رواحة شاعرة وخاله عبد الله بن رواحة أحد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم ٠٠ ومن

المعرقين فى الشعر عن عبد الكريم نهشل بن جرى بن ضمرة بن جابر بن قطن ستة ليس يتوالى في بنى تميم مثلهم شعراً وشرفاً وفعالا ٠٠ وعن ابن قتيبة القاسم بن أمية بن أبي الصلت وهو القائل

قوم اذا نزلَ الغريبُ بدارهم   تركوه ربُ صواهلٍ وقيانِ

وربيعة بن أمية عن غير ابن قتيبة ٠٠ ومن بيوتات الشعر فى الاسلام بيت جرير كان هو وأبوه عطية وجده الخطفى شعراء وكان بنوه وبنو بنيه شعراء ٠٠ قال أبو زياد الكلابى رأيت باليمامة نوحاً و بلالا بنى جرير وهما ينسابران ولهما جمال وهيئة وقدر عظيم وأشعر من باليمامة يومئذ حجناء بن نوح بن جرير وكان عقيل بن بلال شاعراً وعمارة ابنه شاعراً أدرك الطائى حبيباً ولقيه المبرد ٠٠ ومن المعرقين عقبة بن رؤبة بن العجاج ٠٠ ومن البيوتات بيت أبى حفصة كان مروان شاعراً وجماعة بيته شعراء يضربون بألسنتهم أنوفهم حكاه الجاحظ وكان يحيى جد مروان شاعراً يهاجي اللعين المنقرى ٠٠ وجريراً وأكثر أهل بيته شعراء رجالا ونساء ٠٠ وبنو أبى عيينة بيت شعر منهم محمد وبنوه أبو عيينة وعبد الله وداود وعباد بن داود لقبه المخرق لقوله

انا المخرقُ اعراضَ اللئام كما   كان الممزقُ اعراضَ اللئام أبى

وبيت الرقاشيين منهم عبد الصمد بن الفضل وابناه الفضل والعباس وأكثرهم شعراء ٠٠ وبيت اللاحقيين كان حمدان شاعراً وابنه وأبوه أبان شاعراً وجده عبد الحميد شاعراً ولاحق أبو عبد الحميد شاعراً واليه نسبوا وهو مولى الرقاشيين وأكثر أهل هذا البيت شعراء ٠٠ وبيت أمية الكاتب ذكرهم دعبل وهم أمية واخوته علىّ ومحمد والعباس وسعيد ومن أولاد هولاء أبو العباس بن أمية وأخواه على وعبد الله وابن عمهم محمد بن على بن أبى أمية ٠٠ وبنو رزين بيت شعر منهم عبد الله شاعر وابنه أبو الشيص شاعر واسمه محمد ومنهم على شاعر وابناه دعبل وعلى شاعران ٠٠ وبيت حميد بن عبد الحميد كان حميد شاعرا وبنوه أهرم وأبو عبد الله وأبو نصر وأبو نهشل شعراء ذكرهم دعبل ٠٠ والفرق بين المعرق وبين ذى البيت أن المعرق من تكرر الأمر فيه وفى أبيه وفى جده فصاعدا ولا يكون معرقا حتى يكون الثالث فما فوقه وعلى هذا فسر قول أبي الطيب

العـارضُ المتنُ بنُ العـارضِ المتنِ   ابنِ العارضِ المتنِ بنِ العارضِ المتن

قالوا انما أراد أنه معرق وزاد واحداً على الشرط المتعارف وانما أخذه أبو الطيب من قول محمد بن عبد الملك الزيات

ما كان يندنا ويؤمنُ سربنا   ويجيرُنا من شر كل مخيفة
الا مقامُ خليفةٍ لخليفةٍ   لخليفةٍ لخليفـة لخليفـة

يعنى الواثق بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور فصدق وحسن فى معناه ونقص المتنبي بواحد بعد سرقته .. وذو البيت من عم الأمر جميع أهل بيته أو أكثرهم فهذا فرق بينهما .. ومن الاخوة ومن لم يغرق لبيد وأخوه لامه أربد والشماخ وأخوه جزء ويزيد وهو مزرد وبنو ابن مقبل وهم عشرة اخوة تميم وفضالة وحيان ورفاعة ووبرة والمضاء وأعقد وعبد الله وخفاف وأبو الشمال وأم تميم بنة أمية بن أبي الصلت وفى أولاد اخوته المذكورين آنفاً شعر وقيس بن عمرو والنجاشي وأخوه خديج وعمرو بن أحمر وأخواه سنان وسيار وغيلان ذوالرمة واخوته أوفى ومسعود وهشام وحرقاس شعراء خمستهم ومسلم بن الوليد وأخوه سليمان الكفيف وأشجع السلمى وأخوه احمد .. وأما الشاعر ابن الشاعر فقط فيقال له الثنيان حكاه عبد الكريم عن غيره وهو كثير لوأخذنا فى ذكرهم لطالت مسافة الباب

باب حكم البسملة قبل الشعر

قال أبو جعفر النحاس اختلف العلماء فى كتب بسم الله الرحمن الرحيم أمام الشعر فكره ذلك سعيد بن المسيب والزهرى وأجازه النخعى وكذا يروى عن ابن عباس قال أكتب بسم الله الرحمن الرحيم امام الشعر وغيره قال أبوجعفر ورأيت علي بن سليمان يميل الى هذا وقال ينبغي أن يكتب أمام الشعر بسم الله الرحمن الرحيم لانه يجيء بعده قال فلان وما أشبه ذلك . قلت أنا انما هذا فى الشعر اذا دون فأما قصيدة رفعها الشاعر

الى ممدوحه فلا يكتب قبلها اسم قائلها لكن بعدها واذا كان الأمر هكذا فلا سبيل الى كتاب البسملة لان العذر حينئذ ساقط

باب أحكام القوافي في الخط

اذا صارت الواو الأصلية والياء الاصلية وصلا للقافية سقطت في الخط كما تسقط واو الوصل وياؤه مثل واو يغزو للواحد ولم يغز للجماعة اذا كانت القافية على الزاي ألا ترى انهم أسقطوها فى اللفظ فضلا عن الخط .. قال الراجز

* كريمةٌ قدرُهم اذا قدر *

يريد اذا قدروا .. قال أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن السمين وقد سألته عن هذا لا يجوز حذف هذه الواو الا فى أشد ضرورة للعرب لا للمولدين لأنها علامة جمع واضمار فحذفها يلتبس بالواحد قال وهذا مذهب سيبويه والبصريين ومثل واو يغزو وياء يقضى للغائب وتقضي للمؤنثة الغائبة والمذكر المخاطب وكذلك ياء القاضي والغازى اذا كانا معرفين بالألف واللام هذا هو الوجه فان كتب باثبات الواو والياء فعلى باب المسامحة والأجود أن تكون الواو والياء خارجاً فى الغرض وكذلك ياء الضمير نحو غلامى اذا كانت القافية الميم فالوجه سقوط الياء فان كتبت مسامحة في الغرض كما قدمت وقد أسقطها بعضهم فى اللفظ .. أنشدنى أبو عبد الله للأعشى

ومن شانئ كاسفٍ وجههُ اذا ما انتسبت له أنكرن

قال يريد أنكرنى فحذف الياء فأما ما يكون منوناً نحو قاض وغاز أو مجزوماً نحو لم يقض ولم يغز فلا يجوز أن يثبت فيهما الياء والواو على المسامحة لانهما سقطا بالتنوين والعامل .. ومن العرب من يقول هذا الغاز ومررت بالقاض بغير ياء وهذا تقوية لمذهب من حذفها فى الخط اذا كانت وصلا للقافية وان كان في قوافى قصيدة ما يكتب بالياء وما يكتب بالألف كتبا جميعاً بالالف لتستوى القوافي وتشتبه صورتها فى الخط

باب النسبة الى الروى

اذا قلت قصيدة فنسبتها الى ما على حرفين قلت هذه قصيدة يائية وحائية وكذلك أخواتها وان شئت جعلت الهمزة واواً فقلت ياوية وكان أبو جعفر الرقاشي ينسب الى ما كان على حرفين يقول هـذا يوىٌّ يتوىٌّ وكذلك أخواتهـما الاماولا فانه يقول مووىٌّ ولوَوِىٌّ على فعلىّ وتقول على هذا القول قصـيدة موويّة ولووية قال ثعلب ما كان على ثلاثة أحرف الأوسط ياء فليس فيه الاوجه واحد تقول سينت سيناً وعينت عينا اذا كتبت سينا وعينا فيقول على هذا قصيدة مسينة ومعينة وسينية وعينية وكذلك قصيدة ميمية ولا تقول مؤوّمة فانه خطأ وتقول فى الواو وهي على ثلاثة أحرف الاوسط الف بالياء لا غير لكثرة الواوات فتقول ووّيت واواً حسنة و بعضهم يجعل الواو الاولى همزة لاجتماع الواوين فيقول أوّيت واواحسنة فالقصيدة على هذا وأوية ومؤوّاه ومواة وقال بعضهم في ما ولامن بين أخواتهما موّيت ماء حسنة ولوّيت لاءً حسنة بالمد لمكان الفتحة من ما ولا

باب الانشاد وما ناسبه

ليس بين العرب اختلاف اذا أرادوا الترنم ومد الصوت فى الغناء والحداء في اتباع القافية المطلقة ومثلها من حروف المد واللين فى حال الرفع والنصب والخفض كانت مما ينون أو مما لا ينون فاذا لم يقصدوا ذلك اختلفوا فمنهم من يصنع كما يصنع فى حال الغناء والترنم ليفصل بين الشعر والكلام المنثوروهم أهل الحجاز ومنهم من ينون ماينون وما لا ينون اذا وصل الانشاد أتى بنون خفيفة مكان الوصل فجعل ذلك فصلا بين كل بيتين فينشد قول النابغة

يادار مية بالعلياء فالسند

منونا الى آخر القصيدة لا يبالى بما فيه الف ولام ولا مضاف ولا بفعل ماض ولا مستقبل

وهم ناس كثير من بني تميم ٠٠ ومنهم من يجري القوا في مجراها ولو لم تكن قوافي فيقف على المرفوع والمكسور موقوفين ويعوض المنصوب الفا على كل حال وهم ناس كثير من قيس وأسد فينشدون

لا يبعدِ الله جيراناً لنا ظعنوا　　لم أدرِ بعدَ غداةِ البينِ ماصنع

يريد ما صنعوا ٠٠ وكذلك ينشدون

ففاضت دموعُ العينِ مني صبابةً　　على النحر حتى بلَّ دمعي محمل

فاذا وصلوا جعلوه كالكلام وتركوا المدة لعلمهم أنها في أصل البناء ٠٠ قال سيبويه سمعناهم ينشدون　　أقلي اللوم عاذل والعتاب

اذا كان منونا اثبتوا تنوينه ووصلوه كما يفعلون بالكلام المنثور ٠٠ ومن العرب من في لغته ان يقف على اشباع الحركة فتجر الضمة واوا والكسرة ياء والفتحة الفا فينشد هذا كله موصولا من غير قصد غناء ولا ترنم ٠٠ ومنهم من في لغته ان لا يعرض شيئاً من النصب فهو ينشد هذا كله موقوفا من غير اعتقاد تقييد واذا كان الشعر مقيداً كان تنوينه بازاء اطلاقه فهو غير جائز لأن الشعر المقيد يكسر بتنوينه كما يكسر باطلاقه ما خلا الاوزان التي قدمنا القول فيها أنها من بين ضروب الشعر يجوز اطلاقها وتقييدها ٠٠ ويحكي عن رؤبة انه أنشد قصيدته القافية المقيدة منونة فرد ذلك الزجاجي وأنكر وذكر انه وهم من السامع وان الوجه فيه ان من العرب من يزيد بعد كل قافية ان الخفيفة المكسورة اعلاما بانقضاء البيت فينشد

وقاتم الاعماق خاوي المخترق ان　　مشتبه الاعلام لماع الخفق ان

* يكلُّ وفد الريح من حيثُ انخرق ان *

واذا كان ما قبل حرف الروى ساكنا وكانت لغة منشده الوقوف على المضموم والمكسور ينقل الحركة كما أنشد اعرابي من بني سنبس قول ذي الرمة

* ولا زالَ منهلاً بجرعائكِ القطرُ *

بضم الطاء واسكان الراء لما وقف حكي ذلك عبد الكريم وعلى هذا قال الآخر

• انا ابن ماوية اذا جد النفر •

اراد –النفر –بالخيل •• وأنشد ابو العباس ثعلب

ارتنى حجلاً على ساقها فهش الفؤاد لذاك الحجل

فقلت ولم أخف من صاحبى الا بأبي أصل تلك الرجل

وقال نقل لاضطرار القافية •• ومما يدخل فى شفاعة هذا الباب الغناء والحداء والتغبير قال الشاعر

تغن بالشعر إما كنت قائله ان الغناء لهذا الشعر مضمار

ويقولون فلان يتغنى بفلان أو بفلانة اذا صنع فيه شعراً •• قال ذو الرمة

أحب المكان القفر من أجل أننى به أتغنى باسمها غير معجم

وكذلك يقولون حدا به اذا عمل فيه شعرا •• قال المرار الاسدى

ولو أنى حدوت به ارفأنت نعامته وأبصر ما يقول

وغناء العرب قديما على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج •• فاما النصب فغناء الركبان والفتيان قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي وهو الذي يقال له المراثي وهو الغناء الجنابى اشتقه رجل من كلب يقال له جناب بن عبد الله بن هبل فنسب اليه ومنه كان أصل الحداء كله وكله يخرج من أصل الطويل فى العروض •• وأما السناد فالثقيل ذو الترجيع الكثير النغمات والنبرات وهو على ست طرائق الثقيل الاول وخفيفه والثقيل الثاني وخفيفه والرمل وخفيفه •• وأما الهزج فالخفيف الذى يرقص عليه ويمشى بالدف والمزمار فيطرب و يستخف الحليم قال اسحاق هذا كان غناء العرب حتى جاء الله بالاسلام وفتحت العراق وجلب الغناء الرقيق من فارس والروم فغنوا الغناء المجزء المؤلف بالفارسية والرومية وغنوا جميعا بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير •• قال الجاحظ العرب تقطع الالحان الموزونة على الاشعار الموزونة والعجم تمطط الالفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل فى وزن اللحن فتضع موزونا على غير موزون •• ويقال ان أول من اخذ فى ترجيعه الحداء مضر بن نزار فانه سقط عن جمل فانكسرت يده فحملوه وهو يقول وايداه وايداه وكان

أحسن خلق الله جرما وصوتا فاصغت الابل اليه وجدت في السير فجعلت العرب مثالا لقوله ها يداهايدا يحدون به الابل حكي ذلك عبد الكريم في كتابه ٠٠وزعم ناس من مضر أن اول من حدا رجل منهم كان في ابله ايام الربيع فأمر غلاما له ببعض أمر فاستبطأه فضربه بالعصا فجعل ينشد في الابل ويقول يا يداه يا يداه فقال له الزم الزم واستفتح الناس الحداء من ذلك الوقت٠٠وذكر ابن قتيبة أنهم قالوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وحكي الزبير بن بكار في حديث يرفعه الي النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم من بني غفار سمع حاديهم بطريق مكة ليلا قال اليهم ان أبا كم مضر خرج الى بعض رعاته فوجدها قد تفرقت فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح وايداه وايداه فسمعت الابل ذلك فعطفت فقال مضر لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الابل واجتمعت فاشتق الحداء٠٠وأما التغبير فهو تهليل أو تردد صوت بقراءة أو غيرها حكي ذلك ابن دريد وحكى أبو اسحق الزجاجي قال سألني بعض الرؤساء لم سمي التغبير تغبيراً قلت لأنه وضع على أنه يرغب في الغابر أى الباقي أى يرغب في نعيم الجنة وفيما يعمل للآخرة وقال غيره انما قيل له تغبير لانه جعل مايخرج من الفم بمنزلة الغبار فعرض الجوابان على أحمد بن يحيى فاستجاد جوابي يقال للمراسل في الغناء المتالى حكاه غلام ثعلب

باب الجوائز والصلات

قال أبو جعفر النحاس أصل الجائزة أن يعطي الرجل ما يجيزه ليذهب الى وجهه وكان الرجل اذا ورد ماء قال لقيمه اجزني أى اعطني ماء حتى اذهب لوجهتي واجوز عنك فكثر حتى جعلت الجائزة عطية ٠٠ قال الراجز

يا قيم الماء فدتك نفسي أحسن جوازى وأقلّ حبسي

قال ابن قتيبة أصل الجائزة والجوائز ان عبد عوف بن اصرم من بني هلال بن عامر بن صعصعة ولى فارس لعبد الله بن عامر فمر به الاحنف بن قيس في جيشه غازيا الي

خراسان فوقف لهم على قنطرة الكر فجعل ينسب الرجل فيعطيه على قدر حسبه فكان يعطيهم مائة مائة فلما كثروا عليه قال أجيزوهم فأجيزوا فهو أول من سن الجوائز ‥ قال الشاعر

فدىً للأكرمين بني هلال   علي علاتهم عمي وخالى
هم سنوا الجوائزَ في معدٍ   فصارتْ سنةً أخرى الليالى

‥ والبدرة عشرة آلاف درهم سميت بذلك لوفورها قال بعضهم ومنه سمى القمر ليلة أربع عشرة بدراً لتمامه وامتلائه من النور ويقال لمبادرته الشمس وقيل بل البدرة جلدة السخلة اذا فطمت والجذع بن المعز يملأ مالا فسمي المال بدرة باسم الوعاء مجازاً ‥ والصلة ما أخذه الرجل من السلطان أول ما يتصل به ثم كثر ذلك حتى قيل لهبة الملك صلة وهذه أبيات كنت صنعتها للسيد أبي الحسن أدام الله عزه ختمت بها الكتاب لما جاء موضعها

ان الذى صاغت يدي وفمي   وجرى لساني فيه أو قلمي
مما عنيتُ لسبك خالصهِ   واخترته من جوهر الكلم
لم أهده الا لتكسوه   ذكراً نجدده على القدم
لسنا نزيدك فضل معرفةٍ   لكنهنَّ مصائدُ الكرم
فاقبل هديةَ من أشدت به   ونسختَ عنه آية العدم
لاتحسبِ الدنيا أبا حسنٍ   تأتى بمثلكَ فائقَ الهمم

تم كتاب العمده فى محاسن الشعر وآدابه لابي على الحسن بن رشيق الأزدى والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمى وعلي آله وصحبه وسلم

اعلان

﴿من محل محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه بمصر﴾

(عن الكتب المذكوره)

كتاب (الترغيب والترهيب) للحافظ عبد العظيم المنذرى جزآن كبيران فى ٦٨٠ صحيفه

كتاب (أمالي السيد المرتضي) فى التفسير . والحديث . والادب . أربعة أجزاء فى ٨٠٨ صحائف مشكول ما فيه من الشعر واللغة

كتاب (الايمان والاسلام) لشيخ الاسلام تقى الدين بن تيمية جزء واحد فى ٢٠٨ صحائف

كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) في مخالفة أهل الجحيم لشيخ الاسلام المذكور في ٢٤٠ صحيفه

كتاب (الكنايات) للقاضى الجرجانى مع كتاب الكنايات لابي منصور الثعالبى جزء واحد فى ٢٤٠ صحيفه

كتاب (خاص الخاص) فى الادب والمحاضرات لابى منصور الثعالبي وهو من أجل مؤلفاته جزء واحد فى نحو ٢٠٠ صحيفه

كتاب (شفاء الغليل) فيما فى كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجي جزء واحد فى ٢٤٠ صحيفه

كتاب (مفتاح دار السعادة) لابن قيم الجوزيه من أجل ما ألف في الفلسفة الاسلامية جزآن فى ٦٢٦ صحيفة

كتاب (المفصل) للزمخشرى مع كتاب المفضل في شرح شواهد المفصل للسيد محمد بدر الدين جزء واحد فى ٤٠٨ صحائف

كتاب (المجموع للفارابى) ثمانية رسائل مع كتاب نصوص الكلم شرح فصوص الحكم للسيد محمد بدر الدين جزء واحد في ٢٠٨ صحائف

كتاب (مبادي اللغة العربية) وشرح شواهد ذلك لابى عبدالله الاسكافي الخطيب جزء واحد في مائتى صحيفة مشكول

﴿ فهرس الجزء الثاني من كتاب العمده ﴾

صحيفه

(تم الفهرس)